

مَجَانِي الْأَدَبِ

في

حَدَائِقِ الْعَرَبِ

عَنِّي بِجَمْعِهِ وَضَبْطِهِ وَتَصْحِيحِهِ

الْأَبِ لُؤْلُؤِ شَيْخِ الْيَسْعَى

الجزء الثالث



طبعة سادسة مصححة

في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٩٦

برخصة مجاز معارف ولاية بيروت الحليّة ١٧٤

حقوق طبعه محفوظة للمطبعة

الْبَابُ الْأَوَّلُ فِي التَّنْذِيرِ

فِي كَيْلَاتِهِ تَعَالَى

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ هُوَ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى خَالِقُ الْأَعْيَانِ
وَالْأَنْوَارِ . وَمُكَوِّرُ النَّهَارِ عَلَى اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ . الْعَالِمُ بِالْحَقَائِقِ .
وَمَا تَطْوِي عَلَيْهِ الْأَرْضُونَ وَالسَّمَاوَاتُ . سَوَاءٌ عِنْدَهُ الْجَهْرُ وَالْإِسْرَارُ .
وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ . أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ
الْلطيفُ الْخَبِيرُ خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ . وَأَحْكَمَهُمْ بِعِلْمِهِ وَخَصَّهُمْ
بِمَشِيئَتِهِ . وَدَبَّرَهُمْ بِحِكْمَتِهِ . لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي خَلْقِهِمْ مُعَيَّنٌ . وَلَا فِي
تَدْبِيرِهِمْ مُشِيرٌ وَلَا ظَاهِرٌ . وَكَيْفَ يَسْتَعِينُ مَنْ لَمْ يَزَلْ يَمُنْ لَمْ يَكُنْ . لَا
تَلْزَمُهُ لَمْ . وَلَا تُجَاوِزُهُ آيُنْ . وَلَا تُلَاصِقُهُ حَيْثُ . وَلَا تُعَدُّهُ كَمْ . وَلَا
تُخَصِّرُهُ مَتَى . وَلَا تُحْبِطُ بِهِ كَيْفَ . وَلَا تُظْهِرُهُ قَبْلُ . وَلَمْ تَقْتِهِ بَعْدُ . وَلَمْ
تُجْمَعِ كُلُّ . وَضَفَهُ لَاصِفَةً لَهُ . وَكَوْنُهُ لَا أَمَدَ لَهُ . وَلَا تُخَالِطُهُ الْأَشْكَالُ
وَالْأَصْوُرُ . وَلَا تُغَيِّرُهُ الْأَنْوَارُ وَالْغَيْرُ . وَلَا تُجُوزُ عَلَيْهِ الْمَاسَةُ وَالْمُقَارَبَةُ .
وَلَتُسَخِّلَ عَلَيْهِ الْأُمُحَاذَاةُ وَالْمُقَابَلَةُ . إِنْ قُلْتَ : أَيْنَ هُوَ . فَقَدْ سَبَقَ
الْأَمْكَانُ وَجُودُهُ . لَمْ يَفْتَقِرْ وَجُودُهُ إِلَى أَيْنَ . هُوَ بَعْدَ خَلْقِ الْمَكَانِ غَنِيٌّ
بِنَفْسِهِ كَمَا كَانَ قَبْلَ خَلْقِ الْمَكَانِ . وَكَيْفَ يَحِلُّ فِي مَا مِنْهُ بَدَأُ . وَإِنْ
قُلْتَ : مَا هُوَ . فَلَا مَا هِيَ لَهُ مَا مَوْضُوعَةٌ لِلسُّؤَالِ عَنِ الْجُلُوسِ . وَالْقَدِيمُ

تَعَالَى لَا جَسَدَ لَهُ قَبْلُ أَنْ يَكُونَ هُوَ قَبْلُ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ . مُتَفَرِّدٌ
بِصِفَاتِهِ . وَإِنْ قُلْتَ : مَتَى كَانَ قَدْ سَبَقَ الْوَقْتُ كَوْنَهُ وَإِنْ قُلْتَ :
كَيْفَ هُوَ فَسَبَقَتْ الْكَيْفِيَّةُ لَا يُقَالُ لَهُ كَيْفَ . وَمَنْ جَازَتْ عَلَيْهِ
الْكَيْفِيَّةُ جَازَ عَلَيْهِ التَّغْيِيرُ وَإِنْ قُلْتَ هُوَ قَالَهَا وَالْوَاوُ خَلَقَهُ . فَمَا تَصَوَّرُ
فِي الْأَوْهَامِ . هُوَ بِخِلَافِهِ . وَلَا تُمَثِّلُهُ الْعُيُونُ . وَلَا تَخْلُطُهُ الظُّنُونُ .
وَلَا تَصَوِّرُهُ الْأَوْهَامُ . وَلَا يَحِيطُ بِهِ الْأَفْهَامُ . وَلَا تُقَدِّرُ قَدْرَهُ الْأَيَّامُ .
وَلَا يَخْجُوهِ مَكَانٌ . وَلَا يَقَارِنُهُ زَمَانٌ . وَلَا يَحْصُرُهُ أَمَدٌ . وَلَا يَجْمَعُهُ
عَدَدٌ . قُرْبُهُ كَرَامَتُهُ . وَبُعْدُهُ إِهَانَتُهُ . عَلُوُّهُ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّلٍ . وَجَمْعُهُ مِنْ
غَيْرِ تَقْلِيلٍ . هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ . وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ . الْقَرِيبُ الْبَعِيدُ .
الَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ . وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ وَأَشْهَدُ لَهُ بِالرَّبُوبِيَّةِ وَيَمَّا
شَهِدَ بِهِ لِنَفْسِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَى

(سراج الملوك للعارطوشي)

الدعاء لله

٢ دَعَا أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : يَا عِمَادَ مَنْ لَا عِمَادَ لَهُ . وَيَا رُكْنَ مَنْ لَا رُكْنَ لَهُ .
وَيَا مُجِيرَ الضُّعْفَى وَيَا مُنْقِذَ الْهَلَكَى . وَيَا عَظِيمَ الرَّجَاءِ أَنْتَ الَّذِي سَبَّحَ
لَكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ . وَضَوْءُ الْقَمَرِ وَشَمَاعُ الشَّمْسِ . وَخَفِيفُ
السَّحَرِ وَدَوِيُّ الْمَاءِ . يَا مُحْسِنُ يَا مُجِيبُ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَنْتَ الْمُؤْنِسِينَ
لِلْمُتَكِلِينَ عَلَيْكَ أَنْتَ شَهِدَهُمْ وَغَايِبُهُمْ وَأَطْلَعُ عَلَى ضَمَائِرِهِمْ .
وَسِرِّي لَكَ مَكْشُوفٌ . وَأَنَا إِلَيْكَ مَهْوٍ . إِذَا أَوْحَشَتْنِي الْغُرْبَةُ

أَنَسَنِي ذِكْرُكَ . وَإِذَا أَكْبَتَ عَلَيَّ النُّعُومُ لَجَأْتُ إِلَى الْإِسْتِجَارَةِ بِكَ .
 عَلِمْتُ أَنَّ أَرْزَمَةَ الْأُمُورِ كُلِّهَا بِيَدِكَ وَمَصْدَرُهَا عَنْ قَضَائِكَ . فَأَقْلَبَنِي
 إِلَيْكَ مَغْفُورًا لِي مَغْضُومًا بِطَاعَتِكَ بَاقِي غَمْرِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
 ٣ لَمَّا وَلِيَ أَبُو بَكْرٍ الْخِلَافَةَ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي دَاعٍ فَأَتِنُوا . اللَّهُمَّ إِنِّي غَلِيظُ فَلْسِنِي لِأَهْلِ طَاعَتِكَ
 بِمُؤَافَقَةِ الْحَقِّ أَنْبَاءَ وَجْهِكَ وَالْدَّارِ الْآخِرَةِ . وَارْزُقْنِي الْغُلْظَةَ وَالشَّدَّةَ
 عَلَى أَعْدَائِكَ وَأَهْلِ ائْتِمَارٍ وَالنِّفَاقِ مِنْ غَيْرِ ظُلْمٍ مِنِّي لَهُمْ وَلَا أَعْتَدَاءَ
 عَلَيْهِمْ . اللَّهُمَّ إِنِّي سَمِجٌ فَتَخَنِّي فِي تَوَابِ الْمَعْرُوفِ قَصْدًا مِنْ غَيْرِ
 سَرَفٍ وَلَا تَبْذِيرٍ وَلَا رِنَاءٍ وَلَا سَمَةِ . وَاجْعَلْنِي أَبْنِي بِذَلِكَ وَجْهَكَ
 وَالْدَّارِ الْآخِرَةِ . اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي خَفَضَ الْجَنَاحِ وَلَبَنَ الْجَانِبِ الْمُؤْمِنِينَ .
 اللَّهُمَّ إِنِّي كَبِيرُ الْعَنَةِ وَالنَّسِيَانِ فَأَهْمِنِي ذِكْرَكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَذِكْرَ
 الْمَوْتِ فِي كُلِّ حَبْنٍ . اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ عِنْدَ الْعَمَلِ بِطَاعَتِكَ فَارْزُقْنِي
 النَّدَاطَ فِيهَا وَالْقُوَّةَ عَلَيْهَا بِالنِّيَّةِ الْحَسَنَةِ الَّتِي لَا تَكُونُ إِلَّا بِعِزَّتِكَ
 وَتَوْفِيقِكَ . اللَّهُمَّ يَتْنِي بِالْيَقِينِ وَالْيَرِّ وَالْتَّقْوَى وَذِكْرِ الْمَقَامِ بَيْنَ يَدَيْكَ
 وَالْحَيَاءِ مِنْكَ . وَارْزُقْنِي الْخُشُوعَ فَمَا يُرْضِيكَ عَنِّي وَالْحَاسِبَةَ لِنَفْسِي
 وَإِعْلَاحَ السَّاعَاتِ وَالْحَذَرَ مِنَ الشُّبُهَاتِ (العقد الفريد لابن عبد ربه)
 ٤ دَعَا بَعْضُهُمْ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا مَنْ أُخْتُجَبَ بِشَمَاعِ نُورِهِ
 عَنْ نَوَاطِرِ خَلْقِهِ . يَا مَنْ تَسْرَبَلُ بِالْجَلَالِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَأَشْتَهَرُ بِالْجَبْرِ فِي
 قُدْسِهِ . يَا مَنْ تَعَالَى بِالْجَلَالِ وَالْكِبْرِيَاءِ فِي تَعَرُّدِ مَجْدِهِ . يَا مَنْ أَزَادَتْ

الْأُمُورُ بِأَزِمَّتِهَا طَوْعًا لِأَمْرِهِ . يَا مَنْ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ بِمُحِبَّتِهِ
 لِدَعْوَتِهِ . يَا مَنْ زَيَّنَ السَّمَاءَ بِالنُّجُومِ الطَّالِعَةِ وَجَعَلَهَا هَادِيَةً لِحَلْقِهِ . يَا مَنْ
 أَتَارَ الْقَمَرِ النُّجُومِ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ بِلُطْفِهِ . يَا مَنْ أَتَارَ الْقَمَرِ
 النُّجُومِ وَجَعَلَهَا مَعَاشًا لِحَلْقِهِ . وَجَعَلَهَا مُفَرِّقَةً بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِعَظَمَتِهِ .
 يَا مَنْ اسْتَوْجَبَ الشُّكْرَ بِشَرِّهِ سَحَابٍ نَعِيمٍ . أَسْأَلُكَ بِمَعَاوِدِ الَّذِينَ مِنْ
 عَرْشِكَ وَبِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَ بِهِ نَفْسَكَ وَاسْتَأْثَرَتْ بِهِ فِي عِلْمِ
 الْغَيْبِ عِنْدَكَ وَبِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ أَتَاهُ فِي قُلُوبِ الْخَافِينَ حَوْلَ
 عَرْشِكَ وَأَسْأَلُكَ بِالْأَسْمَاءِ الَّتِي تَجَلَّتْ بِهَا لِلْكَليمِ مُوسَى عَلَى الْجَبَلِ
 الْعَظِيمِ . فَلَمَّا بَدَأَ شُعَاعُ نُورِ الْحُبِّ مِنْ بَهَاءِ الْعَظَمَةِ خَرَّتْ الْجِبَالُ
 مُتَذَكِّرَةً لِعَظَمَتِكَ وَجَلَالِكَ وَهَيْبَتِكَ وَخَوْفًا مِنْ سَطْوَتِكَ رَاهِبَةً
 مِنْكَ . أَنْتَ اللَّهُ فَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ . وَأَسْأَلُكَ بِالْأَسْمَاءِ الَّتِي فَتَحْتَ
 بِهَا رِثْقَ عَظِيمِ جُفُونِ الْعُيُونِ لِلنَّاطِقِينَ . الَّتِي بِهَا تُدِيرُ حِكْمَتَكَ
 وَشَوَاهِدُ حُجْجِ أَنْبِيَائِكَ . يَتَرَفُّونَكَ بِنَظَرِ الْقُلُوبِ . وَأَنْتَ فِي
 غَوَامِضِ سَوَائِدِ الْقُلُوبِ . أَسْأَلُكَ أَنْ تَعْرِفَ عَنِّي وَأَهْلَ حُزْنَاتِي
 وَجَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَمِيعَ الْأَقَاتِ وَالْعَاهَاتِ وَالْأَعْرَاضِ
 وَالْأَمْرَاضِ وَالْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ . وَالشُّكَّ وَالْكَفْرَ وَالنِّفَاقَ وَالشَّقَاقَ
 وَالضَّلَالََةَ وَالْجَهْلَ وَالْمَقْتِ وَالْعُصْبَ وَالْأَمْرَ وَالضِّيقَ وَفَسَادَ الصَّبْرِ
 وَحُلُولَ النِّقْمَةِ وَشِمَاتَةَ الْأَعْدَاءِ وَغَلَبَةَ الرِّجَالِ إِنَّكَ تَسْمِعُ الدُّعَاءَ
 لَطِيفُ

(الكشكول لبهاء الدين العاملي)

منتخب من قصيدة علي بن ابي طالب في المائدة

٥ يَا سَامِعَ الدُّعَاءِ . يَا رَافِعَ السَّجَدِ . يَا دَائِمَ الْبَنَادِ . يَا وَاسِعَ الْمَطَاءِ .
يَا عَالِمَ الْغُيُوبِ . يَا غَافِرَ الذُّنُوبِ . يَا سَاتِرَ الْغُيُوبِ . يَا كَاشِفَ
الْكُرُوبِ . يَا فَائِزَ الصِّفَاتِ . يَا مُخْرِجَ النَّبَاتِ . يَا جَامِعَ الشَّجَرَاتِ .
يَا مُنْشِرَ الرُّفَاتِ . يَا قَالِقَ الصُّبْحِ . يَا مُرْسِلَ الرِّيحِ . فَنَجْرًا مَعَ
الرِّيحِ . يَجْلُو فِي النَّوْحِ . يَا هَادِيَ الرَّشَادِ . يَا مُلَوِّمَ الدُّدَادِ .
يَا رَازِقَ الْعِبَادِ . يَا مُخَيِّمَ الْبِلَادِ . يَا مُطَاقَ الْأَسِيرِ . يَا جَارَ الْأَسِيرِ .
يَا مُنْجِي الْفَقِيرِ . يَا غَازِي الْعَازِمِ . يَا مَالِكَ النَّوَاصِي . مِنْ طَائِعِ
وَعَاصِ . رَاعِيهِ مِنْ مَنَاصِ . لِلْعَبْدِ أَوْ خَلَاصِ . أُخْرِجْ مِنْ الْجَحِيمِ .
مَنْ هَوَّاهَا الْعَظِيمِ . مِنْ عَيْشِهَا الدَّيْمِ . مِنْ حَرِّهَا الْآثِيمِ . لِمَكْنِي
الْجَنَانَا . بَلَّغْنِي الْأَمَانَا . فِي مَنْزِلِ تَعَالَى . بِالْحَقِّ قَدْ تَوَالَى . بِالْأَوَّلِ قَدْ
تَلَا . تَلَقَّى بِهِ الْجَلَالَا (ديوان علي)

٦ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ سَمِعْتُ غُلَامًا يُحَدِّثُ رَبَّهُ بِأَيَّاتٍ مِنَ الشَّعْرِ وَهِيَ هَذِهِ:
يَا فَاطِرَ الْخَلْقِ الْبَدِيعِ وَكَافِلَا رِزْقِ الْجَمِيعِ سَخَّابُ جُودِكَ هَاجِلُ
يَا مُنْجِي الْبَرِّ الْخَزِيلِ وَمُسْلِمَ السِّرِّ الْجَوِيلِ عَمِيمُ طَوَاكِ طَائِلُ
يَا عَالِمَ السِّرِّ الْخَفِيِّ وَمُنْجِزَ الْوَعْدِ الْوَفِيِّ قَدْ حَكَمْتَ عَادِلُ
عَظَمَتْ صِفَاتُكَ يَا عَظِيمُ فَبَلَّغْنَا أَنْ يُخَصِّي الثَّنَاءُ عَائِلَ فِيهَا قَائِلُ
الذَّنْبُ أَنْتَ لَهُ يَمْنُكَ غَافِرُ وَلِتَوْبَةِ الْعَاصِي بِجَدِّكَ قَائِلُ
رَبُّ دُيُيِ الْعَالَمِينَ يَبْرِهُ وَتَوَالَهُ أَبَدًا إِلَيْهِمْ وَاصِلُ

كَانَ بَصِيرًا. فَسَمِعَتْ غَفِيرَةً قَوْلَهُ فَقَالَتْ يَا عَبْدَ اللَّهِ عَمَى الْقَلْبَ عَنْ اللَّهِ
أَشَدُّ مِنْ عَمَى الْإِنْسَانِ مِنَ الدُّنْيَا. وَإِنِّي لَوَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ وَهَبَ لِي كُنْهَ
مَحَبَّتِهِ وَإِنْ لَمْ يَبْقَ مِنِّي جَارِحَةٌ إِلَّا أَخَذَهَا: (لليني)

قَالَ بَعْضُ الزَّاهِدِينَ: تَنَزَّلَ فِي حُجَّهِ تَعَالَى:

هَجَرْتُ الْخَلْقَ طَرًّا فِي رِضَاكَ وَنَيْمْتُ الْعِيَالِ لِكَيْ أَرَكَ
فَلَوْ قَطَعْتَنِي فِي الْحُبِّ إِزَابًا لَمَّا حَنَّ الْقَوَادُ إِلَى سِوَاكَ
قَالَ غَيْرُهُ:

إِذَا أَمْسَى وَسَادِي مِنْ تَرَابٍ وَبِثُّ مُجَاوِرِ الرَّبِّ الرَّحِيمِ
فَهَنُونِي أَصْغَايَ وَقُولُوا لَكَ الْبُشْرَى قَدِمْتَ عَلَى كَرِيمٍ
قَالَ آخَرُ:

مَا زَالَ تَخْتَرُ الدُّنْيَا بِهَيْمَتِهِ حَتَّى تَرَقَّتْ إِلَى الْأُخْرَى بِهِ هَيْمَةٌ
رَثَّ اللَّبَاسِ جَدِيدُ الْقَلْبِ مُسْتَتِرٌ فِي الْأَرْضِ مُشْتَهَرٌ فَوْقَ السَّمَاءِ لِسِمَةِ
طُوبَى لِمَنْ يَجْعَلُ اللَّهَ مُعْتَصِمًا عَلَى صِرَاطٍ سَوِيٍّ ثَابِتٍ قَدَمُهُ
قَالَ ابْنُ الصَّبَّاحِ:

يَا طَالِبَ الطَّيِّبِ مِنْ دَاءٍ أُصِيبَ بِهِ إِنَّ الطَّيِّبَ الَّذِي أَبْلَاكَ بِالْإِدَاءِ
هُوَ الطَّيِّبُ الَّذِي يُرْجَى لِمَاقِبِهِ لَا مَنْ يُذِيبُ لَكَ التَّيْرِيَّاقَ فِي الْمَاءِ
٩ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ:

لَيْكَ لَيْكَ أَنْتَ مَوْلَاهُ فَأَرْحَمَ عِيْدًا فَأَنْتَ مَلْجَأُ
يَاذَا الْمَعَالِي إِلَيْكَ مُعْتَمِدِي طُوبَى لِمَنْ كُنْتَ أَنْتَ مَوْلَاهُ

طُوبَى لِمَنْ كَانَ نَادِمًا أَرْفَا يَشْكُو إِلَى ذِي الْجَلَالِ بَلَاءُهُ
وَمَا بِهِ عِلَّةٌ وَلَا سَقَمٌ أَكْثَرُونَ حَيْهَ لِمَوْلَاهُ
إِذَا خَلَا فِي الظَّلَامِ مُبْتَهَلًا أَجَابَهُ اللَّهُ ثُمَّ لَبَّاهُ
سَأَلْتَ عَبْدِي وَأَنْتَ فِي كَذْبِي وَكُلُّ مَا قُلْتَ قَدْ سَمِعْتَاهُ
صَوْتِكَ تَشْفِقُهُ مَلَائِكَةُ قَدْ نَبَّكَ الْآنَ قَدْ شَفَرْتَاهُ
فِي جَنَّةِ الْجَلَدِ مَا تَمَنَّا طُوبَاهُ طُوبَاهُ ثُمَّ طُوبَاهُ
سَلْنِي بِلا خَشْيَةٍ وَلَا رَهَبٍ وَلَا تَخَفٍ إِنِّي أَنَا اللَّهُ

١٠. أَوَّلُ مَقَامَاتِ الْإِنْتِبَاهِ هُوَ الْيَقَظَةُ مِنْ سَيِّئَةِ الْفَعْلَةِ . ثُمَّ التَّوْبَةُ وَهِيَ
الرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ بِتَدْوِينِ الْإِمَانِ . ثُمَّ الْوَرَعُ وَالتَّقْوَى لَكِنْ وَرَعَ أَهْلُ
الشَّرِيعَةِ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَرَوَعَ أَهْلُ الْعَارِ بِتَدْوِينِ الشُّبُهَاتِ . ثُمَّ الْخَاسِبَةُ
وَهِيَ تَمَادُّ مَا صَدَرَ عَنِ الْإِنْسَانِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ بَنِي
نَوْعِهِ . ثُمَّ الْإِرَادَةُ وَهِيَ الرِّغْبَةُ فِي نَيْلِ الْمُرَادِ عَنِ الْكَدِّ . ثُمَّ الزُّهْدُ وَهُوَ
تَرْكُ الدُّنْيَا وَحَقِيقَتُهُ التَّوْبَةُ عَنْ غَيْرِ الْمَوْلَى . ثُمَّ الْفَقْرُ وَهُوَ تَرْكُ الْغَلَبِ
عَمَّا خَالَتْ عَنْهُ أَيْدٍ . وَالْفَقِيرُ مَنْ عَرَفَ أَنَّهُ لَا يَثِيرُ عَلَى شَيْءٍ . ثُمَّ
الصِّدْقُ وَهُوَ اسْتِوَاءُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ . ثُمَّ التَّصَبُّرُ وَهُوَ حُلُّ النَّاسِ
عَلَى الْمَكَارِهِ . ثُمَّ الصَّبْرُ وَهُوَ تَرْكُ الشُّكْوَى وَقَعِ النَّاسِ . ثُمَّ الرِّضَا
وَهُوَ التَّلَذُّذُ بِالْبَلْوَى . ثُمَّ الْإِخْلَاصُ وَهُوَ إِخْرَاجُ الْخُلُقِ عَنْ مَوَاسَلَةِ
الْحَقِّ . ثُمَّ التَّوَكُّلُ وَهُوَ الْإِعْتِمَادُ فِي كُلِّ أَمْرٍ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
مَعَ الْعِلْمِ أَنَّ الْخَيْرَ فِيمَا اخْتَارَهُ (لبهاء الدين العاملي)

أَجِرْ يَا سَيِّدِي عَبْدًا فَقِيرًا أَتَاخَ بِبَابِكَ الْعَالِي وَدَارِكَ
قَالَ غَيْرُهُ :

وَإِنِّي لَأَدْعُو اللَّهَ أَزَالُ عَفْوَهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ وَيَنْفِرُ
لَيْنَ أَعْظَمِ النَّاسِ الذُّنُوبَ وَلَهَا وَإِنْ عَظُمَتْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ تَصَغُرُ
١٣ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ الْحَطِيبِ مُسْتَغْفِرًا :

يَا مَنْ يَدْرِي مَا فِي الصَّبِيرِ وَيَسْمَعُ أَنْتَ الْمَعْدُ لِكُلِّ مَا يَرْفَعُ
يَا مَنْ يُرْجَى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمَشْتَكَى وَالْمَرْغُوعُ
يَا مَنْ خَرَانِ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ كُنْ يَا مَنْ خَيْرَ عِنْدِكَ أَجْمَعُ
مَا لِي سِوَى قَهْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ فَيَا لِقَتَارِ إِلَيْكَ قَهْرِي أَدْفَعُ
مَا لِي سِوَى فَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ فَلَمَنْ رُدِدْتُ قَائِي بَابِ أَقْرَعُ
وَمَنْ الَّذِي أَدْعُو وَأَهْتِفُ بِاسْمِهِ إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ قَهْرِي يَنْعَمُ
حَاشَا لِحُودِكَ أَنْ يَقْطَعَ عَاصِيَا أَلْفَضْلُ أَجْزَلُ وَأَمْوَاهِبُ أَوْسَعُ
١٤ قَالَ ابْنُ الْقَرَضِي :

أَسِيرُ الْخَطَايَا عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفُ عَلَى وَجَلٍ مِمَّا بِهِ أَنْتَ عَارِفُ
خَافُ دُنُوبًا لَمْ يَنْبَغْ عَنْكَ عَجَبُهَا وَرَجُوكَ فِيهَا قَهْوَرًا وَخَافُ
فِي سَيِّدِي لَا تُخْزِنِي فِي صَحِيحَتِي إِذَا نَشِرتَ يَوْمَ الْحِسَابِ الْعِصَافُ
فَكُنْ مُؤْنِسِي فِي ظُلُمَةِ الْبُحْرِ عِنْدَمَا يَصُدُّ دُورُ الْفُرْجِ وَيَجْنُو الْوَالِفُ
لَيْنَ ضَاقَ عَنِّي عَفْوُكَ الْوَلِيمُ الَّذِي أَرْجِي لِإِسْرَافِي قَائِي لَتَالِفُ

العالم العقلي

١٥ من التلويحات عن أولاد طون الإلهي أَنَّهُ قَالَ: رُبَّمَا خَلَوْتُ نَفْسِي
 كَثِيرًا عِنْدَ الرِّيَاضَاتِ . وَتَأَمَّلْتُ أَحْوَالَ الْمَوْجُودَاتِ الْمَجْرَدَةِ عَنْ
 الْمَادِّيَّاتِ . وَخَلَمْتُ بَدَنِي جَانِبًا وَصَرْتُ كَأَنِّي مُجَرَّدٌ بِلا بَدَنٍ عَارٍ عَنِ
 الْمَلَابِيسِ الطَّبِيعِيَّةِ . فَأَكُونُ دَاخِلًا فِي ذَاتِي لَا أَتَعَلُّ غَيْرَهَا وَلَا أَنْظُرُ
 فِيمَا عَدَاهَا وَخَارِجًا عَنْ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ . فَيَحْدِثُ أَرَى فِي نَفْسِي مِنَ الْحُسْنِ
 وَالْإِبْهَاءِ وَالسَّنَاءِ وَالضِّيَاءِ وَالْحَاسِنِ الْقَرِيبَةِ الْعَجِيبَةِ الْأَيِّمَةِ مَا أَتَقَى مَعَهُ
 مُتَجَبِّيًا حَيْرَانًا بَاهِتًا . فَأَعْلَمُ أَنِّي جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ الْعَالَمِ الْأَعْلَى الرُّوحَانِيِّ
 الْكَرِيمِ الشَّرِيفِ . وَأَنِّي ذُو حَيَاةٍ فَعَّالَةٍ . ثُمَّ تَرَقَّيْتُ بِذَهْنِي مِنْ ذَلِكَ
 الْعَالَمِ إِلَى الْعَوَالِمِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْحَضَرَةِ الرُّبُوبِيَّةِ . فَصَرْتُ كَأَنِّي مَوْضُوعٌ
 فِيهَا مُعَلَّقٌ بِهَا فَوْقَ الْعَوَالِمِ الْعَقْلِيَّةِ النُّورِيَّةِ . فَأَرَى كَأَنِّي وَاقِفٌ فِي ذَلِكَ
 الْمَوْقِفِ الشَّرِيفِ وَأَرَى هُنَاكَ مِنَ الْإِبْهَاءِ وَالنُّورِ مَا لَا تَعْدِرُ الْأَلْسُنُ
 عَلَى وَصْفِهِ وَلَا الْأَسْمَاعُ عَلَى قَوْلِ نَشِئِهِ . فَإِذَا اسْتَرْقَيْتُ ذَلِكَ الشَّأْنَ
 وَقَلْبِي ذَلِكَ النُّورُ وَالْإِبْهَاءُ وَلَمْ أَقْوَعْ عَلَى أَحْتِمَالِهِ هَبَطْتُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى
 عَالَمِ الْفِكْرَةِ . فَيَحْدِثُ حُجَّتِ الْفِكْرَةُ عَنِّي ذَلِكَ النُّورُ فَأَبْقَى مُتَجَبِّيًا أَنِّي
 كَيْفَ اتَّخَذْتُ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ . وَحُجَّتِ كَيْفَ رَأَيْتُ نَفْسِي مُمْتَلِئَةً
 نُورًا وَهِيَ مَعَ الْبَدَنِ كَهَيْئَتِهَا . فَعِنْدَهَا تَذَكَّرْتُ قَوْلَ مَطَارِيسَ حَيْثُ
 أَمَرْنَا بِالطَّلَبِ وَالتَّجَسُّسِ عَنْ جَوْهَرِ أَنْفُسِ الشَّرِيفِ وَالْإِرْتِفَادِ إِلَى
 الْعَالَمِ الْعَقْلِيِّ .

(لِبِهَاءِ الدِّينِ)

فَرَأَى الشَّجَرَةَ . قَالَ عَدِي بْنُ زَيْدٍ : أَيُّهَا الْمَلِكُ أَتَدْرِي مَا تَقُولُ هَذِهِ
الشَّجَرَةَ . قَالَ : لَا . قَالَ فَإِنِّهَا تَقُولُ :

مَنْ رَأَانَا فَلْيُحَدِّثْ نَفْسَهُ أَنَّهُ مُؤَبَّى عَلَى قُرْبٍ زَوَالٍ
فَصُرُوفُ الدَّهْرِ لَا تَبْقَى لَهَا وَلَمَّا رَزَقِي بِهِ صُمُّ الْجِبَالِ
رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ بِأَلْمَاءِ الزَّلَالِ
وَالْأَبَارِيقُ عَلَيْهَا فَدُمُّ وَجِيادُ الْخَيْلِ تَجْرِي بِالْجَلَالِ
عَمَرُوا الدَّهْرَ بِعَيْشٍ حَسَنٍ أُمْنَى دَهْرِهِمْ غَيْرُ عِجَالٍ
عَصَفَ الدَّهْرُ بِهِمْ فَأَقْرَضُوا وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالًا بَدْحَالٍ
قَالَ) ثُمَّ جَاوَزَا الشَّجَرَةَ فَرَأَى شَجَرَةً . فَقَالَ لَهُ عَدِي : أَتَدْرِي مَا
تَقُولُ هَذِهِ الْمَقْبَرَةُ . قَالَ : لَا . قَالَ : فَإِنِّهَا تَقُولُ :

أَيُّهَا الرَّكْبُ الْخَبِئُ نَعَلَى الْأَرْضِ الْهَيْدُونَا
كَمَا أَنْتُمْ كَذَا كُنَّا وَكَمَا كُنْ تَكُونُونَا
فَقَالَ النُّعْمَانُ : قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الشَّجَرَةَ وَالْمَقْبَرَةَ لَا تَتَكَلَّمَانِ . وَقَدْ
عَلِمْتُ أَنَّكَ إِنَّمَا أَرَدْتَ عِظَمِي فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا فَمَا السَّبِيلُ الَّذِي
تُذَرِّكُ بِهِ النَّجَاةَ . قَالَ : تَدَعِ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَتَعْبُدِ اللَّهَ وَحْدَهُ قَالَ :
وَفِي هَذَا النَّجَاةَ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ فَتَرَكَ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ وَنَصَرَ حَبِيبَهُ
وَأَحَذَى فِي الْعِبَادَةِ وَالْإِحْتِمَادِ
(للطُّرُوشِيِّ)

ذَلَّةُ الدُّنْيَا وَزَوْلُمَا

١٩ (مِنْ الشَّجْعِ) أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ وَأَذْنَتْ بِوَدَاعٍ . وَإِنَّ

الْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَشْرَقَتْ بِإِطْلَاعِ . أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمَضْمَارَ . وَغَدَا
السَّبَاقُ وَالسَّبْقَةُ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ . أَفَلَا تَأْتِيَنَّ مِنْ خَطِيئَةٍ . قَبْلَ مَنِيَّتِهِ .
أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ . قَبْلَ يَوْمِ يُوسَى . أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ مِنْ
وَرَأَيْهِ أَجَلٌ . فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ . قَبْلَ حُصُولِ أَجَلِهِ . نَفَعَهُ عَمَلُهُ .
وَلَمْ يَضُرَّهُ أَجَلُهُ . وَمَنْ قَصَرَ فِي أَيَّامِ عَمَلِهِ قَبْلَ حُصُولِ أَجَلِهِ . فَقَدْ خَبِرَ
عَمَلُهُ . وَضُرَّ أَجَلُهُ . أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ . كَمَا تَتَمَلَّوْنَ فِي الرَّهْبَةِ .
أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرْ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا . وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا . أَلَا وَإِنَّهُ
مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ . وَمَنْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَى . يَجْذِبُهُ
الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى . أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أَمَرْتُمْ بِالظُّلْمِ . وَذَلَلْتُمْ عَلَى
الرِّيَازِ . وَإِنْ أَخُوفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَتْبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ .
تَرَوُّوْا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تَحْزَنُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدَا

٢٠ (عَنْ تَوْفِيٍّ أَلِيَّ كَالِيٍّ) قَالَ: رَأَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا كَرَّمَ اللَّهُ
وَجْهَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ فِرَاشِهِ فَنَظَرَ إِلَى النُّجُومِ فَقَالَ: يَا تَوْفُ
أَرَأَيْدُ أَنْتَ أَمْ رَامِقٌ. قُلْتُ: بَلْ رَامِقٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: يَا تَوْفُ
طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا الرَّاعِيْنَ فِي الْآخِرَةِ أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا
الْأَرْضَ إِسَاطًا وَزُرَّابَهَا فِرَاشًا وَمَاءَهَا طَيْبًا وَالَّذِينَ شِعَارًا وَالِدُّعَاءَ دِهَانًا .
ثُمَّ قَرَضُوا الدُّنْيَا قَرْضًا عَلَى مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ (لِبَهَادِ الدِّينِ)

الراهب المبرجاني مع الشيخ عمر الصيني

٢١ قَالَ الشَّيْخُ عُمَرُ: مَرَرْتُ بِرَاهِبٍ وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ فَجَرَى بَيْنِي

وَبَيْتَهُ مُوَأَنَسَةً . قُلْتُ لَهُ : يَا رَاهِبُ لِمَنْ تَعْبُدُ . قَالَ : أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي
خَلَقَ الْعَالَمَ بِقُدْرَتِهِ . وَأَلْفَ نِظَامِهِ بِحِكْمَتِهِ . وَقَدْ حَوَتْ عَظَمَتُهُ كُلَّ
شَيْءٍ . لَا تَبْلُغُ إِلَّا لِسْنُ وَعَفَ قُدْرَتِهِ . وَلَا الْقَوْلُ لِحُجْرَتِهِ . لَهُ الشُّكْرُ
عَلَى مَا تَقَلَّبَ فِيهِ مِنْ نِعْمَتِهِ الَّتِي صَحَّتْ بِهَا الْأَبْصَارُ . وَرَعَتْ بِهَا
الْأَسْمَاعُ . وَتَنَطَّلَتْ بِهَا الْأَلْسُنُ . وَسَكَتَتْ بِهَا الْعُرُوقُ وَامْتَرَجَتْ بِهَا
الطَّيَافُ . قُلْتُ : يَا رَاهِبُ مَا أَفْضَلُ الْحِكْمَةِ . قَالَ : خَوْفُ اللَّهِ . قُلْتُ :
وَمَا أَكْثَلُ الْعَمَلِ . قَالَ : مَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِ بِقُدْرَتِهِ . قُلْتُ : مَا يُعِينُ عَلَى
التَّخَافِ مِنَ الدُّنْيَا . قَالَ : أَنْ تَجْعَلَ بَقِيَّةَ يَوْمِكَ أَنْقِضَاءَ أَمَلِكَ .
قُلْتُ : وَمَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ عَقَلْتَ عَلَى نَفْسِكَ فِي هَذِهِ الصَّوْمَةِ .
قَالَ : لِأَحَدٍ هَذَا السَّبْعُ عَنِ النَّاسِ (وَأَوْمًا يَدِي إِلَى لِسَانِهِ) . قُلْتُ :
مِنْ أَيْنَ تَعِيشُ . قَالَ : مِنْ تَدْبِيرِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ الَّذِي خَلَقَ الرُّوحَ
وَهُوَ يَأْتِيهَا بِالطَّيْمِينِ . قُلْتُ : لِمَ لَا تَنْزِلُ إِلَيْنَا وَتَحَاطِنَا . قَالَ : لِأَنَّ
الْأَشْيَاءَ الْمَوْبِقَةَ بِأَسْرَهَا بَيْنَكُمْ وَالسَّلَامَةَ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا تَكُونُ فِي
الْوَحْدَةِ . قُلْتُ : وَكَيْفَ صَبَرْتَ عَلَى الْوَحْدَةِ . قَالَ : لَوْ ذُفَّتْ حَلَاوَةُ
الْوَحْدَةِ لَأَسْتَوْحَشْتُ إِلَيْهَا مِنْ نَفْسِكَ . قُلْتُ : كَيْفَ لَبَسْتَ السَّرَادَ .
قَالَ : لِأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَأْتَمٍ وَأَهْلُهَا فِي جِدَادٍ . وَإِذَا حَزِنْتُ لَبَسْتُ
السَّوَادَ . قُلْتُ : كَيْفَ تَذْكُرُ الْمَوْتَ . قَالَ : مَا أَطْرَفُ طَرَفَةَ عَيْنٍ إِلَّا
ظَنَنْتُ أَنِّي مَيِّتٌ . قُلْتُ : مَا لَنَا نَحْنُ نَكْرَهُ الْمَوْتَ . قَالَ : لِأَنَّكُمْ
عَمَرْتُمْ دُنْيَاكُمْ وَأَخْرَبْتُمْ آخِرَتَكُمْ . فَأَنْتُمْ تَكْرَهُونَ الثَّقَلَ مِنَ النُّعْرَانِ

إِلَى الْحَرَابِ . قُلْتُ : يَا رَاهِبُ عِظْنِي . قَال : أَلْبَغُ أَلْعِظَاتِ النَّظَرُ
إِلَى عَمَلَةِ الْأَمْوَاتِ . وَفِي تَغْيِيرِ السَّاعَاتِ وَالْأَجَلَاتِ . وَإِنْ شِئْتَ
جَنَازَةً فَكُنْ كَأَنَّكَ الْمَحْمُولُ مِثْلَ ذَلِكَ . وَلَا تَنْسَ مَنْ لَا يَنْسَاكَ .
وَأَحْسِنَ سِرِّكَ . يُحْسِنُ اللَّهُ عَلَانِيَتَكَ . وَأَعْلَمْ أَنَّ مَنْ خَافَ اللَّهَ
أَخَافَ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ . وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ خَافَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .
وَأَطْلُبِ الْعِلْمَ لَتَعْمَلَ بِهِ وَلَا تَطْلُبْهُ لَتَبَاهِيَ أَوْ تُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءُ . وَإِيَّاكَ
وَالْأَهْوَاءَ فَإِنَّهَا مُوبِقَةٌ . وَالْهَرَبَ الْهَرَبَ مِنَ الْجَمَلِ . وَالْهَرَبَ الْهَرَبَ
مِمَّنْ يَمْدَحُ الْحَسَنَاتِ فَيَحْجُبُهَا وَيَذُمُّ السَّيِّئَاتِ فَيَرْتَكِبُهَا . وَلَا تَشْرَبِ
الْمُسْكِرَ فَإِنَّ عَاجِلَتَهُ غَرَامَةٌ . وَعَاقِبَتُهُ نَدَامَةٌ . وَلَا تَجَالِسَ مَنْ يُشْغَلُكَ
بِالْكَلَامِ وَيُزَيِّنُ لَكَ الْخَطَا وَيُوقِفُكَ فِي هَذِهِ الْقُمُومِ . وَيَتَبَرَّأَ مِنْكَ
وَيَذَلُّكَ عَلَيْكَ . وَلَا تَنْشَبْ فِي طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ وَلِبَاسِكَ بِالْعُظَمَاءِ
وَلَا فِي مَشْيِكَ بِالْجَبَابِرَةِ . وَكُنْ مِمَّنْ يُرْجَى خَيْرُهُ . وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ يُخَافُ
شَرُّهُ . وَأَعْلَمْ أَنَّ مَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ أَبْتَلَاهُ . وَمَنْ صَبَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
وَإِذَا أَعْظَلَتْ فَأَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ . وَإِيَّاكَ وَالنَّمِيمَةَ فَإِنَّهَا
تَرْعُ فِي الْقُلُوبِ الصَّمَانِ وَتُفَرِّقُ بَيْنَ الْفَحِيحِينَ . وَانْظُرْ مَا اسْتَحْسَنَتْهُ
مِنْ غَيْرِكَ فَأَمْتِلْهُ لِنَفْسِكَ . وَمَا أَنْكَرَتْهُ مِنْ غَيْرِكَ فَخَجِبْهُ . وَأَرْضِ لِلنَّاسِ
مَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ . فَإِنَّهُ كَالِ الْوَصَالِ وَالصَّلَاحِ فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا .
وَقَالَ : إِنِّي أَسْتَوْدِعُكَ لِلَّهِ وَأَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ . ثُمَّ إِنَّهُ نَهَضَ إِلَى
صَلَاتِهِ فَمِيعَتُهُ يَقُولُ : إِلَهِنَا تَقَدَّسَ اسْمُكَ يَا بَنِي مَلَكُوتِكَ . تَكُونُ

مَشِيَّتِكَ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الْأَرْضِ . أَرْزُقْنَا الْكَفَافَ يَوْمًا يَوْمًا .
 اغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا وَآمَنَّا . وَلَا تَدْخِلْنَا فِي التَّجَارِبِ وَخَلِّصْنَا مِنْ إِبْلِيسَ
 لِلْسَّجْدِ وَنُقَدِّسَكَ وَنُجِّدَكَ إِلَى دَهْرِ الدَّاهِرِينَ . ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ
 أَيْضًا : اللَّهُمَّ إِنَّ رَحْمَتَكَ كَمَطْمَاطِكَ . اللَّهُمَّ إِنَّ نِعْمَتَكَ أَعْظَمُ مِنْ رَجَائِنَا .
 فَصْنَمُكَ أَفْضَلُ مِنْ آمَانِنَا . اللَّهُمَّ أَجْمَلُنَا شَاكِرِينَ لِنِعْمَاتِكَ حَتَّى
 تَشْتَغَلَ بِذِكْرِكَ جَوَارِحُنَا . وَتَمْلِكُ قُلُوبُنَا . اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى أَنْ نَحْذَرَ مِنْ
 سُخْطِكَ وَنَبْتَغِي طَاعَتَكَ وَرِضَاكَ . اللَّهُمَّ وَقِّنَا لِمَا نَعْمَلُ بِمَا نَنْوِزُ بِهِ مِنْ
 مَلَكُوتِكَ . مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يَنْبَغِي لَكَ الْغَزُّ وَالسُّلْطَانُ وَالْأَمْدَرَةُ . قَالَ
 الشَّيْخُ : فَأَسْتَحْسِنُ ذَلِكَ مِنْهُ . وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَدْعُو لَنَا وَانْعَمِرْتُ
 وَأَنَا مُتَجَبِّ مِنْ حُسْنِ مَقَالِهِ

٢٢ قَالَ قُتْمُ الزَّاهِدُ : رَأَيْتُ رَاهِبًا عَلَى بَابِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ . فَقَالَتْ
 لَهُ : أَوْصِنِي فَقَالَ : كُنْ كَرَجُلٍ احْتَوَشَتْهُ السَّبَاعُ فَهُوَ خَافُ مَدْعُورٍ
 يَخَافُ أَنْ يَسْهُوَ فَيَقْتَرِسَهُ أَوْ يَاهُوَ فَيَنْتَشَهُ . فَإِنَّهُ لَيْلُ خَفَافَةٍ إِذَا أَمِنَ فِيهِ
 أُلْمُتْرُونَ . وَنَهَارُهُ نَهَارُ حُزْنٍ إِذَا قَرِحَ فِيهِ الْبَطَّالُونَ . ثُمَّ إِنَّهُ وَلَّى وَتَرَكَنِي
 فَقُلْتُ : زِدْنِي . فَقَالَ : إِنْ الظُّلْمَانِ يَقَعُ بَيْسِيرُ الْمَاءِ

٢٣ إِنْ الْحَاسَةُ الْجَلِيدِيَّةُ إِذَا كَانَتْ . وَوَقْفَةُ بَرْمِدٍ وَتَحْوِيدُ فَهْيَ تَحْرُومَةٌ مِنْ
 الْأَشْجَةِ الْفَاضِيَّةِ مِنَ الْغَمْسِ . كَذَلِكَ الْبَصِيرَةُ إِذَا كَانَتْ . وَوَقْفَةُ بِالْهَوَى
 وَاتِّبَاعُ الشَّهَوَاتِ وَالْإِخْتِلَاطُ بِأَنْبَاءِ الدُّنْيَا فَهِيَ تَحْرُومَةٌ مِنْ إِدْرَاكِ
 الْأَنْوَارِ الْقُدْسِيَّةِ تَحْجُوبَةٌ عَنْ ذَوْقِ الْأَذَاتِ الْإِنْسِيَّةِ . وَلِلَّهِ دَرَمَنْ قَالَ :

ذَا مَرْتَعٌ ذَا مُتَصَبٍ ذَا مُتَفَضٍّ ذَا مُنْجَزٍ
لَا يَفْتَكِرُونَ لِمَا أُجِدُوا لَا يَتَبَيَّرُونَ لِمَا عُدِمُوا
أَهْوَاءُ تُؤْوِسُهُمْ عِبَادُوا وَالنَّفْسُ لِعَابِدِهَا صَنَمٌ
(لِهَا الدِّينُ)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْجُمَيْرِيُّ :
عَجِبْتُ لِمُنْبَاعِ الضَّلَالَةِ بِالْهَدَى وَلِلْمُشْتَرَى دُنْيَاهُ بِالْدِّينِ أَنْجَبُ
وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَيْنِ مَنْ بَاعَ دِينَهُ بِدُنْيَا سِوَاهُ فَهُوَ مِنْ ذَيْنِ أَخْبُ
٢٤ قَالَ الْحَسَنُ بْنُ آدَمَ : أَنْتَ أَسِيرُ الدُّنْيَا رَضِيتَ مِنْ لَذَاتِهَا بِمَا
يَنْقُضِي . وَمِنْ نَعِيمِهَا بِمَا يَمْضِي . وَمِنْ مُلْكِهَا بِمَا يَنْقُدُ . تَجْمَعُ لِنَفْسِكَ
الْأَوْزَارَ وَلَا تُهْلِكُ الْأَمْوَالَ . فَإِذَا مَتَّ حَمَلَتْ أَوْزَارَكَ إِلَى قَبْرِكَ وَزُرْكَ
أَمْوَالَكَ لِأَهْلِكَ . أَخَذَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فَقَالَ :

أَبْقَيْتَ مَا لَكَ مِيرَاثًا لِوَارِثِهِ يَأْتِيَتْ شِعْرِي مَا أَبْقَى لَكَ أَلْمَالَ
أَلْقَوْمُ بَعْدَكَ فِي حَالٍ تَسْرُهُمْ فَكَيْفَ بَعْدَهُمْ دَارَتْ بِكَ أَلْحَالَ
مَلُوا الْبُكَاءَ فَمَا يَبْكِيكَ مِنْ أَحَدٍ وَأَسْتَحْكَمُ الْقِيلَ فِي الْيَرَاثِ وَالْأَلْفَالَ
قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَيْهِ :

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا غَضَارَةٌ أَيْكَةٌ إِذَا أَخْضَرَ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانِبُ
هِيَ الدَّارُ مَا الْأَمَالُ إِلَّا حَبَائِجُ عَلَيْهَا وَلَا أَلَلَّذَاتُ إِلَّا مَصَابِ
فَكَمْ سَخَّتْ بِالْأَمْسِ عَيْنَا قَرِيرَةً وَفَرَّتْ عُيُونًا دَمَعُهَا أَلَا نَ سَاكِبُ
فَلَا تَكْتَحِيلُ عَيْنَاكَ فِيهَا بِعَبْرَةٍ عَلَى ذَاهِبٍ مِنْهَا فَإِنَّكَ ذَاهِبُ

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ :

أَفِ لِدُنْيَا قَدْ شُفِنَا بِهَا جَهْلًا وَعَقْلًا إِهْوَى مُشِغٌ
فَتَانَةٌ تَخْدَعُ طُلَّابَهَا فَلَا تَكُنْ مِمَّنْ بِهَا يَتَغَدَّعُ
أَضْفَاثُ أَحْلَامٍ إِذَا حَصَلَتْ أَوْ كَوَيْضُ الْبَرْقِ مَهْمَا لَمَعَ

٢٥ (مِنْ خُطْبَةِ لَامِيْرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا
أَنْتُمْ خَلْفُ مَاضِينَ وَبَقِيَّةُ الْمُتَعَدِّينَ . كَانُوا أَكْثَرَ نَكْمٍ بِسَطَةِ وَأَعْظَمَ
سَطْوَةٍ . أَرْغَبُوا عَنْهَا أَسْكَنَ مَا كَانُوا إِلَيْهَا فَقَدَرَتْ بِهِمْ أَوْثَقَ مَا كَانُوا بِهَا .
فَلَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ قُوَّةَ عَشِيرَةٍ وَلَا قُبْلَ مِنْهُمْ بِذَلِّ فِدْيَةٍ . فَأَرَحَلُوا أَنْفُسَكُمْ
بِرَادِ مُبْلَغٍ قَبْلَ أَنْ تَوْخَذُوا عَلَى فُجَاءَةٍ . فَقَدْ غَفَلْتُمْ عَنِ الْإِسْتِعْدَادِ وَجَفَّ
أَلْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنْ . فَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحَاسِبُوا . وَهَيِّدُوا لَهَا قَبْلَ
أَنْ تَهَيِّدُوا . وَزَوِّدُوا لِارَّحِيلِ قَبْلَ أَنْ تَرْغَبُوا . فَإِنَّمَا هُوَ مَوْثِقُ عَدَلٍ
وَقَضَاءُ حَقٍّ . وَلَقَدْ أَبْلَغَ فِي الْإِعْذَارِ . مَنْ تَقَدَّمَ فِي الْإِنْذَارِ

٢٦ (وَمِنْ كَلَامِهِ) الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ . وَهَنْزَلُ قُلْعَةٍ وَعِنَادٌ . قَدْ رُغِتْ وَنَهَا
نُفُوسُ السُّعْدَادِ . وَاتَّرَعَتْ بِالْكَرْهِ مِنْ أَيْدِي الْأَشْقِيَاءِ . فَأَسْعَدَ النَّاسَ
فِيهَا أَرْغَبُهُمْ عَنْهَا . وَأَشْأَاهُمْ بِهَا أَرْغَبُهُمْ فِيهَا هِيَ الْفَاشَةُ إِنْ ائْتَصَدَّهَا
وَالْمُغْوِيَّةُ لِمَنْ أَطَاعَهَا . وَالْهَالِكُ مَنْ هَوَى فِيهَا . طُلُوْنِي لِعَبِيدِ اتَّقَى فِيهَا
رَبُّهُ وَنَهَضَ زَمِيهُ وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ وَآخَرَ شَهْوَتَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْفُظَهُ الدُّنْيَا
إِلَى الْآخِرَةِ . فَيُضْجِعُ فِي دِمْنِ غَبْرَاءٍ . مُدْلِمَةً ظُلُمَاءٍ . لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ
يُزِيدَ فِي حَسَنَةٍ . وَلَا أَنْ يَقْصَرَ مِنْ سَيِّئَةٍ . ثُمَّ يُبَشِّرُ فَيُخْشِرُ إِمَامًا إِلَى

جَنَّةٍ يَدُومُ نَعِيمًا أَوْ نَارٍ لَا يَنْقُذُ عَذَابَهَا
 ٢٧ مِنْ كَلَامٍ بَعْضُ الْبَلَاءِ : الدُّنْيَا إِنْ أَقْبَلَتْ بَاتَ . وَإِنْ أَدْبَرَتْ
 بَرَتْ . أَوْ أَطْبَقَتْ نَبَتْ . أَوْ أَرَكَبَتْ كَبَتْ . أَوْ أَتَهَجَّتْ هَجَتْ . أَوْ
 أَسْمَفَتْ عَفَتْ . أَوْ أَتَمَّتْ نَمَتْ . أَوْ أَكْرَمَتْ رَمَتْ . أَوْ عَاوَتْ وَتَتْ .
 أَوْ مَا جَنَتْ جَنَتْ . أَوْ سَامَحَتْ مَحَتْ . أَوْ صَلَحَتْ لَحَتْ . أَوْ وَصَلَتْ
 صَلَتْ . أَوْ بَالَقَتْ لَقَتْ . أَوْ وَفَرَتْ قَرَتْ . أَوْ زَوَجَتْ وَجَتْ . أَوْ
 نَوَهَتْ وَهَتْ . أَوْ وَلَمَتْ لَمَتْ . أَوْ بَسَطَتْ سَطَتْ (لِهَا الدِّينُ)
 قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

ذَهَبَ الَّذِينَ عَلَيْهِمْ وَخْدِي وَبَقِيَتْ بَعْدَ فِرَاقِهِمْ وَخْدِي
 مَنْ كَانَ بَيْنَكَ فِي التُّرَابِ وَبَيْنَهُ شَبْرَانِ قَهْوٌ بِغَايَةِ الْبُعْدِ
 لَوْ بُعِثَتْ لِلْفَخْرِ أَطْبَاقُ التُّرَى لَمْ يُعْرِفِ الْمَوْلَى مِنَ الْعَبْدِ
 مَنْ كَانَ لَا يَطَأُ التُّرَابَ بِرِجْلِهِ يَطَأُ التُّرَابَ بِتِلْعَمِ الْحَدِّ
 ٢٨ وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عَلِيًّا كَتَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ هَذِهِ الْأَيَّاتُ :

أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلْمَ سُومٌ وَلَا زَالَ الْمُسِيءُ هُوَ الظَّالِمُ
 إِلَى الدِّيَانِ يَوْمَ الدِّينِ نَحْصِي وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ
 سَتَعْلَمُ فِي الْحِسَابِ إِذَا التَّقِينَا غَدًا عِنْدَ الْمَلِكِ مِنَ الظَّالِمِ
 سَتَنْقَطِعُ اللَّذَاذَةُ عَنْ أَنَاسٍ مِنَ الدُّنْيَا وَتَقْطَعُ الْهَمُومُ
 لِأَمْرِ مَا تَصَرَّفَتِ اللَّيَالِي لِأَمْرِ مَا تَحَرَّكَتِ النَّجُومُ
 سَلِّ الْأَيَّامَ عَنْ أَمْرِ تَقْضَتْ سَخِرَكَ الْمَعْلَمُ وَالرُّسُومُ

تَرُومُ الْخُلْدَ فِي دَارِ الْمَنَاءِ فَكَمْ قَدَرَامَ مِثْلِكَ مَا تَرُومُ
تَمَامُ وَلَمْ تَنْمِ عَنْكَ الْمَنَاءُ تَذَنُّ لِلدُّنْيَةِ يَا نَوُومُ
لَهَوْتَ عَنِ الْفَنَاءِ وَأَنْتَ تَنْفَى فَمَا شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا يَدُومُ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

عَجِبْتُ لِمَنْ جَدَّ فِي شَأْنِهِ لِحِرِّ الرَّجَاءِ وَتَارِ الْأَمَلِ
يَوْمَلُ مَا لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ وَيَعْصَحُ مِنْهُ دُنُو الْأَجَلِ
يَقُولُ سَأَفْعَلُ هَذَا غَدًا وَدُونَ غَدٍ لِلْمَنَاءِ عَمَلُ
قَالَ آخَرُ :

عَجِبْتُ لِمَقْتُونٍ يُخَافُ بَعْدَهُ لَوَارِثِهِ مَا كَانَ يَجْمَعُ مِنْ كَسْبِهِ
حَوًّا مَالَهُ ثُمَّ اسْتَهْلَوْا إِقْبَرِهِ بِكَادِي بُكَاءِ ثَمَّتَهُ ضَحِكُ الْقَلْبِ
قَالَ غَيْرُهُ :

وَاللَّهِ لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا أَبَقَ عَلَيْنَا وَيَأْتِي رِزْقُهَا رَغَدًا
مَا كَانَ مِنْ حَقٍّ حَرُّ أَنْ يَذِلَّ لَهَا فَكَيْفَ وَهِيَ مَتَاعٌ يَخْجَلُ غَدًا
قَالَ آخَرُ :

إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ مَتَاعٌ فَلِلْجَهْلِ الْجَهْلُ مِنْ يَهْ طَفِيفًا
مَا مَعْنَى فَاتَ وَالْمَوْتُ غَيْبٌ وَلَكَ السَّاعَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا
٢٩ أورد ابن خلكان للحسن بن علي الحازن :

عَتُ الدُّنْيَا لِبَطَالِيهَا وَأَسْتَرَاحَ الزَّاهِدِ الْهَاطِنُ
كُلُّ مَلِكٍ نَالَ زُخْرُهَا حَسْبُهُ مِمَّا حَوَى كَفَنُ

يَتَنَبَّيْ مَا لَا وَيَتَرَكُّهُ فِي كِلَا الْحَالَيْنِ مُنْتَبِهٌ
 أَمَلِي كَوْنِي عَلَى نِعْمَةٍ مِنْ لِقَاءِ اللَّهِ مُرْتَهَنٌ
 أَكْرَهُ الدُّنْيَا وَكَيْفَ بِهَا وَالَّذِي تَخَوُّ بِهِ وَسْنُ
 لَمْ تَدُمْ قَبْلِي عَلَى أَحَدٍ فَلِمَ آذَا أَلْهَمُ وَالْحَزَنُ
 وَأَشْدَّ عَذَابِي بِنُزَيْدٍ:

أَنْ كَسَرِي كَسَرِي الْمُلُوكِ أُنُوشِرَ وَإِنْ أَمَّ أَنْ قَبْلَهُ سَابُورُ
 وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْأَكْرَامُ مُلُوكُ الرُّومِ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورُ
 وَأَخُو الْحِصْنِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَلَهُ تَجَبَّى إِلَيْهِ وَالْحَارُورُ
 شَادَهُ مَرَمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْسًا فَلَطَّيْرٌ فِي ذُرَاهُ وَكُنُودُ
 لَمْ يَهَبْهُ رَبُّ الْمُنُونِ فَبَادَا الْمَلِكُ عَنْهُ قَبَابُهُ مَهْجُورُ
 قَالَ غَيْرُهُ:

تَأْمَلْ فِي الْوُجُودِ بَيْنَ فِكْرِي تَرَى الدُّنْيَا الدُّنْيَةَ كَالْحَيَالِ
 وَمَنْ فِيهَا جَمِيعًا سَوْفَ يَنْفَى وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ
 قَالَ آخَرُ:

دُنْيَاكَ شَيْئَانِ فَأَنْظُرْ مَا ذَلِكَ الشَّيْئَانِ
 مَا فَاتَ مِنْهَا قَلْبُكَ وَمَا بَقِيَ قَلْبَانِي
 ٣٠ اسْتَشَدَّ التَّوَكُّلُ أَبَا الْمَسْنِ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ. قَالَ: إِنِّي لَقَلِيلُ
 الرِّوَايَةِ فِي الشَّرِّ. فَقَالَ: لَا بُدَّ. فَأَنْشَدَهُ:
 بَاتُوا عَلَى قُلُوبِ الْأَجْبَالِ تَحَرُّسُهُمْ غَلَبَ الرِّجَالِ قَلَمَ تَفْقَهُمُ الْقُلُلُ

وَأَنْتَ نَزَلُوا بَعْدَ عِزِّ عَنْ مَعَالِيهِمْ
نَادَاهُمْ صَارِخٌ مِنْ بَعْدِ مَا ذَفَنُوا
أَيُّنَ الْوُجُوهِ أَلَّتِي كَانَتْ مُنْعِمَةً
فَأَفْصَحَ الْقَبْرُ عَنْهُمْ حِينَ سَاءَ لَهُمْ
قَدْ طَالَمَا أَكَلُوا دَهْرًا وَمَا شَرِبُوا
وَطَالَمَا كَثُرُوا الْأَمْوَالُ وَأَذْخَرُوا
وَطَالَمَا شَبَدُوا دُورًا لِتَحْصَنَهُمْ
أَصَحَّتْ مَسَاكِينُهُمْ وَخَشَا مُعْطَلُهُ
سَلَّ الْخَلِيفَةُ إِذْ وَاقَتْ مَنِيَّتَهُ
أَيُّنَ الْكُنُوزُ أَلَّتِي كَانَتْ مَقَاجِيهَا
أَيُّنَ الْعَمِيدُ أَلَّتِي أَرْضَدَتْهُمْ عُدَدًا
أَيُّنَ الْقَوَارِيسُ وَالْقِلَمَانُ مَا صَنَعُوا
أَيُّنَ الْكُفَاةُ أَلَمْ يَكْفُوا خَلِيفَتَهُمْ
أَيُّنَ الْكُمَاةُ أَمَا حَامُوا أَمَا غَضِبُوا
أَيُّنَ الرُّمَاءُ أَلَمْ تُنْمَعْ بِأَسْهُمِهِمْ
هَيَّاتَ مَا مَنَعُوا ضَيْمًا وَلَا دَفَعُوا
وَلَا الرُّشَى دَفَعَتْهَا صَاحٍ وَبَدَلُوا
مَا سَاعَدَوْكَ وَلَا وَاسَاكَ أَقْرَبَهُمْ
مَا بَالُ قَبْرِكَ لَا يَنْشَى بِهِ أَحَدٌ

وَأَوْدِعُوا خُفْرًا يَا بَيْتُسَ مَا نَزَلُوا
أَيُّنَ الْأَمِيرَةُ وَالْتِجَانُ وَالْحُلُلُ
مِنْ دُونِهَا تُضْرَبُ الْأَسْتَارُ وَالْكَكَلُ
تِلْكَ الْوُجُوهِ عَلَيْهَا الدُّودُ يَقْتُلُ
فَأَصْبَحُوا بَعْدَ طَوْلِ الْأَكْلِ قَدْ أَكَلُوا
فَخَلَفُوهَا عَلَى الْأَعْدَاءِ وَأَرْتَحَلُوا
فَقَارَقُوا الدُّورَ وَالْأَهْلِينَ وَأَنْتَلُوا
وَسَاكِنُوهَا إِلَى الْأَجْدَاثِ قَدْ رَحَلُوا
أَيُّنَ الْجُنُودُ وَأَيُّنَ الْحَيْلُ وَالْحَوْلُ
تَوَّاهُ بِالْمُصْبَةِ الْمُتَوَيْنَ لَوْ حَمَلُوا
أَيُّنَ الْعَمِيدُ وَأَيُّنَ الْبَيْضُ وَالْأَسْلُ
أَيُّنَ الصَّوَارِمُ وَالْخَطِيبَةُ الدُّبْلُ
لَمَّا رَأَوْهُ صَرِيحًا وَهُوَ يَنْتَهِلُ
أَيُّنَ الْحَمَاءُ أَلَّتِي يُحْمَى بِهَا الدُّوْلُ
لَمَّا أَتَتْكَ سِهَامُ الْمَوْتِ تَنْتَضِلُ
عَنْكَ النَّيَّةُ إِذْ وَاقَى بِهَا الْأَجَلُ
وَلَا الرُّقَى نَفَقَتْ شَيْئًا وَلَا الْحَيْلُ
بَلْ أَسْلَمُوكَ لَهَا يَا بَيْتُسَ مَا فَعَلُوا
وَلَا يَطُورُ بِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ رَجُلُ

مَا بَالُ قَصْرِكَ وَخَشَا لَا أُنِيسَ بِهِ يَنْشَاكَ مِنْ كَفِّهِ الرُّوعُ وَالْوَهْلُ
 مَا بَالُ ذِكْرِكَ مَنْسِيًّا وَمُطْرَحًا وَكُلُّهُمْ بِاقْتِسَامِ أَلْمَالِ قَدْ شُغِلُوا
 لَا تُنْكِرَنَّ قَمَا دَامَتْ عَلَى مَلِكٍ وَلَا أَنَاخَ عَلَيْهِ أَلْمُوتُ وَالْوَجَلُ
 وَكَيْفَ يَرْجُو دَوَامَ الْعَيْشِ مُتَّصِلًا وَرَوْحُهُ بِجِبَالِ أَلْمُوتِ مُتَّصِلُ
 وَجِسْمُهُ لِبَابَاتِ الرَّدَى غَرَضُ وَمَلَكُهُ زَائِلُ عَنْهُ وَمُنْتَقِلُ
 (وَتَرَى هَذِهِ الْقَصِيدَةَ فِي دِيوانِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ)

حفظ الخواص

٣١ قَالَ الْمُعَلَّى الصُّوفِيُّ: شَكَّوتُ إِلَى بَعْضِ الزُّهَادِ فَسَادًا أَجَدُهُ فِي
 قَلْبِي. فَقَالَ: هَلْ نَظَرْتَ إِلَى شَيْءٍ فَتَأَقَّتْ إِلَيْهِ نَفْسُكَ. وَتُت: نَعَمْ.
 قَالَ: أَخْطَأْتُ عَيْنِيكَ فَإِنَّكَ إِنِ أَطْلَقْتَهُمَا أَوْقَعْتَكَ فِي مَكْرُوهِ. وَإِنْ
 مَلَكْتَهُمَا مَلَكْتَ سَائِرَ جَوَارِحِكَ. (قَالَ) مُسَلِّمُ الْخَوَاصِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ
 عَلِيِّ الصُّوفِيِّ: أَوْصِيَنِي. فَقَالَ: أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي أَمْرِكَ كُلِّهِ.
 وَإِيَّائِي مَا يَجِبُ عَلَى نَحْبَتِكَ. وَإِيَّاكَ وَالنَّظَرَ إِلَى كُلِّ مَا دَعَاكَ إِلَيْهِ طَرَفُكَ
 وَشَوْقُكَ إِلَيْهِ قَلْبُكَ. فَإِنَّهُمَا إِنْ مَلَكَكَ لَمْ تَمَلِكْ شَيْئًا مِنْ جَوَارِحِكَ
 حَتَّى تَبْلُغَ بِمَا يَطْلُبُ لِبَابَكَ بِهِ. وَإِنْ مَلَكْتَهُمَا كُنْتَ الدَّاعِي لهُمَا إِلَى مَا
 أَرَدْتَ. فَلَمْ يَنْصِيَا لَكَ أَمْرًا وَلَا يَرُدَّا لَكَ قَوْلًا. (قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ):
 إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الْقَلْبَ أَمِيرَ الْجَسَدِ وَمَلِكَ الْأَعْضَاءِ. فَجَمِيعُ
 الْجَوَارِحِ تَقَادُّ لَهُ وَكُلُّ الْخَوَاصِ تُطِيعُهُ وَهُوَ مُدَبِّرُهَا وَمُصَرِّفُهَا وَقَائِدُهَا
 وَسَائِقُهَا وَإِرَادَتُهُ تَتَّبِعُ وَفِي طَاعَتِهِ تَقَلُّبُ. وَوَزِيرُهُ الْعَقْلُ. وَعَاضِدُهُ

أَتَمُّهُمْ . وَرَايِدُهُ أَلَيْتَانِ . وَطَلَيْتُهُ الْأَذْنَانِ . وَهَمَا فِي الثَّقَلِ سَوَاءٌ لَا
يَكْتُمَانِي أَمْرًا وَلَا يَطْوِيَانِ دُونَهُ سِرًّا (يريد العين والأذن)

الدهر وحادثه

٣٢ لَقِيَ رَجُلٌ حَكِيمًا فَقَالَ : كَيْفَ تَرَى الدَّهْرَ قَالَ يُخْلِقُ الْأَبْدَانَ
وَيُجَدِّدُ الْأُمَمَ . وَيُقَرِّبُ الْمُنِيَّةَ . وَيُبَاعِدُ الْأُمْنِيَّةَ قَالَ : فَمَا حَالُ أَهْلِهِ .
قَالَ : مَنْ ظَفَرَ مِنْهُمْ لَبَ . وَمَنْ قَاتَهُ نَعَبَ . قَالَ : فَمَا يُبْنِي نَتْنَهُ .
قَالَ : قَطَعَ الرَّجَاءَ مِنْهُ . قَالَ : فَأَيُّ الْأَصْحَابِ أَهْرُ وَأَوْفَى . قَالَ : الْعَدْلُ
الصَّالِحُ وَالْتَقْوَى . قَالَ أَيُّهُمْ أَضْرُّ وَأَرْدَى . قَالَ : النَّفْسُ وَالْهَوَى . قَالَ :
فَأَيْنَ الْخُرْجُ . قَالَ : سُلُوكُ الْمُنْعَجِ (زهر الآداب للقمبري)

٣٣ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : أَفِ الدَّهْرُ مَا أَكْدَرَ صَافِيَهُ وَأَخْيَبَ رَاحِيَهُ .
وَأَعْدَى أَيَّامَهُ وَلِيَالِيَهُ . وَقِيلَ : يَسَارُ الدَّهْرُ فِي الْأَخْذِ أَسْرَعَ مِنْ
يَمِينِهِ فِي الْبَذْلِ . لَا يُعْطِي بِهَذِهِ إِلَّا أَنْ تَجْعَ بِتِلْكَ . وَقَالَ آخَرُ : الدَّهْرُ
لَا يَوْمَنْ يَوْمُهُ . وَيُخَافُ عَدُوَّهُ . يُرْضِعُ نَدِيَّهُ وَيُجْرَحُ يَدُهُ . وَقِيلَ :
الدَّهْرُ يَغْرُ وَيَمُرُّ . وَيَسُو مِنْ حَيْثُ يُسِرُّ . وَقَالَ آخَرُ الدَّهْرُ لَا تَنْتَهِي
فِيهِ الْمَوَاقِبُ . حَتَّى تَخْلَلَهَا الْمَصَارِبُ . وَلَا تَصْفُو فِيهِ الْأَشَارِبُ . حَتَّى
تُكْدِرَهَا الشَّوَابُ . (وفي فصل ابن المعتز) : هَذَا زَمَانٌ مُتَلَوِّنُ الْأَخْلَاقِ
مُتَدَايِي الْبَلَاءِ . مُوقِفُ الشَّرِّ مِنْهُمْ الْخَيْرُ . مُطْلِقُ أَعْنَةِ الظَّالِمِ حَابِسُ
رُوحِ الْعَدْلِ . قَرِيبُ الْأَخْذِ مِنَ الْإِعْطَاءِ وَالْكَأَبِ مِنَ الْبُهْجَةِ
وَالْمُطْغُوبِ مِنَ الْبُشْرِ . مُرُّ الثَّمَرَةِ بَعِيدُ الْمُجْتَنِي . قَابِضُ عَلَى النَّفْسِ

بِكُرَّتِهِ . مُنِجٌ عَلَى الْأَجْسَامِ يَوْحِشْتِهِ . لَا يَنْطَلِقُ إِلَّا بِالشَّكْوَى . وَلَا
يَسْكُتُ إِلَّا عَلَى غَصَصٍ وَبَلْوَى . (وَمِثْلُهُ فَضْلٌ لِلصَّاحِبِ) : أَلْزَمَانُ
حَدِيدُ الظَّفَرِ . لَيْمُ الظَّفَرِ . حُلُوُ الْمَوْرِدِ مَرُّ الْمَصْدَرِ . أَثَرُهُ عِنْدَ الْمَرْءِ كَأَثَرِ
السَّيْفِ فِي الضَّرِييَةِ وَاللَّيْثِ فِي الْقَرِيصَةِ . (وَلِشَمْسِ أُمَامَالِي قَابُوسِ) :
الدَّهْرُ شَرُّ كُلِّهِ . مُفْضَلُهُ وَنَجْمُهُ . إِنْ أَصْحَكَ سَاعَةً أَبْكِي سَنَةً . وَإِنْ
أَتَى بِسَيِّئَةٍ جَمَعَهَا سَنَةً . وَمَنْ أَرَادَ مِنْهُ غَيْرَ هَذَا سِيرَةً . أَرَادَ مِنَ الْأَعْمَى
عَيْنًا بِصِيرَةٍ . وَمَنْ أُبْتِغِيَ مِنْهُ الرِّعَايَةُ . أُبْتِغِيَ مِنَ الدُّوَلِ الْهُدَايَةُ
(طَرَائِفُ الطَّائِفِ لِلدَّقْدَقِيِّ)

قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا طَالَمَا طَالَ حِرْصُ النَّاسِ فِي حَذَرٍ عَلَى الْحَيَاةِ فَضَاعَ الْحِرْصُ وَالْحَذَرُ
قَدْ غَرَّهُمْ زُخْرُفُ الدُّنْيَا وَبَهَجَتَهَا نِعَمُ الْمُتَصُونِ وَلَكِنْ بِأَسْمَاءِ الْفَرِّ
قَالَ آخَرُ :

مَا أَنْتَ إِلَّا كَزَرْعٍ عِنْدَ خُضْرَتِهِ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْأَفَاتِ مَحْصُودُ
فَإِنْ سَلِمْتَ مِنَ الْأَفَاتِ أَجْمَعِهَا فَأَنْتَ عِنْدَ كَمَالِ الْأَمْرِ مَحْصُودُ
قَالَ بَعْضُهُمْ يَذْكُرُ فَجَائِعَ الدَّهْرِ :

وَأَصْبَحْتَ كَأَلْبَازِي الْمَتِّفِ رِيَشُهُ بِرَمَى حَسَرَاتٍ كَمَا طَارَ طَائِرُ
بِرَمَى خُرْقَاتِ الْجَوِيِّ خُرْقَنَ فِي أَلْهَوَا فَيَذْكُرُ رِيَشًا مِنْ جَنَاحِيهِ وَافِرُ
وَقَدْ كَانَ دَهْرًا فِي الرِّيَاضِ نَعْمًا عَلَى كُلِّ مَا يَهْوَى مِنَ الصَّيْدِ قَادِرُ
إِلَى أَنْ أَصَابَتْهُ مِنَ الدَّهْرِ نَكْبَةٌ فَأَصْبَحَ مَتَّصُوصَ الْجَنَاحَيْنِ خَابِرُ

قَالَ غَيْرُهُ :

فِي الدَّهْرِ تَحْيَرَتِ الْأُمَمُ وَالْحَاصِلُ مِنْهُ لَهَا
بِجَائِيهِ وَصَائِيهِ أَمْوَاجُ زَوَاخِرِ تَلَطُّطِمْ
وَالْعَمْرِ يَسِيرُ مَسِيرَ الشَّمْسِ فَلَيْسَ يَقْرَأُ لَهُ قَدَمٌ
قَدَمَانِ لَهُ يَسْعَى بِهِمَا فَضَحَى وَدَجَى ضَوْءُ ظُلُمٍ
وَالنَّاسُ بِحُلُمِ جَهَالَتِهِمْ فَإِذَا ذَهَبُوا ذَهَبَ الْحُلُمِ
صَمٌّ بَكَّةً عَمِي بِهِمْ نَعْمٌ فَصَبَتْ لَهُمْ نَعْمٌ
فُرُقُوا فِرْقًا فِرْقًا فِرْقًا وَمَضُوا طَرَفًا لَا تَلْتَمِمْ

قَالَ آخَرُ :

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا سَلَمٌ فَيَقْدَرُ مَا
وَهِيَّاتُ مَا فِيهِ يَزُولُ وَإِنَّمَا
فَنٌ كَانَ أَعْلَى كَانَ أَوْفَى تَهَشُّمَا
يَكُونُ صُعودُ الْمَرْءِ فِيهِ هُبُوطُهُ
شُرُوطُ الَّذِي يَرْتَقِي إِلَيْهِ سُفُوطُهُ
وَقَاءُ مَا قَامَتْ عَلَيْهِ شُرُوطُهُ

ذَكَرَ الْمَوْتَ

٣٤ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِّ :

نَسِيرُ إِلَى الْأَجَالِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَأَيَّامَنَا تُطْوَى وَهَنْ مَرَّاجِلُ
وَلَمْ أَرْ مِنْ مِثْلِ الْمَوْتِ حَقًّا فَإِنَّهُ إِذَا مَا نَحْطَتْهُ الْأَمَانِي بَاطِلُ
فَأَفْجَعُ التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الصَّبَا فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ فِي الرَّأْسِ شَائِلُ
تَرَحَّلُ مِنَ الدُّنْيَا زَادَ مِنْ التَّقَى فَعَمْرُكَ أَيَّامٌ تُعَدُّ قَلَائِلُ
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ فِي وَصْفِ الْمَوْتِ :

كَأَنَّ الْأَرْضَ قَدْ طُوِيَتْ عَلَيَّا وَقَدْ أَخْرَجْتُ يَمًّا فِي يَدَيَّ
كَأَنِّي صِرْتُ مُنْقَرِدًا وَجِيدًا وَمُرْتَهَنًا لَدَيْكَ يَا عَلِيًّا
كَأَنَّ الْبَاكِاتِ عَلَيَّ يَوْمًا وَلَا يُعْنِي الْبُكَاءُ عَلَيَّ شَيْئًا
ذَكَرَنَ مَنِيَّتِي فَفَعَيْتَ نَفْسِي
وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ:

أَتَلَمُّوا بَيْنَ بَاطِلِيَّةٍ وَزَيْدٍ وَأَنْتَ مِنَ الْهَلَالِكِ عَلَى شَفِيرٍ
فَيَا مَنْ غَرَّهُ أَمَلُ طَوِيلٍ يُؤَدِّيهِ إِلَى أَجَلٍ قَصِيرٍ
أَتَفْرَحُ وَالْمَنِيَّةُ كُلَّ يَوْمٍ تُرِيكَ مَكَانَ قَبْرِكَ فِي الْقُبُورِ
هِيَ الدُّنْيَا فَإِنْ سَرَّتْكَ يَوْمًا فَإِنَّ الْحُزْنَ عَاقِبَةُ السُّرُورِ
سَتَسْلُبُ كُلَّ مَا جَمَعْتَ مِنْهَا كَعَارِيَةِ تُرَدُّ إِلَى الْمَعِيرِ

٣٥ وَقَالَ بَعْضُهُمْ عَنْ إِبْرَاهِيمَ:

ضَمُّوا خَدَّيْ عَلَى لَحْدِي ضَعُوهُ وَمِنْ غَفْرِ التُّرَابِ فَوَسَدُوهُ
وَشَتُّوا عَنْهُ أَكْنَئَانًا رِقَاقًا وَفِي الرَّمْسِ الْبَعِيدِ فَمَيَّوْهُ
فَلَوْ أَبْصَرْتُمُوهُ إِذَا تَفَقَّضْتُ صَبِيحَهُ ثَالِثٍ أَنْكَرْتُمُوهُ
وَلَوْ سَأَلْتَ نَوَاطِرَ مُقَتِّلِيهِ عَلَى وَجَنَاتِهِ لَرَفَضْتُمُوهُ
وَقَدْ نَادَى إِلَيْي هَذَا فُلَانٌ هَلُمُّوا فَأَنْظَرُوا هَلْ تَعْرِفُونَهُ
خَلِيلُكُمْ وَجَارُكُمْ الْمُنْدَى تَقَادِمَ عَهْدِهِ فَاسْتَبَوْهُ
قَالَ بَعْضُهُمْ:

مَنْ كَانَ يَتَأَمَّنُ أَنَّ الْمَوْتَ مُدْرِكُهُ وَالْقَبْرَ مَسْكِنُهُ وَالْبَتَّ مُخْرِجُهُ

مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ غَيْبَ الثَّقَى
 إِنْ اتَّقَى أَفْضَلُ شَيْءٍ فِي الْعَمَلِ
 خَافُوا الْحَجِيمَ إِخْوَتِي لَعَلَّكُمْ
 قَدْ قِيلَ فِي الْأَمْثَالِ لَوْ عَلِمْتُمْ
 مَا يَزْرَعُ الزَّارِعُ يَوْمًا يُحْصَاهُ
 فَاسْتَفِرُّوا رَبَّكُمْ وَتَوْبُوا
 يَوْمَ الْحِسَابِ صَارًا إِلَى الْهُدَى
 أَرَى جَمَاعَ الْبِرِّ فِيهِ قَدْ دَخَلَ
 يَوْمَ الْآفَاءِ تَعْرِفُوا مَا سَرَّكُمْ
 فَأَنْتَبِهُوا بِذَلِكَ إِنْ عَقَلْتُمْ
 وَمَا يُقَدِّمُ مِنْ صَلَاحٍ يَحمَدُهُ
 فَامُوتُ مِنْكُمْ فَاعْلَمُوا قَرِيبُ
 (الْأَعَانِي)

٣٩ قَالَ بَعْضُهُمْ :

حَتَّامٌ أَنْتَ يَا يَاهِيكَ مُشْتَبِلٌ
 تَنْصِي مِنَ النَّعْرِ بِالْعَيْشِ الدَّيْمِ إِلَى
 وَتَدْعِي بِطَرِيقِ الْقَوْمِ مَعْرِفَةً
 فَأَنْهَضَ إِلَى ذُرْوَةِ الْعِلْيَاءِ مُبْتَدِرًا
 فَإِنْ ظَفِرْتَ قَدْ جَاوَزْتَ مَكْرَمَةً
 وَإِنْ قَضَيْتَ بِهِمْ وَجْدًا فَأَحْسَنُ مَا
 عَنْ نُجْحٍ قَصْدِكَ مِنْ خَيْرِ الْهَوَى ثَمَلُ
 كَمْ ذَا التَّوَانِي وَكَمْ يَنْفِي بِكَ الْأَمَلُ
 وَأَنْتَ مُنْقَطِعٌ وَالْقَوْمُ قَدْ وَصَلُوا
 عَزَمًا لَتَرْتَقِيَ مَكَانًا دُونَهُ زَحَلُ
 بَقَاؤُهَا يَبْتَكَاءُ اللَّهُ مُتَّصِلُ
 يُنَالُ عَنْكَ قَضَى مِنْ وَجْدِهِ الرَّجُلُ
 ٤٠ قَالَ بِهِاءُ الدِّينِ الْعَامِلِيُّ فِي كِتَابِ رِيَاضِ الْأَرْوَاحِ :

أَلَا يَا خَانِصًا بَحْرَ الْأَمَانِي
 أَضْمَتِ الْعُمَرُ عِصْيَانًا وَجَهْلًا
 مَضَى عَصْرُ الشَّبَابِ وَأَنْتَ غَافِلٌ
 إِلَى كَحْمٍ كَالْبَهَائِمِ أَنْتَ هَائِمٌ
 هَذَاكَ اللَّهُ مَا هَذَا التَّوَانِي
 فَمَهْلًا أَيُّهَا الْمُرُورُ مَهْلًا
 فِي قُوبِ الْعَمَى وَالنَّهْيِ رَافِلٌ
 فِي وَقْتِ النَّسَائِمِ أَنْتَ نَائِمٌ

وَطَرَفَكَ لَا يَرَى إِلَّا طُوحًا وَنَفْسَكَ لَمْ تَرَ أَبَدًا جُوحًا
وَقَلْبَكَ لَا يُفِيقُ عَنِ الْمَاصِي فَوَيْلَكَ يَوْمَ يُؤْخَذُ بِالْثَوَاصِي
بَلَّالُ الشَّيْبِ نَادَى فِي الْمَفَارِقِ بِحَيٍّ عَلَى الدَّهَابِ وَأَنْتَ غَارِقُ
بِحَجْرِ الْأَثَمِ لَا تُضْنِي لَوَاعِظُ وَإِنْ أَطْرَى وَأَطْنَبَ فِي الْمَوَاعِظِ
وَقَلْبَكَ هَائِمٌ فِي كُلِّ وَادٍ وَجَهْلَكَ كُلُّ يَوْمٍ فِي أَزْدِيَادٍ
عَلَى تَحْصِيلِ دُنْيَاكَ الدُّنْيَا مُجَدًّا فِي الصَّبَاحِ وَفِي الْعِشَاءِ
وَجُودُ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا شَدِيدُ وَلَيْسَ يَنَالُ مِنْهَا مَا يُرِيدُ
وَكَيْفَ يَنَالُ فِي الْأُخْرَى مَرَامَهُ وَلَمْ يَجْهَدْ لِمَطْلَبِهَا قُلَامَهُ
٤١ قَالَ بَهَاءُ الدِّينِ زَهَيْرٌ :

رَأَى الشَّيْبَ وَإِنَّهُ فِي مَفَرِّقِي لَأَعَزُّ نَازِلُ
وَبَكَيْتُ إِذْ رَحَلَ الشَّبَابُ بَقَاءٍ أَوْ عَلَيْهِ رَاحِلُ
إِلَّهِ قُلْ لِي يَا فَلَانُ وَلِي أَقُولُ وَلِي أَسْأَلُ
أَتُرِيدُ فِي السَّعِيمِينَ مَا قَدْ كُنْتُ فِي الْعِشْرِينَ قَاعِلُ
هَهَكَذَا لَا وَاللَّهِ مَا هَذَا الْحَدِيثُ حَدِيثَ عَاقِلُ
قَدْ كُنْتُ تُعَذِّرُ بِالصَّبَا وَالْيَوْمَ ذَاكَ أَلْعُذِّرُ زَائِلُ
مَنْيْتَ نَفْسَكَ بِاطِلَا وَإِلَى مَتَى تَرْضَى بِبَاطِلُ
قَدْ صَارَ مِنْ دُونِ الَّذِي تَرْجُوهُ مِنْ مَرَحِ رَاحِلُ
ضَيَّعْتَ ذَا الزَّمَنِ الطَّوِيلِ وَلَمْ تَفَرْ فِيهِ بِطَائِلُ

الْبَابُ الثَّالِثُ فِي الْمَرَاثِي

رثا. داود الطائي

٤٢ لَمَّا مَاتَ دَاوُدُ الطَّائِيُّ تَكَلَّمَ ابْنُ السَّمَكِ مَثْنِيًّا عَلَيْهِ فَقَالَ : إِنَّ
دَاوُدَ نَظَرَ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ آخِرَتِهِ فَأَغْشَى بَصَرَ الْقَلْبِ بَصَرَ الْعَيْنِ
فَكَأَنَّهُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى مَا إِلَيْهِ تَنْظُرُونَ . وَكَأَنَّكُمْ لَمْ تَنْظُرُوا إِلَى مَا إِلَيْهِ
نَظَرُ . وَأَنْتُمْ مِنْهُ تَعْجِبُونَ وَهُوَ مِنْكُمْ يَعْجَبُ . فَلَمَّا رَأَىكُمْ مَقْتُونِينَ
مَفْرُورِينَ قَدْ أَذْهَلَتْ الدُّنْيَا عُقُولَكُمْ وَأَمَاتَتْ بِحُجُبِهَا قُلُوبَكُمْ اسْتَوْحَشَ
بِكُمْ . فَكُنْتُ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ حَسِبْتُهُ حَيًّا وَسَطَ أَمْوَاتٍ . يَا دَاوُدُ مَا
أَعْجَبَ شَأْنُكَ بَيْنَ أَهْلِ زَمَانِكَ أَهَنْتَ نَفْسَكَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ إِكْرَامَهَا
وَأَتَعَبْتَهَا وَإِنَّمَا تُرِيدُ رَاحَتَهَا . أَخَشَنْتَ الطَّعْمَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ طَيِّبَهُ .
وَأَخَشَنْتَ الْمَلْبَسَ وَإِنَّمَا تُرِيدُ لَيِّنَهُ . ثُمَّ أَمَتَ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ تَمُوتَ وَفَبَرَّتْهَا
قَبْلَ أَنْ تُقْبَرَ . وَعَذَّبْتَهَا قَبْلَ أَنْ تَعَذَّبَ سَجَنَتَ نَفْسِكَ فِي بَيْتِكَ وَلَا
تُحَدِّثْ لَهَا لَوْلَا جَلِيسٌ مَعَهَا . وَلَا فِرَاشٌ تَحْتُكَ وَلَا يَسْتُرٌ عَلَى بَابِكَ . وَلَا
قَلَّةٌ تَبْرُدُ فِيهَا مَاءُكَ وَلَا صَحْفَةٌ يَكُونُ فِيهَا غَدَاؤُكَ وَعَشَاؤُكَ . يَا دَاوُدُ مَا
تَشْتَهِي مِنَ الْمَاءِ بَارِدِهِ وَلَا مِنَ الطَّعَامِ طَيِّبِهِ وَلَا مِنَ الْإِلْبَاسِ لَيِّنِهِ بَلَى
وَلَكِنْ زَهَدْتَ فِيهِ لِمَا بَيْنَ يَدَيْكَ . فَمَا أَضَرَّ مَا بَدَلْتَ وَمَا أَحْقَرَ مَا
رَزَكْتَ فِي جَنْبِ مَا رَغِبْتَ وَأَمَلْتَ . لَمْ تَقْبَلْ مِنَ النَّاسِ عَطِيَّةً وَلَا مِنْ

الْإِخْوَانِ هَدِيَّةً فَلَمَّا مَتَّ شَهْرَكَ رَبُّكَ بِفَضْلِكَ وَأَبْسَكَ رِداءَ عَمَلِكَ .
فَلَوْ رَأَيْتَ مَنْ حَضَرَكَ عَلِمْتَ أَنَّ رَبَّكَ قَدْ أَكْرَمَكَ (ابن عبد ربه)

رثاء الاسكندر

٤٣ مُخْتَارٌ مِنْ قَوْلِ الْحُكَمَاءِ عِنْدَ وِفَاةِ الْإِسْكَندَرِ لِمَا جُعِلَ فِي ثَابُوتِ
مِنْ ذَهَبٍ تَبَدَّمَ إِلَيْهِ أَحَدُهُمْ فَقَالَ : كَانَ الْمَلِكُ يُحِبُّ الذَّهَبَ وَقَدْ
صَارَ الْآنَ الذَّهَبُ يُحِبُّهُ . وَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ آخَرُ فَقَالَ : قَدْ طَافَ الْأَرْضَيْنِ
وَعَلَّكُمَا ثُمَّ جُعِلَ مِنْهَا فِي أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ . (وَوَقَفَ عَلَيْهِ آخَرُ) فَقَالَ :
أَنْظُرْ إِلَى حُلْمِ النَّائِمِ كَيْفَ انْقَضَى إِلَى ظِلِّ النِّعَمِ - وَقَدْ انْجَلَى .
(وَوَقَفَ عَلَيْهِ آخَرُ) فَقَالَ : مَا لَكَ لَا تُقِلُّ عُضْوًا مِنْ أَعْضَانِكَ وَقَدْ
كُنْتَ تَسْتَعْمِلُ مُلْكَ الْعِبَادِ . (وَقَالَ آخَرُ) : مَا لَكَ لَا تَرْغَبُ بِنَفْسِكَ
عَنْ صَنِيقِ الْمَكَانِ وَقَدْ كُنْتَ تَرْغَبُ بِهَا عَنْ رَحْبِ الْبِلَادِ (وَقَالَ آخَرُ) :
أَمَاتَ هَذَا أَلَمْتُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لِأَلَا يَمُوتَ وَقَدْ مَاتَ الْآنَ . (وَقَالَ
آخَرُ) : مَا كَانَ أَقْبَحَ إِفْرَاطِكَ فِي التَّجْبِيرِ أَمْسَ مَعَ شِدَّةِ خُضُوعِكَ
الْيَوْمَ . (قَالَتْ بِنْتُ دَارَا) : مَا عَلِمْتُ أَنَّ غَالِبَ أَبِي يَنْقُبُ . (وَقَالَ رَئِيسُ
الطَّبَّاعِينَ) : قَدْ نَضَدْتُ النُّضَائِدَ وَأَلْقَيْتُ الْأَوْسَائِدَ وَنَضَبْتُ الْمَوَائِدَ
وَلَسْتُ أَرَى عِمِيدَ الْجُلُوسِ (للقيرواني)

٤٤ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يَزِينِي وَلَدُهُ :

وَكَبِدًا قَدْ تَقَطَّعَتْ كَبِدِي قَدْ حَرَقَتْهَا لَوَاعِجُ الْكَمَدِ
مَا مَاتَ حَيٌّ لَيْسَتْ أَسْفَا أَعْذَرُ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ

يَا رَحْمَةَ اللَّهِ جَاوِرِي جَدَّنَا دَقَّتْ فِيهِ حُشَاشَتِي بِيَدِي
وَتَوَرِّي ظِلْمَةَ الْقُبُورِ عَلَى مَنْ لَمْ يَصِلْ ظِلْمُهُ إِلَى أَحَدٍ
مَنْ كَانَ خِلَافًا مِنْ كُلِّ بَائِقَةٍ وَطَيَّبَ الرُّوحَ طَاهِرَ الْجَسَدِ
يَا مَوْتَ يَحْيَى لَقَدْ ذَهَبَتْ بِهِ أَيْسَ بِزُمَيْلَةٍ وَلَا نَكِيدِ
يَا مَوْتَ لَوْ أَقَلَّتْ عَثْرَتُهُ يَوْمَهُ لَوْ تَرَكَتُهُ لِنَدِ
يَا مَوْتُ لَوْ لَمْ تَكُنْ تَعَايِلُهُ لَكَانَ لَا شَكَّ بَيْضَةُ اللَّبَدِ
أَوْ كُنْتَ رَاخِيَةً فِي الْعِمَانِ لَهُ حَارَ الْعُلَا وَاحْتَوَى عَلَى الْأَمَدِ
أَيُّ حُسَامٍ سَلَبَتْ رَوْنَقَهُ وَأَيُّ رُوحٍ سَلَّتْ مِنْ جَسَدِ
وَأَيُّ سَاقٍ قَطَعَتْ مِنْ قَدَمٍ وَأَيُّ كَفٍّ أَرَلَتْ مِنْ عَضَدِ
يَا قَمْرًا أَخْجَفَ الْخُشُوفُ بِهِ قَبْلَ بُلُوغِ السَّوَادِ فِي الْأَمَدِ
أَيُّ حَشَا لَمْ يَذُبْ لَهُ أَسْفَا وَأَيُّ عَيْنٍ عَلَيْهِ لَمْ تَجِدِ
لَا صَبْرَ لِي بَعْدَهُ وَلَا جَلْدُ فَجَعْتَ يَا صَبْرُ فِيهِ وَالْجَلْدُ
لَوْ لَمْ أُمْتَ عِنْدَ مَوْتِهِ كَمَدَا لَحَقَّ لِي أَنْ أَمُوتَ مِنْ كَمَدِي
يَا لَوْعَةً لَا يَزَالُ لَا عِجْمَا يَفْدَحُ نَارَ الْأَسَى عَلَى كَبَدِي
٤٥ وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا:

لَا بَيْتَ يُسْكَنُ إِلَّا فَارَقَ السَّكَنَا وَلَا أَمْتًا قَرَحًا إِلَّا أَمْتًا حَزَنًا
لَهْفِي عَلَى مَيِّتٍ مَاتَ السُّرُورُ بِهِ لَوْ كَانَ حَيًّا لِأَحْيَا الدِّينَ وَالسُّنَنَا
إِذَا ذَكَرْتُكَ يَوْمًا قَاتُ وَاحْزَنَنَا وَمَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْقَوْلُ وَاحْزَنَنَا
يَا سَيِّدِي وَمُرَّاحِ الرُّوحِ فِي جَسَدِي هَلَا دَنَا الْمَوْتُ مِنِّي حِينَ مِنْكَ دَنَا

حَتَّى يَمُرَّ بِهَا فِي قَفَرٍ مُظْلَمَةٍ لَحْدٍ وَيُلْسِنَا فِي وَاحِدٍ كَفَنًا
يَا أَطِيبَ النَّاسِ رُوحًا صَمَهُ بَدَنُ اسْتَوْدَعَ اللَّهُ ذَاكَ الرُّوحَ وَالْبَدَنَ
لَوْ كُنْتُ أُعْطِيَ بِهِ الدُّنْيَا مَعَ وَصَّةٍ مِنْهُ لَمَا كُنْتُ الدُّنْيَا لَهُ ثَمَنًا
٤٦ قَالَ الْحَسَنُ بْنُ هَانٍ فِي الْأَمِينِ :

طَلَى الْمَوْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَلَيْسَ لِمَا تَطْوِي الْأَنْيَّةَ نَاشِرُ
وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحْذَرُ الْمَوْتِ وَحْدَهُ فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحْذَرُ
لَكِنْ عَمَرْتُ دُورٌ يَمُنُّ لَا أَحِبُّهُ لَقَدْ عَمَرْتُ بِمَنْ أَحِبُّ الْمَقَابِرُ
وَمَاتَ ابْنُ لِأَعْرَابِي فَأَشْتَدَّ حُزْنُهُ عَلَيْهِ وَكَانَ الْأَعْرَابِي يُكْنَى
بِهِ قَبِيلُ لَهُ لَوْ صَبَرْتَ لَكَانَ أَكْظَمَ لِلْوَالِكِ . فَقَالَ :

يَا بِي وَأَتَمِّي مَنْ عَبَاتْ خُوطُهُ بِيَدِي وَفَارَدَنِي بِمَاءِ شَبَابِهِ
كَيْفَ السَّلَوُ وَكَيْفَ أَنْسَى ذِكْرَهُ وَإِذَا دُعِيْتُ فَلِنَّمَا أَدْعَى بِهِ
وَقَالَ آخِرُ بَيْتِي لَخَاهُ

أَخْ طَالَمَا سَرَّيْتُ ذِكْرَهُ فَقَدْ صِرْتُ انْتَجَى إِلَى ذِكْرِهِ
وَقَدْ كُنْتُ أَغْدُو إِلَى قَصْرِهِ فَقَدْ صِرْتُ أَغْدُو إِلَى قَبْرِهِ
٤٧ قَالَتِ الْحَسَاءُ تَرْتِي لَخَاهَا :

أَعَيْنِي جُودًا وَلَا تَجْمَدَا أَلَا تَبْكِيَانِ لَصَغْرِ الْأَنْدَى
أَلَا تَبْكِيَانِ الْجُرِّيَّ الْجَوَادَا أَلَا تَبْكِيَانِ أَلْفَتِي السَّيِّدَا
طَوِيلُ التَّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَا دِسَادَ عَشِيرَتِهِ أَمْرَدَا
يُحْمِلُهُ الْقَوْمُ مَا غَالَمَهُ وَإِنْ كَانَ أَصْغَرُهُمْ مَوْلَدَا

جُمُوعُ الصُّيُوفِ إِلَى بَابِهِ بَرَى أَنْضَلَ الْكُتُبِ أَنْ يُحْمَدَا
وَقَالَتْ أُخْتُ أَوْلَادِ بْنِ طَرِيفٍ رَزِي أَخَاهَا الْمَذْكُورَ :

أَيَا تَجَرَّ الْحَابُورَ مَا لَكَ مُورَقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ
فَتَى لَا يُرِيدُ الْبِرَّ إِلَّا مِنَ التُّقَى وَلَا أَلْمَالَ إِلَّا مِنَ قَتَا وَسُوفٍ
فَقَدْ نَاهُ فَهْدَانُ الرَّيْعِ فَلَيْتَا قَدْ نَاهُ مِنْ سَادَاتِنَا بِالْوَفِ
خَفِيفٌ عَلَى ظَهْرِ الْجَوَادِ إِذَا عَدَا وَلَيْسَ عَلَى أَعْدَائِهِ بِخَفِيفٍ
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَقَفَا فَإِنِّي أَرَى أَلُوتَ وَقَفَا بِكُلِّ شَرِيفٍ

قَالَ ابْنُ مَعْقُوفٍ رَزِي الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
حُزَنِي عَلَيْهِ دَائِمٌ لَا يَقْضِي وَتَصْبِرِي مِنِّي عَلَيَّ تَعْدَرَا
وَارْحَمَتَاهُ لِمَارَحَاتِ حَوْلُهُ تَبْكِي لَهُ وَلَوْ جِهًا لَنْ تَسْتُرَا
مُلِقَى عَلَى وَجْهِ التُّرَابِ تَنْظُهُ دَاوُدُ فِي الْعِرَابِ حِينَ تَسُورَا
لَهْنِي عَلَى الْمَاهِي الصَّرِيعِ كَأَنَّهُ قَرُّهُوَى مِنْ أَوْجِهِ فَتَكْغُورَا
لَهْنِي عَلَى تِلْكَ الْبَنَانِ تَقْطَطُ لَوْ أَنَّهَا أَتَّصَلَتْ لَكَانَتْ أَبْجُرَا
لَهْنِي عَلَى الْعَبَّاسِ وَهُوَ مُجَنْدَلٌ عَرَضَتْ مَنِيَّتُهُ لَهُ فَتَمْرَا
لِحَقِّ الْعَبَّارِ جِينَهُ وَلَطَالَمَا فِي شَاوِهِ لِحَقِّ الْكِرَامِ وَغَيْرَا
٤٨ وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ :

لَعَمْرُكَ مَا الرِّزْيَةُ قَدْ مَالٍ وَلَا قَرَسٌ يَمُوتُ وَلَا بَعِيرُ
وَلَكِنَّ الرِّزْيَةَ قَدْ حَرَّ يَمُوتُ لِمَوْتِهِ خَلْقٌ كَثِيرُ
وَقَالَ الصَّفَدِيُّ :

يَا غَاثًا فِي النَّارِ تَبْلَى نَحَايَتُهُ اللَّهُ يُؤَلِّكَ غُرَانًا وَإِحْسَانًا
 إِنْ كُنْتَ جُرِعْتَ كَأْسَ الْمَوْتِ وَاحِدَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ أَذْوقُ الْمَوْتَ أَحْيَانًا
 رَأَى بَعْضُ الشُّعْرَاءِ النَّاسِيَّ الْبَاؤِلَانِيَّ الْبَصْرِيَّ :

أَنْظُرْ إِلَى جَبَلٍ تَمْشِي الرِّجَالُ بِهِ وَأَنْظُرْ إِلَى الْقَبْرِ مَا يَحْوِي مِنَ الصَّلَافِ
 وَأَنْظُرْ إِلَى صَارِمِ الْإِسْلَامِ مُقْتَدِمًا وَأَنْظُرْ إِلَى دُرَّةِ الْإِسْلَامِ فِي الصَّدْفِ
 قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِي خَلِيلٌ مُوَدَّعٌ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ أَبْقَى بِغَيْرِ خَلِيلٍ
 وَلَا بَدْءَ يَوْمًا أَنْ تَجِيَّ مَنِّي وَيُفَرِّدَ بَيْنِي صَاحِبِي وَدَخِيلِي
 قَالَ آخَرُهُمْ فِي أَخَاهُ :

كَأَنِّي يَوْمَ فَارَقْتَنِي حَيْبٌ رُزْتُ ذَوِي الْمُوَدَّةِ أَجْمِينَ
 وَكَانَ عَلَى الزَّمَانِ أَخِي حَيْبٌ يَمِينًا لِي وَكُنْتُ لَهُ يَمِينًا
 فَإِنْ يَفْرَحْ بِمَضَرِّعِهِ الْأَعَادِي فَمَا نُلْفَى لَهُمْ مُنْخَشِعِينَ
 قَالَ إِبْرَاهِيمُ الصَّوْلِيُّ يَرَى أَبْنَاهُ لَهُ مَاتَ يَافِعًا مَتَرَعَرَعًا :

كُنْتُ السَّوَادَ لِقَلْبِي فَبَكَى عَلَيْكَ النَّاطِرُ
 مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحْذَرُ

٤٩ كَانَ ابْنُ بَسَّامٍ يَرَى عَلِيَّ بْنَ يَحْيَى الْعُمَيْمِ :

قَدْ رُزْتُ قَبْرَكَ يَا عَلِيُّ مُسْلِمًا وَلَكَ الزِّيَارَةُ مِنْ أَقَلِّ الْوَاجِبِ
 وَلَوْ اسْتَطَعْتُ حَمَلْتُ عَنْكَ زُرَابَهُ فَلَطَالَمَا عَنِي حَمَلَتْ نَوَائِبِي
 قَالَ الْعُتْبِيُّ فِي ابْنِ لَهُ تُوفِّيَ صَغِيرًا :

إِنْ يَكُنْ مَاتَ صَغِيرًا فَلَأَسَىٰ غَيْرُ صَغِيرٍ
كَانَ رِيحَانِي فَأَمْسَىٰ وَهُوَ رِيحَانُ الْقُبُورِ
غَرَسْتُهُ فِي بَسَاتِينِ أَيْدِي الدُّهُورِ
قَالَ مُتِمُّ بْنُ نُفَيْرَةَ يَرَىٰ أَخَاهُ مَالِكًا:

لَهَذَا لَامَنِي عِنْدَ الْقُبُورِ عَلَى الْبُكَاءِ
قَالَ أَتُبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ
فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ السَّجَا يَبْعَثُ السَّجَا
قَالَ آخِرُ:

لِكُلِّ أَنْاسٍ مَقْبَرٌ يَفْتَاتُهُمْ
وَمَا إِنْ يَزَالُ رُسُمُ دَارٍ قَدْ ائْتَلَفَتْ
هُمْ جِيرَةُ الْأَحْيَاءِ أَمَا جَوَارُهُمْ
قَالَ الْغَطَّاسُ الضُّبِّيُّ:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَا إِلَى النَّاسِ أَنِّي
أَخْلَاءُ لَوْ غَيْرُ الْحِمَامِ أَصَابَكُمْ
قَالَ آخِرُ:

أَجَارِي مَا أَزْدَادُ إِلَّا صَبَابَةً
أَجَارِي لَوْ نَفْسُ قَدَتِ نَفْسَ مَيِّتٍ
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَمْلَأَ خِصْبَةً
أَلَا فَلَيْتُ مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ إِنَّمَا

أَرَى الْأَرْضَ تَبْقَى وَالْأَخْلَاءُ تَذْهَبُ
عَبَّتْ وَلَكِنْ مَا عَلَى الْمَوْتِ مَعْتَبُ

إِلَيْكَ وَمَا تَرْدَادُ إِلَّا تَكَايَا
قَدَيْتُكَ مَسْرُورًا بِنَفْسِي وَمَالِيَا
فَحَالَ قَضَاءُ اللَّهِ دُونَ رَجَائِيَا
عَلَيْكَ مِنَ الْأَقْدَارِ كَانَ حِذَارِيَا

٥١ قَالَ أَبُو الشَّعْبِ الْعَبْسِيُّ فِي خَالِدِ الْقَسْرِيِّ وَهُوَ أَسِيرٌ:
 أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا وَهَالِكًا
 لَعْمَرِي لَنْ عَمَرْتُمُ السَّيِّئَ خَالِدًا
 وَأَوْطَأْتُوهُ وَعَلَاءَةُ الْمُتَقَابِلِ
 لَقَدْ كَانَ يَبْنِي الْمَكْرُمَاتِ لِقَوْمِهِ
 وَيَنْطَلِي اللَّهَى فِي كُلِّ حَقٍّ وَبَاطِلِ
 فَإِنْ تَسَجَّنُوا الْقَسْرِيَّ لَا تَسْجَنُوا اسْمَهُ
 فَاتَّ صِفَةُ الْبَاهِلَةِ:

كُنَّا كَعَصَيْنٍ فِي جُرُثُومَةٍ سَمَقَا
 حَتَّى إِذَا قِيلَ قَدْ طَالَتْ فُرُوعُهُمَا
 أَخْنَى عَلَى وَاحِدِي رَبِّ الزَّمَانِ وَمَا
 كُنَّا كَأَنْجَمٍ لَيْلٍ بَيْنَهَا قَمَرٌ
 ٥٢ وَقَالَ الْتَّبِيعِيُّ فِي مَنْصُورٍ:

لَهْفِي عَلَيْكَ كَلَهْفَةٍ مِنْ خَافٍ
 أَمَّا الْغُبُورُ فَإِنَّهُنَّ أَوَانِسُ
 عَمَتْ قَوَاضِلُهُ قَعَمَ مُصَابُهُ
 يُبْذِي عَلَيْكَ لِسَانُ مَنْ لَمْ تُولِهِ
 رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ
 فَالنَّاسُ مَا بَهُمْ عَلَيْهِ وَاحِدٌ
 عَجَبًا لِأَرْبَعٍ أَذْرَعٍ فِي خَمْسَةٍ

(الحماسة لابي تمام)

الْبَابُ الرَّابِعُ فِي الْحُكْمِ

٥٣ قِيلَ : لَا تَسْتَصِرَنَّ أَمْرَ عَدُوِّكَ إِذَا حَارَبْتَهُ . لِأَنَّكَ إِنْ ظَفَرْتَ بِهِ لَمْ تُحْمَدْ وَإِنْ ظَفَرِيكَ لَمْ تُعَذَّرْ . وَالضَّعِيفُ الْمُخْتَرِسُ مِنَ الْعَدُوِّ الْقَوِيُّ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ الْقَوِيِّ الْمَغْتَرِّ بِالْعَدُوِّ الضَّعِيفِ . وَقِيلَ : الْعَدُوُّ الْمُخْتَرِرُ رُبَّمَا اشْتَدَّ . كَأَنَّكَ لَنْضِرُ النَّفِيرِ رُبَّمَا صَارَ شَوْكًا . وَقِيلَ : لَا تَأْمَنَنَّ الْعَدُوَّ الضَّعِيفَ أَنْ يُوَرِّطَكَ . قَالَ رَجُلٌ قَدْ يُقْتَلُ بِهِ وَإِنْ عَدِمَ السِّنَانُ وَالرُّجَّ . قَالَ الْمَوْسَوِيُّ :

أَنْفِيلُ يَضْجُرُ وَهُوَ أَعْظَمُ مَا رَأَيْتَ مِنَ الْبُعُوضِ

٥٤ يُقَالُ إِنَّ ابْنَ الْفَرَّيَةِ دَخَلَ عَلَى الْحُجَّاجِ وَقَالَ لَهُ : مَا الْكُفْرُ . فَقَالَ : الْبَطْرُ بِالنِّعْمَةِ وَالْيَأْسُ مِنَ الرَّحْمَةِ . فَقَالَ : مَا الرِّضَا . فَقَالَ : الْقُنُوعُ بِعَطَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَكَارَةِ . فَقَالَ : مَا الصَّبْرُ . فَقَالَ : كَهْمُ الْغَيْظِ وَالْإِحْتِمَالِ لِمَا لَا يُرَادُّ . فَقَالَ : مَا الْحِلْمُ . فَقَالَ : إِظْهَارُ الرَّحْمَةِ عِنْدَ الْقُدْرَةِ وَالرِّضَا عِنْدَ الْغَضَبِ . فَقَالَ : مَا الْكِرَمُ . فَقَالَ : حِفْظُ الصَّدِيقِ وَقَضَاءُ الْحَقِّ . فَقَالَ : مَا الْحَمِيَّةُ . فَقَالَ : الْوُقُوفُ عَلَى رَأْسٍ مَنْ هُوَ دُونَكَ . فَقَالَ : مَا الشُّجَاعَةُ . فَقَالَ : الْحَمَلَةُ فِي وُجُوهِ الْأَعْدَاءِ وَالْكَفَّارِ . وَالثَّبَاتُ فِي مَوَاضِعِ الْقِرَارِ . وَإِرْضَا الرِّجَالِ . قَالَ : مَا الْعَدْلُ . قَالَ : تَرْكُ الْمُرَادِ . وَصِحَّةُ السَّيْرِ وَالْإِعْتِمَادِ . فَقَالَ :

مَا الْإِنصَافُ. قَالَ : الْمَسَاوَاةُ عِنْدَ الدَّعَاوَى بَيْنَ النَّاسِ . فَقَالَ : مَا
الذُّلُّ . قَالَ : الْمَرَضُ عِنْدَ خُلُوِّ الْيَدِ وَالْإِنْكَسَادُ مِنْ قِلَّةِ الرِّزْقِ . فَقَالَ :
مَا الْحِرْصُ . قَالَ : جِدَّةُ الشَّهْوَةِ عِنْدَ الرَّجَاءِ . فَقَالَ : مَا الْأَمَانَةُ . قَالَ :
قَضَاءُ الْوَاجِبِ . فَقَالَ : مَا الْحَيَانَةُ قَالَ : التَّرَاجُمُ مَعَ الْقُدْرَةِ . فَقَالَ :
مَا الْقَهْمُ . قَالَ : الْفَكْرُ وَادْرَاكُ الْأَشْيَاءِ عَلَى حَقَائِقِهَا (للغزالي)

٥٥ (فَائِدَةٌ جَامِعَةٌ وَلَمَعَةٌ سَاطِعَةٌ وَمَثَلَةٌ نَافِعَةٌ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي
طَالِبٍ) قَالَ : لِلْمُؤْمِنِ عَلَى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ ثَلَاثُونَ حَقًّا لَا بَرَاءَةَ لَهُ مِنْهَا
إِلَّا بِالْأَدَاءِ أَوْ الْقَبُولِ . يَنْفِرُ زَلَّتْهُ . وَرَحِمَ عَثَرَتْهُ . وَبَسْرُ عَوَرَتْهُ . وَيُقْبَلُ
عَثَرَتْهُ . وَيُقْبَلُ مَعْدِرَتْهُ . وَيَرْذُغِيَّتُهُ . وَيَدِيمُ نَصِيحَتِهِ . وَيَحْفَظُ حُلَّتَهُ .
وَيَرْغِي ذِمَّتَهُ . وَيَعُودُ مَرْضَتَهُ . وَيَشْهَدُ بَيْتَهُ . وَيُجِيبُ دَعْوَتَهُ . وَيُقْبَلُ
هَدِيَّتَهُ . وَيُكَافِيهِ صَلَاتَهُ . وَيَشْكُرُ نِعْمَتَهُ . وَيُحْسِنُ نَصْرَتَهُ . وَيَحْفَظُ
حُرْمَتَهُ . وَيَقْضِي حَاجَتَهُ . وَيُقْبَلُ شَفَاعَتَهُ . وَلَا يُحِبُّ مَقْصَدَهُ . وَيُسَمِّتُ
عَطْسَتَهُ . وَيَرْشِدُ ضَالَّتَهُ . وَيَرْدُّ سَلَامَهُ . وَيُطِيبُ كَلَامَهُ . وَيَبْرِئُ إِنْعَامَهُ .
وَيُصَدِّقُ أَقْسَامَهُ . وَيَنْظُرُ ظَالِمًا يَرُدُّهُ عَنْ ظُلْمِهِ وَمَظْلُومًا بِإِعَانَتِهِ عَلَى
وَفَاءِ حَقِّهِ . وَيُوَالِيهِ وَلَا يُعَادِيهِ . وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَشْتُمُهُ . وَيُحِبُّ لَهُ مِنَ
الْخَيْرِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ . وَيَكْرَهُ لَهُ مِنَ الشَّرِّ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ فَلَا يَتْرُكُ
وَاحِدًا مِنْهَا إِلَّا طَالِبَهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (الترغيب للاصبهاني)

٥٦ قَالَ حَكِيمٌ : الْمُؤْمِنُ شَرِيفٌ طَرِيفٌ لَطِيفٌ لَا لَمَانَ وَلَا نَأَامَ . وَلَا
مُغْتَابٌ وَلَا قَتَاتٌ . وَلَا حَسُودٌ وَلَا حُمُودٌ . وَلَا بَخِيلٌ وَلَا مُخْتَالٌ . يَطْلُبُ

مِنَ الْخَيْرَاتِ أَعْلَاهَا . وَمِنَ الْأَخْلَاقِ أَسَنَاهَا . إِنْ سَلَكَ مَعَ أَمَلٍ
 الْآخِرَةِ كَانَ أَوْرَعَهُمْ . غَضِيزُ الطَّرْفِ . سَخِيٌّ الْكَفِّ . لَا يَرُدُّ سَائِلَ .
 وَلَا يَبْغُلُ بَنَائِلَ . مُتَوَاصِلُ الْأَحْزَانِ مُتَرَادِفُ الْإِحْسَانِ . يَزِنُ كَلَامَهُ
 وَيُخَرِّسُ لِسَانَهُ . وَيُحَسِّنُ عَمَلَهُ وَيُكْثِرُ فِي الْحَقِّ أَمَلَهُ . مُتَأَنِّفٌ عَلَى مَا فَاتَهُ
 مِنْ تَضْيِيعِ أَوْقَاتِهِ . كَأَنَّهُ نَاطِرٌ إِلَى رَبِّهِ مُرَاقِبٌ لِمَا حُيِّقَ لَهُ . لَا يَرُدُّ
 الْحَقَّ عَلَى عَدُوِّهِ . وَلَا يَقْبَلُ الْبَاطِلَ مِنْ صَدِيقِهِ . كَثِيرُ الْمُعَاوَنَةِ قَلِيلُ
 الْمَوَانَةِ . يَنْطَفِ عَلَى أَخِيهِ عِنْدَ عِشْرَتِهِ لِمَا ضَيَّ مِنْ قَدِيمِ ضَعْفِهِ . فَهَذِهِ
 صِفَاتُ الْمُؤْمِنِينَ الْخَالِصِينَ (الدميري)

٥٧ (مِنْ كَلَامِ الْمُلُوكِ الْجَارِي مَجْرَى الْأَمْثَالِ) : قَالَ أَرْدَشِيرُ إِذَا
 رَغِبَتِ الْمُلُوكُ عَنْ أَمْدَلِ رَغِبَتِ الرَّعِيَّةُ عَنِ الطَّلَاعَةِ . (أَفَرْدُونُ) الْأَيَّامُ
 صَحَائِفُ آجَالِكُمْ فَخُذُوهَا أَحْسَنَ أَعْمَالِكُمْ . (أَنُوشِيرَوَانُ الْمَلِكُ) إِذَا
 كَثُرَ مَالُهُ يَمَّا يَأْخُذُ مِنْ رَعِيَّتِهِ كَانَ كَمَنْ يَغْمُرُ سَطْحَ بَيْتِهِ بِمَا يَقْتُلِمُهُ مِنْ
 قَوَاعِدِ بُيَانِهِ . (أَبْرَوِزُ) أَطِيعْ مَنْ فَوْقَكَ يُطَاعُكَ مَنْ دُونَكَ . قَالَ ابْنُ
 الْمُنْتَزِ:

كَمْ فُرْصَةٌ ذَهَبَتْ فَمَادَتْ غُصَّةٌ تُشْجِي بِطُولِ تَأْوُفٍ وَتَتَدَمَّرُ
 لِمَا عَزَمَ الْمُتَصَوِّرُ عَلَى الْفَتَكِ بِأَبِي مُسْلِمٍ فَرَعَ مِنْ ذَلِكَ عَيْسَى بْنُ
 مُوسَى فَكُتِبَ إِلَيْهِ :

إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا تَدَبُّرٍ فَإِنَّ فَسَادَ الرَأْيِ أَنْ تَعْجَلَ
 فَأَجَابَهُ الْمُتَصَوِّرُ :

إِذَا كُنْتَ ذَارِيًّا فَكُنْ ذَا عَزِيمَةٍ فَإِنْ فَسَادَ الرَّأْيُ أَنْ تَتَرَدَّدَا
وَلَا تَهْمِلِ الْأَعْدَاءَ يَوْمًا يَبْذُوقُهُ وَبَادِرْهُمْ أَنْ يَلِكُوا مِثْلَهَا غَدًا
(الْمُعْتَصِمُ) إِذَا نَصَرَ الْهَوَى بَطَلَ الرَّأْيُ (للقيرواني)

٥٨ (قَالَ أَيُّوبُ بْنُ الْقُرَيْبِ) : النَّاسُ ثَلَاثَةٌ عَاقِلٌ وَلَحْمٌ وَقَاجِرٌ.
فَالْعَاقِلُ الَّذِي شَرِبَتْهُ وَالْحَلِيمُ طَبِيعَتُهُ وَالرَّأْيُ الْحَسَنُ سَجِيَّتُهُ. إِنْ سُلِّ
أَجَابَ. وَإِنْ نَطَقَ أَصَابَ. وَإِنْ سَمِعَ أَلِغِمَ وَعَى. وَإِنْ حَدَّثَ رَوَى.
وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَإِنْ تَكَلَّمَ عَجَلَ. وَإِنْ حَدَّثَ وَهَلَ. وَإِنْ اسْتَنْزَلَ عَنْ رَأْيِهِ
تَزَلَّ. فَإِنْ حُمِلَ عَلَى الْقَبِيحِ حُمِلَ. وَأَمَّا الْفَاجِرُ فَإِنْ انْتَبَهَتْ خَانِكَ. وَإِنْ
حَدَّثَتْ شَانَكَ. وَإِنْ وَثِقَتْ بِهِ لَمْ يَرْعَكَ. وَإِنْ اسْتَكْتَمَتْ لَمْ يَكْتُمْ.
وَإِنْ عَلِمَ لَمْ يَلْمِ. وَإِنْ حَدَّثَ لَمْ يَفْهَمْ. وَإِنْ فُتِّهَ لَمْ يَفْقَهْ

٥٩ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى هِشَامٍ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اخْضَعْنِي أَرْبَعَ
كَلِمَاتٍ فِيهِنَّ صَلَاحٌ لِمُلْكِكَ وَاسْتِقَامَةٌ لِرِعَايَتِكَ. قَالَ : مَا هُنَّ. قَالَ :
لَا تَعْدِ عِدَّةَ لَا تَبْقَى مِنْ نَفْسِكَ بِإِنْجَازِهَا . وَلَا يَفْرَنْكَ الْإِرْتِقَى وَإِنْ
كَانَ سَهْلًا إِذَا كَانَ الْمُتَحَدِّرُ وَغَرًّا . وَأَعْلَمْ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ جَزَاءً فَاتَّقِ
الْعَوَافِبَ . وَأَنَّ لِلْأُمُورِ بَغَائِتَ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ . قَالَ عِيسَى بْنُ دَاوُدَ :
فَحَدَّثْتُ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْهُدَيِّ وَفِي يَدِهِ لُصَّةٌ قَدْ رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ . فَأَمْسَكَهَا
وَقَالَ : وَنَحْكَ أَعْدَ عَلَى فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَسِغْ لُصَّتَكَ . فَقَالَ :
حَدِيثُكَ أَعْجَبُ إِلَيَّ (للقزويني)

أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ سُمُّ قَاتِلٌ وَأَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ دِرْيَاقُهَا . الدُّنْيَا سُمُّ قَاتِلٌ

وَالزُّهْدُ فِيهَا دِرْيَاقُهُ . وَالْمَالُ سُمُّ قَائِلُ وَالزَّكَاةُ دِرْيَاقُهُ . وَالْكَلَامُ
سُمُّ قَائِلُ وَذِكْرُ اللَّهِ دِرْيَاقُهُ . وَمُلْكُ الدُّنْيَا سُمُّ قَائِلُ وَالْعَدْلُ دِرْيَاقُهُ

٦٠ قَالَ بَعْضُهُمْ : الصَّوْمُ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ . صَوْمُ الْعُمُومِ وَصَوْمُ
الْخُصُوصِ وَصَوْمُ خُصُوصِ الْخُصُوصِ . فَأَمَّا صَوْمُ الْعُمُومِ فَهُوَ كَفُّ
الْبَطْنِ عَنِ الشَّهْوَةِ . وَأَمَّا صَوْمُ الْخُصُوصِ فَهُوَ كَفُّ السَّمَاعِ وَالْبَصَرِ
وَاللِّسَانِ وَالْيَدِ وَالرَّجْلِ وَسَائِرِ الْجَوَارِحِ عَنِ الْآثَامِ . وَأَمَّا صَوْمُ
خُصُوصِ الْخُصُوصِ فَصَوْنُ الْقَلْبِ عَنِ الِاهْتِمَامِ الدُّنْيَوِيِّ وَالْأَفْكَارِ
الدُّنْيَوِيَّةِ وَكُفُّهُ عَمَّا سِوَى اللَّهِ بِالْكَلَامِ (الكز المدفون)

٦١ (فصل) مِنْ نَوَادِرِ بَزْجَمَرِ حَكِيمِ الْقُرْسِ (قَالَ) : تَصْنَعُنِي
أَشْجَاءَ وَوَعَطْنِي أَوْعَاطَ شَفَقَةٍ وَنَاصِيَةً وَنَاصِيَةً فَلَمْ يَعْظِي أَحَدٌ مِثْلَ
شَيْئِي وَلَا تَصْنَعُنِي مِثْلُ فِكْرِي . وَلَقَدْ اسْتَضَاءَتْ بَنُورُ الشَّمْسِ وَضَوْؤُ
الْقَمَرِ فَلَمْ أَسْضِئْ بِضِيَاءِ أَضْوَاءِ مِنْ نُورِ قَلْبِي . وَمَا كُنْتُ الْأَحْرَارَ
وَالْعَبِيدَ فَلَمْ يَمْلِكْنِي أَحَدٌ وَلَا تَهَرَّبَنِي غَيْرُ هَوَايَ . وَعَادَانِي الْأَعْدَاءُ
فَلَمْ أَرَأَعْدَى إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي إِذَا جَهِلْتُ وَأَحْتَرَزْتُ نَفْسِي بِنَفْسِي مِنْ
الْخُلُقِ كُلِّهِمْ حَذَرًا عَلَيْهَا وَشَفَقَةً فَوَجَدْتُهَا شَرًّا مِنَ الْأَنْفُسِ لِتَنَسُّبِهَا .
وَرَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَأْتِيهَا الْقَسَادُ إِلَّا مِنْ قَلْبِهَا وَزَاوَحْتَنِي الْأَصَابِقُ فَلَمْ يَزَحْمَنِي
مِثْلُ الْخُلُقِ السَّوِّءِ وَوَقَفْتُ مِنْ أَبَدٍ الْبَعْدِ وَأَطْوَلَ الطُّولِ فَلَمْ أَقْعُ فِي
شَيْءٍ أَضَرَّ عَلَيَّ مِنْ لِسَانِي . وَمَشَيْتُ عَلَى الْجَمْرِ وَوَطِئْتُ عَلَى الرَّمَّةِ مَضَاءً
فَلَمْ أَرِ نَارًا أَرَّ عَلَيَّ مِنْ غَضَبِي . إِذَا عَمَّكَ مِنِّي وَطَائِبَتِي الطَّلَابُ فَلَمْ

يُذَكِّرُنِي مُدْرِكُ مِثْلِ إِسَاءَتِي . وَنَظَرْتُ مَا أَلَدَّاءُ الْقَاتِلُ وَمِنْ أَيْنَ يَأْتِينِي
فَوَجَدْتُهُ مِنْ مَغْصِيَةِ رَبِّي سَجَانَهُ . وَأَتَمَمْتُ الرَّاحَةَ لِنَفْسِي فَلَمْ أَجِدْ
شَيْئًا أَرْوَحُ لَهَا مِنْ تَرْكِهَا مَا لَا يَنْبَغِيهَا . وَرَكِبْتُ الْخِجَارَ وَرَأَيْتُ الْأَهْوَالَ
فَلَمْ أَرْ هَوْلًا مِثْلَ الْوُقُوفِ عَلَى بَابِ سُلْطَانٍ جَائِرٍ . وَتَوَحَّشْتُ فِي
الْبَرِّيَّةِ وَالْجِبَالِ فَلَمْ أَرْ أَوْحَشَ مِنْ قَرِينِ السَّوْدِ . وَعَالَجْتُ السَّبَاعَ
وَالضَّبَاعَ وَالذِّئَابَ وَعَاشَرْتُهَا وَعَاشَرْتَنِي وَغَلَبْتُهَا فَغَلَبَنِي صَاحِبُ الْخَلْقِ
السَّوْدِ وَأَكَلْتُ الطَّيْبَ وَشَرِبْتُ الْمُسْكَرَ فَلَمْ أَجِدْ شَيْئًا أَلَذَّ مِنَ
الْعَافِيَةِ وَالْأَمْنِ . وَتَوَسَّطْتُ الشَّيَاطِينَ وَالْجِبَالَ فَلَمْ أَجْزَعْ إِلَّا مِنَ
الْإِنْسَانِ السَّوْدِ . وَأَكَلْتُ الصَّبْرَ وَشَرِبْتُ الْمُرَّ فَلَمْ أَرْ شَيْئًا أَمْرًا مِنَ
الْفَقْرِ . وَشَهِدْتُ الْحُرُوبَ وَلَقِيتُ الْجُيُوشَ وَبَاشَرْتُ السُّيُوفَ وَصَارَعْتُ
الْأَقْرَانَ فَلَمْ أَرْ قِرْنًا أَغْلَبَ مِنَ الْمَرْأَةِ السَّوْدِ . وَعَالَجْتُ الْحَدِيدَ وَنَقَلْتُ
الصَّخْرَ فَلَمْ أَرْ حِمْلًا أَثْقَلَ مِنَ الدِّينِ . وَنَظَرْتُ فِيمَا يَذِلُّ الْعَزِيزَ وَيَكْسِرُ
الْقَوِيَّ وَيَضَعُ الدَّرِيفَ فَلَمْ أَرْ أَذْلًا مِنْ ذَوِي فَاقَةٍ وَحَاجَةٍ . وَرُشِقْتُ
بِالنَّشَابِ وَرَجِمْتُ بِالْحِجَارَةِ فَلَمْ أَرْ أَثْفَذَ مِنَ الْكَلَامِ السَّوْدِ يَخْرُجُ مِنْ
فَمِّ مُطَالِبٍ بِحَقِّ . عَمَرْتُ السَّيْحَنَ وَشَدِدْتُ فِي الْوُثَاقِ وَضُرِبْتُ
بِعَمْدِ الْحَدِيدِ فَلَمْ يَهْدِمْنِي شَيْءٌ مِثْلَ مَا هَدَمَنِي النَّعْمُ وَالْهَمُّ وَالْحُزْنُ .
وَأَصْطَنَمْتُ الْإِخْوَانَ وَأَتَخَيْتُ الْأَقْوَامَ لِمُدَّةٍ وَالشَّدَّةِ وَالنَّائِبَةِ فَلَمْ
أَرْ شَيْئًا أَخِيرَ مِنَ الْكُرَمِ عِنْدَهُمْ . وَطَلَبْتُ الْغَنَى مِنْ وُجُوهِهِ فَلَمْ أَرْ
أَغْنَى مِنَ الْقَنُوعِ . وَتَصَدَّقْتُ بِالنَّخَارِ فَلَمْ أَرْ صَدَقَةً أَنْفَعَ مِنْ رَدِّ ذِي

ضَلَالَةٍ إِلَى هُدًى . وَرَأَيْتُ الْوَحْدَةَ وَالْفَرْبَةَ وَالْمَذَلَّةَ فَلَمْ أَرِ أَدْلَ مِنْ
مُقَاسَاةِ الْجَارِ السُّودِ . وَشَيْدَتْ الْبُتْيَانُ لِأَعَزِّهِ وَأَذْكَرَ فَلَمْ أَرِ شَرَفًا
أَرْقَمَ مِنْ أَصْطِنَاعِ الْمُرُوفِ . وَلَيْسَتْ الْكُفَى أَمَّاخِرَةً فَلَمْ أَلْبَسْ شَيْئًا
مِثْلَ الصَّلَاحِ . وَطَلَبْتُ أَحْسَنَ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ النَّاسِ فَلَمْ أَرِ شَيْئًا أَحْسَنَ
مِنْ حُسْنِ الْخَلْقِ

٦٢ (فصل) مِنْ حِكْمِ شَانِقِ الْهِنْدِيِّ مِنْ كِتَابِهِ الَّذِي تَمَّاهُ مُتَعَلِّقُ
الْجَوَاهِرِ لِلْمَلِكِ ابْنِ قَابِصِ الْهِنْدِيِّ : يَا أَيُّهَا الْوَالِي أَتَقَرُّ عَتَرَاتِ
الزَّمَانِ وَأَخْشَ تَسَاطُطِ الْأَيَّامِ وَلَوْمْ غَابَ الدَّهْرُ . وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأَعْمَالِ
جَزَاءُ فَأَتَقَرُّ الْعَوَافِ وَاللَّيَّامِ غَدَرَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ وَالزَّمَانُ مُتَغَابٍ
مُتَوَلٍّ فَأَحْذَرِ تَغَلُّبَهُ . لَيْسَ الْكُرَّةُ فَخْفٌ سَطَوْتُهُ . سَرِيعُ الْغَيْبَةِ فَلَا تَأْمَنُ
دَوْلَتَهُ . وَأَعْلَمُ أَنَّ مَنْ لَمْ يَدَاوِ نَفْسَهُ مِنْ سَفَامِ الْأَثَامِ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ
فَمَا أَبْعَدَهُ مِنَ الشِّفَاءِ فِي دَارِ لَدَوَاءٍ لَهُ فِيهَا . وَمَنْ أَذَلَّ حَوَاسَهُ
وَأَسْتَعْبَدَهَا فِيمَا يُقَدِّمُ مِنْ خَيْرِ نَفْسِهِ بَانَ فَضْلُهُ وَظَهَرَ نَبْلُهُ . وَمَنْ لَمْ
يَضْبُطْ نَفْسَهُ وَهِيَ وَاحِدَةٌ لَمْ يَضْبُطْ حَوَاسَهُ وَهِيَ خَمْسُ . وَإِذَا لَمْ
يَضْبُطْ حَوَاسَهُ مَعَ قَلْبِهَا وَذَلَّتْهَا صَعِبَ عَلَيْهِ ضَبْطُ الْأَعْوَانِ مَعَ كَثَرَتِهِمْ
وَخُسُوفُهُ جَانِبِهِمْ . فَكَانَتْ عَامَّةُ الرِّعْيَةِ فِي نَوَاحِي الْبِلَادِ وَأَطْرَافِ
الْمُلْكَةِ أَبْعَدَ مِنَ الضَّبْطِ . فَلْيَبْدِ الْمَلِكُ إِسْطِطَانَهُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَيْسَ مِنْ
عَذْوِ أَحَقَّ مِنْ أَنْ يَبْدَأَهُ بِالْقَهْرِ مِنْ نَفْسِهِ . ثُمَّ يَشْرَعْ فِي قَهْرِ حَوَاسِهِ
الْخَمْسِ . لِأَنَّ قُوَّةَ الْوَاحِدَةِ مِنْهُمْ دُونَ صُورِجِبِلَّتِهَا قَدْ تَأْتِي عَلَى النَّفْسِ

الْقُوَّةِ الْحَذِرَةِ فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَتْ خَمْسُ أَنْفُسٍ عَلَى وَاحِدَةٍ . وَأَعْلَمَ
 أَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ شَرٌّ أَيْسَ لِلْآخَرَى فَأَخْرَجَهَا تَسْلِمًا مِنْ شَرِّهَا .
 وَإِنَّمَا يَهْلِكُ الْحَيَوَانُ بِالشَّهَوَاتِ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْقِرَاشَ يَكْهَرُ الشَّمْسَ
 قَدِ اسْتَكْنَى مِنْ حَرِّهَا وَبَعِجِبَهُ ضِيَاءُ النَّارِ قَدِ انْوَسَ مِنْهَا فَخَرَّقَهُ . وَالظَّبْيُ إِلَى
 نِقَارِ قَلْبِهِ وَشِدَّةِ جَرِيهِ يَنْصَبُّ لِسَمَاعِ الْمَلَأِهِ فَيُمْكِنُ الْقَائِصُ مِنْ
 نَفْسِهِ . وَالسَّمَكُ فِي الْبَحْرِ تَحْمِلُهُ لَذَّةُ الطَّعْمِ أَنْ يَنْتَلِمَهُ فَتُحْضِلُ السَّنَادَةُ
 فِي جَوْفِهِ فَيَكُونُ فِيهِ حَتْفُهُ

٦٣ يَحْسُنُ بِالْمَلِكِ أَنْ يَشَبَّهُ تَصَارِيفَ تَذْيِيرِهِ بِطَبَاعِ ثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ :
 الْغَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالرَّيحُ وَالنَّارُ وَالْأَرْضُ وَالْمَاءُ وَالْمَوْتُ . فَأَمَّا
 شَبَّهُ (الْغَيْثِ) فَتَوَازَرُهُ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مِنَ السَّنَةِ وَمَنْفَعَتُهُ لَجَمِيعِ السَّنَةِ
 كَذَلِكَ يَتَّبِعِي الْمَلِكُ أَنْ يُعْطِيَ جُودَهُ وَأَعْوَانَهُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ تَقْدِيرًا
 لِثَمَنَةِ السَّنَةِ . فَيُفْعَلُ رِفْعُهُمْ وَوَضْعُهُمْ فِي الْحَقِّ الَّذِي يَسْتَوْجِبُونَهُ
 بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ كَمَا يَسْرِي الْمَطَرُ بَيْنَ كُلِّ أَكْصَاةٍ وَشَرْفٍ وَغَائِطٍ
 مُسْتَقِيلٍ . وَيَقْرَأُ كَلَامًا مِنْ مَائِهِ بِقَدَرِ حَاجَتِهِ . ثُمَّ يَسْتَجِيبِي الْمَلِكُ فِي
 الثَّمَانِيَةِ أَشْهُرًا حُقُوقَهُ مِنْ غُلَاتِهِمْ وَخَرَاجِهِمْ كَمَا تَجْبِي الشَّمْسُ بِحَرِّهَا
 وَحِدَةً فِعْلًا نَدَاةَ الْغَيْثِ فِي أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ الْأَمْطَارِ . وَأَمَّا شَبَّهُ (الرَّيحِ)
 فَإِنَّ الرِّيحَ لَطِيفَةُ الْمَدَاخِلِ تَسْرَحُ فِي جَمِيعِ الْمَنَافِذِ حَتَّى لَا يَبْقَى مَكَانٌ
 كَذَلِكَ الْمَلِكُ يَتَّبِعِي أَنْ يَتَوَلَّى فِي قُلُوبِ النَّاسِ بِجَوَاسِيَدِهِ وَعِيُونِهِ
 لَا يُخْشَوْنَ عَنْهُ شَيْئًا حَتَّى يَرِفَ مَا يَأْتُرُونَ بِهِ فِي بُيُوتِهِمْ وَأَسْوَاقِهِمْ .

وَكَا لَقَمَرٍ إِذَا اسْتَهْلَ نَامُهُ فَأَضَاءَ وَأَعْتَدَلَ نُورُهُ عَلَى الْخَلْقِ وَسُرَّ النَّاسُ
بِضَوِّهِ . يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ يَبْغِيهِ وَزَيْنَتِهِ وَإِشْرَاقُهُ فِي مَجْلِسِهِ وَإِدْنَانِهِ
رَعِيَّتُهُ بِبَشَرِهِ فَلَا يَخْصُ شَرِيْفًا ذُوْنَ وَضِيعٍ يَمْدُلِيهِ . (وَكَا لَنَارٍ) عَلَى أَهْلِ
الدَّعَاةِ وَالْفَسَادِ . (وَكَا لَأَرْضٍ) عَلَى كَيْدِهَا أَنْ السِّرِّ وَالْإِحْتِمَالِ وَالصَّبْرِ
وَالْأَمَانَةِ . (وَكَا وَاقِةَ الْمَوْتِ) فِي الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ يَكُونُ ثَوَابُهُ لَا يُتَعَبَّرُ
عَنْ إِقَامَةِ حَدٍّ وَلَا يَتَجَاوَزُهُ . (وَكَا لِمَاءٍ) فِي لَيْسِهِ لَنْ لَا يَنْتَه . وَهَدْمِهِ
وَأَقْتِلَاعِهِ عَظِيمُ الشَّعْرِ لَنْ جَاذِبُهُ

(للطراوئي)

اشعار حكيمية

٦٤ قَالَ ابْنُ عَرَبٍ شَاه :

السَّيْلُ يَأْتِلُ مَا يَلْقَاهُ مِنْ شَجَرٍ بَيْنَ الْجِبَالِ وَمِنْهُ الْعَجْرُ يَنْطَرُ
حَتَّى يُوَافِيَ عِبَابَ الْبَحْرِ تَنْغَرُهُ فِدِ اضْعَلَّ فَلَا يَبْقَى لَهُ أَثَرُ
وَقَالَ أَيْضًا :

وَالشَّرُّ كَالنَّارِ تَبْدُو حِينَ تَقْدَحُهُ شَرَارُهُ فَإِذَا بَادَرْتُهُ تَحْدَا
وَأَنْ تَوَازَيْتَ عَنْ إِطْفَاقِهِ كَسَلَا أَوْ رَى قَبَائِلَ تَشْوِي الْقَابَ وَالْكَدَا
فَلَوْ تَجَمَّعَ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ لَمَا أَقَادُوكَ فِي إِخْمَادِهَا أَبَدَا
وَقَالَ أَيْضًا :

أَرَى النَّاسَ يُولُونَ الْغَنَى كَرَامَةً وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِرَفْعَةِ مِقْدَارِ
وَيُولُونَ عَنْ وَجْهِ الْفَقِيرِ وَجُوهَهُمْ وَإِنْ كَانَ أَهْلًا أَنْ يُلَاقَى بِإِكْبَارِ
بَنُو الدَّهْرِ جَاءَتْهُمْ أَحَادِيثُ جَمَّةٌ فَمَا صَحَّحُوا إِلَّا حَدِيثَ ابْنِ دِيَارِ

٦٥ قَالَ غَيْرُهُ :

لَا تَعَامِلْ مَاعِشْتَ غَيْرَكَ إِلَّا
ذَلِكَ عَيْنُ الصَّوَابِ فَأَلْزَمَهُ فِيمَا
قَالَ آخَرُ :

لَا يُعْجِبُكَ حُسْنُ الْقَصْرِ تَنْزِلُهُ
لَوْ زِيدَ الشَّمْسُ فِي أَجْرِهَا مِئَةً
قَالَ غَيْرُهُ :

إِنَّ الْكَبِيرَ إِذَا هَوَى وَأَطَاعَهُ
مِثْلُ السَّفِينَةِ إِنْ هَوَتْ فِي لُجَّةٍ
قَوْمٌ هَوُوا مَعَهُ فَضَاعَ وَضِعًا
غَرِقَتْ وَیَفْرُقُ كُلُّ مَنْ فِيهَا مَعًا
قَالَ آخَرُ :

إِزْرَعْ جَمِيلًا وَلَوْ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ
إِنَّ الْجَمِيلَ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ
قَالَ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ مَاهَانَ الْخَزَاعِمِيُّ :

إِنْضِ الْحَوَائِجَ مَا اسْتَطَعْتَ
فَلْتَحِزْ أَيَّامَ أَلَمَتِي
تَوَكَّنْ لَهُمْ أَخِيكَ فَارْجُ
يَوْمَ قَضَى فِيهِ الْحَوَائِجَ
قَالَ الْقَطَامِيُّ الشَّاعِرُ النَّصْرَانِيُّ :

قَدْ يُدْرِكُ الْمَتَانِي بَعْضُ حَاجَتِهِ
وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعِجِلِ الزَّلَلُ
مَعَ الرَّاحِي وَكَانَ الرَّأْيُ لَوْ عَمِلُوا
وَقَالَ آخَرُ :

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمُنَافِقِينَ قُلْ هُمْ شَرُّ الْبَرِّ
فَإَحْسَنُ أَنْ يَغْذِرَ الْبَرَّ نَفْسَهُ
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ:

لَأَنْ أَرْجِي عِنْدَ الْمُرِيِّ بِالْخُلُقِ
خَيْرٌ وَأَكْرَمُ لِي مِنْ أَنْ أَرَى مِنِّي
إِنِّي وَإِنْ قَصُرْتُ عَنْ هِمَّتِي جِدَّتِي
لَكَارِكٌ كُلُّ أَمْرٍ كَانَ يُلْزِمُنِي
٦٧ وَقَالَ أَيْضًا:

مَاذَا يَكْلِفُكَ الرُّوحَاتِ وَالذُّلُجَا
كَمْ مِنْ قَتِي قَصُرَتْ فِي الرِّزْقِ خُطُوهُ
إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا أُنْسِدَتْ مَسَالِكُهَا
لَا تَيَاسَنُ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةُ
أَخْلَاقِ بَيْدِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْطَى بِحَاجَتِهِ
قَدَّرَ لِرَجُلِكَ قَبْلَ الْخَطْوَةِ وَضَعَهَا
وَلَا يَمُرُّكَ صَفْوُ أَنْتَ شَارِبُهُ
٦٨ قَالَ الْمُتَنَبِّي:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الزَّمِ تَأْتِي الزَّائِمُ
وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صَغَارُهَا
قَالَ آخَرُ:

قَسْرُ الْقَتَى يُذِيبُ أَنْوَارَهُ كَمَا أَصْفَرَارُ الشَّمْسِ عِنْدَ الْمَغِيبِ
 إِنْ غَابَ لَا يُذَكِّرُ بَيْنَ الْوَدَى وَمَا لَهُ فِي قَوْمِهِ مِنْ تَصِيبِ
 يُجُولُ فِي الْأَسْوَاقِ مُسْتَحْفِيًا وَفِي الْأَهْلَاءِ يَكِي بِدَمِ صَيْبِ
 وَاللَّهُ مَا الْإِنْسَانُ فِي أَهْلِهِ إِذَا يُلِي بِالْفَقْرِ وَالْأَغْرِبِ
 قَالَ نَاهِضْ الْكِلَابِي :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جَمَعَ الْقَوْمِ يُخْشَى وَأَنَّ حَرِيمَ وَاجِدِهِمْ مُبَاحُ
 وَأَنَّ الْقُدْحَ حِينَ يَكْرُنُ قَرْدًا فَتَهْضُرُ لَا يَكُونُ لَهُ اقْتِدَاحُ
 قَالَ آخِرُ :

مَا مِنْ الْحَزْمِ أَنْ تُقَارِبَ أَمْرًا تَطْلُبُ الْبَعْدَ مِنْهُ بَعْدَ قَالِي
 فَإِذَا مَا هَمَمْتَ بِالشَّيْءِ فَانْظُرْ كَيْفَ مِنْهُ الْخُرُوجَ بَعْدَ الدُّخُولِ
 ٦٩ كَسَبَ عَلِيٌّ إِلَى أَنَّهُ حُسَيْنُ

أَحْسِنُ إِلَيَّ وَاعْظُ وَوَدِّبْ فَافْهَمْ فَإِنَّ الْعَاقِلَ الْمَتَادِبُ
 وَاحْفَظْ وَصِيَّةَ وَالِدِ مُتَحَنِّنِ يَتَذَوِّكُ بِالْآدَابِ كَيْلَا تَعْطِبُ
 أَبْنَى إِنَّ الرِّزْقَ مَكْفُولٌ بِهِ فَعَلَيْكَ بِالْإِجْمَالِ فِيمَا تَطْلُبُ
 لَا تَجْمَلَنَّ أُمُالَ كَسْبِكَ مُفْرَدًا وَتَقَى إِلَهَكَ فَاجْعَلَنَّ مَا تَكْسِبُ
 كَفَلَ إِلَهُهُ بِرِزْقِ كُلِّ بَرِيَّةٍ وَأُمُالَ عَارِيَةٍ تَحْمِي وَتَذْهَبُ
 وَالرِّزْقُ أَسْرَعُ مِنْ تَلَقُّتِ نَاطِرٍ سَبَبًا إِلَى الْإِنْسَانِ حِينَ يُسَبِّبُ
 وَمَنْ السُّبُولَ إِلَى مَقَرِّ قَرَارِهَا وَالطَّيْرَ لِلْأَوْكَارِ حِينَ تَصُوبُ
 أَبْنَى إِنَّ الذِّكْرَ فِيهِ مَوَاعِظُ فَمَنْ الَّذِي يَعْظَاهُ يَتَأَدَّبُ

وَأَعْبُدْ إِلَهَكَ ذَا الْمَارِجِ مُخْلِصًا
وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ غَشِيَةٍ
يَا مَنْ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ بِعَذَابِهِ
إِنِّي أَبُوهُ بِثَرْتِي وَخَطِيئَتِي
وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ فِي ذِكْرِهَا
فَأَسْأَلُ إِلَهَكَ بِالْإِنَابَةِ مُخْلِصًا
وَأَجْهَدُ لَعَلَّكَ أَنْ تُحِلَّ بِأَرْضِهَا
بَادِرْهُوَكَ إِذَا هَمَمْتَ بِصَالِحٍ
وَإِذَا هَمَمْتَ بِسَيِّئٍ فَأَغْمِضْ لَهُ
وَالضُّيْفُ أَكْرَمُ مَا اسْتَطَعْتَ جَوَارَهُ
وَأَجْعَلْ صَدِيقَكَ مَنْ إِذَا آخِيَتْهُ
وَأَطْلُبْهُمْ طَلَبَ الْمَرِيضِ شِفَاءَهُ
يُعْطِيكَ مَا فَوْقَ الْمَنَى بِلِسَانِهِ
وَأَحْذَرْ ذَوِي الْمُلْقِ السَّامِ فَإِنَّهُمْ
يَسْعَوْنَ حَوْلَ الْمَاءِ مَا طَمِعُوا بِهِ
وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَلْتَ نَصِيحَتِي
٧٠ وَكُتِبَ لَهُ أَيْضًا:

عَلَيْكَ بَيِّرُ الْوَالِدَيْنِ كِلَيْهِمَا
وَبِرَّ ذَوِي الْقُرْبَى وَبِرَّ الْأَبَاعِدِ
وَلَا تَصُحْبَنَّ إِلَّا تَقِيًّا مُهَذَّبًا
عَفِيفًا زَكِيًّا مُنْجِزًا لِلْمَوَاعِدِ

وَكُلَّ الْأَذَى وَأَحْظَرَ لِسَانَكَ وَأَتَيْتَ
وَنَافَسَ بِذَلِ الْمَالِ فِي طَلَبِ الْعُلَى
وَكَُنْ وَائْتِمًا بِاللَّهِ فِي كُلِّ حَادِثٍ
وَبِاللَّهِ فَاسْتَعِمْ وَلَا تَرْجُ غَيْرَهُ
وَعُضْرَ عَنِ الْمَكْرُوهِ طَرَفَكَ وَاجْتَنِبْ
وَلَا تَبْنِ فِي الدُّنْيَا بِنَاءً مُؤَمِّلٍ
وَكُلْ صَدِيقَ لَيْسَ يِ اللَّهِ وَدَهْ
٧١ وَقَالَ أَيْضًا :

قَدِمَ لِنَفْسِكَ فِي الْحَيَاةِ تَرَوْدًا
وَأَهْمَمَ لِلسَّفَرِ الْغَرِيبِ فَإِنَّهُ
وَأَجْعَلْ تَرَوْدَكَ الْخَافَةَ وَالْتَقَى
وَأَفْتَحْ بِفُوتِكَ فَالْتَمَاعُ هُوَ الْغَنَى
وَأَحْذَرْ مُصَاحَبَةَ أَلَاءِ أَمِ فَإِنَّهُمْ
أَهْلُ الْمَوَدَّةِ مَا أَتَلْتَهُمُ الرِّضَا
لَا تَنْفُسَ سِرًّا مَا اسْتَطَعْتَ إِلَى أَمْرِي
فَكَمَا تَرَاهُ بِسِرِّ غَيْرِكَ صَانِعًا
لَا تَبْدَأَنَّ بِمَنْطِقِي فِي مَجْلِسِي
فَالصَّمْتُ يُحْسِنُ كُلَّ ظَنٍّ بِالْهَقِي
وَدَعِ الزَّوْجَ قَرَبَ أَمْطَلِهِ مَا زَحَ

فَلَقَدْ تَفَارَقْتُمَا وَأَنْتَ مُودِعُ
أَنَايَ مِنَ السَّفَرِ الْبَعِيدِ وَأَشْنَعُ
فَلَمَّا خَفَكَ فِي مَسَائِكَ أَسْرَعُ
وَالْفَقْرُ مَقْرُورٌ بَيْنَ لَا يَنْسَعُ
مَنْعُوكَ صَفْوَ وَدَادِهِمْ وَتَصَنَّمُوا
وَإِذَا مَنَعْتَ فَسَمِّهُمْ أَلَكْ مَنْعُ
يَفْشِي إِلَيْكَ سِرَّائِهَا يَسْتَوْدِعُ
وَكَذَا بِسِرِّكَ لَا حَالَةَ يَضَعُ
قَبْلَ السُّؤَالِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَشْنَعُ
وَأَمَلَهُ خَرَفٌ سَفِيهِ أَرْقِعُ
جَلَبَتْ إِلَيْكَ بِلَايِلًا لَا تَدْفَعُ

وَحِفَاطَ جَارٍ لَا تُضْمَعُ فَإِنَّهُ لَا يَبْلُغُ الشَّرَفَ الْجَسِيمَ مُضْمِعٌ
وَإِذَا اسْتَمَالَكَ ذُو الْأَسَاءَةِ عَثْرَةٌ فَأَقْبَلْهُ إِنَّ تَوَابَ ذَلِكَ أَوْسَعُ
وَإِذَا أَوْتَمَنْتَ عَلَى السَّرَائِرِ قَافَحُهَا وَأَسْتَرْعِيوبَ أَخِيكَ حِينَ تَهْلِكُ
لَا تَحْجُزَنَّ مِنَ الْحَوَادِثِ إِنَّمَا خَرَقَ الرِّجَالُ عَلَى الْحَوَادِثِ يَحْزَعُ
وَأَطِيعْ أَبَاكَ بِكُلِّ مَا أَوْصَى بِهِ إِنَّ الْمُطِيعَ أَبَاهُ لَا يَبْضَعُ
٧٢ وَقَالَ أَيْضًا :

صُنْ النَّفْسَ وَأَهْمَلْهَا عَلَى مَا يَرِيئُهَا تَمِشْ سَلَامًا وَأَتَوَلَّ فِيكَ جَبَلُ
وَلَا تُرَيِّنِ النَّاسَ إِلَّا تَجْمُلًا نَبَايِكَ دَهْرٌ أَوْ جَهَنَّاكَ حَابِلُ
وَإِنْ صَاقَ رِزْقُ الْيَوْمِ فَاصْبِرْ إِلَى غَدٍ عَمِيَ مَكَّاتُ اللَّاهِرَةِ تَكْ تَرْدُلُ
يَعِزُّ غِنَى النَّفْسِ إِنْ قَلَّ مَالُهُ وَيَنْتَنِي بَنَى الْمَالِ وَهُوَ دَابِلُ
وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ أَمْرِي مُنْكَوْنٍ إِذَا الرَّيْحُ مَالَتْ مَالٌ حَيْثُ قِيلُ
جَوَادُ إِذَا اسْتَفْتَيْتَ عَنْ أَخِي مَالِهِ وَعِنْدَ أَخِيهِ لِقَافِرُكَ تَكْ بِخِيلُ
فَمَا أَكْثَرَ الْإِخْوَانَ حِينَ تَمُدُّهُمْ دَلَّ كَنَّهُمْ فِي النَّكَائِدِ قَلِيلُ
٧٣ وَمَا أَحْسَنَ مَا أَنْشَدَهُ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُدْرِسِيُّ قَالَ :

الْمَرْءُ يَجْمَعُ وَالزَّمَانُ يُفَرِّقُ وَيَخْلُ بَرَقَ وَالْخَطُوبُ تُزْرَقُ
وَلَأَنْ يُعَادَى عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحْمَقُ
فَارْبَا بِنَفْسِكَ أَنْ تُصَادِقَ أَحْمَقًا إِنَّ الصَّدِيقَ عَلَى الصَّدِيقِ مُصَدِّقُ
وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ فَإِنَّمَا يُبْدِي عُمُودَ ذَوِي الْعُمُولِ الْمَذْهَبُ
وَمِنَ الرِّجَالِ إِذَا اسْتَوَتْ أَخْلَاقُهُمْ مَنْ يُسَاسِرُ إِذَا اسْتَشِيرَ فَيُطَارِقُ

حَتَّى يَجُلَّ بِكُلِّ وَادٍ قَلْبُهُ
 لَا أَتَيْتَكَ ثَاوِيًا فِي غُرْبَةٍ
 مَا النَّاسُ إِلَّا عَامِلَانِ فَعَامِلُ
 وَالنَّاسُ فِي طَلَبِ الْمَالِ وَإِنَّمَا
 لَوْ يُزْزَقُونَ النَّاسُ حَسْبَ عُقُولِهِمْ
 لَكِنَّهُ فَضْلُ الْمَلِكِ عَلَيْهِمْ
 وَإِذَا الْجَنَازَةُ وَالْعَرُوسُ تَلَاقَا
 سَكَتَ الَّذِي تَبَعَ الْعَرُوسَ مُبَهَّتًا
 وَإِذَا أَمْرُوهُ لَسَعَتْهُ أَفْقَى مَرَّةً
 بَقِيَ الَّذِينَ إِذَا يَقُولُوا يَكْذِبُوا
 ٧٤ قَالَ دِرْزَنُ عَبْدُ اللَّهِ:

لِكُلِّ ضَيْقٍ مِنَ الْأُمُورِ سَعَةٌ
 مَا بَالُ مَنْ سَرَّهُ مُصَابُكَ لَا
 أَذْ دُعَى حَوْضِهِ وَيَدْفَعُنِي
 قَدْ يَجْمَعُ الْمَالُ غَيْرَ أَكْلِهِ
 وَيَقْطَعُ الثَّوبَ غَيْرَ لَابِسِهِ
 فَأَقْبَلَ مِنَ الدَّهْرِ مَا أَتَاكَ بِهِ
 وَصَلَ جِبَالُ الْبُعِيدِ إِنْ رَصَلَ الْحَبْلُ وَأَقْصَرَ الْقَرِيبُ إِنْ قَطَعَهُ
 وَلَا تَعَادِ الْفَقِيرَ عَلَيْكَ أَنْ تَرْكَبَ يَوْمًا وَالِدَهُ قَدْ رَفَعَهُ

أَلْبَابُ الْحُلُمِ

فِي الْأَمْثَالِ

فصل من نوادر كلام العرب

٧٥ (مِنْ حِكْمِ أَكْثَمَ بْنِ صَيْفِي) وَهَذَا رَجُلٌ كَانَ لَهُ عَمَلٌ وَحِلْمٌ وَمَعْرِفَةٌ وَتَجَرِبَةٌ . وَقَدْ عَلَّقُوا عَنْهُ حِكْمًا لَطِيفَةً وَأَلْفَا فِيهَا تَصَانِيفَ . فَمِنْ حِكْمِهِ قَالَ : مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ كَانَ كَمَنْ عَصَى بِالْأَمْرِ . أَفْضَلُ مِنَ السُّؤَالِ رُكُوبُ الْأَهْوَالِ . مَنْ حَسَدَ النَّاسَ بَدَأَ بِمُضَرَّةٍ نَفْسِهِ . الْعَدِيمُ مِنْ أَحْتَاجَ إِلَى أَلِيمٍ . مَنْ لَمْ يَتَغَيَّرْ فَقَدْ خَسِرَ . مَا كُلُّ عَثْرَةٍ تُقَالُ . وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُنَالُ . قَدْ يُشْهَرُ السِّلَاحُ . فِي بَعْضِ الْمَزَاحِ . رَبُّ عِنَقٍ . شَرٌّ مِنْ رِقٍ . أَنْتَ مُزِرٌ بِنَفْسِكَ إِنْ صَحِبْتَ مَنْ هُوَ دُونُكَ . لَيْسَ مَنْ خَادَنَ الْجُهُولَ . بِذِي مَقْضُولٍ . مَنْ جَالَسَ الْجُهَالَ فَلَيْسَتْ لَهُ لِقِيلٌ وَقَالَ . الْمَزَاحُ يُورِثُ الضَّغَائِنَ . عَنْكَ خَيْرٌ مِنْ سَمِينٍ غَيْرِكَ . مَنْ جَدَّ الْمَسِيرَ أَذْرَكَ الْقِيلَ . جَارُ الرَّجُلِ الْجَوَادِ كَهَجَاوِرِ الْبَحْرِ لَا يَخَافُ الْعَطَشَ . مَنْ طَلَبَ مِنَ اللَّئِيمِ حَاجَةً . كَانَ كَمَنْ طَلَبَ السَّمَكَ فِي الْمَفَازَةِ . عِدَّةُ الْكَرِيمِ نَقْدُ وَعْدَةِ اللَّئِيمِ تَسْوِيفٌ . الْأَنَامُ فَرَائِسُ الْأَيَّامِ . قَدْ تُكْسَرُ الْيَوَاقِيتُ فِي بَعْضِ الْمَوَاقِيتِ . مَنْ أَعَزَّ نَفْسَهُ . أَذَلَّ فَلْسَهُ . مَنْ سَلَكَ الْجَدَدَ آمِنَ الْعِتَارَ (لَطَرُطُوشِي)

نبد من كلام الزمخشري والبستي

٧٦ مَنْ بَلَغَ غَايَةَ مَا يُحِبُّ فَلْيَتَوَقَّعْ غَايَةَ مَا يَكْرَهُ . لَا تَشْرَبِ السَّمَّ
أَنْتَكَ لَا عَلَى مَا عِنْدَكَ مِنَ التَّرْيَاقِ . لَا تَكُنْ يَمُنُ يَلْمُنُ إِبْلِيسَ فِي
الْعَلَانِيَةِ وَيُوَالِيهِ فِي السِّرِّ . عَادَاتُ السَّادَاتِ سَادَاتُ الْعَادَاتِ .
الْطُّفُوفُ رَشْوَةٌ مِنْ لَا رَشْوَةَ لَهُ . مَنْ تَأَجَّرَ اللَّهُ لَمْ يُوكَرْ يِعَهُ . وَلَمْ
يُخَسَّرَ رَيْعُهُ . أَدْوِيَةُ الدُّنْيَا تَقْصُرُ عَنْ سُوءِهَا . وَنَسِيمَاتُ الْإِنْفِ بِسُوءِهَا .
مَنْ زَرَعَ الْإِخْنَ . حَصَدَ الْخِنَ . لَا بُدَّ لِلْفَرَسِ مِنْ سَوَاطِ . وَإِنْ كَانَ
بَعِيدَ الشَّوْطِ . شَمَاعُ الشَّمْسِ لَا يُخْفَى . وَنُورُ الْحَقِّ لَا يُظْفَى . أَعْمَالُكَ
نَيْتٌ . إِنْ لَمْ تُضَيِّحْهَا بِنَيْتَةٍ . لَا يَجِدُ الْأَحَقُّ لَذَّةَ الْحِكْمَةِ . كَمَا لَا يَلْتَذُّ
بِالْوَرْدِ صَاحِبُ الزُّكْنَةِ . طُوبَى لِمَنْ كَانَتْ خَاتِمَةُ عُمْرِهِ كَفَاتِحَتِهِ .
وَلَيْسَتْ أَعْمَالُهُ بِفَاتِحَتِهِ . أَفْضَلُ مَا أَدَّخَرْتَ الثَّغْوَى . وَأَجْمَلُ مَا لَيْسَتْ
أَلْوَرَعُ . وَأَحْسَنُ مَا أَكْتَسَيْتَ الْحَسَنَاتُ . كَفَى بِالظَّعْرِ شَفِيعًا بِالذَّنْبِ .
أَحَقُّ النَّاسِ بِالزِّيَادَةِ فِي النِّعَمِ أَشْكُرُهُمْ لِمَا أُوتِيَ مِنْهَا . ظَهَرَ الْعِتَابُ
خَيْرٌ مِنْ مَكْنُونِ الْجَهْدِ . قَالَ الْجِدَارُ لِلْوَتْدِ : لِمَ تَشْفِينِي . قَالَ : سَلَّ
مَنْ يَدْفِينِي . مَنْ نَصَرَ الْحَقَّ قَهَرَ الْخَلْقَ . رَبُّنَا كَانَ خَفَّ أَمْرِي فِي مَا تَمَنَّى

ما ضرب به المثل من الحيوان وغيره

٧٧ إِنَّمَا كَانَتْ الْعَرَبُ أَكْثَرَ أَمْثَالِهَا مَضْرُوبَةً بِالْبَهَائِمِ فَلَا يَكَادُونَ
يَلْمُؤُونَ وَلَا يَمْدَحُونَ إِلَّا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا مَسَاقِيئَهُمْ بَيْنَ السَّبَاحِ
وَالْأَخْيَاشِ وَالْحَشَرَاتِ فَاسْتَمَلُّوا التَّمَثِيلَ بِهَا . قَالُوا : أَسْتَجِمُّ مِنْ أَسَدٍ .

وَأَجْبَنُ مِنَ الصَّافِرِ . وَأَمْضَى مِنْ لَيْثِ عَيْرَيْنِ . وَأَحْذَرُ مِنْ غُرَابٍ .
وَأَبْصَرُ مِنْ عُقَابٍ . وَأَزْهَى مِنْ ذُبَابٍ . وَأَذَلُّ مِنْ قُرَادٍ . وَأَسْمَعُ مِنْ
فَرَسٍ . وَأَنُومُ مِنْ فَهْدٍ . وَأَعْقُ مِنْ صَبٍّ . وَأَجْبَنُ مِنْ مِفْرِدٍ . وَأَضْرَعُ
مِنْ سِنُورٍ . وَأَسْرَقُ مِنْ زَبَابَةٍ . وَأَصْبَرُ مِنْ عُودٍ . وَأَظْلَمُ مِنْ حَيَّةٍ .
وَأَحْنُ مِنْ نَابٍ . وَأَكْذَبُ مِنْ فَاخْتَةٍ . وَأَعَزُّ مِنْ بَيْضِ الْأُنُوقِ .
وَأَجْوَعُ مِنْ كَلْبَةٍ حَوْمَلٍ . وَأَعَزُّ مِنَ الْأَبْلَقِ الْمَقُوقِ . (الْهَافِرُ)
الصَّغِيرُ مِنَ الطَّيْرِ . وَالْعُودُ الْمُسْنِ مِنَ الْجَمَالِ . وَالْأُنُوقُ طَيْرٌ يُقَالُ
إِنَّهُ يَبْيِضُ فِي الْهَوَاءِ . وَالزَّبَابَةُ الْقَارَةُ تُسْرِقُ دُودَ الْحَرِيرِ . وَفَاخْتَةٌ
طَيْرٌ يَطِيرُ بِالرُّطْبِ فِي غَيْرِ أَيَّامِهِ)

(مَا ضَرَبَ بِهِ الْمَثَلُ مِنْ غَيْرِ الْحَيَوَانِ) . قَالُوا : أَهْدَى مِنَ النَّجْمِ .
وَأَجْوَدُ مِنَ الدِّيمِ . وَأَصْبَحُ مِنَ الصُّبْحِ . وَأَسْمَعُ مِنَ النُّجُومِ . وَأَنُودُ مِنَ
النَّهَارِ . وَأَمْضَى مِنَ السَّيْلِ . وَأَحْمَقُ مِنْ رِجْلَةٍ . وَأَحْسَنُ مِنْ دُمَيْمَةٍ .
وَأَزْهَى مِنْ رَوْضَةٍ . وَأَوْسَعُ مِنَ الدَّهْنَاءِ . وَأَنْسُ مِنْ جَدْوَلٍ . وَأَضِيقُ
مِنْ قَرَارِ حَافِرٍ . وَأَوْحَشُ مِنْ مَفَاذَةٍ . وَأَثْقَلُ مِنْ جَبَلٍ . وَأَبْقَى مِنْ
الْوَحْيِ فِي صَمِّ الصَّلَابِ . وَأَخَفُ مِنْ رِيشِ الْحَوَاصِلِ (لابن عبد ربه)
٧٨ أَشْعَارُ جَارِيَةٌ تَجْرِي الْمَثَلُ وَهِيَ لِشُعْرَاءِ مُخْتَلِفِينَ :

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَالَهُ كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْمَاءِ يَنْتَبِهُ سِلَاحٍ
إِذَا كَانَ غَيْرُ اللَّهِ لِلرَّءِ عُدَّةً أَتَتْهُ الرُّزَايَا مِنْ وَجْهِهِ الْمَكَايِبِ
إِذَا مَا أَتَيْتَ الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ بَابِهِ ضَلَّتْ وَإِنْ تَهْصِدُ إِلَى الْبَابِ تَهْتَدِي

إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدِي نَوَالٌ هَجَرْتَنِي
 إِذَا أَنتَ لَمْ تُعَلِّمْ طَيْبِكَ كُلَّ مَا
 إِنِ اخْتَفَى مَا فِي الزَّمَانِ الْآتِي
 إِذَا لَمْ يُعِنْ قَوْلَ التَّعْيِجِ قَبُولُ
 أَرَى مَاءَ وَيَّي عَطَشٍ شَدِيدُ
 إِذَا رُمْتُ أَنْ تُصْفِي لِنَفْسِكَ صَاحِبًا
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يَزْدِرَى بِقَدْرِهِ
 إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا بَدَتْ لِزَوَالِهَا
 إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظَنُونُهُ
 إِنْ تَجِدَ عِيَا فَسَدَّ الْحَمَلَا
 تَفَرَّقَتْ غَنِيَّ يَوْمًا قُضِلَتْ لَهَا
 تَرَقَّبْ حِرَا الْحُسْنَى إِذَا كُنْتَ مُحْسِنًا
 الْخَيْرُ لَا يَأْتِيكَ مُتَصِلًا
 ذِكْرُ الْفَتَى عَمْرُهُ أَمَّا نِي وَحَاجَتُهُ
 ذُو الْفَضْلِ لَا يَسْلَمُ مِنْ قَدَحِ
 الرَّأْيِ يَصْدَأُ كَالْحَسَامِ إِمَارِضِ
 سَبْكُنَاهُ وَنَحْسَبُهُ لِحِينًا
 عَفَاكَ عَمِي إِمَّا عِفَّةُ الْفَتَى
 غُلَامٌ أَتَاهُ اللَّوْمُ مِنْ شَطْرِ نَفْسِهِ
 وَإِنْ كَانَ لِي مَالٌ فَأَنْتَ صَدِيقِي
 يَسُوكَ أَبْعَدَتْ الدَّوَاءَ عَنِ السُّمِّ
 قَسَّ عَلَى الْمَاضِي مِنَ الْأَوْقَاتِ
 فَإِنَّ مَعَارِضَ الْكَلَامِ فُضُولُ
 وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُرُودِ
 فَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُصْفِيَ لَهُ الْوُدَّ أَثْنَبُهُ
 إِذَا فِيلُ هَذَا السَّيْفِ أَمْضَى مِنْ أَلْصَا
 فَعَلَامَةُ الْإِدْبَارِ فِيهَا تَقْطُرُ
 وَصَدَقَ مَا يَتَسَادَهُ مِنْ تَوَهُمِ
 جَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا
 يَا رَبِّ سَاطِعًا عَلَيْهَا الذَّبُّ وَالضَّبَا
 وَلَا تُخْشَ مِنْ سُوءِ إِذَا أَنْتَ لَا تَنِي
 وَالشَّرُّ يَسْبِقُ سَيْلُهُ الْفَطْرُ
 مَا قَاتَهُ وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ
 وَإِنْ عَدَا أَقْوَمَ مِنْ قَدَحِ
 يَطْرَأُ عَلَيْهِ وَصْفَلُهُ التَّذَكِيرُ
 فَأَبْدَى الْكَبِيرُ عَنْ نَبْثِ الْحَدِيدِ
 إِذَا دَفَّ مِنْ لَذَائِهِ وَهُوَ قَادِرُ
 وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ شَطْرِ أَمْرٍ وَلَا آبِ

قَالَقُمْ قُلْتُ رَجُلِي لَا تُطَاوِعُنِي
 وَلَا تَحْمِلِ الْحُسْنَ الدَّلِيلَ عَلَى أَمْتِي
 فَأَلْدُرُّ وَهُوَ أَجَلُ شَيْءٍ يُفْتَنِي
 قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ صَدَقَ وَإِنْ كَذِبًا
 لَا يُغَيِّبَنَّ مَضِيًّا حُسْنُ بَرَّتِهِ
 لَا تَرْجُ شَيْئًا خَالِصًا نَفْعُهُ
 لَا تَتَرَنَّكَ هَذِهِ الْأَوْجُهُ الْغُرْمُ
 لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ رُطْبًا أَنْتَ آكَلُهُ
 لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى
 لَا تَحْجِرَنَّ شَأْنَ الْعَدُوِّ وَكَيْدُهُ
 لَعَلَّ عَتَبَكَ تَحْمُودُ عَوَاقِبُهُ
 مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبَهَا
 مَا لِقَوِي عَنْ ضَمِيفٍ غَنَى
 مَنْ لَيْسَ يَخْشَى أَسْوَدَ أَلْمَابِ إِنْ ذَارَتْ
 لَا يَحْمِلُ الْحُفْدَ مَنْ تَهْلُو بِهِ الرُّتْبُ
 الْمَرْءُ يَحْيَا بِالسَّاقِ وَلَا عَضْدٍ
 تَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا
 وَقَدْ يَكْسِفُ الْمَرْءُ مِنْ دُونِهِ
 وَلَا تَقْرَبِ الْأَمْرَ الْحَرَامَ فَإِنَّهُ

قَالَقَدْ قُلْتُ كَفَى لَا تَوَاتِبُنِي
 قَا كُلُّ مَصْفُولٍ الْحَدِيدِ يَمَانِي
 مَا حَطَّ قِيَمَتُهُ هَوَانُ الْفَانِصِ
 قَا احْتِيَاكَ فِي شَيْءٍ وَقَدْ قِيلَا
 وَهَلْ تَرَوْقُ دَفِينَا جُودَةُ الْكُفْنِ
 قَالَقَيْتُ لَا يَخْلُو مِنْ أَلْفَتِ
 مَ قِيَارَبُ حَيَّةٍ فِي رِيَاضِ
 لَنْ تَبْلُغَ الْجَدَّ حَتَّى تَلْمَقَ الصَّبْرَا
 حَتَّى يَرَأَى عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ
 وَلَرُبَّمَا صَرَخَ الْأَسْوَدُ الثَّمَلُ
 وَرُبَّمَا صَحَّتْ الْأَجْسَادُ بِالْإِمْلَلِ
 أَتَيْ بِمَا أَنَا بَالِكٌ مِنْهُ مَحْسُودُ
 لَا بُدَّ لِلْسَّهْمِ مِنَ الرِّيشِ
 فَكَيْفَ يَخْشَى كِلَابَ الْحَيِّ إِنْ نَبَعَتْ
 وَلَا يَنَالُ الْعَلَى مَنْ طَابَعَهُ الْغَضَبُ
 وَلَا يَمِيشُ بِالْقَلْبِ وَلَا أَدَبُ
 تَبْنِي وَتَفْعَلُ مِثْلَمَا فَعَلُوا
 كَمَا يَكْسِفُ الشَّمْسُ جَرْمُ الْقَمَرِ
 حَلَاوْنُهُ تَفْنَى وَيَبْقَى مَرِيدُهَا

وَلَوْ لَيْسَ الْجَسَادُ ثِيَابَ خَرٍّ
وَإِذَا أَقْتَرْتَ إِلَى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ
وَمَا لِي أَرَى فِي عَيْنِكَ الْجَذْعَ مُعْرِضًا
وَمَا أَقْبَعَ الْفَرِيضَ فِي زَمَنِ الصَّبَا
وَتَشْتَتِ الْأَعْدَاءُ فِي آرَائِهِمْ
وَكُلُّ جَدِيدٍ قَدْ يُوَلُّ إِلَى بَيْلِ
وَإِذَا كَانَتِ النَّفُوسُ كِبَارًا
وَمَاذَا أَرْجِي مِنْ حَيَاةٍ تَكْدَرَتْ
وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الشُّكْرِ جَنَّةَ غَارِسٍ
وَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ
وَنَارٌ إِنْ نَفَخْتَ بِهَا أَضَاءَتْ
وَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُزْنَ لِلْحُزَنِ مَاجِيًا
وَيُمْكِنُ وَصْلُ الْحَبْلِ بَعْدَ انْقِطَاعِهِ
وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ غَيْبٍ كَلِيلَةٌ
وَإِذَا كَانَ مُتَمَتِّحِي الْعَمْرِ مَوْتًا
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نُفْرَةَ عَبْدِهِ
وَمَنْ يَتَشَبَّثْ فِي الْعِدَاوَةِ كَفَّهُ
يَهْوَى النَّتَاءَ مُبِرِّزٌ وَمَقْصَرٌ
يَقُولُونَ لِي أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا
لَقَالَ النَّاسُ يَا لَكَ مِنْ حَسَارٍ
ذُنُورًا يَكُونُ كَهَاجِلِ الْأَعْمَالِ
وَتَعَجُّبُ إِنْ أَبْصَرْتَ فِي عَيْنِي الْقَدَى
فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ لِلرَّأْسِ شَامِلٌ
سَبَبُ لُجْنِ خَوَاطِرِ الْأَحْبَابِ
وَكُلُّ أَمْرٍ يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى كَانَا
تَعَبْتُ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ
وَلَوْ قَدْ صَفَتْ كَانَتْ كَأَحْلَامِ نَائِمٍ
وَلَا يَمْلِكُ حُسْنَ الصَّبْرِ جَبَّةَ لَا يَسِ
وَلَيْسَ يَكْفِي إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَلَكِنْ أَنْتَ تَنْفُخُ فِي رَمَادٍ
كَمَا خُطِّي فِي الْقِرطَاسِ سَطْرٌ عَلَى سَطْرٍ
وَأَمَكْنَهُ يَبْقَى بِهِ عُقْدَةُ الرِّبْطِ
كَمَا أَنَّ عَيْنَ السَّخَطِ تُبْدِي الْأَسَاوِيَا
فَسَوَاءٌ طَوِيلُهُ وَالْقَصِيرُ
كَانَتْ لَهُ أَعْدَاؤُهُ أَنْصَارًا
بِأَكْبَرِ مِنْهُ فَهَوَ لَا شَيْءَ هَالِكٌ
حُبُّ النَّتَاءِ طَلِيْعَةُ الْإِنْسَانِ
وَلَوْ ظَفَرُوا بِي سَاعَةً قَتَلُونِي

الْبَابُ السَّادِسُ فِي أَمْثَالٍ عَنِ أَلْسِنَةِ الْحَيَوَانَاتِ

البازي والديك

٧٩ بَازٍ وَدَيْكٌ تَسَاطَرَا . فَقَالَ الْبَازِي لِلدَّيْكِ : مَا أَعْرِفُ أَقْلًا
وَقَاءَ مِنْكَ لِأَصْحَابِكَ . قَالَ : وَكَيْفَ . قَالَ : تُوَاخِذُ بَيْضَةً وَتَحْضُنُكَ
أَهْلَكَ وَتَخْرُجُ عَلَى أَيْدِيهِمْ فَيُطْمِئِنُّونَكَ بِأَيْدِيهِمْ . حَتَّى إِذَا كَبُرَتْ
صِرْتَ لَا يَدُؤُونَ مِنْكَ أَحَدٌ إِلَّا طَرِدَتْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَا وَصَحَتْ .
وَعَلَوْتَ عَلَى حَائِطِ دَارٍ كُنْتَ فِيهَا سَيْنَ طَرْتَ مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا . وَأَمَّا
أَنَا فَأُوْخِذُ مِنَ الْجِبَالِ وَقَدْ كَبُرَ سِنِّي فَتُخَاطَبُ عَيْنِي . وَأُطْعَمُ الشَّيْءَ
الْيَسِيرَ وَأَسَاهِرُ فَأَمْنَعُ مِنَ النَّوْمِ وَأَنْسَى الْيَوْمَ وَالْيَوْمِينَ . ثُمَّ أَطْلُقُ
عَلَى الصَّيْدِ وَحَدِيدِي فَأَطِيرُ إِلَيْهِ وَأَخْذُهُ وَأَجِي بِهِ إِلَى صَاحِبِي . فَقَالَ
لَهُ الدَّيْكِ : ذَهَبَتْ عَنْكَ الْحُجَّةُ أَمَا لَوْ رَأَيْتَ بَازِيَيْنِ فِي سَفْوَدِ النَّارِ
مَا عُدْتَ لَهُمْ . وَأَنَا فِي كُلِّ وَقْتٍ أَرَى السَّفَافِيدَ تَمْلُؤَةً دُيُوكًا . فَلَا تَكُنْ
حَلِيمًا عِنْدَ غَضَبِ غَيْرِكَ (لباء الدين)

برغوث وبعوضة

٨٠ حُكِيَ أَنَّهُ اجْتَمَعَ بَرْغُوثٌ وَبَعُوضَةٌ . فَقَالَتِ الْبَعُوضَةُ لِلْبَرْغُوثِ :
إِنِّي لَا تَعْجَبُ مِنْ حَالِي وَحَالِكَ . أَنَا أَفْصَحُ مِنْكَ لِسَانًا . وَأَوْضَحُ بَيَانًا .
وَأَزْجَحُ مِيزَانًا . وَأَكْبَرُ شَأْنًا . وَأَكْثَرُ طَيْرَانًا . وَمَعَ هَذَا هَذَا أَضْرِبُ

الْجُوعُ. وَحَرَمَنِي الْجُمُوعَ. وَلَا أَزَالُ عَلَيْهِ تَجْهُودَةً مُبَعَّدَةً عَنِ الطَّرِيقِ.
مَطْرُودَةً. وَأَنْتَ تَأْكُلُ وَتَشْبَعُ. وَفِي نَوَائِمِ الْأَبْدَانِ تَرْتَعُ. فَقَالَ لَهَا
الْبَرغوثُ: أَنْتِ بَيْنَ الْعَالَمِ مُطْنَعَةٌ. وَعَلَى رُؤُسِهِمْ مُدْنِدَةٌ. وَأَنَا
قَدْ تَوَصَّلْتُ إِلَى قُوَّتِي. يَسَبِّبُ سَكُونِي

اللبوة والغزال والقرود

٨١ حُكِيَ أَنَّ لَبْوَةً كَانَتْ سَاكِتَةً بِنَايَةِ. وَبِجَوَارِهَا عِزَالٌ وَقِرْدٌ قَدْ
أَلَتْ جَوَارَهَا وَأَسْتَحْسَنْتْ عِشْرَتَهُمَا. وَكَانَ لِنَاكِ اللَّبْوَةِ شَبْلٌ صَغِيرٌ
قَدْ شَفَّتْ بِهِ حُبًّا وَقَرَّتْ بِهِ عَيْنًا. وَطَابَتْ بِهِ قَلْبًا. وَكَانَ لِحَارِهَا
الْغِزَالُ أَوْلَادٌ صِنَارٌ. وَكَانَتِ اللَّبْوَةُ تَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ تَبْتَغِي قُوَّتًا
لِشَيْبَانٍ مِنَ النَّبَاتِ وَصِنَارِ الْحَيَوَانِ. وَكَانَتْ تَمُرُّ فِي طَرِيقِهَا عَلَى أَوْلَادِ
الْغِزَالِ. وَهُنَّ يَلْعَبْنَ بِبَابِ حُجْرَتِهَا. فَحَدَّثَتْ نَفْسَهَا يَوْمًا بِاِقْتِصَاصِ
وَاحِدٍ فَتَجَلَّاهُ قُوَّتَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَتَسْتَرِجَ فِيهِ مِنَ الذَّهَابِ. ثُمَّ أَقْلَعَتْ
عَنْ هَذَا الْعَزْمِ لِحُرْمَةِ الْجَوَارِ ثُمَّ عَاوَدَهَا الشَّرُّ ثَانِيًا مَعَ مَا تَجِدُ مِنَ
الْقُوَّةِ وَالْعِظَمِ. وَأَكَّكَ ذَلِكَ ضِعْفُ الْغِزَالِ وَأَسْتَلَامَهُ لِأَمْرِ اللَّبْوَةِ.
فَأَخَذَتْ ظِيًّا مِنْهُمْ وَهَضَتْ فَلَمَّا عَلِمَ الْغِزَالُ دَاخِلَهُ الْحُزْنَ وَالْأَلْقُ
وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إظهارِ ذَلِكَ وَشَكَا لِحَارِهِ الْقِرْدَ. فَقَالَ لَهُ: هَوْنٌ
عَلَيْكَ فَلَمَّهَا تُقْلِعُ عَنْ هَذَا وَتَحْنُ لَا نَسْتَطِيعُ مَكَا شَفَّتْهَا وَاعْلَمْ أَنَّ
أَذْكُرَهَا عَاقِبَةُ الْعُدْوَانِ وَحُرْمَةِ الْخَيْرَانِ. فَلَمَّا كَانَ الْعَدُوُّ أَخَذَتْ ظِيًّا
ثَانِيًا فَلَقِيَهَا الْقِرْدُ فِي طَرِيقِهَا فَسَلَّمَ عَلَيْهَا وَحَيَّاهَا وَقَالَ لَهَا: إِنِّي لَا آمَنُ

عَالِمِكَ عَاقِبَةُ الْبَنِيِّ وَإِسَاءَةُ الْجَوَارِ . فَقَالَتْ لَهُ : وَهَلْ أَقْتَسِمِي لِأَوْلَادِ
الْعَرَالِ . إِلَّا كَأَقْتَسِمِي مِنْ أَطْرَافِ الْجِبَالِ . وَمَا أَنَا تَارِكَةٌ قُوَّتِي وَقَدْ
سَافَهُ الْقَدَرُ إِلَى بَابِ بَيْتِي . فَقَالَ لَهَا الْقِرْدُ : هَكَذَا أَغْتَرَّ الْقَيْلُ بِعَظِيمِ
جُشِّهِ . وَوُفُورِ قُوَّتِهِ فَجَعَلَ عَنْ حَنَفِهِ بِطَانِهِ . وَأَوْبَقَهُ الْبَنِيُّ رَغْمَ أَنْفِهِ .
فَقَالَتِ اللَّبُوءَةُ : كَيْفَ كَانَ ذَلِكَ . قَالَ الْقِرْدُ : ذَكِّرُوا أَنَّ قَدْحِيَّةَ
كَانَ لَهَا عَشْرُ قَبَاصَتٍ وَفَرَّخَتْ فِيهِ وَكَانَ فِي نَوَاحِي تِلْكَ الْأَرْضِ فِيلٌ
وَكَانَ لَهُ مَشْرَبٌ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ . وَكَانَ يَمُرُّ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ عَلَى عَشْرِ الْقُبُورِ .
فَفِي ذَاتِ يَوْمٍ أَرَادَ مَشْرَبُهُ فَمَعَدَ إِلَى ذَلِكَ الْعُشْرِ وَوَطَّئَهُ وَهَشَّمَ
رُكْنَهُ . وَأَتَانَفَ يَبِضُّهَا وَأَهْلَكَ فِرَاحَهَا . فَلَمَّا نَظَرَتِ الْقُبُورَةُ إِلَى مَا حَلَّ
بِشِئْهَا سَاءَ مَا ذَلِكَ وَجَلَّتْ أَنَّهُ مِنَ الْقَيْلِ . فَطَارَتْ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى
رَأْسِهِ بَاكِئَةً وَقَالَتْ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ مَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى أَنْ وَطَّئْتَ عُشِّي
وَهَشَّمْتَ بَيْتِي وَقَتَلْتَ أَفْرَاحِي وَإِنْسَانِي جَوَارِكَ . أَقَمْتَ ذَلِكَ
أَسْتِضْمَاقًا بِحَالِي وَقَلَّةَ مُبَالَاةٍ بَأَمْرِي . قَالَ الْقَيْلُ : هُوَ كَذَلِكَ
فَأَنْصَرَفَتِ الْقُبُورَةُ إِلَى جَمَاعَةِ الطُّيُورِ فَشَكَتْ إِلَيْهِمْ مَا نَالَهَا مِنَ الْقَيْلِ
فَقَالَتْ لَهَا الطُّيُورُ : وَمَا عَسَانَا أَنْ نَبْلُغَ مِنَ الْقَيْلِ وَنَحْنُ طُيُورٌ . فَقَالَتْ
لِلْمَقْلَقِ وَالْقُرْبَانِ : إِنِّي أُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تَسِيرُوا مَعِيَ إِلَيْهِ فَتَقْتُلُوهُ
عَيْنِيهِ . فَأَنَا بَعْدَ ذَلِكَ أَحْتَالُ عَلَيْهِ بِحِيلَةٍ أُخْرَى . فَأَجَابُوهَا إِلَى ذَلِكَ
وَمَضَوْا إِلَى الْقَيْلِ . وَلَمْ يَذَالُوا بِهِ تَجَادُؤُهُ بَيْنَهُمْ وَيَتَفَرَّغُونَ عَيْنِيهِ إِلَى
أَنْ قَتَلُوهُمَا وَبَقِيَ لَا يَهْتَدِي إِلَى طَرِيقِ مَطْعَمِهِ وَلَا مَشْرَبِهِ . فَلَمَّا عَلِمَتْ

ذَلِكَ جَاءَتْ إِلَى نَهْرٍ فِيهِ صَفَادِعُ فَشَكَتْ مَا نَالَهَا مِنَ الْهَيْلِ . فَقَالَتْ
 الصَّفَادِعُ : مَا حِيلَتُمَاَعَ الْهَيْلِ وَلَسْنَا كُنْهَاءُ وَأَيْنَ نَبْلُغُ مِنْهُ . قَالَتْ
 الْقُبْرَةُ : أَحِبُّ مِنْكُنَّ أَنْ تَذْهَبْنَ مَعِي إِلَى وَهْدَةٍ بِأَلْقَرِبِ مِنْهُ فَتَقْنَنَ
 تَضِجْنَ بِهَا . فَإِذَا سَمِعَ أَصْوَاتُكُنَّ لَمْ يَشْكُ أَنَّ بِهَا مَاءً فَيَكِبُّ نَفْسَهُ فِيهَا .
 فَأَجَابَهَا الصَّفَادِعُ إِلَى ذَلِكَ فَلَمَّا سَمِعَ الْهَيْلُ أَصْوَاتَهُنَّ فِي قَعْرِ الْوَهْدَةِ
 تَوَهَّمَنَّ أَنَّ بِهَا مَاءً . وَكَانَ عَلَى جُهْدٍ مِنَ الْعَطَشِ فَجَاءَهُ مُكْبًّا عَلَى طَلَبِ الْمَاءِ
 فَسَقَطَ فِي الْوَهْدَةِ وَلَمْ يَجِدْ مَخْرَجًا مِنْهَا . فَجَاءَتِ الْقُبْرَةُ تَرْفُفٌ عَلَى
 رَأْسِهِ وَقَالَتْ لَهُ : أَيُّهَا الْمُنْتَرِبُ بَقُوْتِهِ الصَّابِلُ عَلَى ضَيْفِي كَيْفَ رَأَيْتَ عَظِيمَ
 حِيلَتِي مَعَ صِغَرِ جُسْتِي . وَبِلَادَةٍ فَهَمَّكَ مَعَ كِبَرِ جِسْمِكَ . وَكَيْفَ رَأَيْتَ
 عَاقِبَةَ الْبَنِيِّ وَالْمُدَوَّانِ . وَمُسَالَمَةَ الزَّمَانِ . فَلَمْ يَجِدْ الْهَيْلُ مُسَلَكًا لِحَوَائِهَا .
 وَلَا طَرَفًا لِحَطَائِهَا . فَلَمَّا أَتَتْهُ الْقِرْدُ فِي غَايَةِ مَا ضَرَبَهُ لِلْبُؤْسَةِ مِنْ
 الْمَثَلِ أَوْسَعَتْهُ أَنْبَهَارًا وَأَعْرَضَتْ عَنْهُ اسْتِكْبَارًا . ثُمَّ إِنَّ النَّزَالَ انْتَقَلَتْ
 بِمَا بَقِيَ مِنْ أَوْلَادِهَا تَبَتَّي لَهَا جُحْرًا آخَرَ . وَإِنَّ الْأَبُوَّةَ خَرَجَتْ ذَاتَ
 يَوْمٍ تَطْلُبُ صَيْدًا وَرَكَتْ شِبَاهَا . فَمَرَّ بِهِ فَارِسٌ فَلَمَّا رَأَاهُ حَمَلَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ
 وَسَلَخَ جِلْدَهُ وَأَخَذَهُ وَتَرَكَ لَحْمَهُ وَذَهَبَ فَلَمَّا رَجَعَتِ الْأَبُوَّةُ وَرَأَتْ شِبَاهَا
 مَقْتُولًا مَسْلُوحًا رَأَتْ أَمْرًا فُظِيمًا . فَأَمْلَأَتْ غَيْظًا وَنَاحَتْ نَوْحًا عَالِيًا
 وَدَاحَلَهَا هَمٌّ شَدِيدٌ . فَلَمَّا سَمِعَ الْقِرْدُ صَوْتَهَا أَقْبَلَ عَلَيْهَا مُسْرِعًا فَقَالَ لَهَا :
 وَمَا دِهَالُكَ . فَقَالَتِ الْأَبُوَّةُ : مَرَّ صَيَّادٌ بِشَيْئٍ قَعَلَ بِهِ مَا تَرَى . فَقَالَ
 لَهَا : لَا تَحْزَنِي وَلَا تَحْزَنِي وَأَنْصِفِي مِنْ نَفْسِكَ وَأَصْبِرِي عَنْ غَيْرِكَ

كَمَا صَبَرَ غَيْرُكَ عَلَيْكَ . فَكَمَا يَدِينُ الْفَتَى يُدَانُ . وَجَزَاءُ الدَّهْرِ بِمِيزَانٍ .
وَمَنْ بَذَرَ حَبًّا فِي أَرْضٍ فَيَقْدِرْ بِذَرِهِ يَكُونُ الثَّمَرُ . وَالْجَاهِلُ لَا يُبْصِرُ
مِنْ أَمْنٍ تَأْتِيهِ سِهَامُ الدَّهْرِ . وَإِنْ حَقَّ عَلَيْكَ أَنْ لَا تَخْرُجِي مِنْ هَذَا
الْأَمْرِ . وَأَنْ تَتَدَرَّجِي لَهُ بِالرَّضَا وَالصَّبْرِ . فَنَأَتْ أَلْبُوءُ : كَيْفَ لَا
أَجْرُعُ وَهُوَ قُرَّةُ الْعَيْنِ وَوَاحِدُ الْقَلْبِ وَزَهَّةُ الْفَكْرِ . وَأَيُّ حَيَاةٍ تَطِيبُ
لِي بَعْدَهُ . فَقَالَ لَهَا الْقِرْدُ : أَتَيْتَهَا أَلْبُوءُ مَا الَّذِي كَانَ يُغْدِيكَ
وَيُشْبِيكَ . قَالَتْ : لَحْمَ الْوُحُوشِ . قَالَ الْقِرْدُ : أَمَا كَانَ لِنَاكَ
الْوُحُوشُ الَّتِي كُنْتَ تَأْكُلِينَهَا آبَاءَ وَأُمَّهَاتُ . قَالَتْ بَلَى . قَالَ الْقِرْدُ :
فَمَا بَالُكَ لَا تَسْمَعُ لِنَاكَ الْآبَاءَ وَلَا الْأُمَّهَاتِ صِيَاحًا وَصَرَاحًا كَمَا سَمِعَ
مِنْكَ وَلَقَدْ أُنْزِلَ بِكَ هَذَا الْأَمْرُ جَهْلُكَ بِالْعَوَاقِبِ وَعَدَمُ تَفَكُّرِكَ فِيهَا .
وَقَدْ تَصَحَّحْتُكَ حِينَ حَقَرْتَ حَقَّ الْجَوَارِ . وَأَلَحَّتْ بِنَفْسِكَ أَلَمَارُ .
وَجَاوَزْتَ بِمَوْتِكَ حَدَّ الْإِنْصَافِ . وَسَطَوْتَ عَلَى الطُّبَّاءِ الضُّعَافِ .
فَكَيْفَ وَجَدْتَ طَعْمَ مُخَالَفَةِ الصَّدِيقِ النَّاصِحِ . قَالَتْ أَلْبُوءُ : وَجَدْتُهُ
مُرًّا الْمَذَانِ . وَلَمَّا عَلِمْتُ أَلْبُوءُ أَنَّ ذَلِكَ بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهَا مِنْ ظُلْمِ
الْوُحُوشِ رَجَعَتْ عَنْ صَيْدِهَا وَرَمَتْ نَفْسَهَا بِاللُّومِ . وَصَارَتْ تَقْنَعُ
بِأَكْلِ النَّبَاتِ وَحَشِيشِ الْفَلَوَاتِ (بستان الاذهان للشبراوي)

ساعة

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ يَمْنَعُهُ التَّفَكُّرُ فِي مُسْتَقْبَلِ الْأَمْرِ عَنِ الْإِنْتِفَاعِ بِالْحَاضِرِ
٨٢ حِكْمِي أَنْ سَاعَةً قَدِيمَةً كَانَتْ تَرْكُوزَةً فِي مَطْعَمِ أَحَدِ الدَّهَاقَةِ

مُدَّةَ خَمْسِينَ سَنَةً مِنْ دُونِ أَنْ يَدَّوْ مِنْهَا أَدْنَى سَبَبٍ يَكْدِرُهُ . غَيْرَ
أَنَّهَا فِي صَبِيحَةِ ذَاتِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الصَّيْفِ . وَقَفَتْ عَنِ الْحَرَكَةِ قَبْلَ
أَنْ يَسْتَقِظَ أَصْحَابُ الْحُلِّ . فَتَغَيَّرَ مَنْظَرُ وَجْهَيْهَا بِسَبَبِ ذَلِكَ وَدُهِشَ .
وَبَذَلَتْ الْقَارِبُ جُودَهَا وَوَدَّتْ لَوْ تَبَقَّى عَلَى حَالِ سَيْرِهَا الْأَوَّلَى .
وَعَدَّتِ الدَّوَالِبُ عِدْمَةَ الْحَرَكَةِ لِمَا شَمَلَهَا مِنَ التَّعَجُّبِ . وَأَصْبَحَ التَّغَلُّلُ
وَأَقْفًا لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ . وَرَأَتْ كُلُّ آلَةٍ أَنْ تُحِلَّ الذَّنْبَ عَلَى أُخْتِهَا
وَطَفِقَ الْوَجْهَ يَبْحَثُ عَنْ هَذَا الْوُقُوفِ . وَبَيْنَمَا كَانَتِ الدَّوَالِبُ
وَالْقَارِبُ تَبْرِي تَفْسَهَا بِالْيَمِينِ إِذَا بِصَوْتٍ خَفِيِّ يُسْمَعُ مِنَ الدَّفَاقِ
بِأَسْفَلِ السَّاعَةِ يَقُولُ هَكَذَا : إِنِّي أَقْرَأُ عَلَى نَهْيِي بَائِي أَنَا كُنْتُ
عَلَّةَ هَذَا الْوُقُوفِ . وَسَاءَ بَيْنُكُمْ سَبَبَ ذَلِكَ لِسُكُونِكُمْ وَإِقْنَاعِكُمْ
أَجْمَعِينَ . وَالْحَقُّ أَقُولُ إِنِّي مَلِيتُ مِنَ الدَّقِّ . فَلَمَّا سَمِعْتُ السَّاعَةَ
مَقَالَتَهُ كَادَتْ تَتَمَيَّزُ مِنَ الْتَنِيْظِ . وَقَالَ لَهُ الْوَجْهَ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ :
تَبَّأَ لَكَ مِنْ سِلَاقِ ذِي كَسَلٍ . فَأَجَابَهُ الدَّفَاقُ : لَا بَأْسَ بِذَلِكَ يَا سَبْدِي
الْوَجْهَ : لَا جَرَمَ أَنَّكَ تُرْضِيكَ هَذِهِ الْحَالُ . إِذْ قَدْ رَفَعْتَ عَلَى نَفْسِكَ
كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ لَدَى الْجَمِيعِ . وَأَنَّهُ يَسْأَلُ عَلَيْكَ أَنْ تَدْعُو غَيْرَكَ كَمَا لَا
وَتَنْسِبُهُ إِلَى التَّوَانِي . فَإِنَّكَ قَدْ قَضَيْتَ عَمْرَكَ كُلَّهُ بِغَيْرِ شُغْلٍ وَلَمْ
يَكُنْ لَكَ فِيهِ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا التَّخْدِيقُ فِي وَجْهِهِ النَّاسِ وَالْإِنْشِرَاحُ
بِرُؤْيَا مَا يَخْدُثُ فِي الْمَطْبَعِ . أَرَأَيْتَ لَوْ كُنْتَ وَثِلًا فِي مَوْضِعِ ضَرْبِكَ
مُظْلِمٍ كَهَذَا . وَتَحِيْزُ حَيَاتِكَ كُلَّهَا بَيْنَ عَمَلٍ وَذَهَابٍ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ

وَعَامًا بَعْدَ عَامٍ . فَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ : أَوَلَيْسَ فِي مَوْضِعِكَ طَاقَةٌ تَنْظُرُ مِنْهَا . فَقَالَ الدَّقَاقُ : بَلَى . وَلَكِنَّهَا مُظْلِمَةٌ . عَلَى أَنَّهُ وَإِنْ تَكُنْ لِي طَاقَةٌ فَلَا أَتَجَسَّرُ عَلَى اتِّطْلُعِ مِنْهَا . حَيْثُ لَا يُمَكِّنُ لِي الْوُقُوفُ وَلَوْ طَرَفَةً عَيْنٍ . وَالْحَاصِلُ أَنِّي مَلَأْتُ هَذَا الْحَالَ . وَإِنْ أَسْتَرِدَّتْنِي شَرْحًا . فَلَايَ أَخْبِرُكَ بِمَا سَبَّبَ لِي الصَّخْرَ مِنْ شُغْلِي . وَذَلِكَ أَنِّي حَسَبْتُ فِي صَبَاحِ هَذَا الْيَوْمِ كَمِّيَّةَ الْمِرَارِ الَّتِي أَغْدُو وَأَرْوَحُ فِيهَا مُدَّةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً . فَمَظُمَ ذَلِكَ عَلَيَّ . وَقَدْ يُمَكِّنُ تَحْقِيقُ ذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَحَدِ الْجُلُوسِ الَّذِينَ فَوْقُ . فَبَادَرَ عَرَبُ الدَّقَاقِ إِلَى الْعَدَدِ وَقَالَ بَدِيهَا : إِنَّ عِدَّةَ الْمِرَارِ الَّتِي يَتَّبِعِيكَ فِيهَا الْحُجِيُّ وَالذَّهَابُ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ الْوَجِيزَةِ . إِنَّمَا تَبْلُغُ سِتًّا وَثَمَانِينَ أَلْفًا وَأَرْبَعَ مِائَةٍ مَرَّةً . فَقَالَ الدَّقَاقُ : هُوَ هَكَذَا . فَهَلْ (وَالْحَالَةُ هَذِهِ وَقَصَّتِي قَدْ رُفِعَتْ لَكُمْ) يُحَالُ أَنْ تُجَرِّدَ التَّفَكُّرَ فِي هَذَا الْعَمَلِ لَا يُوجِبُ عَنَاءٌ وَتَعَبًا لِمَنْ يُعَانِيهِ . عَلَى أَنِّي حِينَ شَرَعْتُ فِي ضَرْبِ دَقَاقِ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي مُسْتَقْبَلِ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ زَالَتْ مِنِّي قُوَّتِي وَوَهْنٌ عَظِيمٌ وَعَزَمِي . وَمَا ذَلِكَ بِغَرِيبٍ . وَبَعْدَ تَحْيَلَاتٍ شَتَّى عَمَدْتُ إِلَى الْوُقُوفِ كَمَا تَرَوْنِي . فَكَادَ الْوَجْهُ فِي أَمْنَاءِ هَذِهِ أَلْكَ كَالْمَةِ أَنْ لَا يَتِمَّ لَكَ عَنْهُ . وَلَكِنَّهُ كَهَلْمِ غَيْظُهُ وَخَاطَبُهُ بِحِلْمٍ وَقَالَ : يَا سَيِّدِي الدَّقَاقُ أَلَمْ يَزِدْنِي لِقَائِي تَعَجُّبَ عَظِيمٍ مِنْ أَنْعَالِ بَخْسِ فَاضِلِ تَطْيِيرِكَ لِأَمْسَلِ هَذِهِ الْوَسَاوِسِ بَقِيَّةً . نَعَمْ إِنَّكَ وَلَيْتَ فِي عُمْرِكَ أَعْمَالًا جَسِيَّةً كَمَا عَمَلْنَا نَحْنُ كُلُّنَا أَيْضًا . وَإِنَّ

التَّفَكُّرُ فِي هَذِهِ الْأَشْغَالِ وَحْدَهُ يُوجِبُ الْعَنَاءَ غَيْرَ أَنِّي أَظُنُّ مُبَاشَرَتَهَا
 لَيْسَتْ كَذَلِكَ . فَأَتَمَسَّ مِنْكَ أَنْ تُسَدِّيَ إِلَيَّ مَرْوَفَكَ بِأَنْ تَدُقَّ
 الْأَنْبَسَتْ دَقَّاتٍ لِتُشْفِعَ بِسَدَاقٍ مَا قُلْتَ . فَرَضِي الدَّقَّاقُ بِهَذَا وَدَقَّ
 سِتَّ دَقَّاتٍ جَرِيًّا عَلَى عَادَتِهِ . فَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ حَيَّاكَ نَاشِدُكَ اللَّهُ
 هَلْ أَبَدِي لَكَ مَا بَاشَرْتَهُ الْأَنْبَسَتْ نَصَبًا وَتَعَبًا . فَقَالَ الدَّقَّاقُ : كَلَّا فَإِنَّ
 مَلِّي وَتَضْجُرِي لَمْ يَلْشَأَنَّ سِتَّ دَقَّاتٍ . وَلَا عَنْ سِتِّينَ دَقَّةً . بَلْ عَنْ
 الْوُفِّ وَالْوُفِّ الْوُفِّ . فَقَالَ لَهُ الْوَجْهُ : صَدَقْتَ . وَلَكِنَّهُ يُدْبِي لَكَ أَنْ
 تَعْلَمَ هَذَا الْأَمْرَ الضَّرُورِيَّ . وَهُوَ أَنَّكَ حِينَ تَتَكَّرُ فِي هَذِهِ الْأَلُوفِ
 بِحِظَّةٍ وَاحِدَةٍ . فَإِنَّ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكَ مِنْهَا إِنَّمَا هُوَ مُبَاشَرَةٌ دَقَّةٍ
 وَاحِدَةٍ لِأَعْيُنٍ . ثُمَّ تَهْمَا كَرَمَكَ بَعْدَهُ مِنَ الدَّقِّ يَفْتَحُ اللَّهُ لَكَ فِي أَجَلٍ
 لِإِتْمَامِهِ فَقَالَ الدَّقَّاقُ : أَشْهَدُ أَنَّ كَلَامَكَ هَذَا حَالِكٌ فِيَّ وَأَمَّا أَنِي .
 فَقَالَ الْوَجْهُ : عَسَى بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ تُؤَدَّ بِأَجْمَعِنَا إِلَى مَا كُنَّا عَلَيْهِ مِنْ
 الْعَمَلِ . لِأَنَّا إِذَا بَقِينَا كَذَلِكَ يَظَلُّ أَهْلُ الْمَنْزِلِ مُسْتَعْرِقِينَ فِي النَّوْمِ
 إِلَى الظُّهْرِ . ثُمَّ إِنَّ الْأَنْفَالَ آتَتْ لَمْ تَكُنْ وَصِفَتْ قَطُّ بِالْحِفَّةِ مَا بَرَحَتْ
 تُغْرِي الدَّقَّاقَ عَلَى الشُّغْلِ حَتَّى أَخَذَ فِي مُبَاشَرَةِ خِدْمَتِهِ حَتَّى كَانَ .
 وَحِينَئِذٍ شَرَعَتْ الدَّوَالِبُ فِي الدَّوَرَانِ . وَطَفِقَتْ الْقَارِبُ تَسِيرُ . حَتَّى
 إِذَا طَوَّرَ شُعَاعُ الشَّمْسِ فِي الْمَطْبُخِ الْمُتَلَقِّ مِنْ كَوْنِهِ فِيهِ أَمْتًا الْوَجْهُ
 ضِيَاءً وَانْجَلَى نَمِيصُهُ . كَانَ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ . فَأَمَّا صَاحِبُ الْمَنْزِلِ
 فَلَمَّا نَزَلَ إِلَى الْمَطْبُخِ لِيُقَطِّرَ فِيهِ . نَظَرَ إِلَى السَّاعَةِ الْمُرْكُوزَةِ فَقَالَ : إِنَّ

السَّاعَةِ الَّتِي بِحَيْثِي تَأَخَّرْتُ فِي السَّيْرِ لَيْلًا بِتَحْوِيلَيْنِ دَقِيقَةٍ
قَدْ دُعِيتُ

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ يَطْلُبُ الْحَاجَةَ فَإِذَا ظَهَرَ بِهَا أَضَاعَهَا
٨٣ زَعَمُوا أَنَّ تَرْدًا يُقَالُ لَهُ مَا هَرُ كَانَ مَلِكُ الْقِرْدَةِ وَكَانَ قَدْ كَبِرَ
وَعَرِمَ . فَوُتِبَ عَلَيْهِ قِرْدٌ شَابٌّ مِنْ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ فَتَنَّبَ عَلَيْهِ وَآخَذَ
مَكَانَهُ . فَخَرَجَ هَارِبًا عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أَتَى إِلَى السَّاحِلِ . فَوَجَدَ شَجَرَةً
بَيْنَ فَارَتْنِي إِلَيْهَا وَاتَّخَذَهَا لَهُ مَقَامًا . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ يَأْكُلُ مِنْ
ثَمَرِهَا . إِذْ سَمِعَتْ مِنْ يَدِهِ تَبَنُّهُ فِي الْمَاءِ فَسَمِعَ لَهَا صَوْتًا وَإِتَاعًا . فَعَجَلَ
يَأْكُلُ وَيَدْرِي فِي الْمَاءِ فَأَعْرَبَهُ ذَلِكَ فَاكْتَرَمَ مِنْ تَطَرُّيحِ الْتَيْنِ فِيهِ . وَكَانَ
ثُمَّ غَلِمَ كُلَّمَا وَفَعَتْ تَبَنُّهُ أَكْثَمًا . فَلَمَّا كَثُرَ ذَلِكَ ظَنَّ أَنَّ الْقِرْدَ إِنَّمَا
يَفْعَلُ ذَلِكَ لِأَجْلِهِ فَرَعَبَ فِي مُصَادَقَتِهِ وَأَنَسَ إِلَيْهِ وَكَلَّمَهُ . وَأَلْفَ
كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ . وَطَالَاتِ غَيْبَةُ الْقَلِيمِ عَلَى زَوْجَتِهِ . فَحْزِنَتْ
عَلَيْهِ وَشَكَّتْ ذَلِكَ إِلَى جَارَةٍ لَهَا وَقَالَتْ : قَدْ خِفْتُ أَنْ يَكُونَ عَرَضَ
لَهُ عَارِضٌ سَوَاءٌ فَأَعْتَالَهُ . فَقَالَتْ لَهَا : إِنَّ زَوْجَكَ بِالسَّاحِلِ قَدْ أَلْفَ
قِرْدًا وَأَتَمَّهُ الْقِرْدُ . فَهُوَ مُؤَاكَلُهُ وَمُشَارِبُهُ وَمُجَالِسُهُ . ثُمَّ إِنَّ الْقَلِيمَ انْطَلَقَ
بَعْدَ مُدَّةٍ إِلَى مَنْزِلِهِ . فَوَجَدَ زَوْجَتَهُ سَيِّئَةً الْحَالِ مَهْمُومَةً . فَقَالَ لَهَا :
مَا لِي أَرَاكِ هَكَذَا فَأَبَا بَتَهُ جَارَتُهَا : إِنَّ فَرِيئَتَكَ مَرِيضَةٌ مُسَكِّنَةٌ . وَقَدْ
وَصَفَتْ لَهَا الْأَطِبَّاءُ قَلْبَ قِرْدٍ وَلَيْسَ لَهَا دَوَاءٌ سِوَاهُ . فَقَالَ : هَذَا أَمْرٌ
عَسِيرٌ مِنْ أَيْنَ لَنَا قَلْبُ قِرْدٍ وَنَحْنُ فِي الْمَاءِ وَلَكِنْ سَأَشَاوِرُ صَدِيقِي . ثُمَّ

أَنْطَلِقَ إِلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَقَالَ لَهُ الْقِرْدُ : يَا أَخِي مَا حَبَسَكَ عَنِّي . قَالَ
 لَهُ الْقَيْلَمُ : مَا تُبْطِنِي عَنْكَ إِلَّا حَيَاتِي . كَيْفَ أَجَارِيكَ عَلَى إِحْسَانِكَ
 إِلَيَّ وَإِنَّمَا أُرِيدُ الْآنَ أَنْ تُنِمْ هَذَا الْإِحْسَانَ بِزِيَارَتِكَ لِي فِي مَتْرِي .
 فَأَنِي سَاكِنٌ فِي جَزِيرَةٍ طَلِيَّةٍ الْفَاكِهَةِ كَثِيرَةِ الْأَنْمَارِ . فَأَرْكَبُ ظَهْرِي
 لِأَسْبَحَ بِكَ . فَرِغَ الْقِرْدُ فِي ذَلِكَ وَزَلَّ فَأَمْتَعَى مَطَا الْقَيْلَمِ . حَتَّى
 إِذَا سَبَحَ بِهِ مَا سَبَحَ عَرَضَ لَهُ فَجَعٌ مَا أَصْحَرَ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْقَدْرِ فَكَسَّ
 رَأْسَهُ . وَقَالَ لَهُ الْقِرْدُ : مَا لِي أَرَاكَ مُهْتَمًّا . فَقَالَ الْقَيْلَمُ : إِنَّمَا هُمَي
 لِأَنِّي ذَكَرْتُ أَنَّ قَرِيبَتِي شَدِيدَةُ الْمَرَضِ . وَذَلِكَ يُمْعِنِي عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا
 أُرِيدُ أَنْ أَبْلُغَكَ مِنَ الْأَكْرَامِ وَالْإِلْطَافِ . قَالَ الْقِرْدُ : إِنْ الَّذِي
 اعْتَمَدُ مِنْ جِرْصِكَ عَلَى كَرَامَتِي يَكْفِيكَ مَوُونَةُ التَّكْلِيفِ . قَالَ الْقَيْلَمُ :
 أَجَلُ . وَمَضَى بِالْقِرْدِ سَاعَةً ثُمَّ تَوَقَّفَ بِهِ ثَانِيَةً . فَنَسَاءَ ظَنُّ الْقِرْدِ وَقَالَ
 فِي نَفْسِهِ : مَا أَحْتَبَسُ الْقَيْلَمُ وَبُطُوهُ إِلَّا لِأَمْرٍ . وَلَسْتُ آمِنًا أَنْ يَكُونَ
 قَلْبُهُ قَدْ تَمَرَّعَ عَلَيَّ وَحَالَ عَنْ مَوَدَّتِي فَأَرَادَ بِي سُوءًا . فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَخْفَ
 وَأَسْرَعَ تَقَلُّبًا مِنَ الْقَلْبِ . وَبَيَّنَّ لِلْعَاقِلِ أَنْ لَا يَنْفُلَ عَنِ التَّمَاسِ
 مَا فِي نَفْسِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَإِخْوَانِهِ وَصَدِيقِهِ عِنْدَ كُلِّ أَمْرٍ وَفِي كُلِّ
 لَحْظَةٍ وَكَلِمَةٍ . وَعِنْدَ الْقِيَامِ وَالْقُعُودِ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ . وَإِنَّهُ إِذَا دَخَلَ
 وَابَّ الصَّدِيقِ مِنْ صَدِيقِهِ رِيَّةً . فَلْيَأْخُذْ بِالْحَزْمِ فِي التَّخَفُّظِ مِنْهُ وَيَتَّقِ
 ذَلِكَ فِي لَحْظَاتِهِ وَحَالَاتِهِ . فَإِنْ كَانَ مَا يَنْظُرُ حَقًّا ظَهَرَ بِالسَّلَامَةِ .
 وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا ظَهَرَ بِالْحَزْمِ وَلَمْ يَضُرَّهُ . ثُمَّ قَالَ الْقَيْلَمُ : مَا الَّذِي

يَحْسُبُكَ . وَمَا لِي أَرَاكَ مُتَمِّمًا كَأَنَّكَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مَرَّةً أُخْرَى .
 قَالَ : يَهْمُنِي أَنَّكَ تَأْتِي مَنَزِلِي فَلَا تُنْفِي أَمْرِي كَمَا أُحِبُّ لِأَنَّ زَوْجَتِي
 مَرِيضَةٌ . قَالَ الْفَرْدُ : لَا تَهْتَمَّ . فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا . وَلَكِنْ
 اتَّكِسْ مَا يُصْلِحُ زَوْجَتَكَ مِنَ الْأَدْوِيَةِ وَالْأَغْذِيَةِ . فَإِنَّهُ يُقَالُ :
 يَبْذُلُ ذُو الْمَالِ مَالَهُ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ : فِي الصَّدَقَةِ . وَفِي وَقْتِ الْحَاجَةِ .
 وَعَلَى الزَّوْجَةِ . قَالَ الْغَلِيمُ : صَدَقْتَ . وَإِنَّمَا قَاتِ الْأَطِبَّاءَ : إِنَّهُ لَا دَوَاءَ
 لَهَا إِلَّا قَلْبُ قَرْدٍ . فَقَالَ الْفَرْدُ فِي نَفْسِهِ : رَأْسُوءُ تَاهُ لَقَدْ أَدْرَكَنِي الْحِرْصُ
 وَالشَّرُّ عَلَى كِبَرِيَّتِي حَتَّى وَقَعْتُ فِي شَرِّ مُورَطٍ . وَلَقَدْ صَدَّقَ الَّذِي
 قَالَ : يَعْيشُ الْتَانِغُ الرَّاغِبِي مُسْتَرْبِحًا مُطْمَئِنًّا . وَذُو الْحِرْصِ وَالشَّرِّ
 يَعْيشُ مَا عَاشَ فِي تَعَبٍ وَنَصَبٍ . وَإِنِّي قَدْ اخْتَبْتُ الْآنَ إِلَى عَقْلِي فِي
 اتَّكِاسِ الْخُرْجِ مِمَّا وَقَعْتُ فِيهِ . ثُمَّ قَالَ الْغَلِيمُ : وَمَا مَنَعَكَ أَنْ تَذَلَّنِي
 حَتَّى كُنْتُ أَجْمَلُ قَلْبِي مَعِي . وَهَذِهِ سُنَّةٌ فِينَا مَعَاشِرَ الْفَرْدَةِ إِذَا خَرَجَ
 أَحَدُنَا لِرِيَادَةِ صَدِيقٍ لَهُ خَلَفَ قَلْبُهُ عِنْدَ أَهْلِهِ أَوْ فِي مَوْضِعِهِ . لِنَنْظُرَ
 إِذَا نَظَرْنَا إِلَى حُرْمِ الْمُرُورِ وَمَا قُلُوبُنَا مَعَنَا . قَالَ الْغَلِيمُ : وَأَيْنَ قَلْبُكَ
 الْآنَ . قَالَ : خَلَفَتْهُ فِي الشَّجَرَةِ فَإِنْ شِئْتَ فَارْجِعْ بِي إِلَيْهَا حَتَّى آتِيكَ
 بِهِ . فَضَرَحَ الْغَلِيمُ بِذَلِكَ وَرَجَعَ بِالْفَرْدِ إِلَى مَكَانِهِ . فَلَمَّا قَارَبَ
 السَّاحِلَ وَتَبَّ الْفَرْدُ عَنْ ظَهْرِهِ فَارْتَقَى الشَّجَرَةَ . فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَى الْغَلِيمِ
 نَادَاهُ يَا حَلِيلِي أَجْمَلُ قَلْبِكَ وَأَنْزَلَ فَقَدْ عَثَمَنِي . فَقَالَ الْفَرْدُ . هِيَاتِ
 وَلَكِنَّكَ أَحْتَلْتَ عَلَيَّ وَخَدَعْتَنِي فَخَدَعْتُكَ بِمِثْلِ خَدِيعَتِكَ . وَأَسْتَدْرَكْتُ

فَارْطَأْمَرِي . وَقَدْ قِيلَ : الَّذِي يُفْسِدُهُ الْجَلْمُ . لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْعِلْمُ . قَالَ
الْغَنَائِمُ : صَدَقْتَ . إِلَّا أَنَّ الرَّجُلَ الصَّالِحَ يَعْتَرِفُ بِذَلَّتِهِ . وَإِذَا أَذْنَبَ
ذَنْبًا لَمْ يَسْتَعِجْ أَنْ يُؤَدَّبَ . وَإِنْ وَقَعَ فِي وَرْطَةٍ أَمَكَّنَهُ اتِّخْلَصُ مِنْهَا .
كَالرَّجُلِ الَّذِي يَمْتُرُ عَلَى الْأَرْضِ وَعَلَى الْأَرْضِ يَنْهَضُ وَيَتَمَدَّدُ . فَهَذَا
مَثَلُ الرَّجُلِ الَّذِي يَطْلُبُ الْحَاجَةَ فَإِذَا ظَفِرَ بِهَا أَضَاعَهَا (كَلِيلِهِ وَدَمْنِهِ)

الضبعة والرجل

٨٤ قَالَ الْمَدَائِنِيُّ : خَرَجَ فِتْيَانٌ فِي صَيْدٍ لَهُمْ . فَأَتَاوُوا ضَبَّةً فَفَقَرَتْ
وَمَرَّتْ فَأَتَبَعُوهَا . فَجَاءَتْ إِلَى بَيْتِ رَجُلٍ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بِالسِّيفِ مَسْلُولا .
فَقَالُوا لَهُ : يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَمْنَعُنَا مِنْ صَيْدِنَا . فَقَالَ : إِنَّهَا اسْتَجَارَتْ بِي
فَحَنَلُوا بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ . فَظَنَرُ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ مَهْرُولَةٌ مُضْرُورَةٌ . فَجَعَلَ يَسْقِيهَا
الْأَبْنُ صَبْرًا وَمَقِيلًا وَغَبُوهَ حَتَّى سَمِنَتْ وَحَسُنَتْ حَالُهَا . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ
يَوْمٍ رَاقِدًا عَدَتْ عَلَيْهِ فَشَقَّتْ بَطْنَهُ وَشَرِبَتْ دَمَهُ . فَقَالَ ابْنُ عَمٍّ لَهُ :
وَمَنْ يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يُلَاقِي الَّذِي لَا قِيَّ مُجِيرُ أُمَّ عَامِرٍ
أَعَدَّ لَهَا لَمَّا اسْتَجَارَتْ بِقُرْبِهِ مَعَ الْأَمْنِ الْبَلَانَ الْفَلَّاحِ الدَّرَارِي
فَأَشْبَهَهَا حَتَّى إِذَا مَاتَتْ كُنَتْ قُرْبُهُ بِأَنْيَابِهَا وَأَظْلاَفِ
قُلِّ لِدَوِيِّ الْمَعْرُوفِ هَذَا جَزَاءُ مَنْ يُوجِّهُ مَعْرُوفًا إِلَى غَيْرِ شَاكِرٍ

اسد وذئب وقراب وابن آوى وجل

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ يُعَاشِرُ مَنْ لَا يُشَارِكُهُ حَتَّى يَهْلِكَ نَفْسُهُ

٨٥ زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَجْمَةٍ مُجَاوِرًا لِأَحَدِ الطَّرِيقِ الْمَسْلُوكَةِ . وَكَانَ

لَهُ أَصْحَابُ ثَلَاثَةٌ : ذِئْبٌ وَغُرَابٌ وَابْنُ آوَى . وَإِنْ رُعَاةَ مَرَوْا بِذَلِكَ
الطَّرِيقِ وَمَعَهُمْ جَمَالٌ . فَتَخَفَ مِنْهَا جَمَلٌ قَدْ خَلَّ ثَلَاثُ الْأَجْمَةِ حَتَّى أَتَتْهُ
إِلَى الْأَسَدِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو فِرَاسٍ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ . قَالَ : مِنْ مَوْضِعٍ
كَذَا . قَالَ : فَمَا حَاجَتُكَ . قَالَ : مَا يَأْمُرُنِي بِهِ الْمَلِكُ . قَالَ : يُقِيمُ
عِنْدَنَا فِي السَّعَةِ وَالْأَمْنِ وَالْخِصْبِ . فَلَبِثَ عِنْدَهُ زَمَانًا طَوِيلًا ثُمَّ إِنَّ
الْأَسَدَ مَضَى فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ لِيَطْلُبَ الصَّيْدَ فَلَقِيَ فِيلًا عَظِيمًا . فَقَاتَلَهُ
قِتَالًا شَدِيدًا وَأَفْلَتَ مِنْهُ مُثْقَلًا مُثْقَنًا بِالْجِرَاحِ يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ . وَقَدْ
أَنْشَبَ الْفِيلُ فِيهِ أَنْيَابَهُ . فَلَمْ يَكْدُ يَصِلُ إِلَى مَكَانِهِ . حَتَّى رَزَحَ لَا
يَسْتَطِيعُ جَرَّ أَكَاوُحِهِمْ طَلَبَ الصَّيْدِ . فَلَبِثَ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى
أَيَّامًا لَا يَجِدُونَ طَعَامًا . لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنْ فَضَلَاتِ الْأَسَدِ
وَقَوَاضِيهِ . فَأَجْهَدَهُمُ الْجُوعُ وَالْهَزَالُ . وَعَرَفَ الْأَسَدُ ذَلِكَ مِنْهُمْ
فَقَالَ : لَقَدْ جُهِدْتُمْ وَأَخِجْتُمْ إِلَى مَا تَأْكُلُونَ . فَقَالُوا : إِنَّهُ لَا يُهْمُنَا
أَنْفُسُنَا . لَكِنَّا نَرَى الْمَلِكََ عَلَى مَا تَرَاهُ فَلَقِينَا نَجِدُ مَا يَأْكُلُهُ وَيَصْلُحُ بِهِ . قَالَ
الْأَسَدُ : مَا أَشْكُ فِي نَصِيحَتِكُمْ . وَلَكِنْ أَنْتَبِهُوا لِعَمَلِكُمْ تُصِيدُونَ
صَيْدًا فَأَكْسِبُكُمْ وَنَفْسِي مِنْهُ . فَخَرَجَ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى
مِنْ عِنْدِ الْأَسَدِ . فَتَحَنُّوا نَاحِيَةً وَأَثْمَرُوا فِيهَا بَيْنَهُمْ وَقَالُوا . مَا لَنَا وَهَذَا
الْأَكْلُ الْمَشْبَبُ الَّذِي لَيْسَ شَأْنُهُ مِنْ شَأْنِنَا . وَلَا رَأْيُهُ مِنْ رَأْيِنَا .
أَلَا تُزِينُ لِلْأَسَدِ فَيَأْكُلُهُ وَيُطْعِمُنَا مِنْ لَحْمِهِ . قَالَ ابْنُ آوَى : هَذَا مِمَّا
لَا نَسْتَطِيعُ ذِكْرَهُ لِلْأَسَدِ . لِأَنَّهُ قَدْ آمَنَ الْجَمَلُ وَجَعَلَ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ .

قَالَ الْغُرَابُ : أَنَا أَكْفِيكُمْ الْأَسَدَ . ثُمَّ انْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ فَقَالَ
 لَهُ : هَلْ أَصَبْتُمْ شَيْئًا . قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّمَا يُصِيبُ مَنْ يَسْعَى وَيُبْصِرُ .
 وَنَحْنُ فَلَا سَعْيَ لَنَا وَلَا بَصَرَ لِمَا بَيْنَ الْجُوعِ . وَلَكِنْ قَدْ وَفَّقَنَا لِرَأْيِ
 وَاجْتِمَاعِهِ عَلَيْهِ . فَإِنْ وَافَقَنَا الْمَلِكُ فَتَحْنُ لَهُ مُجِبُونَ . قَالَ الْأَسَدُ : وَمَا
 ذَلِكَ . قَالَ الْغُرَابُ : هَذَا الْجَمَلُ أَكَلُ الشَّجَرِ الْمَتَرِغَ بَيْنَتَيْنِ غَيْرِ
 مَنْفَعَةٍ لِنَا مِنْهُ وَلَا رَدَّ عَائِدَةٍ . وَلَا عَمَلٍ يَنْتَبِهُ فَضْلُهُ . فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ
 ذَلِكَ ، غَضِبَ وَقَالَ : مَا أَخْطَأَ رَأْيُكَ . وَمَا أَنْجَزَ مَقَالُكَ وَأَبَدَكَ مِنَ
 الْوَفَاءِ وَالرَّحْمَةِ . وَمَا كُنْتُ حَقِيقًا أَنْ تَجْتَرِيَ عَلَى يَهْدِهِ الْمَقَالَةُ
 وَتَسْتَقْبِلَنِي بِهَذَا الْخُطَابِ . مَعَمَا عَلِمْتُ أَنِّي قَدْ أَمَنْتُ الْجَمَلَ وَجَعَلْتُ
 لَهُ مِنْ ذِمَّتِي . أَوْ لَمْ يَلْنُكَ أَنَّهُ لَمْ يَتَصَدَّقْ مُتَصَدِّقٌ بِصَدَقَةٍ هِيَ أَعْظَمُ
 أَجْرًا مِنْ أَمْنِ نَفْسًا خَائِفًا وَحَقْنًا دَمًا مَهْدُورًا . وَقَدْ أَمَنْتَهُ وَأَسْتُ
 بِالْعَادِرِ بِهِ . قَالَ الْغُرَابُ : إِنِّي لَأَعْرِفُ مَا يَقُولُ الْمَلِكُ . وَلَكِنْ أَلْتَمِسُ
 الْوَاحِدَةَ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْيَتَمِ . وَأَهْلُ الْيَتَمِ يُفْتَدَى بِهِمُ الْقَبِيلَةُ .
 وَالْقَبِيلَةُ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْمِصْرِ . وَأَهْلُ الْمِصْرِ فِدَى الْمَلِكِ . وَقَدْ تَرَأْتُ
 بِالْمَلِكِ الْحَاجَةَ . وَأَنَا أَجْعَلُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ مَخْرَجًا عَلَى أَنْ لَا يَتَكَلَّفَ ذَلِكَ
 وَلَا يَلِيَهُ نَفْسِهِ وَلَا يَأْمُرُ بِهِ أَحَدًا . وَلَكِنَّا نَحْتَمِلُ عَلَيْهِ بِحِيلَةٍ لَنَا وَلِلْمَلِكِ
 فِيهَا صَلَاحٌ وَظَهْرٌ . فَسَكَتَ الْأَسَدُ عَنْ جَوَابِ الْغُرَابِ عَنْ هَذَا الْخُطَابِ .
 فَلَمَّا عَرَفَ الْغُرَابُ إِقْرَارَ الْأَسَدِ أَتَى أَصْحَابَهُ وَقَالَ لَهُمْ : قَدْ كَلَّمْتُ
 الْأَسَدَ فِي أَكْلِهِ الْجَمَلَ : عَلَى أَنْ يُجْتَمِعَ نَحْنُ وَالْجَمَلُ لَدَى حَضَرَتِهِ .

فَذَكَرَ مَا أَصَابَهُ وَتَوَجَّعَ لَهُ أَهْتِمَامًا مِنْهُ بِأَمْرِهِ وَجِرْصًا عَلَى صَلَاحِهِ .
وَيَعْرِضُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُ نَفْسَهُ عَلَيْهِ . فَيَرُدُّهُ الْآخَرَانِ وَيُسِفُهُ رَأْيُهُ
وَيُبَيِّنُ الضَّرَرَ فِي أَكْبَاهِهِ . فَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ سَلِمْنَا كُلُّنَا وَرَضِيَ الْأَسَدُ
عَنَّا فَعَمَلُوا ذَلِكَ وَتَقَدَّمُوا إِلَى الْأَسَدِ فَقَالَ الْغُرَابُ : قَدْ اخْتَجْتُ أَيُّهَا
الْمَلِكُ إِلَى مَا يُقْوِيكَ . وَتَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَهْبَ أَنْفُسَنَا لَكَ إِنَّا بِكَ نَعِيشُ .
فَإِذَا هَلَكْتَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَّا بَنَاءٌ بَعْدَكَ . وَلَا لَنَا فِي الْحَيَاةِ مِنْ خَيْرٍ .
فَلْيَا كُنْزِي الْمَلِكُ قَدْ طِبْتُ بِذَلِكَ نَفْسًا . فَأَجَابَهُ الذِّبُّ وَابْنُ آوَى
أَنْ : أَسْكُتْ . فَلَا خَيْرَ لِلْمَلِكِ فِي أَكْلِكَ وَلَيْسَ فِيكَ شَيْعٌ . قَالَ ابْنُ
آوَى : لَكِنْ أَنَا أَشَيْعُ الْمَلِكِ . فَلْيَا كُنْزِي قَدْ رَضِيتُ بِذَلِكَ وَطِبْتُ
عَنْهُ نَفْسًا . فَرَدَّ عَلَيْهِ الذِّبُّ وَالْغُرَابُ يَقُولُهُمَا لَهُ : إِنَّكَ مُنْتَقِنٌ قَدِيرٌ . قَالَ
الذِّبُّ : أَنَا لَسْتُ كَعَذَلِكَ . فَلْيَا كُنْزِي الْمَلِكُ عَنْ طِيبِ نَفْسِي مِنِّي
وَبِإِخْلَاصِ طَوِيَّةٍ . فَأَعْرَضَهُ الْغُرَابُ وَابْنُ آوَى وَقَالَا : قَدْ قَالَتْ
الْأَطِبَاءُ : مَنْ أَرَادَ قَتْلَ نَفْسِهِ . فَلْيَا كُلْ لَحْمَ ذِئْبٍ . فَظَنَّ الْجَمَلُ أَنَّهُ
إِذَا عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الْأَكْلِ اتَّسَمُوا لَهُ عِذْرًا كَمَا اتَّسَمَ بَعْضُهُمْ
لِبَعْضٍ قَبْلَ سَلْمِهِ وَرَضَى عَنْهُ الْأَسَدُ . فَقَالَ : لَكِنْ أَنَا فِي الْمَلِكِ شَيْعٌ
وَرِيٌّ . وَلَحْيِي طِيبٌ هَنِيٌّ وَبَطْنِي نَظِيفٌ . فَلْيَا كُنْزِي الْمَلِكُ وَيُطْعِمُ
أَصْحَابَهُ وَحَشْمَهُ . قَدْ سَخَتْ بِذَلِكَ طَوْعًا وَرِضًا . فَقَالَ الذِّبُّ
وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى : لَقَدْ صَدَقَ الْجَمَلُ وَتَكْرَمَ وَقَالَ مَا دَرَى . ثُمَّ
إِنَّمَا وَثَبُوا عَلَيْهِ وَزَقُّوهُ

(كَلِيلُهُ وَدَمْنُهُ)

للجدي السالم والذئب النادم

٨٦ حكي أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ أَلْيَاسِ لِذئْبٍ وَجَارٌ . وَأَهْلٌ وَجَارٌ .
فَخَرَجَ يَوْمًا لِيَطْلُبَ صَيْدًا . وَنَصَبَ لِذَلِكَ شَبَاكَ الْكَيْدِ . وَصَادَ يَجُولُ
وَيَصُولُ . وَلَا يَقَعُ عَلَى مَحْصُولٍ . فَأَثَرَ فِيهِ الْجُوعُ وَاللُّغُوبُ . وَأَذْنَتْ
الْشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ . فَصَادَفَ بَعْضَ الرُّعْيَانِ . يَسُوقُ قِطْعًا مِنَ الصَّانِ .
وَفِيهَا بَعْضُ جَدْيَانِ . فَهَمَّ عَلَيْهَا إِشْدَادُ الْجُوعِ بِالْهُجُومِ . ثُمَّ أَدْرَكَهُ مِنْ
خَوْفِ الرَّاعِي الْوُجُومُ . لِأَنَّهُ كَانَ مُتَمَيِّظًا . وَمِنَ الذَّئْبِ عَلَى مَا شِئَتْهُ
مُتَحَفِّظًا . فَجَعَلَ يَرِاقِبُهُ مِنْ بَعِيدٍ . وَالْحَرْصُ وَالشَّرُّ يَزِيدُ . وَالرَّاعِي
سَانِقٌ . وَلِلذَّئْبِ عَاتِقٌ . فَتَخَلَّفَ جَدْيٌ غَيٌّ . غَمَلَ عَنْهُ الرَّاعِي الذَّكِيُّ .
فَأَدْرَكَهُ الذَّئْبُ الشَّيْطُ . وَأَقْطَعَهُ بِأَمَلٍ بَسِيطٍ . وَبَشَّرَ نَفْسَهُ بِالظَّفَرِ .
وَطَارَ بِالْفَرَحِ وَاسْتَبَشَرَ . فَلَمَّا رَأَى الْجَدْيُ الذَّئْبَ . عَلِمَ أَنَّهُ أَصِيبَ
بِیَوْمٍ عَصِيبٍ . وَظَفَرُ قَصَابِ الْبِلَادِ مِنْ قَضِيهِ بِأَوْفَرِ نَصِيبٍ . فَتَدَارَكَ
نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ . وَاسْتَخْضَرَ حِيلَةَ جَاشِهِ وَحَدْسِهِ . وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يُنْجِيهِ مِنْ
تِلْكَ الْوَرَطَةِ الْوَبِيلَةِ . إِلَّا أَمْعِثَ الْحِدَاعَ وَالْحِيلَةَ . وَأَذْكُرَهُ مُذَكِّرُ الْخَطِيرِ .
مَا قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَكِنْ أَخُو الْحَزْمِ الَّذِي لَيْسَ نَازِلًا بِهِ الْخُطْبُ إِلَّا وَهُوَ لِلْقَصْدِ مُبْصِرُ
فَتَمَدَّمَ بِجَاشِ صَلِيبٍ . وَقَبْلَ الْأَرْضِ بَيْنَ يَدَيِ الذَّئْبِ . وَقَالَ لَهُ مُجِبُكَ
الرَّاعِي . لِحَنَاتِكَ دَلِمِي . يُسَلِّمُ عَلَيْكَ . وَقَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ . بِشُكْرِ
صَدَاقَتِكَ وَشَفَقَتِكَ . وَحِسْمَتِكَ وَمُرَاقَبَتِكَ . وَيَقُولُ قَدْ تَرَكْتُ يَحْسَنُ

إِبَائِكَ . عَادَةَ أَجْدَادِكَ وَإِبَائِكَ . فَلَمْ تَتَعَرَّضْ لِمَوَاشِيهِ . وَحَفِظْتَ
 بِنَظَرِكَ ضِعَافَ حَوَاشِيهِ . وَقَدْ حَصَلَ لِحِمَائِهَا الشَّيْعُ . وَأَمِنْتَ بِجِوَارِكَ
 الْجُوعَ وَالْقُرْعَ . وَحَصَلَ الْآمَنُ مِنَ الْجُرْعِ . فَسَيَحْمِلُ جِوَارَكَ وَغِيَاضَكَ
 أَحْسَنَ مُسْتَجِمٍ . لِأَنَّ ضِعَافَ مَا شِئْتَهُ شَبِعَتْ وَرَوِيَتْ . وَأَتَمَّشَتْ
 وَقَوِيَتْ . فَأَرَادَ مُكَافَأَتَكَ . وَطَلَبَ مُصَادَقَتَكَ وَمَصَافَاكَ . فَأَرْسَلَنِي
 إِلَيْكَ لِتَأْكُلَنِي . وَأَوْصَانِي أَنْ أَطْرِبَكَ بِمَا أَذْنِي . فَلِئَنِّي حَسَنُ
 الصَّوْتِ فِي الْغَنَاءِ . وَصَوْتِي يَدُ شَهْوَةِ الْغَدَاءِ . فَإِنْ أَقْبَعَنِي رَأْيُكَ
 أَلَّا أَسْعُدُ غَنَائِكَ غِنَاءَ يُسَيِّ أَبَا إِسْحَاقَ وَمَعْبَدَ . وَهُوَ شَيْءٌ لَمْ يَقْضَ بِهِ
 آبَاؤُكَ وَأَجْدَادُكَ . وَمَا يَنَالُهُ أَغْنَاؤُكَ وَأَوْلَادُكَ . يَتَوَيَّ كَرَمَكَ .
 وَشَهْوَتَكَ وَقَرَمَكَ . وَيُطِيبُ مَا كَلَّمَكَ . وَيُسِينِي مَا مَلَكَكَ . وَإِنْ صَوْتِي
 الَّذِيذِي . أَلَذُّ لِلْجَانِحِ مِنْ جَدِي حَنِيذٍ . وَخَبَرٌ سَمِيذٍ . وَلَظْمٌ شَانٍ مِنْ قَدَحِ
 نَبِيذٍ . فَرَأَيْكَ أَعْلَى . وَأَمْتَنَّاكَ أَوْلَى . فَقَالَ الذَّبُّ : لَا بَأْسَ وَالْكَ .
 فَغَنَى مَا بَدَا لَكَ . فَرَفَعَ الْجَدِي عَفِيرَتَهُ . وَرَأَى فِي الْعَصْرَاحِ خَيْرَتَهُ .
 وَأَشْدَّ :

وَعُضْفُورُ الْحَشَا يَهْوَى جَرَادَهُ كَمَا عَشِقَ الْحُرُوفَ أَبُو جَمَادَهُ
 فَأَهْتَرَّ الذَّبُّ طَرَبًا . وَتَمَازَلَّ عَجْبًا وَعَجَبًا . وَقَالَ : أَحْسَنْتَ يَا زَيْنَ الْقَنَمِ .
 وَلَكِنَّ هَذَا الصَّوْتُ فِي الْقَنَمِ . فَأَرْفَعُ صَوْتَكَ فِي الزَّيْرِ . قَدْ أَجَلَّتْ
 الْبَلَابِلُ وَالزَّرَارِي . وَزِدْنِي يَا مُغْنِي . وَعَنِّي لِي . مَا يَلِي قَوْلِي :
 أَقْرَ هَذَا الزَّمَانُ عَيْنِي بِالْجَمْعِ بَيْنَ الْمَتَى وَبَيْنِي

وَلَيْكُنْ هَذَا يَا سَيِّدَ الْجَدَاءِ فِي أَوْجِ الْحُسَيْنِيِّ . فَأَغْتَمَّ الْجَدِي الْفُرْصَةَ
وَأَزَاحَ بِمِطْلِهِ الْفُصَّةَ . وَصَرَخَ صَرَخَةً أُخْرَى . أَذْكَرَ الطَّامَّةَ الْكُبْرَى .
وَرَفَعَ الصَّوْتُ . كَمَنْ عَالَيْنَ الْمَوْتَ . وَخَرَجَ مِنْ دَائِرَةِ الْحِجَازِ إِلَى الْعِرَاقِ .
وَكَاذَ يَحْصُلُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْأَنْفَعُ . وَقَالَ :

فَنَوَائِمُ أَنْظَرُوا حَايَ أَبُو مَذْمُومَةٍ أَكَّالِي

فَسَمِعَهُ الرَّاعِي يَشْدُو . فَأَقْبَلَ بِالطَّرْقِ يَبْدُو . فَلَمَّ يَشْعُرُ الذُّبُّ الذَّاهِلُ .
وَهُوَ يَحْسُنُ السَّمَاعَ غَاوِلُ . إِلَّا وَالرَّاعِي بِالْمَصَا عَلَى قَفَاهُ نَازِلُ .
فَرَأَى الذُّبُّ الْغُذْمَةَ فِي النَّجَاةِ . وَأَخَذَ فِي طَرِيقِ الْحَيَاةِ مَوْتَرَكَ الْجَدِي
وَأَفْلَتَ . وَنَجَّاهُ مِنْ سَيْفِ الْمَوْتِ الْمُصْلَتِ . وَصَعِدَ إِلَى تَلٍّ يَتَلَقَّى . إِذْ
تَفَلَّتْ . وَاقْبَى يَعْصُ يَدِيهِ نَدَامَةً . وَيُخَاطَبُ نَفْسَهُ بِالْمَلَامَةِ . وَيَقُولُ :
أَيُّهَا الْغَاوِلُ الذَّاهِلُ . الْأَحْمَقُ الْجَاهِلُ . مَتَى كَانَ عَلَى سِمَاطِ السَّرْحَانِ .
الْقَبْزُ وَالْأَوْزَانُ . وَأَيُّ جَدٍّ لَكَ قَانِ . أَوْ أَبِ مُفْسِدِ جَانِ . كَانَ لَا
يَأْكُلُ إِلَّا بِالْأَغَانِي . وَعَلَى صَوْتِ الْمَثَلِكِ وَالْمَثَانِي . فَلَوْلَا أَنَّكَ عَدَلْتَ
عَنْ طَرِيقَةِ آبَائِكَ . مَا فَاتَكَ لَذِيذُ عَشَائِكَ . وَلَا أَمْسَيْتَ جَانِمًا
تَتَلَوَّى . وَبِحِجْرَةِ فَوَاتِ الْفُرْصَةِ تَتَكَوَّى . ثُمَّ بَاتَ يَحْرِقُ ضَرْسَهُ وَنَابَهُ .
وَيُخَاطَبُ نَفْسَهُ لِمَا نَابَهُ :

وَعَاجِزُ الرَّأْيِ مُضَيَّعُ الْفُرْصَةِ حَتَّى إِذَا فَاَتَ أَمْرُ عَائِبِ الْقَدَرَا

فَارَةٌ وَهَرٌ

٨٧ كَانَ رَجُلٌ فَعِيرٌ عِنْدَهُ هَرٌّ رَبَاهُ . وَاحْسَنَ مَاوَاهُ . وَكَانَ أَتَمُّ قَدْ

عَرَفَ مِنْهُ الشَّفَقَةَ . وَأَلْفَ وَنَهْ الْمَوَدَّةَ وَالْمَلَقَةَ . فَكَانَ لَا يَبْرَحُ مِنْ
مَيْتِهِ . وَلَا يَسْمَى لِطَلَبِ قُوَّتِهِ . فَحَصَلَ لَهُ الْفَزَالُ . وَتَغَيَّرَ حَالُهُ مِنْ
أَمْرٍ وَحَالٍ . فَلَا عِنْدَ صَاحِبِهِ مَا يُغْذِيهِ . وَلَا لَهُ قُوَّةٌ عَلَى الْأَصْطِبَارِ
تُغْنِيهِ . إِلَى أَنْ عَجَزَ عَنِ الصَّيْدِ . وَصَارَ يَسْتَخْرِ بِهِ مِنْ أَرَاذِلِ الْفَارِ عَمُرُو
وَزَيْدُ . وَكَانَ فِي ذَلِكَ أَلْسَانُ . مَاوَى لِرِيسِ الْجُرْدَانِ . وَبِجَوَارِهِ
مُخْزَنُ سَمَانٍ . فَاجْتَرَأَ الْجُرْدُ لِيُضْفِيَ أَبِي غَزْوَانَ . وَتَمَكَّنَ مِنْ تَنَسُّلِ مَا
يَحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَصَارَ يَمُرُّ عَلَى الْطِطِ آمِنًا وَيَخُفُّكَ عَلَيْهِ . إِلَى أَنْ أَمْتَسَلَا
وَكُرَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّاعِمِ . وَحَصَلَ لَهُ الْفَرَاغُ مِنَ الْخَوَافِ وَالْمَزَاجِمِ .
فَاسْتَطَالَ عَلَى الْخَيْرَانِ . وَاسْتَمَانَ بِطَوَائِفِ الْفَارِ عَلَى السُّدُونِ .
وَأَفْتَكَّرَ يَوْمًا فِي نَفْسِهِ . فِكْرًا أَذَاهُ إِلَى حُلُولِ رَمْسِهِ . وَهُوَ أَنَّ هَذَا
الطِّطَ وَإِنْ كَانَ عَدُوًّا قَدِيمًا . وَمُرَابِكًا عَظِيمًا . وَلَكِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي
الْإِتِّحَالِ . وَضَعُفَ عَنِ الصَّيْدِ وَالْإِنْتِبَالِ . وَقُوَّتِي إِنَّمَا هِيَ إِسْبَابُ
ضَعْفِهِ . وَهَذَا أَتَمُّهُ إِنَّمَا هُوَ حَاصِلُ بَحْتِهِ . وَلَكِنَّ الدَّهْرَ الْفَدَارَ . لَيْسَ
لَهُ عَلَى حَالِهِ اسْتِمْرَارٌ . قَرِيبًا يَعُودُ الدَّهْرُ إِلَيْهِ . وَيُعِيدُ صِحَّتَهُ وَعَافِيَتَهُ
عَلَيْهِ . فَإِنَّ الزَّمَانَ الدَّوَارَ يَنْهَبُ وَيَهْبُ . وَيُعْطِي مَا سَلَبَ . وَيَجْعُ
فِيمَا وَهَبَ . كُلُّ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ مُوجِبٍ وَلَا سَبَبٍ . وَإِذَا عَادَ الطِّطُ إِلَى
مَا كَانَ عَلَيْهِ . يَتَذَكَّرُ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ إِسَاءَتِي إِلَيْهِ . فَيَثُورُ فَالَهُ . وَيَفُورُ
حَنَفُهُ . وَيَأْخُذُهُ لِلْإِنْتِقَامِ مِنِّي أَرْقُهُ . فَلَا يَقْرُّ لِي مَعَهُ قَرَارٌ . فَأَضْطَرُّ
إِلَى التَّحَوُّلِ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ . وَالخُرُوجِ عَنِ الْوَطَنِ الْمَأْلُوفِ . وَمُفَارَقَةِ

السُّكْنُ الْمَعْرُوفِ . فَلَا بُدَّ مِنَ الْإِهْتِمَامِ قَبْلَ حُلُولِ هَذَا الْفَرَامِ .
وَالْأَخْذِ فِي طَرِيقَةِ الْخُلَاصِ . قَبْلَ الْوُقُوعِ فِي شَرِّكَ الْاِقْتِصَاصِ
ثُمَّ إِنَّهُ ضَرَبَ أَتَمَّاسًا لِأَسْدَاسٍ . فِي كَيْفِيَّةِ الْخُلَاصِ مِنْ هَذَا الْبَاسِ .
فَأَدَّاهُ الْفَكْرُ إِلَى إِصْلَاحِ الْمَعَاشِ . بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي حِرَاشٍ . لِيَدُومَ لَهُ
هَذَا النَّشَاطُ . وَيَسْتَرَّ بِوَاسِطَةِ الصُّلَحِ بِسَاطِ الْإِنْسَاطِ . فَرَأَى أَنَّهُ
لَا يُفِيدُهُ إِلَّا أَنْ يَزْرَعَ الْجَمِيلَ . مِنْ كَثِيرٍ وَقَلِيلٍ . خُصُوصًا فِي وَقْتِ
الْعَاقَةِ . فَإِنَّهُ أَجْلَبُ لِلصَّدَاقَةِ . وَأَبْقَى فِي الْوُثَاقَةِ . ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ
يَتَرَبَّ عَلَيْهِمُ الْعُهودُ . وَيَتَأَكَّدُ مَا يَبْقَى عَلَيْهِ الْإِتْفَاقُ مِنَ الْعُهودِ .
وَهُوَ أَنْ يَلْتَمِمْ كَثِيرُ الْجُرْذَانِ فِي كُلِّ غَدَاةٍ . مَا يَكْفِيهِ مِنْ طَيِّبِ
الْغَدَاةِ صَبَاحَهُ وَمَسَاءَهُ . لِأَنَّ الشَّيْخَ قَالَ فِي الدَّرْسِ : خَيْرُ أَمْوَالٍ مَا
وَقِيتَ بِهِ النَّفْسَ . إِلَى أَنْ يَمُتَّ جَسَدُهُ . وَيُرَدَّ عَلَيْهِ مِنْ عَيْشِهِ رَغَدُهُ .
وَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا لِعُهودِ الصَّدَاقَةِ وَتَرْكِ الْعَدَاوَةِ الْقَدِيمَةِ . فَيَجْمَعُ لَهُ
مِنْ الْخُبْرِ وَالْجَنِّبِ وَاللَّحْمِ الْقَدِيدِ . مَا قَدَرَ عَلَى حَمْلِهِ . وَنَهَضَتْ قُوَّتُهُ
بِقُوَّتِهِ . وَقَدِمَ مُقَامَ الْهَرِّ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ سَلَامٌ مُكْرَمٌ مُبَرِّ . وَقَدَّمَ مَا لَدَيْهِ
إِلَيْهِ . وَتَرَامَى بِكَثْرَةِ الْأَشْتِيَاقِ وَالتَّوَدُّدِ عَلَيْهِ . وَقَالَ : يَبْرُزُ عَلَيَّ . وَيَنْظُمُ
لَدَيَّ . أَنْ أَرَاكَ يَا خَيْرَ جَارٍ . فِي هَذَا الْأَضْطِرَّارِ . وَسَيَكْفِيكَ اللَّهُ هَذَا
الْجُهْدَ وَالضَّيْرَ . وَلَكِنَّ الْعَاقِبَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ إِلَى خَيْرٍ . فَتَأَوَّلَ أَنْقَطُ
مِنْ تِلْكَ السَّرِقَةِ . مَا سَدَّ رَمَقَهُ . وَشَكَرَ لَهُ تِلْكَ الصَّدَقَةَ . ثُمَّ قَالَ :
إِنْ لِي عَلَيْكَ مِنَ الْحَقُوقِ . وَمِثْلُ مَا لِلجَارِ الصَّدُوقِ . عَلَى الْجَارِ الشُّفُوقِ .

وَأَرَدْتُ أَنْ يَتَأَكَّدَ الْجَوَارُ بِالمَصَادَقَةِ . وَتَثَبَّتِ الْحَبَّةُ المَوَائِقَةَ .
وَأِنْ كَانَتْ بَيْنَنَا عَدَاوَةٌ قَدِيمَةٌ . فَتَتْرَكُ مِنَ الْجَانِبِينَ تِلْكَ الْحَصْلَةَ
الذَّمِيمَةَ . وَتَسْتَأْنِبُ المُهُودَ . عَلَى خِلَافِ الخَلْقِ المُمُودِ . وَهَذَا أَنَا أَذْكَرُ
لَكَ سَبَبًا يَحْمِلُكَ عَلَى تَرْكِ خُلُقِكَ الْقَدِيمِ . وَيُرْشِدُكَ فِي طَرِيقِ الإِخَاءِ
إِلَى الصِّرَاطِ السَّعِيدِ . وَهُوَ أَنَّ أَكْلِي مَثَلًا . مَا يُبْغِضِي مِنْكَ بَدَنًا .
فَضْلًا عَنْ أَنْ يُظْهِرَ فِيكَ صِحَّةً وَسِمَةً . فَإِنْ أَمْنَتْنِي مَكْرَكَ وَرَغِبْتَ فِي
صُحْبَتِي . وَعَاهَدْتَنِي عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِ مَوَدَّتِي . وَاتَّكَدْتُ ذَلِكَ لِي
بِمُقَاتَلَةِ الْإِنْسَانِ حَتَّى أَتَوَقَّنَ بِاسْتِصْحَابِكَ . وَأَبَيْتَ آيَةً فِي حُجَّتِكَ
وَدَهَائِكَ . وَوَوَّكْتُ بَيْنَ مَخَالِيكَ وَأَنْيَابِكَ . فَإِنِّي أَلْتَزِمُكَ كُلَّ
يَوْمٍ . عِنْدَمَا تَسْتَقِظُ مِنَ النَّوْمِ . بِمَا يَسُدُّ حَلَّتَكَ . وَيُبْقِي مُهْجَتَكَ .
صَبَاحًا وَمَسَاءً . وَغَدًا وَعَشَاءً . فَلَمَّا رَأَى المِرُّ هَذَا المِرَّ . اعْتَجَبَتْ هَذِهِ
النَّعَمُ . وَأَعْرَبَتْ هَذَا النَّعَمُ . وَأَقْسَمَ طَائِفًا مُخْتَارًا . لَا إِكْرَاهًا وَلَا
إِجْبَارًا . أَنَّهُ لَا يَسْلُكُ مَعَ المِرِّ ذَانِ . إِلَّا طَرِيقَ الْأَمَانِ وَالْإِحْسَانِ .
فَرَجَعَ المِرُّ وَهُوَ بِهَذِهِ الحُرْكَةِ جَذْلَانُ . وَصَارَ يَأْتِي القِطُّ كُلَّ يَوْمٍ
بِمَا أَلْتَزِمُ بِهِ مِنَ الْغَدَاءِ وَالْعِشَاءِ . إِلَى أَنْ صَحَّ القِطُّ وَانْتَوَى . وَسَلِمَتْ
خَلَوَاتُ بَدَنِهِ مِنَ الْخَوَاءِ . وَقَدْ كَانَ لِهَذَا القِطِّ دَيْكٌ صَاحِبٌ قَدِيمٌ .
وَصَدِيقٌ نَدِيمٌ . كُلُّ مِنْهُمَا يَأْتِسُ بِصَاحِبِهِ . وَيَحْفَظُ خَاطِرَهُ بِمُرَاعَاةِ
جَانِبِهِ . فَحَصَلَ لِلدَّيْكِ تَوْفِيقٌ عَنْ زِيَارَةِ صَدِيقِهِ . فَلَمْ يَتَّفِقْ لِمَا لَهَا .
إِلَّا بَعْدَ أَنْ زَالَ عَنِ القِطِّ ذَلِكَ الشَّقَاءُ . وَحَازَ تَمَامَ الشِّقَاءِ . فَسَأَلَهُ

أَلَدَيْكَ : بَمَا ذَا رَالَ ذَلِكَ الْهَزَالُ . فَأَخْبَرَهُ بِخَبَرِ الْجُرْذِ وَأَنَّهُ صَارَ عِنْدَهُ
 مِنْ أَغْرِ الْأَصْدِقَاءِ الْخَيْرِينَ الْأُمَنَاءِ . فَصَحَّحَكَ أَلَدَيْكَ مُسْتَعْرِبًا . وَطَفِقَ
 يُصَفِّقُ بِجَنَاحَيْهِ مُتَجَبِّيًا . فَقَالَ لَهُ : مِمَّ تَصْحُوكَ . قَالَ : مِنْ سَلَامَةِ بِلَدِيكَ .
 وَأَنْفَادِكَ لِدَاهِنِكَ . وَحُسْنِ صَنَائِعِكَ . إِلَى غَايِكَ وَنَحَادِيكَ . وَمَنْ
 يَأْمَنُ لِهَذَا الْبَرَمِ . الْوَاجِبَ قَتْلُهُ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ . الْمُفْسِدِ الْقَاسِقِ .
 الْمُؤْذِي الْمُنَافِقِ . الَّذِي خَدَعَكَ حَتَّى آمِنَ عَلَى نَفْسِهِ . وَأَوْقَعَكَ فِي
 حَبَائِلِ كَيْدِهِ وَنَحْسِهِ . مَعَ أَنَّكَ لَسْتَ عِنْدَهُ بِمَشْكُورٍ . وَلَا بِالْخَيْرِ
 مَذْكُورٍ . وَإِنَّمَا الَّذِي شَاعَ . وَمَلَأَ الْأَسْمَاعَ . أَنَّكَ تَحُلُّ عَقِيدَهُ . وَتَنْفُضُ
 عَهْدَهُ . وَتَنْكُثُ الْأَيْمَانَ . وَتُجَازِي بِالسَّنَةِ الْإِحْسَانَ . فَإِنَّهُ لَمَّا لَمْ
 يَرَوْكَ . أَيْسَرَهُ . أَصْبَحَ مُتَوَقِّعًا مَا يَضُرُّهُ . وَأَعْظَمَ مِنْ هَذَا أَنَّهُ حُسِرَ
 وَنَادَى . وَجَاهَرَكَ بِالْأَشْرِ وَعَادَى وَقَالَ : إِنَّهُ أَحْيَاكَ بَعْدَ الْمَوْتِ . وَرَدَّكَ
 بَعْدَ الْقَوْتِ . وَإِنَّهُ لَوْلَا فَضْلُهُ عَلَيْكَ . وَبِرُّهُ الْوَاجِلُ إِلَيْكَ . لَمَتَّ هَذَا
 وَجُوعًا . وَبَاعِشْتَ أُسْبُوعًا . وَإِنَّهُ شَفَاكَ وَعَاقَاكَ . وَصَفَاكَ وَصَافَاكَ .
 وَهَلْ تَبَيَّنْتَ أَنَّ جُرْذًا صَادِقَ هِرَّةٍ . أَوْ أَتَّفَقَ بَيْنَهُمَا مِرَاقَةٌ . فَمَا صَحَّةُ
 الْقَطْرِ وَالْفَارِ . كَمَصَادِفَةِ الْمَاءِ وَالنَّارِ . فَلَمَّا سَمِعَ أَلْقَطَ هَذَا الْكَلَامَ . تَأَلَّمَ
 خَطَرَهُ بِمَضَرِّهِ بِالْأَمِّ . وَقَالَ لِلدَّيْكَ : جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا . وَلَكِنْ مَنْ
 أَخْبَرَكَ بِهَذَا الْخَبَرِ . وَصَدَقَكَ مَا أَثَرُ . قَالَ : لَقَدْ غَرَّكَ الْجُرْذُ بِلَقِيمَاتِ
 مِنَ الْحَرَامِ . وَاسْتَحْتِ الْمُنْفِيسَ فِي الْآثَامِ . وَجَعَلَهَا لَكَ بِمَنْزِلَةِ حَبَّةِ
 الْقَنْعِ . فَلَا تَشْعُرُ بِهَا إِلَّا وَأَنْتَ فِي الْمُسْلَخِ . حَيْثُ لَا رَفِيقَ يَشْتَقُّ فَيْكَ

وَلَا أَخْ. وَهَنَّاكَ يُعْرِفُ تَحْقِيقُ هَذَا الْكَلَامِ. وَمَا أَطْلَقْنَاكَ عَلَى مَا قُلْتَ
إِلَّا مِنْ قُرْطِ الشَّفَقَةِ وَالسَّلَامِ. فَتَرَجَّ جَانِبُ صِدْقِ الدِّيكِ عِنْدَ الْهَطِ
فَقَالَ فِي خَاطِرِهِ. بَعْدَ مَا أَجَالَ قَدْحَ ضَمَائِرِهِ: إِنَّ هَذَا الدِّيكَ مِنْ حِينِ
أَنْفَلَقَتْ عَنْهُ الْبَيْضَةُ. وَسَرَحَتْ مَعَهُ مِنَ الصَّدَاقَةِ فِي رَوْضَةٍ. مَا رَفَقَتْ
لَهُ عَلَى كَذِبٍ. وَلَا تَعِمَتْ أَنَّهُ لَيْتِي فِي مِنَ الزُّورِ مُرْتَكِبٌ. فَهُوَ أَبَدُ مِنْ
أَنْ يُخْدَعَ. وَأَجَلٌ مِنْ أَنْ يُنْشَرَّ وَيَتَصَنَّعَ. ثُمَّ قَالَ لَهُ: كَيْفَ أَعْرِفُ
صِدْقَ هَذَا الْخَبِيرِ. وَهَلْ عَلَى سُوءِ طَوَيْتِهِ دَلَالَةٌ تُنْظَرُ. قَالَ: نَعَمْ.
وَرَبَّ الْحَرَمِ عَلَامَةٌ ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ عَلَيْكَ. وَنَظَرَ إِلَيْكَ. يَكُونُ
مُنْقِصَ الرَّاسِ. مُجْتَمِعَ الْأَنْفَاسِ. مُتَوَقِّعًا حُلُولَ نَائِيَةٍ. أَوْ زُرُولِ
مُصِيبَةٍ صَائِيَةٍ. مُتَلَقِّيًا يَمِينًا وَشِمَالًا. مُتَخَوِّفًا نَكَالًا وَوَبَالًا. طَائِفًا
يَتَقَبَّضُ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ. وَذَلِكَ لِأَنَّهُ خَائِنٌ. وَالْخَائِنُ خَائِفٌ وَهَذَا
أَمْرٌ بَائِنٌ. وَبَيْنَمَا هُمَا فِي الْخَاوِرَةِ. وَالْمُنَاطَرَةِ وَالْمُشَاوِرَةِ. دَخَلَ أَبُو
جَوَالٍ. وَهُوَ غَافِلٌ عَنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ. فَرَأَى أَبَا يَثْرَظَانَ. يُخَاطِبُ أَبَا
غَزْوَانَ. فَخَسَّ وَهَقَّرَ. وَتَوَقَّعَ وَتَفَكَّرَ. وَهُوَ غَافِلٌ عَمَّا قَضَى اللَّهُ
وَقَدَّرَ. فَأَشْمَازَ لِرُؤْيَيْهِ الدِّيكِ وَأَتَمَّعَلَّ. وَأَتَمَّضَ وَأَبْرَأَلَ. فَأَرْتَدَّ
الْجُرْذُ مِنْ شَيْخِ الدِّيَكَةِ. لَمَّا رَأَى مِنْهُ هَذِهِ الْحَرَكَةَ. وَأَتَمَّشَ وَأَتَرَدَّى.
وَتَقَبَّضَ وَذَوَّى. وَأَتَمَّتْ يَمِينًا وَشِمَالًا. كَالطَّالِبِ لِلْفَرَارِ بِحَالٍ.
وَالْهَطِ بِرَأْيِ لِحْوَالِهِ. وَتَمَيَّزَ حَرَكَاتِهِ رَأْفَالَهُ. فَتَحَقَّقَ مَا قِيلَ لَهُ فِيهِ
وَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرُ الْمُسْتَقِيمِ. وَهُمْ وَانْكَهَرُوا. وَرَقَصَتْ شَوَارِبُهُ وَأَزْبَارُ.

وَلَيْسَ الْهُودَ وَالْأَيَّامَانَ . وَنَبَضَ فِيهِ عِرْقُ الْعَدَاوَةِ الْقَدِيمَةِ وَالْعُدْوَانِ .
قَوَّبَ عَلَيْهِ وَأَذْخَلَهُ فِي خَبَرِ كَانَ . وَأَخْلَى مِنْهُ الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ

المعهد الغير المتدوي

٨٨ ذَكَرُوا أَنَّ اللَّهَ مُجْرِي الْحَيْرِ . عَامَ بَنْضَ عَيْدِهِ الصُّلْحَاءَ مَنْطِقَ
الطَّيْرِ . فَصَاحَبَ مِنْهَا هُذْهَدًا . وَأَزْدَادًا مَا بَيْنَهُمَا قَوْدُودًا . فَبَيَّ بَنْضَ
الْأَيَّامِ . مَرَّ بِالْهُذْهَدِ ذَلِكَ الْإِمَامُ . وَهُوَ فِي مَكَانٍ عَالٍ . مُلْتَمِثٌ إِلَى
نَاحِيَةِ الشِّمَالِ . وَهُوَ مَشْغُولٌ بِالسَّبِيحِ يُسَبِّحُ اللَّهَ بِإِسْمَانِهِ الْقَصِيحِ فَنَادَاهُ :
يَا صَاحِبَ التَّلَاجِ وَالْقَبَاءِ وَالْدِّيَابِجِ لَا تَتَمُدَّ فِي هَذَا الْإِيكَانِ فَإِنَّهُ
طَرِيقُ كُلِّ قَتَّانٍ . وَمَطْرُوقُ كُلِّ صَائِدِ شَيْطَانٍ . وَمَقْعَدُ أَرْبَابِ
الْبَنَادِقِ وَمَرَصِدُ أَصْحَابِ الْجَلَاهِقِ . فَقَالَ الْهُذْهَدُ : إِنِّي عَرَفْتُ
ذَلِكَ وَأَنْتَ . سَلَكَ أَلْهَامُكَ قَالَ : فَلَايَ شَيْءٍ عَزَمْتَ عَلَى الْقُودِ فِيهِ .
مَعَ عِلْمِكَ بِمَا فِيهِ مِنْ دَوَاهِيهِ . قَالَ : أَرَى صَيِّدًا وَأَطْنُهُ غَوِيًّا نَصَبَ لِي
فِتْنًا . يَرُومُ لِي فِيهِ زَخًا . وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى مَكَائِدِهِ . وَمَنَاصِبِ مَصَائِدِهِ .
وَعَرَفْتُ مَكِيدَتَهُ أَيْنَ هِيَ . وَإِلَى مَاذَا تَنْتَهِي . وَأَنَا أَتَزَجُّ عَلَيْهِ .
وَأَتَقَدَّمُ لِلصُّحُكِ إِلَيْهِ . وَأَتَجَبُّ مِنْ تَضْيِيعِ أَوْقَاتِهِ . وَتَعْطِيلِ سَاعَاتِهِ .
فِيمَا لَا يَبُودُ عَلَيْهِ مِنْهُ نَفْعٌ . وَلَا يُفِيدُهُ فِي قَفَاهُ سِوَى الصُّفْعِ . وَأَسْتَحِرُّ
مِنْ حَرَكَاتِهِ . وَأَنْبَهُ مِنْ يَمْرِ عَلَى خُرْعِيَلَاتِهِ . فَتَرَكَهُ الرَّجُلُ وَذَهَبَ .
وَقَضَى حَاجَاتِهِ وَأَنْقَلَبَ . فَرَأَى الْهُذْهَدَ فِي يَدِ الصَّيِّ وَلِسَانُ حَالِهِ .
يَلْهَجُ بِمَقَالِهِ :

كَمْضُورَةٍ فِي يَدِ طِفْلٍ يُهِنُهَا تُقَالِي عَذَابَ الْمَوْتِ وَالطِّفْلِ يُلْعَبُ
 فَلَا الطِّفْلُ ذُو عَمَلٍ يَرْقُ لِحَالِهَا وَلَا الطَّيْرُ مُنْقَلُ الْجَنَاحِ فَيَهْرَبُ
 فَسَادَاهُ وَقَالَ: يَا أَبَا عَمَّادٍ كَيْفَ وَقَعْتَ فِي شَرِّكَ الصَّيَادِ وَقُلْتَ لِي
 إِنَّكَ وَعَيْتَ. وَرَأَيْتَ مَا رَأَيْتَ. فَقَالَ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ الْمُدْهَدَّ إِذَا
 نَقَرَ الْأَرْضَ يَعْرِفُ مَسَافَةَ مَا بَيْنَهُ. بَيْنَ الْمَاءِ. وَلَا يُبْصِرُ شَجَرَةً أَلْغَ
 وَلَا مَا وَرَ . وَنَاهِيكَ قَضِيَّةَ آدَمَ أَيْ الْبَشَرِ . كَيْفَ خُذِلَ لِمَا عَوِي
 وَأَغْتَرَّ وَبَطِرَ . وَكَذَلِكَ غَيَّرَهُ مِمَّنْ أَشْتَهَرُ أَمْرُهُمْ وَأَنْتَشَرَ . وَأَنَا لَمَّا
 أَغْتَرَزْتُ بِمِدَّةٍ بَصْرِي . ذَهَلْتُ عَمَّا يَجُولُ فِي فِكْرِي . فَغَنَطْتُ جِدَّةً
 اسْتَبْصَارِي فَوَقَعْتُ فِي فِتْنَةِ اغْتِرَارِي

مالك الحزين واسمكة

٨٩ كَانَ فِي مَسْكَانٍ مَكِينٍ . مَاوَى لِمَالِكِ الْحَزِينِ . وَفِي ذَلِكَ الْمَسْكَانِ
 غِيَاضٌ وَعُذْرَانُ تَضَاهِي رِيَاضَ الْجَنَانِ . وَفِي مِيسَاهِهِ مِنَ السَّمَاءِ . مَا
 يَفُوقُ سَابِحَاتِ السَّمَاءِ . فَكَانَ ذَلِكَ الطَّيْرُ . فِي دَعَاةٍ وَخَيْرٍ . يُرْجَى
 الْأَوْقَاتِ . بِطَيْبِ الْأَقْوَاتِ . وَكُلَّمَا تَحَرَّكَ بِحَرَكَةٍ . كَانَ فِيهَا بَرَكَةٌ .
 حَتَّى لَوْ غَاصَ فِي تِلْكَ الْبَحَارِ وَأَنْفَذَرَانِ لَمْ يَخْرُجْ إِلَّا وَفِي مِيقَاتِهِ
 سَمَكَةٌ . فَأَتَقَّقَ أَنَّهُ فِي بَعْضِ الْأَنَاءِ . تَسَرَّعَ عَلَيْهِ أَسْبَابُ الْغَدَاءِ .
 وَأَرْجَحَ لِقَوَاتِ قُوَّتِهِ أَبْوَابَ الْمَشَاءِ . فَكَانَ يَطِيرُ بَيْنَ عَالَمِ الْمَلِكِ
 وَالْمَلَكُوتِ . يَطْلُبُ مَا تَسُدُّ الرَّمَقَ مِنَ الْقُوتِ . فَلَمْ يَقْعُ عَلَيْهِ بِشَيْءٍ
 مِنْ أَعْلَى السَّمَاءِ إِلَى أَسْفَلِ الْحُوتِ . وَأَمْتَدَّ هَذَا الْحَالُ . عِدَّةَ أَيَّامٍ

وَلَيْالٍ . فَخَاضَ يَوْمًا فِي الرُّقَاقِ . يَطْلُبُ شَيْئًا مِنَ الْأَزْزَاقِ . فَصَادَفَ
سَمَكَةً صَغِيرَةً قَدْ عَارَضَتْ مَسِيرَهُ فَأَخْطَطَهَا . وَمِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ التَّقَمَّهَا .
ثُمَّ بَعْدَ أَذْيَالِهِمَا . قَصَدَ إِلَى أَتْلَاعِهَا . فَتَدَارَكَتْ زَاهِقَ نَفْسِهَا . قَبْلَ
أَسْتِثْرَارِهَا فِي رَمْسِهَا . فَتَادَتْ بَعْدَ أَنْ كَادَتْ أَنْ تُكُونَ بَادَتْ : مَا
الْبَرْغُوثُ وَدَمُهُ . وَالْمُصْفُورُ وَدَسَمُهُ . أَسْمَعَ يَا جَارَ الرِّضَا . وَمَنْ نَحَرْنَا
فِي صَوْنِهِ أَقْضَى . لَا تَجْعَلْ فِي أَتْلَائي . وَلَا تَسْرِعْ فِي ضِيَاعي . فَبَيَّ
بِمَآئِي قَوَائِدُ وَعَوَائِدُ . عَلَيْكَ عَوَائِدُ . وَهُوَ أَنَّ أَبِي قَدْ مَلَكَ هَذَا
أَسَمَكَ فَأَلْكَلُ عَيْدَهُ وَرِعَيْتُهُ . وَوَاجِبُ عَلَيْهِمْ طَاعَتُهُ وَمَشِيشَتُهُ . ثُمَّ
إِنِّي وَاحِدُ أَبِي . وَأُرِيدُ مِنْكَ الْإِبْقَاءَ عَلَيَّ . فَإِنْ أَبِي نَذَرَ النُّذُورَ . حَتَّى
حَصَلَ لَهُ بِوُجُودِي السُّرُورُ . فَمَا فِي أَتْلَائي كَبِيرُ قَائِدَةٍ . وَلَا أَسْدُ
لَكَ رَمَمًا . وَلَا أَشْغَلُكَ مَعِدَةً قَصِيرُ مَعَ أَبِي كَمَا قِيلَ : فَأَقْفِرْنِي فَمِنْ
أَجِبْ وَلَا أَسْتَفْنِي فَأَلْأَوَّلَى أَنْ أَقْرَعَ عَيْنَكَ . وَأَعْرِفَ مَا بَيْنَ أَبِي وَبَيْنَكَ .
فَأَكُونُ سَبَبًا لِعُقُودِ الْمَصَادِقَةِ . وَفَاتِحًا لِأَغْلَاقِ الْحُبِّ وَالْمُرَافِقَةِ .
وَيَجْعَلُ لَكَ الْجَمِيلَةَ . وَالْإِنِّةَ التَّامَّةَ وَالْقَضِيلَةَ . وَأَمَّا أَنَا فَأَعْلِهْدُكَ إِنْ
أَعْمَيْتَنِي . وَمَنْنْتَ عَلَيَّ وَأَطْلَمْتَنِي . أَنْ أَتَكْفَلَ لَكَ كُلَّ يَوْمٍ بِعَشْرِ
سَمَكَاتٍ بَيْضَ يَمَانٍ وَدَكَاةٍ . تَأْتِيكَ مَرْفُوعَةً . غَيْرَ مَمْنُوعَةٍ وَلَا مَقْطُوعَةٍ
يُرْسِلُهَا إِلَيْكَ أَبِي مُكَافَأَةً لِمَا فَعَلْتَ بِي مِنْ غَيْرِ نَصَبٍ مِنْكَ وَلَا وَصَبٍ .
وَلَا كَذِبٍ تَحْمَلُهُ وَلَا تَعَبٍ . فَلَمَّا سَمِعَ الْبَلْشُونُ . هَذَا النُّجُونُ . أَغْرَاهُ
الطَّمْعُ . فَمَا أَتْبَلَعَ . بَلْ سَهَا وَلَهَا . ثُمَّ قَالَ لَهَا : أَعْيِدِي هَذِهِ الرَّمْزَةَ

فَجَبُرْدَ مَا قَعَّ فَاهُ بِالْهَمْزَةِ . اُتَمَلَّصَتِ السَّمَكَةُ مِنْهُ بِجَمْرَةٍ . وَغَاصَتْ
 فِي الْمَاءِ . وَتَخَلَّصَتْ مِنْ بَيْنِ فَكِّي الْبَلَاءِ . وَلَمْ يُحْصِلْ ذَلِكَ الطَّمَاعُ .
 إِلَّا قَطَعَ الْأَطْمَاعُ . وَإِنَّمَا أَوْرَدَتْ يَا ذَا الدَّرَايَةِ . هَذِهِ الْحِكَايَةَ .
 لِتَسْأَلَ عُنَى أَمْرِكَ قَبْلَ الشَّرُوعِ فِيهِ . وَتَتَدَبَّرَ مُنْتَهَى أَوَاخِرِهِ فِي
 مَبَادِيهِ . فَهَذَا قِيلَ : أَوَّلُ الْفِكْرِ . آخِرُ الْعَمَلِ

الديك والثعلب

٩٠ . كَانَ فِي بَعْضِ الْفَرَسِ لِلرَّيْسِ دِيكٌ . حَسَنُ الْخَلْقِ وَدِيكٌ .
 مَرَّتْ بِهِ التَّجَارِبُ . وَقَرَأَ تَوَارِيخَ الْأَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ . وَهَذَى عَيْنُهُ
 مِنَ الْعَمْرِ سِنُونَ . وَأَطْلَعَ مِنْ حَوَادِثِ الزَّمَانِ عَلَى قُؤُونٍ . وَقَلَسَى
 حُلُوهَ وَمُرَّهُ . وَعَانَى حَرَّهُ وَقَرَّهُ . وَقَطَعَ لِإِمَائِهِ شِبَالَهُ مَصَائِدَهُ .
 وَتَخَلَّصَ لِابْنِ آوَى مِنْ وَرَطَابِ مَكَايِدِهِ . وَرَأَى مِنَ الزَّمَانِ وَبَيْنِيهِ
 نَوَائِبَ وَشِدَائِدَهُ . وَحَفِظَ وَقَائِعَ لِبَنَاتِ آوَى وَتَمَائِبَ . وَطَالَعَ مِنْ
 كُتُبِ حَيْلِمَا طَلَالِغِ كِتَابِهِ . وَأَحْكَمَ مِنْ طَرَائِدِهِمَا عَجَائِبَ غَرَائِبِ .
 فَاتَّفَقَ لَهُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ . أَنَّهُ وَتَفَّ عَلَى بَعْضِ الْجِدْرَانِ . فَغَطَّرَ
 فِي عِطْفِيهِ . وَتَأَمَّلَ فِي نَفْسِ بُرْدِيهِ . فَرَأَى خَيْالَ تَاجِهِ الْهَيْمَنِيِّ .
 وَنَظَرَ إِلَى خَدِّهِ الشَّقِيئِيِّ . وَنَظَرَ بِرَأْيِهِ الْمُنْشِ . وَسَرَاوِيلَهُ الْمُنْشِ .
 وَالثُّوبَ الَّذِي رَفَعَهُ نَقَاشُ الْهُدْرَةِ مِنَ الْمَقْطَعِ الْمُبَرَّقِشِ . فَأَعْجَبَتْهُ
 نَفْسُهُ . وَأَذَنَ فَاطِرُهُ جِسْمَهُ فَصَارَ يَدُهُ وَيَجْتَرُّ . وَيَتَهَفَّفُ
 وَيَخْطُرُ . فَاسْتَهْوَاهُ التَّمَشِّي سُوَيْيَةً . حَتَّى أَبْعَدَ عَنِ الْفَضِيحَةِ . فَصَمِدَ

إِلَى جِدَارٍ . وَكَانَ قَدْ اِتَّصَفَ النَّهَارُ . فَرَفَعَ صَوْتُهُ الْآذَانَ . فَأَذَى
صَوْتُهُ الْكُتَّانِي وَاللَّهُانَ . فَسَمِعَهُ ثَلَبٌ . فَقَالَ : مَطَابٌ . وَسَارِعَ مِنْ
وَكْرِهِ . وَحَمَلَ شَبَكَةَ مَكْرِهِ . وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ . فَرَأَاهُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ . فَلَمَّا حَسَّ
بِهِ أَبُو الْيَقْظَانِ . طَهَرَ إِلَى أَعْلَى الْجُدْرَانِ . ثُمَّ حَيَّاهُ تَحِيَّةَ الْخُلَّانِ .
وَتَرَامَى لَدَيْهِ تَرَامِي الْأَخْوَانِ . وَقَالَ : أَنْعَشَ اللَّهُ بَدَنَكَ وَرُوحَكَ .
وَرَوَى مِنْ كَلَسَاتِ الْحَبَاةِ غُبُوفَكَ وَصَبُوحَكَ . فَإِنَّكَ أَحْيَيْتَ
الْأَرْوَاحَ وَالْأَبْدَانَ . بِطَيِّبِ النِّعَمِ وَالصَّيَاحِ فِي الْآذَانِ . فَإِنِّي لِي
زَمَانًا لَمْ أَسْمَعْ بِمِثْلِ هَذَا الصَّوْتِ . وَقَاهُ اللَّهُ نَوَابِ الْقَوْتِ . وَوَصَائِبِ
الْمَوْتِ . وَقَدْ جِئْتُ لِإِسَامَ عَلَيْكَ . وَأَذْكُرُكَ مَا أَسْدَى مِنْ النِّعَمِ
إِلَيْكَ . وَأُبَشِّرُكَ بِبَشَارَةٍ . وَهِيَ أَرْبَعُ تِجَارَةٍ . وَأَنْجَحُ مِنْ الْوِلَايَةِ
وَالْإِمَارَةِ . وَلَمْ يَنْفِقْ مِنْهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ . وَلَا يَتَّعُ نَظِيرُهَا إِلَى
آخِرِ الْعَصْرِ . وَهِيَ أَنَّ السُّلْطَانَ أَيْدَ اللَّهُ بِدَوْلَتِهِ أَزْكَانَ الْإِيمَانِ .
أَمْرًا مُتَادِيًا فَسَادَى بِالْأَمَانِ وَالْإِطِئْثَانِ . وَإِجْرَاءِ مِيَاهِ الْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ . مِنْ حَدَائِقِ الصُّحْبَةِ وَالصَّدَاقَةِ فِي كُلِّ بُسْتَانٍ . وَأَنَّ
تَشْمَلَ الصَّدَاقَةَ كُلَّ حَيَوَانٍ . وَنَ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ وَالْحَيَاتَانِ . وَلَا
يَقْتَصِرُ فِيهَا عَلَى جِنْسِ الْإِنْسَانِ . فَيَتَشَارَكَ فِيهَا الْوَحْشُ وَالسَّبَاعُ .
وَالْبَهَائِمُ وَالصَّبَاغُ . وَالْأَزْوَى وَالنَّعَامُ . وَالصَّمْرُ وَالْحَمَامُ . وَالنَّعْبُ
وَالثُّونُ . وَالذُّبَابُ وَأَبُوقَلْمُونُ . وَيَتَعَامَلُونَ بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ .
وَالْإِسَافِ دُونَ الْإِعْسَافِ . وَلَا يَجْرِي بَيْنَهُمْ إِلَّا الْمَصَادَقَةُ . وَحُسْنُ

الْمَعَاشِرَةَ وَالْمُرَاقَبَةَ . فَتَحْنِي مِنْ لَوْحِ صُدُورِهِمْ نُفُوشُ الْعِدَاوَةِ
 وَالْمُنَاقَبَةِ . قِطَيرُ الْقَطَامِ الْعَمَابِ . وَيَبِيتُ الْمُصْفُورُ مَعَ الْغُرَابِ .
 وَيَنْحَى الذَّبُّ مَعَ الْأَرْزَبِ . وَيَتَأَخَى الذِّيكُ وَالثَّغْلَبُ . وَفِي الْجُمْلَةِ
 لَا يَتَعَدَّى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ . فَتَأْمَنَ الْقَارَةُ مِنَ الْهَرَّةِ . وَالْحُرُوفُ مِنَ
 الْأَسَدِ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَا . فَقَدِ ارْتَفَعَ الشَّرُّ وَالْأَذَى . فَلَا
 بُدَّ أَنْ يَتَشَلَّ هَذَا الْمَرْسُومُ . وَيُتْرَكَ مَا بَيْنَنَا مِنَ الْعِدَاوَةِ وَالْخُلُقِ
 الْمَذْمُومِ . وَيَجْرِي بَيْنَنَا بَعْدَ الْيَوْمِ الْمَصَادَقَةُ . وَتَنْفُخُ أَبْوَابُ الْحُبَّةِ
 وَالْمُرَاقَبَةِ . وَلَا يَفْرُ أَحَدٌ مَنَا مِنْ صَاحِبِهِ . بَلْ يُرَاعِي مَوَدَّتَهُ وَيُبَالِغُ فِي
 حِفْظِ جَانِبِهِ . وَجَعَلَ الثَّغْلَبُ يُقَرِّرُ هَذَا الْمَقَالَ . وَالذِّيكُ يَتَلَفَّ إِلَى
 هَذَا الْهَذْيَانِ وَالْحَبَالِ . فَقَالَ الثَّغْلَبُ : يَا أَخِي . مَا لَكَ عَنْ سَمَاعِ
 كَلَامِي مُرْتَجِي . أَنَا أَبَشِّرُكَ بِبَشَائِرٍ عَظِيمَةٍ . لَمْ تَتَّفِقْ فِي الْأَعْصَرِ
 الْقَدِيمَةِ . وَإِنَّمَا بَرَزَتْ بِهَا مَرَايِمُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْجَسِيمَةِ . وَأَرَاكَ
 لَا تَتَلَفَّتْ إِلَى هَذَا الْكَلَامِ . وَلَا تُسْرِئُ هَذَا اللَّطْفَ الْعَامَ . وَلَا تَتَلَفَّتْ
 إِلَيَّ . وَلَا تُعَوِّلْ عَلَيَّ . وَتَسْتَشْرِفْ عَلَى بُعْدِ شَيْءٍ . فَهَلَا أَخْبَرْتَنِي بِمَا
 أَضْمَرْتَ وَتَوَيْتَ . وَتُطْلِعَنِي فِيمَا تَتَطَاوَلُ إِلَيْهِ عَلَى مَا رَأَيْتَ . حَتَّى
 أَعْرِفَ فِي أَيْ شَيْءٍ أَنْتَ . وَهَلْ رَكَنْتَ إِلَى أَخْبَارِي وَسَكَنْتَ .
 فَقَالَ : أَرَى عَجَابًا نَازِلًا . وَنَعْمًا إِلَى الْعَنَانِ قَاطِرًا . وَحَيَوَانًا جَارِيًا . كَأَنَّهُ
 الْبَرْقُ سَارِيًا . وَمَا عَرَفْتُ مَا هُوَ . وَلَكِنَّهُ أَجْرَى مِنَ الْهَوَاءِ . فَقَالَ :
 أَبُو الْحَصِينِ . وَقَدْ نَسِيَ الْمَكْرَ وَالْمِينَ . يَا اللَّهُ يَا أَبَا نَهَانَ . حَقَّقْ لِي

هَذَا الْحَيَوَانَ . فَقَالَ : حَيَوَانُ رَشِيقٌ . لَهُ آذَانُ طَوَالٌ وَخَصْرٌ دَقِيقٌ .
لَا أَحْتَمِلُ تَحْقَهُ . وَلَا أَرْمِجُ تَسْبَقَهُ . فَرَجَعَتْ قَوَانِمُ الثَّنَابِ . وَطَلَبَ
الْمُهْرَبَ . فَقَالَ أَبُو الْمَذَرِ : تَلَبَّثْ يَا أَبَا الْحَصِينِ وَأَصْبِرْ حَتَّى أَحْتَقَ
رُؤْيَيْهِ . وَأَتَبَيِّنَ مَاهِيَّتَهُ . فَإِنَّهُ يَا أَبَا الْحَصِينِ . يَسْبِقُ طَرَفَ الْعَيْنِ .
وَيَكَادِي يَا أَبَا النُّجُمِ . يُخَلِّفُ النُّجُمَ فِي الرَّجَمِ . وَقَالَ : أَخْذِنِي فَوَايِي .
وَمَا هَذَا وَقْتُ النَّايِي . ثُمَّ وَلَّى وَهُوَ يَصْدَحُ بِقَوْلِهِ :

لَا بَسَ التَّاجُ الْعَلِيْقِي لَا تَقِفْ لِي فِي طَرِيقِي
إِنْ يَكُنْ ذَا الْوَصْفِ حَقًّا فَهُوَ وَاللَّهُ السَّلَاقِي

فَقَالَ لَدَيْكَ : وَإِذَا كَانَ وَقَدْ قُتِلَ إِنَّ السُّلْطَانَ . رَسَمَ بِالصُّلْحِ بَيْنَ
سَائِرِ الْحَيَوَانِ . فَلَا بَأْسَ مِنْهُ عَلَيْكَ . فَتَلَبَّثَ حَتَّى يَجِيَّ وَيُقْبَلَ يَدَيْكَ .
وَنَعْمَدُ بَيْنَنَا عُشُودُ الْمَصَادَقَةِ . وَبَصِيرَ رَفِيقَنَا وَتَصِيرَ رِفَاقَهُ . وَقَالَ : مَا
لِي بِرُؤْيَيْهِ حَاجَةٌ . قَدَعْتَ عَنْكَ الْحَاجَّةَ وَاللَّجَاجَةَ . فَقَالَ : أَوْ مَا زَعَمْتَ
يَا أَبَا وَثَّابٍ . أَنَّ السُّلْطَانَ رَسَمَ لِلْأَعْدَاءِ وَالْأَصْحَابِ . أَنْ يَسْلُكُوا
طَرَائِقَ الْأَصْدِقَاءِ وَالْأَحْبَابِ . فَلَوْ خَالَفَ الْمَرْسُومَ هَذَا الْكَلْبُ . لَمَّا
قَابَلَهُ أَمْكُ إِلَّا بِالْقَتْلِ وَالصَّلْبِ . قَالَ : لَعَلَّ هَذَا الْمَشُومَ . لَمْ يَتْلَفْهُ
الْمَرْسُومُ . ثُمَّ وَلَّى هَارِبًا . وَقَصَدَ لِلْخُلَاصِ جَانِبًا

للجل واللع

٩١ كَانَ جَمَالٌ قَتِيرٌ ذُو عِيَالٍ لَهُ جَمَلٌ يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ . وَيَتَوَوَّتُ هُوَ
وَعِيَالُهُ بِمَا يَصِلُ مِنْهُ إِلَيْهِ . فَرَأَى صَلَاحَهُ فِي نَقْلِ مِلْحٍ مِنَ الْمَلَاخَةِ .

فَجَدَّ فِي تَهْيِيلِ الْأَحْمَالِ . وَمَلَا زَمَتَهُ بِأَثْقَالِ الْأَثْقَالِ . إِلَى أَنْ آَلَ حَالُ
الْجَمَلِ إِلَى الْهَزَالِ . وَزَالَ نَشَاطُهُ وَحَالُ . وَالْجَمَالُ لَا يَقُ لَهْ بِحَالِ .
وَيَجِدُ فِي كَدِّهِ بِالْإِسْتِقَالِ . فَنَبِي بَقْضِ الْأَيَّامِ . أَرْسَلَهُ مَعَ السَّوَامِ .
فَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَرْمَى . وَهُوَ سَاقِطُ الْقُوَّةِ عَنِ الْمَسْمَى . وَكَانَ لَهُ أَرْبُ
صَدِيقٍ . فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْمَضِيقِ . وَدَعَا وَسَلَّمَ عَلَيْهِ . وَبَثَّ
عَظِيمَ أَشْيَبَاقِهِ . فَلَمَّا رَأَى الْخُرْزُ هُزَالَهَ . تَأَلَّمَ لَهُ وَسَالَهُ أَحْوَالَهُ .
فَأَخْبَرَهُ بِحَالِهِ . وَمَا يُقَاسِيهِ مِنْ غِذَائِهِ وَنِكَالِهِ . وَأَنَّ الْبَلْعَ قَدْ قَرَحَهُ .
وَجَبَّ سَنَلُهُ وَجَرَحَهُ . وَأَنَّهُ قَدْ أَعْيَتْهُ الْحِيلَةُ . وَأَصْلَ إِلَى الْخُلَاصِ
سَبِيلَهُ . فَتَأَلَّمَ الْأَرْبُ وَتَأَمَّلَ . وَتَفَكَّرَ فِي كَيْفِيَّةِ تَعْمِيرِ هَذَا الدُّمْلِ .
ثُمَّ قَالَ : يَا أَبَا أَيُّوبَ . لَمَقْدُفَتَ بِالْمَطْلُوبِ . وَقَدْ ظَوَّرَ وَجْهَهُ الْخُلَاصِ .
مِنْ شَرِكِهِ هَذَا الْإِقْتِصَاصِ . وَالْتَجَاءُ مِنْ الْإِذْتِهَاصِ وَالْإِذْتِصَاصِ .
تَحْتَ خِمَلٍ كَالرَّصَاصِ . فَوَيْلَ يَتَرِضُكَ يَا ذَا الرِّيَاضَةِ . فِي طَرِيقِ
الْمَلَاخَةِ تَخَاصُّ . فَقَالَ : كَثِيرٌ وَكَمْ مِنْ نَهْرٍ وَغَدِيرٍ . فَقَالَ : إِذَا مَرَرْتَ
فِي خَوْضٍ وَلَوْ أَنَّهُ رَوْضٌ أَوْ حَوْضٌ . فَأَبْرِكْ فِيهِ وَتَمَرَّغْ . وَتَصَلِّ مِنْ
خِمَلِكَ وَتَمَرَّغْ . وَاسْتَرْفِ فِيهِ يَا أَبَا أَيُّوبَ . فَإِنَّ الْبَلْعَ فِي الْمَاءِ يَذُوبُ .
وَكِرْزُ هَذِهِ الْحَرَكَةِ . فَإِنَّكَ تَرَى فِيهَا الْبَرَكَةَ . فِيمَا أَنَّهُمْ يُنْزِرُونَ
جَمَلَكَ أَوْ يُخَفِّفُونَهُ . أَوْ تَسْتَرْجِحُ بِذُوبِهِ مِنَ الَّذِي أَضْفَقُونَهُ . فَتَعْمَلُ
الْجَمَلَ الْإِرْبَ الْمُنَّةَ . وَتُسَفِّ بِدَرِّ هَذِهِ أَمَّا لِنَقْذِهِ . فَلَمَّا حَمَلَهُ
صَاحِبُهُ الْجَمَلَ الْمَهْمُودَ . وَدَخَلَ بِهِ فِي طَرِيقِهِ الْمُرُودِ . وَوَصَلَ إِلَى غَايَةِ

بَرَكَ. فَضَرَبُوهُ وَمَا أَحْرَكَ. وَتَحَمَّلَ ضَرْبَهُ وَعَسَفَهُ. حَتَّى أَذَابَ مِنْ
 الْجِلْدِ نِصْفَهُ. ثُمَّ نَهَضَ أَنْهَاضَةً. وَخَرَجَ مِنَ الْخَاصَةِ. وَلَا رَمَ هَذِهِ
 الْعِلَادَةُ. إِلَى أَنْ أَهْرَصَ صَاحِبُهُ وَأَبَادَهُ. فَأَذْرَكَ الْجَمَالَ هَذِهِ الْحِيلَةَ.
 فَأَفْتَكَّرَ لَهُ فِي دَائِمِيَّةِ وَيْلَةٍ. وَعَمَدَ إِلَى عَيْنِ مَنْفُوشٍ. وَغَيَّرَ فِي مُقَامَرَتِهِ
 شَكْلَ النَّفُوشِ. وَأَوْسَقَ لِلْجَمَلِ حِيَلًا. وَبَالَغَ فِيهِ تَبْيِيعَةً وَثِقَلًا. وَسَلَطَ
 عَلَيْهِ الظُّلْمَاءَ. ثُمَّ دَخَلَ بِهِ إِلَى الْمَاءِ. فَلَمَّا تَوَسَّطَ الْمَاءَ بَرَكَ. وَتَنَافَلَ
 عَنْهُ صَاحِبُهُ وَزَكَ. فَشَرَبَ الصُّوفُ مِنَ الْمَاءِ مَا يَلَا الْبَرَكَ. ثُمَّ أَرَادَ
 النَّهْوضَ. فَتَأَنَّى بِهِ الرُّبُوضُ. فَتَأَنَّى مِنَ الْمَشَقِّ. مَا لَا يُطَاقُ. وَرَجَعَ
 هَذَا الْفِكْرُ الْوَلِيلُ. عَلَى الْجَمَلِ الْمُسْكِينِ بِأَضَافِ التَّثْقِيلِ. فَسَاءَ
 مَصِيرُهُ. وَكَانَ فِي تَذْيِيرِهِ تَذْمِيرُهُ. وَمَا اسْتَفَادَ إِلَّا زِيَادَةَ النَّصَبِ.
 وَأَمْدَالِ مَا كَانَ يَجِدُهُ مِنَ التَّعَبِ وَالْوَصَبِ. وَإِنَّمَا أَوْرَدَتْ هَذَا
 الْمَثَلَ عَنِ الْجَمَلِ لِيَعْلَمَ الْمَلِكُ وَالْخَضَارُ. أَنَّ الْعَدُوَّ الْقُدَّارَ. وَالْحُسُودَ
 الْمَكَارَ. يَفْتَكِرُ فِي أَنْوَاعِ الدَّوَاهِي. وَيُبْرِغُ أَنْوَاعَ الْبَلَايَا وَالرَّزَايَا
 كَمَا هِيَ. وَيَبْدُلُ فِي ذَلِكَ حِدَّةَ وَجْهِهِ. وَلَا يَقْصِرُ فِيمَا تُصِلُ إِلَيْهِ
 مِنْ ذَلِكَ يَدُهُ. فَتَسَارَةُ تَذْرَكَ مَكَائِدُهُ. وَتُغْرَفُ مَصَائِدُهُ. وَتَارَةُ
 يُغْفَلُ عَنْ دَوَاهِيهَا. فَلَا يَشْعُرُ الْخَصْمُ إِلَّا وَقَدْ تَوَرَّطَ فِيهَا. وَعَلَى كُلِّ
 حَالٍ. لَا بُدَّ لِلشَّخْصِ لَهُ وَعَلَيْهِ مِنَ الْإِحْتِيَالِ

البستاني والاربعة العاشرون بحته

٩٢ كَانَ مِنْ تَكْرِيتِ رَجُلٍ مِنْ مَسْكِينٍ. يَنْظُرُ الْبَسَاتِينَ. فَهِيَ

بعض السنين . قديم قرية منين . وسكن في بستان . كأنه قطعة من
الجنة . فيه فاكهة وتخل ورمان . بقي بعض الأعوام . أقبلت أنفواكه
بالإنعام . ونثرت الثمار ملابس الأشجار من الأذيال والأكمام .
فأجالت الضرورة ذلك الإنسان . أن خرج من البستان . ثم رجع في
الحال فرأى فيه أربة رجال . أحدهم جندي والآخر شريف .
والثالث فقيه والرابع تاجر ظريف . قد أكلوا وسُموا . وناموا
وأنفقوا . وتصرفوا في ذلك تصرف الملأ . وأفسدوا فسادا فاحشا
خادشا . ومارشا وناوشا وناكشا . فأضر ذلك بحاله . ورأى أنجز في
أفحاله . إذ هو وحيد . وهم أربة وكل عنيد . فسارع إلى التأنيد .
وعزم على التقييد . فابتدأ بالترحيب والبشاشة . والإكرام والبشاشة .
وأحضر لهم من أطيب أفاكهة . وطايبهم بالمفاكهة . وسامح
بالممازحة . ومازح بالسلمة . إلى أن أطأوا واستكفوا واستكفوا .
ودخلوا في اللعب . ولاعبوه بما يجب . فقال في أثناء الكلام : أيها
السادة الكرام لقد خرم أطراف المعارف والطرف . فأني شيء
تة أنون من الحرف . فقال أحدهم : أنا جندي . وقال الآخر : أنا
شيخ القضاة جدي . وقال الثالث : أنا فقيه . وقال الرابع : أنا تاجر نبيه .
فقال : والله لست بنبيه . ولكن تاجر سفيه . وقبيح الكل كربة .
أما الجندي فإنه مالك رقابتا . وحارس حجابنا . يحفظنا بصولته .
ويصون أنفسنا وأموالنا وأولادنا بسيف دولته . ويجمل نفسه لنا

وَقَائِهِ . وَيَنْكِ فِي أَعْدَانِنَا أَشَدَّ نَكَايَةً . نَلُومُ مَدِيدَهُ إِلَى كُلِّ مِنَّا وَرِزْقِهِ .
فَهُوَ بِنُصْ اسْتِخْفَافِهِ وَدُونِ حَقِّهِ . وَأَمَّا الشَّرِيفُ فَقَدْ تَشَرَّفَ بِهِ الْيَوْمَ
مَكَانِي . وَحَلَّتْ بِهِ الْبَرَكَةُ عَلَيَّ وَعَلَى بُسْتَانِي . وَأَمَّا سَيِّدُنَا الْعَالِمُ فَهُوَ
مُرْشِدُ الْعَالَمِ . وَهُوَ سِرَاجُ دِينِنَا . الْهَادِي إِلَى يَقِينِنَا . فَإِذَا شَرَفُونَا
بِأَقْدَانِهِمْ . وَرَضُوا أَنْ نَكُونَ مِنْ خُدَّائِهِمْ . فَهُمْ أَفْضَلُ عَلَيْنَا . وَالْمَنَّةُ
الْأَوَّالَةُ إِلَيْنَا . وَأَمَّا أَنْتَ يَا رَأِيَهُمْ . وَشَرَّ جَانِ تَابَهُمْ . يَا بِي عَرِيقُ
تَدْخُلُ إِلَى بُسْتَانِي . وَتَتَنَاوَلُ سَفَرَحِي وَرُمَانِي . هَلْ بَايَتَنِي بِسَلْحَةٍ .
وَزَكَّتْ لِي الْمُرَابَعَةَ . أَوْ لَكَ عَلَيَّ دِينَ . أَوْ عَامَلَنِي نَسِيْدَةً دُونَ دِينِي .
أَلَمْ تَكُنْ لِي جَمِيلَةً . وَهَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَسِيلَةٌ . تَتَخَفِي تَنَاوُلَ مَالِي .
وَالْهُجُومَ عَلَى رَأْيِي وَمَنَالِي . ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَيْهِ . فَلَمْ يَتَرَضَ مِنْ رِقَائِهِ
أَحَدٌ عَلَيْهِ . لِأَنَّهُ أَرْضَاهُمْ بِالْكَلَامِ . وَاعْتَذَرَ عَمَّا يَطْرُقُ إِلَيْهِ مِنْ
مَلَامٍ . فَأَوْتَقَهُ وَثَاقًا مُحْكَمًا . وَزَكَّاهُ مُرَمًّا . ثُمَّ كَثَّ سَاعَةً . رَهْوًا دَلَى
الْحُلَاةِ مَعَ الْجَمَاعَةِ . رَعَانَزَ الْجُنْدِيِّ وَالشَّرِيفِ دَلَى الْقَفِيهِ الْخَارِيفِ .
فَقَالَ : أَيُّهَا الْعَالِمُ الْقَفِيهِ . وَالْقَاضِلُ النَّبِيهِ . أَنْتَ مُنْتَبِي الْمُسْلِمِينَ .
وَعَالِمُ بَيْنِهَاجِ الدِّينِ . عَلَى قَتَوَاكَ مَدَارَ الْإِسْلَامِ . وَكَلِمَتِكَ الْفَارَقَةُ
بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ . يَفْتَوَاكَ تُسْتَبَاحُ الدِّمَاءِ : فَمَنْ أَفْتَاكَ بِالْخُذُولِ فِي
هَذَا . أَفْتَنِي يَا عَالِمُ الزَّمَانِ . مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ أَفْتَاكَ بِهَذَا أَمِ الْإِثْمَانِ .
أَمْ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَمْ مَالِكُ . فَنَجَّ لَنَا بِذَلِكَ . وَإِلَّا فَمَا بَالُكَ تَوَثُّ
وَتَعَبُّ بِمَا لَيْسَ لَكَ . وَلَا عَنَبَ عَلَى الْأَجَادِ وَالْأَشْرَافِ . وَلَا عَلَى

الْجَاهِلَاءُ وَالْأَجْلَافَ . إِذَا أَرْتَكَبَ مِنْكَ هَذَا الْخَطُورَ . وَتَمَاطَى الْعُلَمَاءُ
 وَالْمُقُونُ أَفْجَحَ الْأُمُورَ . ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى جَلَايِدِهِ . وَأَوْثَقَهُ بِتَلَايِدِهِ .
 فَأَحْكَمَهُ وَثَاقًا . وَآأَاهُ رَبَاقًا . فَاسْتَجَدَّ بِصَاحِبِهِ إِلَى جَانِبِهِ فَمَا أُنْجَدَاهُ
 وَلَا رَفَدَاهُ . ثُمَّ جَلَسَ إِلَهِي . الْجُنْدِيُّ السَّاهِي . وَغَامَزَهُ عَلَى
 الشَّرِيفِ . ذِي النَّسَبِ الطَّرِيفِ . ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا السَّيِّدُ الْأَصِيلُ
 النَّجِيبُ الْجَيْدُ الْحَسِيبُ . لَا تَغْتَبِ عَلَى كَلَامِي . وَلَا تَسْتَمْتَلِ مَلَامِي .
 أَمَا الْأَمِيرُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ كَبِيرٌ . ذُو قَدْرِ خَطِيرٌ . لَهُ الْجَمِيلَةُ النَّائِمَةُ .
 وَالْفَضِيلَةُ اللَّامَةُ . وَأَنْتَ يَا ذَا النَّسَبِ الطَّاهِرِ . وَالْأَصْلِ الْبَاهِرِ .
 وَأَفْضَلِ الزَّامِرِ سَلَفُكَ الطَّيِّبُ أَذِنَ لَكَ فِي الدَّخُولِ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ
 لَكَ . وَإِذَا كُنْتَ يَا طَاهِرَ الْأَسْلَافِ لَا تَتَّبِعْ سُنَّةَ آبَائِكَ الْأَشْرَافِ .
 مِنْ الزُّهْدِ وَالْعَفَافِ . فَلَا تَغْتَبِ عَلَى الْأَوْبَاشِ وَالْأَطْرَافِ . ثُمَّ وَبَّ
 إِلَيْهِ وَكَتَفَ يَدَيْهِ . وَلَمْ يَغْطِفِ الْجُنْدِيُّ عَلَيْهِ . وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْجُنْدِيُّ
 وَهُوَ وَحِيدٌ . فَانْتَصَفَ مِنْهُ الْبُسْتَانِيُّ كَمَا يُرِيدُ . وَأَوْثَقَهُ رِبَاطًا . وَزَادَ
 لِنَفْسِهِ اخْتِطَاطًا . ثُمَّ أَوْجَعَهُمْ ضَرْبًا وَأَشْبَعَهُمْ لَعْنًا وَسَبًّا . وَجَعَ عَلَيْهِمُ
 الْحَبْرَانَ . وَاسْتَعَانَ بِالْجَلَاوِزَةِ وَأَصْحَابِ الدِّيَّانِ . وَحَمَلَهُمْ بِرِبَاطِهِمْ
 وَعَمَلَتْهُمْ تَحْتَ آبَائِهِمْ إِلَى بَابِ الْوَالِي . وَأَخَذَ مِنْهُمْ مِمَّنْ مَا أَخَذُوهُ مِنْ
 رَخِيسٍ وَتَمَالِي . وَإِنَّمَا أَوْرَدْتُ مَا جَرَى لِعَمَلُوا أَيُّهَا الْوُزَرَاءُ أَنَّ
 التَّفْخِيزَ . بَيْنَ الْأَعْدَاءِ بِالتَّخْيزِ . أَمْرٌ مِنَ السِّهَامِ فِي تَفْخِيزِ الْأَحْكَامِ
 وَأَحْكَامِ التَّفْخِيزِ

(فاكهة الخلفاء لابن عربشاه)

الْبَابُ السَّابِعُ فِي الْقَضَائِلِ وَالرِّذَائِلِ

الصبر

٩٣ يُقَالُ أَوْكَدُ الْأَسْبَابِ لِلظَّفَرِ الصَّبْرُ. وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: الصَّبْرُ
جَنَّةُ الْمُؤْمِنِ وَعَزِيمَةُ الْمُتَوَكِّلِ. وَسَبَبَ دَرْكُ النَّجْمِ فِي الْحَوَائِجِ. فَمَنْ وَطَّنَ
نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ لَمْ يَجِدْ لِلْأَذَى مَسًّا. وَمَنْ اسْتَعَفَّ بِاللَّهِ عَفْوَهُ.
وَمَنْ اسْتَعَانَ بِهِ يُعِينُهُ وَأَنْ تَجِدُوا حَظًّا خَيْرًا مِنْ الصَّبْرِ. جَاءَ فِي الْمُبْتَهَجِ:
الصَّبْرُ أَخْجَى بِذِي الْحَجِّجِ. وَقَالَ حَكِيمٌ: تَابِعِ الصَّبْرَ مَتَّبِعُ النُّعْرِ
(لِلْقُدْسِيِّ)

٩٤ قَوْلُ أَبُو تَمَّامٍ:

إِذَا اسْتَمَلْتَ عَلَى أَلْيَاسِ الْقُلُوبِ وَضَاقَ لِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّجِيبُ
وَأَوَّطَنْتِ الْمَكَارِهِ وَالْهَمَاتُ وَأَرَسَتْ فِي مَكَلِمَتِهَا الْخَطُوبُ
فَلَمْ تَرَ لِانْكِشَافِ الضَّرِّ وَجْهًا وَلَا أَغْنَى بِحَيَاتِهِ الْأَرِيبُ
أَتَاكَ عَلَى قُتُوطٍ مِنْهُ غَوْثٌ يَمُنُّ بِهِ الْأَطِيفُ الْاِسْتِغِيثُ
فَكُلُّ الْحَادِثَاتِ وَإِنْ تَنَاهَتْ قَوُصُولُ يَهَا فَرَجٌ قَرِيبُ
٩٥ مِنَ الدِّيَوَانِ الْمُنْسُوبِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ:

هِيَ حَالَانِ شِدَّةٌ وَرَخَاءٌ وَسُجْلَانِ نِعْمَةٌ وَبَلَاءٌ
وَأَتَمَّتْ الْحَادِثُ الْأَدِيبُ إِذَا مَا خَانَهُ الدَّهْرُ لَمْ يَخْنَهُ الْعَزَاءُ

إِن أَلَمْتُ مُلَمَّةً يِي فَإِنِّي فِي أَلَمَاتِ حَخْرَةٍ صَمَاءَ
حَاثِرِي فِي أَلْبَاءِ عِلْمًا بِأَن لَيْسَ يَدُومُ النَّعِيمُ وَأَبْلَوَاهُ
وَأَنْشَدَ أَعْرَابِي :

وَأَبِي لَا تُغْضِي مُقْلَتِي عَلَى الْقَدَى
وَأَبِي لَا دَعْوَةَ اللَّهِ وَالْأَمْرُ ضَيْقِي
وَكَمْ مِنْ قَتَى صَاقَتْ عَلَيْهِ وَجُوهُهُ
٩٦ قَالَ غَيْرُهُ :

تَصَبَّرْ وَلَا تُبْدِ التَّضَعُّعَ لِلْعَدَى
مُرُورُ الْأَعَادِي أَنْ تَرَكَ بَذْلَهُ
إِنِّي وَجَدْتُ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ
وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرٍ يُجَاوِلُهُ
فَالْأَمْرُ خَيْرٌ

عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فِيمَا قَدْ نَبَتْ بِهِ
كَمْ لَيْلَةٍ مِنْ هُمُومِ الدَّهْرِ مُظْلِمَةٍ
وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الشَّيْخُ حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبُورِينِي :

صَبْرًا عَلَى نُوبِ الزَّمَانِ فَإِنَّهَا
لَا يَكْشِفُ النِّجَمُ الضَّعِيفُ وَإِنَّمَا
٩٧ قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْعِمَادِي :

لَا تَخْشَ مِنْ شِدَّةٍ وَلَا نَصَبٍ
وَتَقِ بِفَضْلِ الْإِلَهِ وَأَبْتَحِجْ

وَأَرْجُ إِذَا أَشْتَدَّ هَمٌّ نَزَلَتْ فَأَخِرُ أَلَمٍ أَوَّلُ أُنْجَرِ
وَقَالَ غَيْرُهُ وَأَجَادَ :

تَصَبَّرْ نَفِي الْأَوَاءِ قَدْ يُجِدُ الصَّبْرُ وَلَوْ لَا صُرُوفُ الدَّعْوَى لَمْ يُرَفِّ الْحَرْ
وَأَنَّ الَّذِي ابْنَى هُوَ الْعَوْنُ فَانْدَبَ جَمِيلُ الرِّضَا يَتَّقِي أَلَكَ الذِّكْرُ وَالْأَجْرُ
وَتَقَى بِالَّذِي انْطَى وَلَا تَكْ جَارِعًا فَلَيْسَ يَحْزَمُ أَنْ يُوَعَّكَ الْغُرُ
فَلَا نِعْمُ تَبْقَى وَلَا نِقْمُ وَلَا تَأْبُ هَذَا الْأَمْرِ لَيْسَ بِدَائِمٍ
يَدُومُ كِلَا الْخَالَتَيْنِ عُسْرٌ وَلَا يُسْرُ لَدَيْهِ مَعَ الْأَيَّامِ حُلُوٌّ وَلَا مُسْرُ
قَالَ آخَرُ :

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا انْتَبَدَتْ سَأَلِكُمَا فَالْهَبْرُ يَفْتَحُ مِنْهَا كُلَّ مَا رَتَبَا
لَا تَيَأْسَنَّ وَإِنْ صَالَتْ مَطَالِبُهُ إِذَا اسْتَعْتَجَ بِهِ أَنْ تَرَى فَرَجًا
وَقَالَ آخَرُ :

عَلَى قَدْرِ فَضْلِ الْمُرْتَدِّ تَأْتِي خُطُوبُهُ وَيُعرفُ عِنْدَ الصَّبْرِ تَضَلُّ نَهَاةُ
وَمَنْ قَلَّ فِي مَا يَتَّبِعُهُ أَصْطِبَارُهُ فَقَدْ قَلَّ فِي مَا يَرْجِيهِ مُنَاهُ
قَالَ الْمُرَّادُ بْنُ سَيْدٍ :

إِذَا شِلْتُ يَوْمًا أَنْ تَسُودَ عَشِيرَةٌ فَيَا حِلَامَ سُدْ لَا يَا لِدَّرْعٍ وَالشَّمَمِ
وَالْحِلَامُ خَيْرٌ فَأَعْلَنَ مَغَبَّةً مِنَ الْجَهْلِ إِلَّا أَنْ تَشْمَرَ مِنْ ظَامِ

القناعة

٨٨ إَعْلَمَ أَنَّ مِمَّا تَحْتَمُّهُ الْعَاقِلُ وَلَا يَنْهَلُ عَنْهُ إِلَّا الْأَبْلَهُ أَنْ لَدُنْيَا
دَارُ الْأَكْثَادِ وَحَلَّ الْهُمُومِ وَالْغُمُومِ وَالْحَسَرَاتِ . وَأَنَّ أَنْفَ الْخَلْقِ

بَلَاءَ وَالْمَا أَفْقَرَاهُ . وَأَعْظَمَ النَّاسِ تَعَبًا وَهَمًّا وَعَمَّا هُمُ الْمُلُوكُ وَالْأُمَرَاءُ
وَالْكُتُبَرَاءُ . وَيُقَالُ : اِكْلَلْ شَيْخًا قَامَةً مِنْ أَلْهَم . وَقِيلَ :

لَقَدْ قَمَتَ هِمِّي بِالْحُمُولِ وَصَدَّتْ عَنِ الرَّثْبِ الْعَالِيَةِ
وَمَا جَعَلَتْ طَيْبَ طَعْمِ الْعُلَى وَاصْكَنَّا تَوْرُثَ الْعَافِيَةِ
وَمَا لَمْ رَضِيَتِ الْمُلُوكُ وَالسَّلَاطِينُ بِحَالِ الْفُقَرَاءِ وَالضُّعَفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ .

فِي كُلِّ بَيْتٍ كُرْبَةٌ وَمُصِيبَةٌ وَلَعَلَّ بَيْتَكَ إِنْ رَأَيْتَ أَقْلَمًا
فَارْضَ بِحَالِ فَهْرِكَ . وَاشْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى خِفَةِ ظَهْرِكَ . وَلَا تَتَدَبَّ
طَوْرَكَ . وَقِفْ عِنْدَ قَدْرِكَ . تَجِدُ ذَلِكَ نِعْمَةً خَفِيَةً سَاقَهَا اللَّهُ تَعَالَى
إِلَيْكَ . وَرَأْفَةً وَرَحْمَةً أَفَاضَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ خَزَائِنِ أَطْفَعِ عَلَيْكَ . فَاعْتَبِرْ
بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ . وَخُذْ لِنَفْسِكَ حِطًّا وَافِرًا مِنْ هَذِهِ الْعِظَاتِ . وَمِنْ
ذَلِكَ أَنَّ هَارُونَ الرَّشِيدَ مِنْ أَعْظَمِ الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ وَأَكْمَلِهِمْ
رَأْيًا وَتَنْذِيرًا وَفِطْنَةً وَقُوَّةً وَأَتَسَّاعَ مَمْلَكَةٍ وَكَثْرَةَ خَزَائِنِ بَحْثٍ كَانَ
يَمُولُ لِلسُّحَابَةِ : أَمْطَرِي حَيْثُ شِئْتُ فَإِنَّ خَرَجَ الْأَرْضِ الَّتِي تَمْطُرِينَ
فِيهَا يَجِيءُ إِلَيَّ . وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ أَتَعَبُهُمْ خَاطِرًا وَأَشْتَهُمْ فِكْرًا
وَأَشْغَلُهُمْ قَلْبًا
(الاعلام لقطب الدين النهر والي)

٩٩ وَلِلَّهِ مَنْ قَالَ :

أَرَى الدُّنْيَا لَمْ يَنْ هِيَ فِي يَدَيْهِ عَذَابًا كُلَّمَا كَثُرَتْ لَدَيْهِ
إِذَا اسْتَقْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ قَدَعْتُهُ وَخُذْ مَا كُنْتَ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ
قَالَ آخَرُ :

أَفَلَا تَنِي الْقَنَاعَةَ كُلَّ عِزٍّ وَهَلْ عِزُّ أَعَزُّ مِنَ الْفَسَادَةِ
فَاجْعَلْهَا لِنَفْسِكَ رَأْسَ مَالٍ وَاشْتَرِ بِهَا التَّقْوَى بِضَاعَةَ
قَالَ أَبُو الْقَنَاهِيَةِ:

غِنَى النَّفْسِ مَا يَكْفِيكَ مِنْ سِدِّ قَافَةٍ فَإِنْ زَادَ شَيْئًا عَادَ ذَلِكَ أَلْغَى قَهْرًا
قَالَ غَيْرُهُ:

يَا أَحْمَدُ أَقْنِعْ بِالَّذِي أُوتِيْتَهُ إِنْ كُنْتَ لَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ ذَلِكَ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ لَمْ يَخْلُقِ الدُّنْيَا لِأَجْلِكَ كُلِّهَا

العدل

١٠٠ نَحْكِي عَنْ إِسْمَاعِيلَ السَّامَانِيِّ فِي كِتَابِ سِيرِ الْمُلُوكِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا
أَحْتَلَّ مَدِينَةً يَجْلِسُ لِلنَّاسِ وَكَانَ يَرْفَعُ الْحُجَابَ . وَيَبْعُدُ الْحُجَابَ .
وَيُرِيحُ الْبُيُوتَ . لِيَمْلَأَ كُلَّ مَنْ لَهُ ظُلَامَةٌ وَيَتَفَعَّلَ عَلَى جَانِبِ الْبَسَاطِ
وَيُخَاطِبُهُ وَتَعُوذَ مَقْضِي الْحَاجَةِ . وَكَانَ يَقْضِي بَيْنَ الْخُصُومِ مِثْلَ
الْحُكَّامِ إِلَى أَنْ يُفْنِيَ الدَّعَاوِي . ثُمَّ يَقُومُ مِنْ مَوْضِعِهِ وَيَبْشُرُ عَلَى
مَحَاسِنِهِ بِيَدَيْهِ . وَيُوحِيهِ وَجْهَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ : إِلَهِي هَذَا جُهْدِي
وَطَاقَتِي قَدْ بَدَلْتُهُ وَأَنْتَ عَالِمُ الْأَسْرَارِ وَتَعْلَمُ عَلَانِيَتِي . وَلَا أَعْلَمُ عَلَى
أَيِّ عَبْدٍ مِنْ عِبِيدِي أَحْبَبْتُ أَوْ لِأَيِّ عَبْدٍ ظَلَمْتُ وَمَا أَنْصَفْتُ . أَنَا
وَاحِدٌ مِنْ أَصْحَابِي . فَأَغْفِرْ لِي مِنْ ذَلِكَ مَا لَا أَعْلَمُ . فَلَمَّا كَانَ آخِرُ
الْيَتَةِ جَبَلِ الطُّوَيْهِ لَا جَرَمَ عَلَا أَمْرُهُ وَارْتَفَعَ قَدْرُهُ . وَكَانَ عَسْكَرُهُ

أَلْفَ تَارِسٍ مُعْتَدِينَ بِالسَّلَاحِ مُتَّبِعِينَ بِالْحَدِيدِ وَبِرَكَّةِ ذَلِكَ
الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ ظَفَرَهُ اللَّهُ بِأَعْدَائِهِ
(للغزالي)
قَالَ شَاعِرٌ :

أَعْدَلُ رُوحٍ بِهِ تَحْيَا الْإِلَادُ كَمَا دَمَرُهَا أَبَدًا بِالْجُورِ يُنْجِمُ
الْجُورُ شَيْئًا بِهِ التَّعْسِيرُ مُنْتَمِعٌ وَالْعَدْلُ زَيْنٌ بِهِ التَّهْدِيدُ يَنْتَظِمُ
١٠١ لَمَّا ظَلَمَ أَحْمَدُ بْنُ طُلوْنٍ قَبْلَ أَنْ يَدِلَّ . اسْتَمَعَتْ النَّاسُ مِنْ
ظُلْمِهِ وَتَوَجَّهُوا إِلَى السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ وَاسْتَكَوْهُ إِلَيْهَا . قَالَتْ لَهُمْ : مَتَى
يَرْكَبُ . قَالُوا : فِي غَدٍ فَكَتَبَتْ رُقْعَةً رَوَّقَتْ فِي طَرِيقِهِ . وَقَالَتْ :
يَا أَحْمَدُ بْنُ طُلوْنٍ . فَلَمَّا رَأَاهَا عَرَفَهَا وَتَرَجَّلَ عَنْ فَرَسِهِ وَأَخَذَهَا . نَهَسَا
وَقَرَأَهَا . فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ مَلَكْتُمْ فَاسْرُتُمْ . وَفَدَرْتُمْ فَاهَرْتُمْ . وَخَوَلْتُمْ
فَعَسَنْتُمْ . وَدَرَّتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْزَاقُ فَطَعَنْتُمْ . هَذَا وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ سِيَاهَ
الْأَسْوَارِ نَائِذَةٌ لَا سِيَاهٍ مِنْ قُلُوبٍ اجْتَمَعَتْهَا . وَأَجْسَادٍ أَعْرَبَتْهَا .
اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَإِنَّا صَابِرُونَ . وَجُورُوا فَإِنَّا بِاللَّهِ مُسْتَجِيرُونَ . وَأَظْلِمُوا
فَإِنَّا بِكُمْ مُنْتَظِمُونَ . وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ . فَعَدَلَ
مِنْ وَفْقِهِ وَسَاعَتِهِ

(ابن أبي الدنيا)

١٠٢ أَخْبَرَ الثَّمَالِي قَالَ : اسْتَشْهَدَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَرَاتِ أَيَّامَ وَزَارَتِهِ عَلِيَّ بْنَ
عِيْسَى سَاحِبَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَمْ يَشْهَدْ لَهُ . فَلَمَّا عَادَ إِلَى بَيْتِهِ كَتَبَ إِلَيْهِ :
لَا تَلْمِزْنِي عَلَى نَكْرَهِي عَنْ نُصْرَتِكَ شَهَادَةُ زُورٍ . فَإِنَّهُ لَا إِتْفَاقَ عَلَى
إِتْفَاقٍ . وَلَا وِفَاءَ لِذِي مِينٍ وَأَخْتِلَاقٍ . وَأَخْرَجَ بَيْنَ تَمَدُّي أَلْحَقَ فِي

مَسَرَّتْكَ إِذَا رَضِيَ أَنْ يَتَعَدَّى الْبَاطِلُ فِي مَسَاءِ تَكْ إِذَا غَضِبَ. وَكَانَ
الْمُتَنَبِّيَ أَشَارَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ :

لَقَدْ أَبَاحَكَ غِشًّا فِي مُعَامَلَةٍ مَنْ كُنْتَ مِنْهُ بِغَيْرِ الصِّدْقِ تَنْتَفِعُ

الكرام

١٠٣ كَانَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ يَقُولُ تَنَافَسُوا فِي الْمَنَافِمِ وَسَارِعُوا
إِلَى الْمَكَارِمِ. وَاكْتَسَبُوا بِالْجُودِ حَمْدًا وَلَا تَكْتَسِبُوا بِالْمَالِ ذَمًّا. وَلَا
تَعْدُوا بِمَعْرُوفٍ وَلَمْ تَحْلُوهُ. وَأَعْلَمُوا أَنَّ حَوَاجِ النَّاسِ نِعْمَةٌ مِنْ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ فَلَا تَمْلُوهَا فَعُودَ نِعْمًا. وَقَالَ الشَّاعِرُ :

مَاتَ الْكِرَامُ وَوَلَوْ أَوْانَقَضُوا وَمَضُوا وَمَاتَ فِي إِثْرِهِمْ تَكَ الْكَرَامَاتُ
وَحَاطُونِي فِي قَوْمٍ ذَوِي سَفْهِ لَوْ عَانُوا عَاطِفَ ضَيْفٍ فِي الْكُرَى مَاتُوا
١٠٤ قَالَ آخِرُ :

إِنِّي وَإِنْ لَمْ يَلْ مَالِي مَدَى خُلُقِي فَيَاضُ مَا مَلَكَتْ كَفَّايَ مِنْ مَالٍ
لَا أَحِسُ الْمَالَ إِلَّا رَيْثَ أَثْلَفِهِ وَلَا تُعِيرُنِي حَالٌ إِلَى حَالٍ
وَقَالَ سَوَادَةُ الْيَرْبُوعِيُّ :

أَلَا بَكَرْتِ مَيَّ عَلَى تَلَوْنِي تَقُولُ أَلَا أَهْلَكْتَ مَنْ أَنْتَ عَائِلَةٌ
ذَرِينِي فَإِنَّ الْبُغْلَ لَا يُخْلِدُ الْتَتَّى وَلَا يُهَيِّكُ الْمَعْرُوفُ مَنْ هُوَ قَائِلُهُ
قَالَ آخِرُ :

يُنْفِي الْبُغْلُ بِمَجْمَعِ الْمَالِ مُدَّتَهُ وَلِلْحَوَادِثِ وَالْأَيَّامِ مَا يَدْعُ
كَدُودَةَ الْفَرِّ مَا تَبْنِيهِ يَهْدِيهَا وَغَيْرُهَا بِالَّذِي تَبْنِيهِ يَنْتَفِعُ

قَالَ غَيْرُهُ فِي الْمَعْنَى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ أَلَمَّ طُولَ حَيَاتِهِ مُعْنَى بِأَمْرِ لَا يَزَالُ يُعَالِجُهُ
كَذَلِكَ دُودُ الْقَرْيَةِ يَسْجُ دَائِمًا وَيَهْلِكُ غَمًّا بِالَّذِي هُوَ نَائِجَةٌ

الوفاء

١٠٥ يُخْبِئُنِي قَوْلُ بَعْضِهِمْ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ شَجَرَ وَعْدِكَ قَدْ أَوْرَقَتْ
فَلْيَكُنْ ثَمَرُهَا سَالِمًا مِنْ جَوَانِحِ الْمَطْلِ وَالسَّلَامِ (للحموي)

قَالَ أَبُو تَمَامٍ :

إِذَا قُلْتَ فِي شَيْءٍ نَعَمْ فَأَتِمَّهُ فَإِنَّ نَعَمْ دَيْنٌ عَلَى الْخَيْرِ وَاجِبٌ
وَلَا أَقُولُ لَا تَسْتَرْخِ وَتَرْخِ بِهَا لِأَنَّ يُمَوِّلَ النَّاسُ إِنَّكَ كَاذِبٌ
وَقَالَ آخَرُ :

وَأَنْدَوَعْتُ وَأَنْتَ أَكْرَمُ وَاعِدٍ لَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ يَفِيرُ تَمَامٍ
أَنْعِمَ عَلَيَّ بِمَا وَعَدْتَ تَكْرُمًا فَأَطْلُ يَذْهَبُ بِعَجْةٍ الْإِنْعَامِ
وَقَالَ غَيْرُهُ :

لَنْ يَجْمَعَ الْآفَاتُ فَأَنْجِلْ شَرَّهَا وَشَرُّهُ مِنْ أَنْجِلِ الْوَاعِدُ وَأَطْلُ
وَلَا خَيْرَ فِي وَعْدٍ إِذَا كَانَ كَاذِبًا وَلَا خَيْرَ فِي قَوْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِعْلُ

الرأي والمشورة

١٠٦ قِيلَ : مَنْ بَدَأَ بِالِاسْتِخَارَةِ وَتَوَنَّى بِالِاسْتِشَارَةِ فَحَقِيقُ أَنْ لَا يَحْتَاجَ
رَأْيَهُ وَدَيْلَ : الرَّأْيُ السَّيِّدُ أَحْمَى مِنَ الْبَطْلِ السَّيِّدِ . وَقِيلَ : مَنْ بَدَّلَ

نُصَحَهُ وَاجْتِهَادَهُ لِيَنْ لَا يَشْكُرُهُ فَوَ كُنْ بِدَرْ فِي السِّبَاخِ . قَالَ الشَّاعِرُ
يَمْدَحُ مَنْ لَهُ رَأْيٌ وَبَصِيرَةٌ :

بَصِيرٌ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ كَأَنَّمَا يُخَاطِبُهُ مِنْ كُلِّ أَمْرِ عَوَاقِبُهُ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ : خَيْرُ الرَّأْيِ خَيْرٌ مِنْ قَطِيرِهِ . وَتَقْدِيمُهُ خَيْرٌ مِنْ تَأْخِيرِهِ

(للابشيحي)

وَمَا يُرْفُ أَحْسَنُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الرُّومِيِّ فِي ذَلِكَ :
نَارُ الرُّوِيَّةِ نَارٌ جَدُّ مُنْجِيَةٍ وَلِلْبَيْيَةِ نَارٌ ذَاتُ تَلَوُّجٍ
وَقَدْ يُفْضِلُهَا قَوْمٌ لِمَا جَاهَا لَكِنَّهُ عَاجِلٌ يَمْضِي مَعَ الرِّيحِ
قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَجِّي :

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ وَهْيِ الْمُحِلِّ الثَّانِي
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا يَنْفُسُ حُرَّةٍ بَلَقَتْ مِنَ الْعُلَيَاءِ كُلِّ . بَكَانٍ
وَلَرُبَّمَا طَمَعَنَ الْفَتَى أَقْرَانُهُ بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الْأَقْرَانِ
لَوْ لَا الْقَوْلُ لَكَانَ أَذْنَى ضَيْعَمٍ أَذْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ
١٠٧ قَالَ بَعْضُهُمْ : وَشَاوِرِ النَّاسِ فِي الْأَمْرِ إِذْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَا
يَسْتَمْنِي عَنْ مَشُورَةٍ نَصِيحٍ لَهُ . كَمَا أَنَّ الْهَوَادِمَ مِنْ رِيَشِ الْجَبَاحِ
تَسْتَمْنِي بِالْحَوَافِي مِنْهُ . قَالَ بَشَّارُ :

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَمْنِ بِحَزْمٍ نَصِيحٍ أَوْ نَصَاحَةِ حَازِمٍ
وَلَا تَجْعَلِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَصَاحَةً فَرِيشُ الْحَوَافِي تَابِعُ لِلْهَوَادِمِ
وَمَا خَيْرُ كَهْفٍ أَمْسَكَ الْفُلَّ اخْتَهَا وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤْيِذْ بِقَائِمٍ

قَالَ الْأَنْصَبِيُّ: قُلْتُ لِشَارٍ: رَأَيْتُ رَجَالَ الرَّأْيِ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ
 آيَاتِكَ فِي الْمَشُورَةِ. فَقَالَ: أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ الْمَشَاوِرَ بَيْنَ إِحْدَى
 الْحَسَنَيْنِ. صَوَابٌ يَقُوزُ بِغَمْرَتِهِ. أَوْ خَطَاةٌ يُشَارِكُ فِي مَكْرُوهِهِ.
 قُلْتُ لَهُ: أَنْتَ فِي هَذَا الْكَلَامِ أَشْعَرُ مِنْكَ فِي شِعْرِكَ. وَقَالَ
 الْجَاهِلُ: الْمَشُورَةُ لِقَاحُ الْقَوْلِ وَرَأَيْدُ الصَّوَابِ وَالْمُسْتَشِيرُ عَلَى
 طَرَفِ النَّجَاحِ. وَأَسْتَشَارَةُ الْمَرْءِ بِرَأْيِ أَخِيهِ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ وَخَزَمِ
 التَّدْبِيرِ. وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ: لَأَنْ أَخْطِئُ وَقَدْ اسْتَشَرْتُ
 أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُصِيبَ وَقَدْ اسْتَبَدَدْتُ بِرَأْيِي مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ
 (لَا بِي نَصْرَ الْمَقْدِسِيِّ)

وَلَكِنْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ:

لَا تَخْفَرَنَّ الرَّأْيَ وَهُوَ مُوَابِقٌ حُكْمُ الصَّوَابِ إِذَا أَتَى مِنْ تَائِبٍ
 فَالْدَّرُ وَهُوَ أَجَلُ شَيْءٍ يُتَتَّى مَا حَطَّ قِيَّتُهُ هَوَانُ الْتَائِبِ
 قَالَ الْأَرَجَانِيُّ وَأَجَادَ:

شَاوِرٌ سِوَايَ إِذَا تَابَكَ تَائِبَةٌ يَوْمًا وَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْمَشُورَاتِ
 فَالْعَيْنُ تَنْظُرُ مِنْهَا مَا دَنَا وَنَأَى وَلَا تَرَى نَفْسَهَا إِلَّا بِمِرَاقَةٍ
 وَقَالَ أَيْضًا:

خَصَائِصُ مَنْ تَشَوَّرَهُ ثَلَاثُ تَحْذٍ مِنْهَا جَمِيمًا بِالْوَيْقَةِ
 وَدَادَ خَالِصٌ وَوَفُورٌ عَقْلٌ وَمَعْرِفَةٌ بِحَالِكَ وَالْحَقِيقَةُ
 فَمَنْ حَصَلَتْ لَهُ هَذِي الْمَعَانِي فَتَابِعْ رَأْيَهُ وَالْزَمْ طَرِيقَهُ

وَلَا يَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤَبِي :

فَمَا كُلُّ ذِي نَضَمٍ يُؤَرِّيكُ نَضَمَهُ وَلَا كُلُّ مُؤْتٍ نَضَمَهُ يَلِيْبُ
وَلَكِنْ إِذَا مَا اسْتَجَمَعَ عِنْدَ وَاحِدٍ فَحَقُّ لَهُ مِنْ طَاعَةِ يَنْصِيبُ

الحسد

١٠٨ قَالَ بَضْرُ الْحَكَمَاءِ : مَا أَتَقَى لِلْإِيمَانِ وَلَا أَهْتِكُ لِلْسِتْرِ
مِنْ الْحَسَدِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْحَاسِدَ مُقَدِّدٌ لِحُكْمِ اللَّهِ . يَأْخُذُ عَلَى عِبَادِهِ .
عَاتٍ عَلَى رَبِّهِ . يَتَدَبَّرُ نِعَمَ اللَّهِ نِقَمًا وَزَيْدَهُ غُبْرًا . وَعَدْلَ قَضَائِهِ حَيْفًا
لِلنَّاسِ حَالٌ وَلَهُ حَالٌ . لَيْسَ يَهْدَأُ لَيْلُهُ . وَلَا يَنَامُ جَسَمُهُ . وَلَا يَقَعُهُ
عَيْنُهُ . مُحْتَمِرٌ لِنِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ . مُسْتَخْطٌ مَا جَرَتْ بِهِ أَقْدَارُهُ . وَلَا يَبْرُدُ
غَلِيْلُهُ . وَلَا تَوْنُ مِنْ غَوَائِلِهِ . إِنْ سَأَلْتَهُ وَتَرَكَ . وَإِنْ وَاصَتْهُ قَطَاعَكَ .
وَإِنْ صَرَمَتْهُ سَبَقَكَ . ذَكَرَ حَاسِدٌ عِنْدَ بَضْرِ الْحَكَمَاءِ قَال : يَا عَجَبًا
لِرَجُلٍ أَسْلَكَهُ الشَّيْطَانُ مَهَاوِي الضَّلَالَةِ . وَأَوْرَدَهُ فُحْمَ الْمُلْكَةِ .
فَصَارَ لِنِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى الْمِرْصَادَ إِنْ أَنَالَهَا مِنْ أَحَبٍّ مِنْ عِبَادِهِ .
أَشْمَرَ قَلْبُهُ الْأَسْفَ عَلَى مَا لَمْ يُقَدِّرْ لَهُ . وَأَعَارَهُ الْكَفْ بِمَا لَمْ يَكُنْ
لِنَالِهِ . قَالَ سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ : الْحَسَدُ يُضْمِفُ الْيَقِينَ وَيُسْهِرُ الَّذِينَ
وَيَكْثُرُ لَهُمْ . وَلَا يَبِي الْمَتَاهِي :

أَيَارَبِ إِنْ النَّاسَ لَا يُصِفُونَنِي وَكَيْفَ وَلَوْ أَنْصَفْتَهُمْ فَلَا دُونِي
وَإِنْ كَانَ لِي شَيْءٌ تَصَدَّقُوا لِأَخْذِهِ وَإِنْ جِئْتُ أَبْنِي مِنْهُمْ مِنْعُونِي
وَإِنْ نَالَهُمْ بَذَلِي فَلَا شُكْرَ عِنْدَهُمْ وَإِنْ أَنَا لَمْ أَبْذِلْ لَهُمْ شَتْمُونِي

وَأِنْ طَرَفْتَنِي نِعْمَةً فَرَحُوتُ بِهَا وَأِنْ صَحَبْتَنِي نِعْمَةً حَسَدُوتُنِي
سَأَمْنَعُ قَلْبِي أَنْ يَمُنَ إِلَيْهِمْ وَأَحْجِبُ عَنْهُمْ نَاطِرِي وَجُفُونِي
كَتَبَ ابْنُ بَشِيرٍ الْمُرُوزِي إِلَى ابْنِ الْمُبَارَكِ هَذِهِ الْأَيَّاتُ :

كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تَرَجَى إِمَانُهَا إِلَّا عَدَاوَةَ مَنْ عَادَاكَ مِنْ حَسَدٍ
فَإِنَّ فِي الْقَلْبِ مِنْهَا عُقْدَةٌ عُقِدَتْ وَلَيْسَ يَفْتَحُهَا رَاقٍ إِلَى الْأَبَدِ
قَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا طَائِبَ الْأَمْسِ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَاةٍ رَغْدًا يَا قَتَرَ صَفْوًا يَا رَتَقَ
خَالِصَ فَوَادِكَ مِنْ غِلٍّ وَمِنْ حَسَدٍ قَالِغِلُّ فِي الْقَلْبِ مِثْلُ الْغُلِّ فِي الْعُنُقِ
(لَا بِنَ عِدْرِيَّة)

وَقَالَ آخَرُ :

إِيَّاكَ وَالْحَسَدَ الَّذِي هُوَ آفَةٌ قَتَوَةٌ وَتَوَقَّ غِرَّةً مِنْ حَسَدٍ
إِنَّ الْحُسُودَ إِذَا أَرَاكَ مَوْدَّةً بِالْقَوْلِ فَهُوَ لَكَ الْعَدُوُّ الْمُحْتَبَهَدُ
وَلِبَعْضِ الْأَدَبَاءِ يَنْصَحُ الْحُسُودَ :

لَا يُخْزِنَنَّكَ قَهْرٌ إِنْ عَرَاكَ وَلَا تَتَّبِعْ أَخَالَكَ فِي مَالٍ لَهُ حَسَدًا
فَإِنَّهُ فِي رَحَاءٍ فِي مَعِيشَتِهِ وَأَنْتَ تَتْلَى بِذَلِكَ أَلْهَمَ وَالنَّكَدَا

حفظ اللسان

١٠٩ إِنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَتَّبِعِي لِعَاقِلٍ الْمُكَلَّفِ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنْ جَمِيعِ
الْكَلَامِ إِلَّا كَلَامًا تَطْهَرُ الْمُصَلِّحَةُ فِيهِ . وَمَتَى أَسْتَوَى الْكَلَامُ وَرَكَعُ
فِي الْمُصَلِّحَةِ فَالْسُّنَةُ أَلَا مَسَاكُ عَنْهُ . لِأَنَّهُ قَدْ يَجْرُ الْكَلَامُ الْمُبَاحُ إِلَى

حَرَامٍ أَوْ مَكْرُوهٍ . بَلْ هَذَا كَثِيرٌ وَغَائِبٌ فِي أَلْهَادَةٍ . وَالسَّلَامَةُ لَا
يُعَادِلُهَا شَيْءٌ . قَالَ وَهَيْبُ بْنُ أَلُورِدٍ : بَأْتِنَا أَنَّ الْحِكْمَةَ عَشْرَةُ أَجْزَاءَ
تِسْعَةٍ مِنْهَا فِي الْعَقْمَةِ وَالْعَاشِرَةُ فِي عُزْلَةِ النَّاسِ . وَمِنْ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ :
مَنْ طَلَقَ مِنْ غَيْرِ خَيْرٍ فَقَدْ لَفَا . وَمَنْ نَظَرَ فِي غَيْرِ أَعْتَبَ أَرَقَّهَا .
وَمَنْ سَكَتَ فِي غَيْرِ فِكْرٍ فَقَدْ لَهَا . وَقِيلَ : لَوْ قَرَأْتَ صِحَّتِكَ . لَا تُغْمَدُ
صَفِيحَتِكَ . وَلَوْ رَأَيْتَ مَا فِي مِيزَانِكَ . لَحُتَتْ عَنْ لِسَانِكَ . وَقِيلَ :
الْكَلِمَةُ أُسِيرَةٌ فِي وَتَاقِ الرَّجُلِ . فَإِذَا تَكَلَّمَ بِهَا صَارَ فِي وَتَاقِهَا .
يَقُولُ الْإِنْسَانُ كُلُّ صَبَاحٍ وَكُلَّ مَسَاءٍ لِلْجَوَارِحِ : كَيْفَ أَنْتَ . فَيَقُلْنَ
يَحْيَى إِنْ تَرَكْنَاهَا (للابشيهي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

إِنَّ الْأَثِيلَ مِنَ الْكَلَامِ بِأَهْلِهِ حَسَنٌ وَإِنْ سَيِّئُهُ مُمْتَوْتُ
مَا زِلْ ذُو صَمْتٍ وَمَا مِنْ مَكْثٍ إِلَّا يَزِلُّ وَمَا يَسَابُ صَمْتُ
إِنْ كَانَ يَنْطِقُ نَاطِقٌ مِنْ فَضْلِهِ فَالْعَبْتُ دُرَّ زَانَهُ يَأْقُوتُ
١١٠ قَالَ بَنَصْرُ الْحُكَمَاءِ : إِذَا قُلْتَ فَأَوْجِزْ . فَإِذَا بَأْتَتْ حَاجَتَكَ
فَلَا تَتَكَلَّفْ . وَقَالَ أَيْضًا : أَنْتَ سَأَلْتَ مَا سَكَتَ . فَإِذَا تَكَلَّمْتَ ذَلِكَ
أَوْعَايَكَ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : الْكَلَامُ كَالدَّوَاءِ إِنْ أَقْلَتَ مِنْهُ
نَفَعَ . وَإِنْ أَكْثَرْتَ مِنْهُ صَدَعَ . وَقَالَ لُحْدَانُ لَأَبْنِهِ : يَا بُنَيَّ إِنْ مِنْ
الْكَلَامِ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنَ الْحَجَرِ . وَأَنْفَذَ مِنْ وَخْزِ الْإِبْرَةِ . وَأَمْرٌ مِنَ
الصَّبْرِ . وَأَحْرُ مِنَ الْجَمْرِ . وَإِنَّ الْفُلُوبَ مَزَارِعَ فَازْدَعْ فِيهَا طَيْبَ

الْكَلَامَ . فَإِنْ لَمْ يَنْبِتْ فِيهَا كُلُّهُ ثَبَتَ بَعْضُهُ . وَتَالَ عَلِيٌّ : مَا حَبَسَ
 اللَّهُ جَارِحَةً فِي حِصْنٍ أَوْ ثَنٍ مِنَ اللِّسَانِ . الْأَسْتَانُ أَمَامَهُ وَالشَّفَتَانِ
 مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ . وَالْأَمَامَةُ مُطِيقَةٌ عَلَيْهِ وَالْقَلْبُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ . فَأَتَى
 اللَّهَ وَلَا تُطْلَقُ هَذَا الْخَبُوسَ مِنْ حَبْسِهِ إِلَّا إِذَا أَمِنْتَ شَرَّهُ . وَقَالَ
 بَعْضُ الْأَدْبَاءِ : أَحْبَسَ لِسَانَكَ قَبْلَ أَنْ يُطِيلَ حَبْسَكَ (الشَّهْرَاوِي)
 قَالَ الشَّاعِرُ :

وَاحْفَظْ لِسَانَكَ وَاحْتَرِزْ مِنْ لَفْظِهِ قَالِمُهُ يَسْلَمُ بِاللِّسَانِ وَيَنْطَابُ
 وَزِينُ الْكَلَامِ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ رُزَارَةً فِي كُلِّ نَادٍ تَخْطُبُ
 قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ سَعْدُونَ :

يَحْنُ اللِّسَانُ هُوَ السَّلَامَةُ لِلْفَتَى مِنْ كُلِّ نَازِلَةٍ لَهَا اسْتِصَالُ
 إِنْ أَلْسَانَ إِذَا حَلَّتْ عَقَالَهُ أَلْقَاكَ فِي شَنْعَاءٍ لَيْسَ تَقَالُ
 قَالَ أَبُو عُثْمَانَ بْنُ لُيُونٍ الْبُحَيْرِيُّ :

بَرَّهَ لِسَانَكَ عَنْ قَوْلٍ تَسَابُ بِهِ وَارْتَعِبَ بِسَمْعِكَ عَنْ قِيلٍ وَعَنْ قَالَ
 لَا تَبْغِ غَيْرَ الَّذِي يَنْبِيكَ وَاطْرَحِ الْفُضُولَ تَحْتَ قَرِيدِ الْعَيْنِ وَالْبَالِ
 كَمَا السَّرَّ

١١١ قَالَ حَكِيمٌ : كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي آتِيَةٍ لَا تُسَمِّكَ مَا فِيهَا . كَذَلِكَ
 لَا خَيْرَ فِي صَدْرٍ لَا يَكْتُمُ سِرَّهُ . قَالَ آخَرُ : مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ سَرَّهُ . وَأَمِنْ
 النَّاسُ شَرَّهُ . وَمَنْ حَكَّمَ لِسَانَهُ شَانَهُ . وَأَفْسَدَ شَانَهُ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ :
 مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَجِدُ رَاحَةً فِي إِفْشَادِ سِرِّهِ إِلَى غَيْرِهِ هَدَى أُنْهَمَ عَقْلَهُ .

لِأَنَّ مَشَقَّةَ الْأَسْتَبْدَادِ بِالسِّرِّ أَقْلُ مِنْ مَشَقَّةِ إِفْشَائِهِ إِسْبَابُ
الْمُسَارَكَةِ (للشبراوي)

قَالَ الْقَاضِي الْأَسْعَدُ أَبُو الْمَكَارِمِ الْمَضَرِّي الْكَاتِبُ:
وَأَكْتُمُ السِّرَّ حَتَّى عَنْ إِعَادَتِهِ إِلَى الْمُسِيرِ بِهِ مِنْ غَيْرِ نِسْيَانٍ
وَذَلِكَ أَنَّ إِسْأَنِي لَيْسَ يُعْلَمُهُ تَسْمِي بِسِرِّ الَّذِي قَدْ كَانَ تَاجَانِي
١١٢ (فِي التَّاجِ) : إِنْ بَعْضُ مُلُوكِ النَّجْمِ اسْتَشَارَ وَزِيرَهُ . فَقَالَ
أَحَدُهُمَا : لَا يَدْبِغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَسْتَشِيرَ مِنْهُ أَحَدًا إِلَّا خَالِيًا . فَإِنَّهُ أَمُوتُ
لِلسِّرِّ وَأَحْزَمُ لِلرَّأْيِ وَأَجْدَرُ بِالسَّلَامَةِ وَأَعْنَى لِبَعْضِنَا مِنْ غَائِلَةٍ بَعْضٍ .
فَإِنْ إِفْشَاءَ السِّرِّ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ أَوْثَقُ مِنْ إِفْشَائِهِ إِلَى اثْنَيْنِ . وَإِفْشَاءَهُ
إِلَى ثَلَاثَةٍ كَإِفْشَائِهِ إِلَى جَمَاعَةٍ . فَإِذَا كَانَ السِّرُّ عِنْدَ وَاحِدٍ كَانَ أُخْرَى
أَنْ لَا يَظْهَرُ رَغْبَةٌ وَرَهْبَةٌ . وَإِنْ كَانَ عِنْدَ اثْنَيْنِ دَخَلَتْ عَلَى الْمَلِكِ
الشُّبْهَةُ وَاتَّسَمَتْ عَلَى الرَّجُلَيْنِ الْمَعَارِضُ فَإِنْ عَافِيَهُمَا عَاقَبَ اثْنَيْنِ
بِذَنْبِ وَاحِدٍ . وَإِنْ اتَّهَمَهُمَا اتَّهَمَ بَرِيئًا بِجِيَانَةٍ مُجْرِمٍ . وَإِنْ عَفَا عَنْهُمَا
كَانَ الْعَفْوُ عَنْ أَحَدِيهِمَا وَلَا ذَنْبَ لَهُ وَعَنِ الْآخَرِ وَلَا حُجَّةَ مَعَهُ

الغنية

١١٣ عَابَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ بَعْضِ الْأَشْرَافِ فَقَالَ لَهُ : قَدْ اسْتَدَلَّتْ
عَلَيَّ كَثْرَةُ عُيُوبِكَ بِمَا تَكْثُرُ مِنْ عُيُوبِ النَّاسِ . لِأَنَّ طَالِبَ الْعُيُوبِ
إِنَّمَا يَطْلُبُهَا بِقَدْرِ مَا فِيهِ مِنْهَا . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ
لَا تَهْتَكُنْ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَا سَتَرُوا فَيَهْتِكُ اللَّهُ سِتْرًا مِنْ مَسَاوِيكَ

وَأَذْكُرْ تَحَايِينَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا وَلَا تَيْبُ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ
(لابن عبد ربه)

قَالَ ابْنُ الْحَلَّاجِ الدَّهْلِيُّ :

إِنَّ الْكَرِيمَ الَّذِي تَبَقَى مَوَدَّتُهُ وَيَحْفَظُ السِّرَّ إِنْ صَافَى وَإِنْ صَرَمَا
لَيْسَ الْكَرِيمُ الَّذِي إِنْ غَابَ صَاحِبُهُ بَثَّ الَّذِي كَانَ مِنْ أَسْرَارِهِ عَلِمَا
وَقَالَ أَيْضًا :

إِذَا مَا كَتَمْتُ السِّرَّ عَنْ أَوْدُهُ تَوَهَّمُ أَنَّ الْوَدَّ غَيْرُ حَقِيقٍ
وَلَمْ أَخْفِ عَنْهُ السِّرَّ مِنْ ضَنْتِهِ بِهِ وَلَكِنِّي أَخَشَى صَدِيقَ صَدِيقِي
قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لَا تُطْعِمْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ مَهَازِ غِيَابٍ مَشَاءَ
بَنِيمٍ . وَحَسْبُكَ بِالْغَنَامِ خِصَّةٌ وَرَذِيلَةٌ سُهُوطُهُ وَضَعَتْهُ (وَالْمَهَازُ
الْمَغْتَابُ الَّذِي يَأْكُلُ لَحْمَ النَّاسِ الطَّاعِينَ فِيهِمْ) . قَالَ حَكِيمٌ : أَلَا
أَخْبَرْتُكُمْ بِشِرَارِكُمْ . قُلُوبًا : بَلَى . قَالَ : شِرَارُكُمْ الْمَشَاوُنَ بِالْأَنِمَاتِ
الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ الْبَاغُونَ الْعُيُوبَ . وَقِيلَ مَا عُونُ ذُو الْوَجْهَيْنِ .
مَلْعُونُ ذُو اللِّسَانَيْنِ . مَلْعُونُ كُلِّ شَفَاظٍ . مَلْعُونُ كُلِّ قَتَاتٍ . مَلْعُونُ
كُلِّ ثَمَامٍ . مَلْعُونُ كُلِّ مَنَانٍ وَالشَّفَاظُ الْفَحْرَشُ بَيْنَ النَّاسِ يُلْقِي
بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ . وَالْقَتَاتُ الْغَنَامُ . وَالْمَنَانُ الَّذِي يَعْمَلُ الْخَيْرَ وَيَمْنُ بِهِ .
قَالَ آخَرُ : أَحْذَرُوا أَعْدَاءَ الْعُقُولِ وَأَصْغُصَ الْمَوَدَّاتِ . وَهُمْ السُّعَاةُ
وَالْغَنَامُونَ . إِذَا سَرَقَ الْأَصْغُصُ الْمَتَاعَ سَرَقُوا هُمْ الْمَوَدَّاتِ . وَفِي الْمَثَلِ
السَّارِ : مَنْ أَطَاعَ الْوَلَايَةَ ضَيَّعَ الصَّدِيقَ وَقَدْ تُقَطَّعُ الشَّجَرَةُ قَدَبْتُ

وَيَنْطَعُ اللَّحْمَ السَّيْفُ فَيَنْدَمِلُ . وَاللِّسَانُ لَا يَنْدَمِلُ جُرْحُهُ . قَالَ صَاحِبُ
ابْنِ عَبْدِ الْهُدُوسِ :

قُلْ لِلَّذِي لَسْتُ أَذْرِي مِنْ تَلَوْنِهِ أَنَا صَاحِبُ أَمٍّ عَلَى غَمْسٍ يَنَاجِينِي
إِنِّي لَا كَثِيرٌ بِمَا سَمَّيْتَنِي عَجَبًا يَدُ تَشَجُّ وَأَخْرَى مِنْكَ تَأْسُونِي
تَغْتَابُنِي عِنْدَ أَقْوَامٍ وَتَمْدَحُنِي فِي آخِرِينَ وَكُلُّ عَنْكَ يَأْتِينِي
هَذَانِ شَيْئَانِ قَدْ نَافَيْتَ بَيْنَهُمَا فَانْكَفُ لِسَانَكَ عَنْ شَيْئِي وَتَرَيْنِي
١١٤ وَقَالَ الْمُأْمُونُ : النَّبِيَّةُ لَا تَتْرَبُ مَوَدَّةً إِلَّا أَفْسَدَتْهَا . وَلَا
عَدَاوَةً إِلَّا جَدَّدَتْهَا وَلَا جَمَاعَةً إِلَّا بَدَّدَتْهَا . ثُمَّ لَا بُدَّ لِمَنْ عُرِفَ بِهَا وَنُسِبَ
إِلَيْهَا أَنْ يُجْتَنَّبَ وَيُخَافَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَلَا يُوثَقَ بِمَكَانِهِ . وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ :
مَنْ نَمَّ فِي النَّاسِ لَمْ تَوْثِقْ عَقَارُ بِهِ عَلَى الصَّدِيقِ وَلَمْ تَوْثِقْ أَفَاعِيهِ
كَالسَّيْلِ بِاللَّيْلِ لَا يَدْرِي بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَيْنَ جَاءَ وَلَا مِنْ أَيْنَ يَأْتِيهِ
الْوَيْلُ لِلْعَهْدِ مِنْهُ كَيْفَ يَقْضُهُ وَالْوَيْلُ لِلْوَدِّ مِنْهُ كَيْفَ يُفْنِيهِ
(للأبشيهي)

الصدق والكذب

١١٥ قَالَ عُبَيْدُ بْنُ عُبَيْدَةَ : الْكُذِبُ شِعَارُ الْحَيَاةِ وَتَحْرِيفُ الْعِلْمِ
وَحَوَاطِرُ الزُّورِ وَتَسْوِيلُ أَضْغَاثِ النَّفْسِ وَأَعْوَجَاجُ التَّرْكِيبِ وَاحْتِلَافُ
الْبَلِيَّةِ . وَعَنْ خَمُولِ الدِّكْرِ مَا يَكُونُ صَاحِبُهُ قَالَ أَعْرَابِي لَا يَنْبَغِي وَتَسْمَعُهُ
يَكْذِبُ : يَا بُنَيَّ عَجِبْتُ مِنْ الْكُذَّابِ الْمُشِيدِ بِكَذِبِهِ وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى
عَيْبِهِ وَيَتَرَعَّضُ لِلْعِتَابِ مِنْ رَبِّهِ . فَلَا تَأْمُ لَهُ عَادَةٌ . وَالْأَخْبَارُ عَنْهُ

مَتَضَادَّةٌ. إِنْ قَالَ حَقًّا لَمْ يَصْدَقْ. وَإِنْ أَرَادَ خَيْرًا لَمْ يُوقَفْ. فَهُوَ الْجَانِي عَلَى نَفْسِهِ بِفِعَالِهِ. وَالِدَّالُّ عَلَى فَضِيحَتِهِ بِمَقَالِهِ. فَمَا صَحَّ مِنْ صِدْقِهِ نُسِبَ إِلَى غَيْرِهِ وَمَا صَحَّ مِنْ كَذِبِ غَيْرِهِ نُسِبَ إِلَيْهِ (لَابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ) قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِيَّاكَ مِنْ كَذِبِ الْكَذُوبِ وَإِنَّا مِنْ قَلْبِنَا مَرَجَ الْقَيْنَ بِشَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا صَحَّكَ الْكَذُوبُ تَقَعُّكُمَا وَبَكِيَ مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يُبَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا صَمَّتِ الْكَذُوبُ تَحْتَقَا وَشَكَامِنَ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يُشَكِّهِ
وَلَرُبَّمَا كَذَبَ أَمْرُوهُ بِكَلَامِهِ وَبَصِيَّتِهِ وَبُكَائِهِ وَبُحْثِهِ

الزَّاح

١١٦ قَالَ الْحُجَّاجُ بْنُ يُونُسَ لِبْنِ الْقُرَيْبَةِ : مَا زَالَتِ الْحُكَمَا تَكْرَهُ الزَّاحَ وَتَنْهَى عَنْهُ. فَقَالَ : الزَّاحُ مَنْ أَدْنَى مَنْزِلَتِهِ إِلَى أَقْصَاهَا عَشْرَةُ أَبْوَابٍ. الزَّاحُ أَوَّلُهُ قَرْحٌ وَآخِرُهُ تَرْحٌ. الزَّاحُ نَقَائِضُ السُّمَاءِ كَالشَّعْرِ نَقَائِضُ الشُّعْرَاءِ. وَالزَّاحُ يُوْغِرُ صَدْرَ الصَّدِيقِ. وَيُنْقِرُ الرِّفِيقَ. وَأَزَّاحُ يَبْدِي السَّرَّازَ. لِأَنَّهُ يُظْهِرُ الْمَعَايِرَ. وَالزَّاحُ يُسْقِطُ الرُّوَّةَ. وَيَبْدِي الْخُتَّى. لَمْ يَجْرِ الزَّاحُ خَيْرًا. وَكَثِيرًا مَا جَرَّ شَرًّا. أَلْقَابُ بِالزَّاحِ وَآزَ. وَالْمَغْلُوبُ بِهِ تَأَزَّ. وَالزَّاحُ يُجْلِبُ الشَّمَّ صَغِيرَةً. وَالْحَرْبُ كَبِيرَةً. وَلَيْسَ بَعْدَ الْحَرْبِ إِلَّا عَفْوٌ بَعْدَ قُدْرَةٍ. فَقَالَ الْحُجَّاجُ : حَسْبُكَ الْوَيْلُ خَيْرٌ مِنْ عَفْوِ مَعَهُ قُدْرَةٍ. وَذَكَرَ الزَّاحُ بِحَضْرَةِ خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ فَقَالَ : يَلِشَقُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ مِثْلَ الْحُرْدَلِ. وَيُفْرِغُ عَلَيْهِ مِثْلَ

الرجل . ويؤميه مثل الجندي . ثم يقول : إنما كنت أنح . أخذ هذا
المنى محمود بن الحسن الوراق فقال :

تلقى ألقى يلقى أخاه وخدته في لحن منطقته بما لا يُقَرُّ
ويقول كنتُ مُمَازِحًا ومُلاعِبًا هيهات نارك في الحشى تأسمرُ
أوما علمت وكان جهلك غالبًا أن المزاح هو السبب الأصغرُ
(القيرواني)

الصدقة وخلص الودة

١١٧ (قيل في التلخيص) : الصديق الصدوق ثاني النفس وثالث
المتين . (ومنه) الصديق الصدوق . كالشقيق الشفوق . (ومنه)
الصديق غمدة الصديق وعدته . ونصرته وعدته . ورعيته وزهرته .
ومشتريه وزهرته . ومنه لقاء الحليل شفاء الغليل . وأيسر الصديق
إذا حضر عديل . ولا غنى إذا غاب بديل . ومثل الصديقين كاليد
تستعين باليد والعين بالعين . (ومنه) إذا الصديق روح الحياة .
وفراقه سم الموت . (ومنه) لا تساغ مرارة الأوقات . إلا بحلاوة
الأخوان ألقاب . فاستروح من غمة الزمان بموانسة الأئنان . (ومنه)
الحاجة إلى الأخ المعين . كالحاجة إلى الماء العمين . ولبعضه في
معنى هذا الباب :

ما ضاع من كان له صاحب يُقدر أن يخلص من شائه
فإنما الدنيا يسكنها وإنما المرء بإخوانه

١١٨ قَالَ أَبُو بَكْرٍ :

ذُو الْوَدَّ مِنِّي وَذُو الْقُرْبَىٰ بِمَنْزِلَةٍ
عِصَابَةٍ جَاوَرَتْ أَدَابَهُمْ أَدَبِي
أَرْوَاحُنَا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَغَدَتْ
قَالَ غَيْرُهُ :

إِنَّ الصَّدَاقَةَ أَوْلَاهَا السَّلَامُ وَمِنْ
وَبَعْدَ ذَلِكَ كَلَامٌ فِي مِلَاطِفَةٍ
وَأَصْلُ ذَلِكَ إِنْ تَبَنَّى شَيْئًا لَهَا
لَمْ تَنْسُ غَيْبًا وَلَمْ تَمَلْ إِذَا حَضَرُوا
إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا صَادَقُوا صَدَقُوا
قَالَ أَبُو اسْحَاقَ ظَهِيرُ الدِّينِ الْمُوصِلِيُّ :

لَا تَنْسُوْنِي يَا نِقَاتِي إِلَى
أَقْسَمْتُ بِالذَّهَابِ مِنْ عَيْنِنَا
إِنِّي عَلَى عَهْدِهِمْ لَمْ أَهْلُ
عَدْرُ فَلَيْسَ الْعَدْرُ مِنْ شَيْئِي

١١٩ ذَكَرَ صَاحِبُ كِتَابِ الْأَغَانِي فِي أَخْبَارِ عُلُوِيَّةِ الْأَنْجُونِ أَنَّهُ دَخَلَ
يَوْمًا عَلَى الْمَأْمُونِ وَهُوَ يَرْقُصُ وَيُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ وَيُغَنِّي بِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :
عَذِيرِي مِنَ الْإِنْسَانِ لَا إِنْ جَفَوْتُهُ صَفَائِي وَلَا إِنْ صَرْتُ طَوْعَ يَدَيْهِ
وَإِنِّي لَشَتَاقٌ إِلَى ظِلِّ صَاحِبِ يَرْوِقُ وَيَصْفُو إِنْ كَدُرَتْ عَلَيْهِ
فَسَمِعَ الْمَأْمُونُ وَجَمِيعُ مَنْ حَضَرَ الْمَجْلِسَ مِنَ الْمُتَنَبِّئِينَ وَغَيْرِهِمْ مَا لَمْ يَعْرِفُوا

وَأَسْتَظْفِرُهُ الْمَأْمُونُ . وَقَالَ : اذْنُ يَا عَلَوِيَّةُ وَرَدِّدْهَا . فَرَدَّدَهَا عَلَيْهِ سَبْعَ
مَرَّاتٍ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : يَا عَلَوِيَّةُ خُذِ الْخِلَافَةَ وَأَعْطِنِي هَذَا الصَّاحِبَ
(لبهاء الدين)

١٢٠ قَالَ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ :

خَيْرُ إِخْوَانِكَ الْمُشَارِكُ فِي الْمِرِّ وَأَمِنَ الشَّرِيكَ فِي الْمِرِّ آتِيَا
الَّذِي إِنْ شَهِدْتَ سَرَّكَ فِي الْحَبِيِّ وَإِنْ عَيَتْ كَانَ سَمْعًا وَعَيْنًا
أَنْتَ فِي مَعَشَرٍ إِذَا غَيَّبَ عَنْهُمْ بَدَلُوا كُلَّ مَا يَزِيْلُكَ شَيْنًا
وَإِذَا مَا رَأَوْكَ قَالُوا جَمِيعًا أَنْتَ مِنْ أَكْرَمِ الْبَرَاءِ يَا عَلَيْنَا
مَا أَرَى إِلَّا نَامَ وَدَا صَحِيحًا صَارَ كُلُّ الْوُدَادِ زُورًا وَمَيْنَا
قَالَ بَشَّارٌ أَيْضًا :

إِذَا كُنْتُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ الَّذِي لَا تَعَاتِبُهُ
وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَلِمْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصِفُو مِشَارِبُهُ
فَمِشْرٌ وَاحِدًا أَوْصَلَ لَحَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَجُنَابُهُ
١٢١ كَانَ لِمُحَمَّدِ بْنِ حَازِمٍ الْبَاهِلِيِّ صَدِيقٌ عَلَى طُولِ الْأَيَّامِ . فَقَالَ
مَرَّتَبَةً مِنَ السُّلْطَانِ وَعَاقِدَرُهُ فُجْأًا مُحَمَّدًا وَتَغَيَّرَ لَهُ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ
مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمٍ :

وَصَلَ الْمُلُوكُ إِلَى التَّمَالِي وَوَقَا الْمُلُوكُ مِنَ التَّمَالِي
مَالِي رَأَيْتُكَ لَا تَدُو مُ عَلَى الْمَوَدَّةِ لِلرِّجَالِ
إِنْ كَانَ ذَا أَدَبٍ وَظَرَ فَبَقِلْتَ ذَاكَ أَخُو ضَلَالٍ

أَوْ كَانَ ذَا نَسِكٍ وَدِينٍ قُلْتَ ذَلِكَ مِنَ الْغَمَالِ
 أَوْ كَانَ فِي وَسْطِ مِنَ الْأَمْرَيْنِ قُلْتَ يُرِيعُ مَالِي
 فِيمَنْ ذَا ثِكْلِكَ أَمْكَ تَبْتَعِي رَبَّ الْأُمَالِي
 ١٢٢ قَالَ الْعَزِيزِيُّ وَالْشَّدِيدِيُّ بَعْضُ أَصْحَابِنَا لِحَمَادٍ :

كَمْ مِنْ آخِرٍ لَكَ لَسْتَ تُذَكِّرُهُ مَا دُمْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي يُسْرِ
 مُتَصَيِّمٌ لَكَ فِي مَوَدَّتِهِ يَلْقَاكَ بِالْتَّرَجِيبِ وَالْبُشْرِ
 يُطْرِي الْوَفَاءَ وَذَا الْوَفَاءَ وَيُنَاحِي الْعَدْرَ مُجْتَبِداً وَذَا الْعَدْرَ
 فَإِذَا عَدَا وَالْدَّهْرُ ذُو غَيْرٍ تَغَرُّ عَلَيْكَ عَدَا مَعَ الدَّهْرِ
 فَأَرْفُضُ بِإِجْمَالٍ مَوَدَّةَ مَنْ يَغْلِي الْمِقْلَ وَيَعْشَقُ الْمَثْرِي
 وَعَلَيْكَ مِنْ حَالَاهُ وَاحِدَةٌ فِي الْعُسْرِ إِمَّا كُنْتَ وَالنَّسْرِ
 لَا تَخْلُطُ بِهِمْ بَيْنَهُمْ مَنْ يَخْلُطُ الْعِيقَانِ بِالصُّفْرِ
 قَالَ الْقَاضِي عَبْدُ الْجَوَادِ النَّوْفِي :

أَتَزْعُمُ أَنَّكَ الْحِدْنَ الْمُقْدَى وَأَنْتَ مُصَادِقُ أَعْدَايَ حَقًّا
 إِلَيَّ إِلَيَّ فَأَجْعَلْنِي صَدِيقًا وَصَادِقَ مَنْ أَصَادِقُهُ خُفَاً
 وَجَانِبَ مَنْ أَعَادِيهِ إِذَا مَا أَرَدْتَ تَكُونَ لِي خِدْنًا وَتَبْقَى
 قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ :

وَلَيْسَ أَخُوكَ الدَّائِمُ الْعَهْدُ بِالَّذِي يَذُمُّكَ إِنْ وَلَّى وَذُصِّبِكَ مُقْبِلًا
 وَلَكِنْ أَخُوكَ النَّادِي مَا دُمْتَ آمِنًا وَصَاحِبُكَ الْأَذْنَى إِذَا لَمْ تُرَاعِضْ
 ١٢٣ قَالَ الْعِمِّيُّ : الْأَخْوَانُ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافُ . فَرَعَ بَابٌ مِنْ أَصْلِهِ

وَأَصْلُ مُتَّصِلٍ بِفَرْعِهِ . وَفَرَعٌ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ . فَأَمَّا الْفَرْعُ الْبَاسِ مِنْ أَصْلِهِ
فَإِخَاهُ يُبْنِي عَلَى مَوَدَّةٍ ثُمَّ انْقَطَعَتْ فَحُفِظَ عَلَى زِمَامِ الصُّحْبَةِ . وَأَمَّا الْأَصْلُ
الْمُتَّصِلُ بِفَرْعِهِ فَإِخَاهُ أَصْلُهُ الْكَرَمُ وَأَعْصَاهُ اتَّقَوَى . وَأَمَّا الْفَرْعُ الَّذِي
لَا أَصْلَ لَهُ فَالْمَوَدَّةُ الظَّاهِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَاطِنٌ (لابن عبد ربّه)

١٢٤ قَالَ الْبَكْرِيُّ:

وَخَلِيلٍ لَمْ أَخْنُهُ سَاعَةً فِي دَمِي كَفَيْهِ ظُلُمًا قَدْ غَمَسَ
كَانَ فِي سِرِّي وَجْهِي ثِقَتِي لَسْتُ عَنْهُ فِي مَهْمٍ أَحْتَرِسُ
سَرَّ الْبَغْضِ بِالْقَاطِطِ الْهُوَى وَأَدْعَى الْوَدَّ يَغِيثُ وَدَلَسُ
إِنْ رَأَيْتَنِي قَوْلِي خَيْرًا وَإِنْ غِبْتُ عَنْهُ قَوْلِي شَرًّا وَدَحَسُ
ثُمَّ لَمَّا أَمَكَّتْهُ فُرْصَةٌ حَمَلَ السَّيْفَ عَلَى تَجْرَى النَّفْسِ
وَأَرَادَ الرُّوحَ لَكِنَّ خَانَهُ قَدَّرَ أَنْ يَفْظَ مَنْ كَانَ نَفْسُ
وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَازِمٍ :

وَصَاحِبٍ كَانَ لِي وَكُنْتُ لَهُ أَشْفَقَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ
كُنَّا كَسَاقٍ تَسْمَى بِهَا قَدَمٌ أَوْ كَذِرَاعٍ نَبِطَتْ إِلَى عَضُدٍ
حَتَّى إِذَا دَبَّتِ الْوَادِثُ فِي عَظْمِي وَحَلَّ الزَّمَانُ مِنْ عُنْدِي
إِحْوَلْتُ عَنِّي وَكَانَ يَنْظُرُونَ طَرَفِي وَيَزِي بِسَاعِدِي وَيَدِي
١٢٥ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْإِخَاءُ جَوْهَرَةٌ رَقِيقَةٌ . وَهِيَ مَا لَمْ تَرْفُهَا
وَتَحَرَّسَهَا مَعْرِضَةً لِلْآفَاتِ فَرُضَ الْإِلَهِ بِالْجَدَاءِ لَهُ حَتَّى تَصِلَ إِلَى
قُرْبِهِ . وَبِالْكُظْمِ حَتَّى يَتَنَدَّرَ إِلَيْكَ مِنْ ظَلَمِكَ . وَالرِّضَا حَتَّى لَا

لَسْتَ كَثِيرٌ مِنْ نَفْسِكَ بِالْفَضْلِ وَلَا مِنْ أَخِيكَ بِالْتَّمَصِيرِ . (وَلِيَحْمُودِ
الْوَرَّاقِ) :

لَا يَرُّ أَعْظَمُ مِنْ مُسَاعَدَةٍ فَاشْكُرْ أَخَاكَ عَلَى مُسَاعَدَتِهِ
وَإِذَا هَمًّا فَأَقْبِلْهُ هَفْوَتَهُ حَتَّى يَبُودَ إِلَيْكَ كَمَّةَ أَدْنَاهُ
فَالصَّفْحُ عَنِ زَلَلِ الصَّدِيقِ وَإِنْ أَعْيَاكَ خَيْرٌ مِنْ مُعَانَدَتِهِ
١٢٦ قَالَ ابْنُ طَاهِرٍ فِي حُسْنِ الْعَشِيرَةِ :

أَوَّاصِلٌ مَنْ هَوِيَ عَلَى خِلَالِ أَذُودٍ بَيْنَ لَيَاتِ أُنْثَالِ
وَأَخْضَطُ سِرِّهِ وَالْغَيْبِ مِنْهُ وَأَرْغَى عَهْدَهُ فِي كُلِّ حَالِ
وَقَاءٍ لَا يَحُولُ بِهِ أَنْتِكَاثٌ وَوَدٌّ لَا تُخَوِّبُهُ أَلْيَالِي
وَأَوْزُهُ عَلَى غَيْرِ وَيَسْرِ وَيَقْضِي حُكْمَهُ فِي سِرِّ مَالِي
وَأَغْفِرُ نَبْوَةَ الْإِدْلَالِ مِنْهُ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ غَيْرَ الدَّلَالِ
وَمَا أَنَا بِالْمُلُولِ وَلَا بِجَافٍ وَلَا أَلْعَذْرُ الْمُذْمَمُ مِنْ فِعَالِي
قَالَ بَعْضُهُمْ يَصِفُ خِدَاعَ النَّاسِ وَنِفَاقَهُمْ :

وَإِخْوَانٌ تَحْذَرُهُمْ ذُرُوعًا فَكَأَنُوهَا وَلَكِنْ الْإِعَادِي
وَحَلَّتْهُمْ سِهَامًا صَائِبَاتٍ فَكَأَنُوهَا وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي
وَقَالُوا قَدْ صَفَتْ مِنَّا قُلُوبُ لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ عَنْ وَدَادِي
وَقَالُوا قَدْ سَعَيْنَا كُلَّ سَعْيٍ لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ فِي فُسَادِ

١٢٧ وَأَنْشَدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

فَلَا تَضْحَكُنَّ لَنَا السُّودَ وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ

فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَوْدَى حَلِيمًا حِينَ آخَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ إِذَا مَا الْمَرْءُ مَا شَاءُ
وَفِي النَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَقَايِيسُ وَأَشْبَاهُ
وَفِي الْعَيْنِ عَلَى الْعَيْنِ إِذَا تَنَطَّقُ أَفْوَاهُ
وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
كَتَبَ الْمُتَعَصِّمُ صَاحِبُ الْمُرِيَّةِ إِلَى ابْنِ عَمَارٍ :

وَرَهَّدَنِي فِي النَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ وَطُولُ اخْتِبَارِي صَاحِبًا بَعْدَ صَاحِبٍ
فَلَمْ تُزِنِ الْأَيَّامُ خِلَا تَسْرِينِي مَبَادِيهِ إِلَّا سَافِينِي فِي الْعَوَاقِبِ
وَلَا كُنْتُ أَرْجُوهُ لِدَفْعِ مُلَمَّةٍ مِنْ الدَّهْرِ إِلَّا كَانَ إِحْدَى الْمَصَافِ

المطال في الوعد

١٢٨ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ أُمِّ الْحَكَمِ لِعَبْدِ الْمَالِكِ بْنِ زُرَّانٍ فِي
مَوَاعِدَ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَمَطَّلَهُ بِهَا : نَحْنُ إِلَى الْقَلْبِ أَحْوَجُ مِنَّْا إِلَى الْقَوْلِ .
وَأَنْتَ بِالْإِنْجَازِ أَوْلَى مِنْكَ مِنَ الْمَطْلِ . وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ
إِلَّا بِإِنْجَازِكَ الْوَعْدَ وَاسْتِمَامِكَ الْمَعْرُوفَ . قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ :
إِنَّ أَوْقَعَ الْمَعْرُوفِ فِي الْقُلُوبِ وَأَبْرَدُهُ عَلَى الْأَعْيَادِ مَعْرُوفٌ مُنْتَظَرٌ
يُوعَدُ لَا يَكْدِرُهُ الْمَطْلُ . كَتَبَ الْهَيْتَائِيُّ إِلَى بَعْضِ أَهْلِ السُّلْطَانِ : أَمَّا
بَعْدُ فَإِنَّ سَحَابَ وَعْدِكَ قَدْ أَتَرَقَتْ فَلْيَكُنْ وَبَهَا سَالِمًا مِنْ عِلَلِ
الْمَطْلِ . وَالسَّلَامُ (لابن عبد ربه)

في التواضع والكبر

١٢٩ اَعْلَمْ أَنَّ الْكِبَرَ وَالْإِنْجَابَ يَسْلُبَانِ الْقَضَائِلَ . وَيُكْسِبَانِ
الرَّذَائِلَ . وَحَسْبُكَ مِنْ رَذِيلَةٍ تَمْنَعُ مِنْ سَمَاعِ التَّضَعِّعِ وَقَبُولِ الْأَدَبِ .
وَتَسْلُبُ الرِّئَاسَةَ وَالسِّيَادَةَ . وَالْكِبَرُ يَكْسِبُ الْمَقْتَّ وَيَمْنَعُ مِنَ التَّلَافِ .
وَلَمْ تَزَلِ الْحُكْمَاءُ تَتَحَامَى الْكِبَرَ وَتَأْتَفُ مِنْهُ . وَنَظَرُ أَفْلَاطُونِ إِلَى
رَجُلٍ جَاهِلٍ مُعْجَبٍ بِنَفْسِهِ فَقَالَ : وَدِدْتُ أَنِّي مِثْلَكَ فِي ظَنِّكَ وَأَنَّ
أَعْدَائِي مِثْلُكَ فِي الْحَقِيقَةِ . وَرَأَى رَجُلٌ رَجُلًا يَخْتَالُ فِي مَشْيِهِ فَقَالَ :
جَعَلَنِي اللَّهُ مِثْلَكَ فِي نَفْسِكَ وَلَا جَعَلَنِي مِثْلَكَ فِي نَفْسِي (للابشيهي)
قَالَ بَعْضُهُمْ :

قُلْ لِلَّذِي تَاهَ فِي دُنْيَاهُ مُفْتَخِرًا صَاعَ اخْتِدَارِكَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطِّينِ
إِذَا تَفَقَّدَتْ فِي الْأَجْدَاثِ مُعْتِيرًا هُنَاكَ تَنْظُرُ تِيحَانَ السَّلَاطِينِ
وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ قَوْلُ الْقَائِلِ :

يَا صَاحِبَ لَا تَكُ بِالْعِلَاءِ مُفْتَخِرًا إِنْ كُنْتَ لَمْ تُولِ نَفْعًا قَطُّ بَلْ ضَرَرًا
إِنِّي أَرَى شَجَرَ الصَّفَصَافِ رُتِفَعًا إِلَى الْمُلُوكِ وَلَكِنْ لَا أَرَى ثَمَرًا
قَالَ آخَرُ :

إِضْغِ لِلنَّاسِ إِنْ رُمْتَ الْعُلَا وَاتَّكِبْهُمُ الْغِيْظَ وَلَا تُبْدِي الصَّغِيرَ
وَأَجْعَلِ الْمُرُوفَ ذُخْرًا إِنَّهُ لَأَفْضَلُ شَيْءٍ يُدْخَرُ
يُجْمَلُ النَّاسَ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ فِيهِ تَمَلُّكَ أَعْنَاقِ الْبَشَرِ

الْبَابُ الثَّامِنُ فِي الذِّكَاةِ وَالْأَدَبِ

فِي الْعَقْلِ وَهَامِيَتِهِ

١٣٠ قَالَ سَهْلُ التُّسْتَرِيِّ: الْعَقْلُ أَنْ تَسْتَغْنِيَ بِهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ دُونَهُ جَلَّ جَلَالُهُ. أَمَّا ذَاتُهُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْعَقْلُ ذَاتُهُ جَوْهَرٌ مُضِيٌّ وَنُورٌ مُجَرَّدٌ وَلَيْسَ بِعَرَضٍ. خَلَقَهُ اللَّهُ وَجَمَلَ نُورَهُ فِي الْقَابِ يُدْرِكُ بِهِ الْمَقْصُولَاتِ بِالْوَسَائِطِ وَالْخُشُوسَاتِ بِالشَّاهِدَةِ. وَهُوَ مَنَالٌ إِلَى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَإِلَى الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ. أَلَهُ لِلْمُؤْمِنِ يَعْمَلُ بِهِ. وَالْعَقْلُ ذَاتُهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَلَهُ وَجْهَانِ. أَحَدُهُمَا الْعَقْلُ الْمَشْرُكُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ وَيُعْبَرُ عَنْهُ بِعَقْلِ الْمَآشِ. وَالْأُخْرَى الْعَقْلُ الْخَاصُّ بِالْمُؤْمِنِ وَهُوَ الْمُعْبَرُ عَنْهُ بِعَقْلِ الْهِدَايَةِ. فَمَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ الْهِدَايَةَ فَهُوَ الْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ (الكنز المدفون)

مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ:

إِنِّي لَأَمِنُ مِنْ عَدُوِّ عَاقِلٍ وَأَخَافُ خِلَا يَفْتَرِيهِ جُنُونُ
وَالْعَقْلُ قَدْ وَاحِدٌ وَطَرِيقُهُ أَذْرَى وَأَرْصَدُ وَالْجُنُونُ قُتُونُ

فِي شَرَفِ الْعَقْلِ

١٣١ الْعَقْلُ أَحْسَنُ حِلْيَةٍ. وَالْعِلْمُ أَفْضَلُ فَنِيَّةٍ. لَا سَيْفَ كَالْحَقِّ. وَلَا عَدْلَ كَالصِّدْقِ. الْجَهْلُ مُطِئَةٌ سَوَاءٌ مَنْ رَكِبَهَا زَلَّ. وَمَنْ صَحِبَهَا

ضَلَّ مِنْ الْجَهْلِ صُحْبَةُ الْجَهَالِ . وَمِنْ الذَّلِّ عِشْرَةُ ذَوِي الضَّلَالِ .
 خَيْرُ الْمَوَاهِبِ الثَّمَلُ . وَشَرُّ الْمَصَائِبِ الْجَهْلُ . مَنْ صَاحَبَ الْعُلَمَاءَ
 وَفَرَ . وَمِنْ عَاشَرَ السُّفَهَاءَ حَزَرَ . مَنْ لَمْ يَتَعَلَّمْ فِي صِغَرِهِ . لَمْ يَتَّخِذْ فِي
 كِبَرِهِ . وَقِيلَ : أَصْلُ الْعِلْمِ الرَّغْبَةُ وَثَمَرُهَا الْعِبَادَةُ . وَأَصْلُ الزُّهْدِ
 الرَّهْبَةُ وَثَمَرُهَا السَّعَادَةُ . وَأَصْلُ الْمُرُوءَةِ الْحَيَاءُ وَثَمَرُهَا الْبَقَّةُ . الْأَعْلَى
 أَقْوَى أَسَاسٍ . وَالْتَقْوَى أَفْضَلُ لِبَاسٍ . الْجَاهِلُ يَطْلُبُ الْمَالَ . وَالْعَاقِلُ
 يَطْلُبُ الْكَمَالَ . لَمْ يَدْرِكِ الْعِلْمَ مَنْ لَا يُطِيلُ دَرَسَهُ . وَلَا يَكْدُ نَفْسَهُ .
 كَمْ مِنْ ذَلِيلٍ أَعَزَّهُ عَمَلُهُ . وَعَزِيْزٍ أَذَلَّهُ جَهْلُهُ (للشبراوي)

١٣٢ حَكِيَ الْكِسَائِيُّ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ
 الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ لَدَيْهِ . وَقَالَ : قَالِمٌ يَلِثُ قَالِيلاً أَنْ أَقْبَلَ كَكُوكِي
 أَفْقٍ يَزِينُهُمَا هُدَاهُمَا وَوَقَارُهُمَا . وَقَدْ غَضَّ أَبْصَارَهُمَا وَقَارَبَا خَطُوهَا
 حَتَّى وَقَفَا فِي عَجَلِيهِ . فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ وَدَعَا لَهُ بِأَحْسَنِ الدُّعَاءِ .
 فَاسْتَدْنَاهُمَا وَأَسْنَدَ مُحَمَّدًا عَنْ عَمِيهِ وَعَبْدَ اللَّهِ عَنْ يَسَارِهِ . ثُمَّ أَمَرَنِي
 أَنْ أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَبْوَابًا مِنَ التَّخْوِ . فَمَا سَأَلْتُهُمَا شَيْئًا إِلَّا أَحْسَنَا الْجَوَابَ
 عَنْهُ . فَسَرَّ ذَلِكَ سُرُورًا عَظِيمًا وَقَالَ : كَيْفَ تَرَاهُمَا . فَقُلْتُ :

أَرَى قَرْنِي أَفْقٍ وَقَرْنِي بِشَامَةٌ يَزِينُهُمَا عِرْقُ كَرِيمٍ وَتَحْدِيدُ
 سَلِيلِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَاِزِرِي مَوَارِيثِ مَا أَبْقَى النَّبِيِّ الْمُوَيْدُ
 يَسْدَانِ أُنْفَاقَ الْتَفَاقِ بِشِيْمَةِ يَزِينُهُمَا حَزْمٌ وَعَضْبٌ مُهْدُ
 ثُمَّ قُلْتُ : مَا رَأَيْتُ أَعَزَّ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَدًا مِنْ أَتْبَاعِ الْخِلَافَةِ

وَأَغْصَانُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الزَّلَالِيَّةِ آدَبٌ مِنْهُمَا السُّنَا. وَلَا أَحْسَنَ آلَةً أَظْلَمَ.
وَلَا أَشَدَّ أَقْدَارًا مِنْهُمَا عَلَى تَأْدِيَةِ مَا حَفِظًا وَرَوِيًا. أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى
أَنْ يَزِيدَ بِهِمَا الْحَقَّ تَأْيِيدًا وَغِزًّا. وَيُدْخِلَ بِهِمَا إِلَى أَهْلِ الضَّلَالِ ذُلًّا
وَقَمًّا. فَأَمَّنَ الرَّشِيدُ عَلَى دُعَايِ. ثُمَّ صَمَّهَ إِلَيْهِ وَجَعَ عَلَيْهِمَا يَدَيْهِ.
فَلَمَّ يَسْطُوعًا حَتَّى رَأَتْ الدَّمُوعُ تَحْدُرُ عَلَى صَدْرِهِ. ثُمَّ أَمَرَهَا
بِالْخُرُوجِ (كتاب الدراري للحلي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التَّمَالِ أَكْثَرُ أَبُوهُمْ آدَمُ وَالْأُمُّ حَوَاءُ
فَإِنْ يَكُنْ لَهُمْ فِي أَصْلِهِمْ شَرَفٌ يُفَاخِرُونَ بِهِ فَالطَّيْنُ وَالْمَاءُ
مَا أَفْخَرُ إِلَّا لِأَهْلِ السَّلَامِ إِنَّهُمْ عَلَى الْهَدَى لَيَنْ أَسْتَهْدَى أَدِلًّا
وَقَدَّرَ كُلُّ أَمْرٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ
وَإِنْ أَتَيْتَ بِجُودٍ فِي ذَوِي نَسَبٍ فَإِنَّ نِسْبَتَنَا جُودٌ وَعَلِيًّا
فَقُرْ يَعْلَمُ بَعَثَ حَيًّا بِهِ أَبَدًا النَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ
١٣٣ إَعْلَمُ أَنَّ الْعِلْمَ شَرَفٌ لِلْإِنْسَانِ . وَفَخَرُّهُ فِي جَمِيعِ الْأَزْمَانِ .
وَهُوَ أَمِيرُ الَّذِي لَا يَبْلَى جَدِيدُهُ . وَالْكَثْرُ الَّذِي لَا يَفْنَى مَزِيدُهُ . وَقَدْرُهُ
عَظِيمٌ . وَقَضَاهُ جَسِيمٌ . وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ :

مَا أَحْسَنَ الْعَمَلُ وَالْحَمْدُ مِنْ عَمَلٍ وَأَقْبَحَ الْجَهْلُ وَالْمَذْمُومُ مِنْ جَهْلٍ
فَلَيْسَ يَصْنَعُ نُطْقُ الْمُرْدِ فِي جَدَلٍ وَالْجَهْلُ يُفْسِدُهُ يَوْمًا إِذَا سُئِلَا
١٣٤ ثُمَّ أَعْلَمُ أَنَّ الدُّنْيَا رُبَّمَا أَقْبَلَتْ عَلَى الْجَاهِلِ بِالْإِتِّفَاقِ . وَأَذْبَرَتْ

عَنِ الْعَالِمِ بِالِاسْتِخْفَاقِ . فَإِنَّ أَتَاكَ مِنْهَا مَلِيَّةٌ مَعَ جَهْلٍ . أَوْ قَاتَكَ مِنْهَا
بُغْيَةٌ مَعَ عَقْلِ . فَلَا يَحْمِلَنَّكَ ذَلِكَ عَلَى الرَّغْبَةِ فِي الْجَهْلِ . فَدَوْلَةُ
الْجَاهِلِ مِنَ الْمُمَكِّنَاتِ . وَدَوْلَةُ الْعَاقِلِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ . وَلَيْسَ مَنْ
أَمَكْنَهُ شَيْءٌ فِي ذَاتِهِ . كَمَنْ اسْتَوْجَبَهُ بِآدَابِهِ وَآلَاتِهِ . وَأَيْضًا فَدَوْلَةُ
الْجَاهِلِ كَالْغَرِيبِ الَّذِي يَمُحِنُ إِلَى الثَّقَلَةِ . وَدَوْلَةُ الْعَاقِلِ كَالنَّاسِبِ
الْمُتَمَكِّنِ الْوَصْلَةِ

لَا تَيَاسَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ ذَا آدَبٍ عَلَى خُمُولِكَ أَنْ تَرْقَى إِلَى الْفَلَاحِ
فَيَنْمُو الذَّهَبُ الْإِزِيدُ مَخْطُطٌ بِالْثَرِبِ إِذْ صَارَ إِكْبَالًا عَلَى الْمَلِكِ
١٣٥ وَقَالَ حَكِيمٌ : يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ لَا يَفْرَحَ بِمَرْتَبَةٍ تَرَفَّاهَا بِغَيْرِ
عَقْلِ . وَلَا يَمْتَنِلَهُ رَفِيعَةٌ حَلَّاهَا بِغَيْرِ فَضْلِ . فَلَا بُدَّ أَنْ يُزِيلَهُ الْجَهْلُ عَنْهَا .
وَيَسْلُهُ مِنْهَا . فَيَخْطُ إِلَى رُتْبَتِهِ . وَيَرْجِعُ إِلَى قِيَمَتِهِ . بَعْدَ أَنْ تَطْهَرَ عُيُوبُهُ
وَتَكْثُرَ ذُنُوبُهُ . وَيَصِيرَ مَادِحُهُ هَاجِيًا . وَصَدِيقُهُ مُعَادِيًا

لَا تَقْعُدَنَّ عَنْ اكْتِسَابِ فَضِيلَةٍ أَبَدًا وَإِنْ آدَتِ إِلَى الْإِعْدَامِ
جَهْلُ أَهْلِي عَارٌ عَلَيْهِ لِذَاتِهِ وَخُمُولُهُ عَارٌ عَلَى الْأَيَّامِ

(لأشبراوي)

١٣٦ سَأَلَ الْأَحْزَفُ بْنُ قَيْسٍ عَنِ الْعَقْلِ فَقَالَ : رَأْسُ الْأَشْيَاءِ فِيهِ
قَوَامُهَا وَبِهِ تَمَامُهَا لِأَنَّهُ سِرَاجُ مَا بَطُنَ . وَمِلاكُ مَا عَلَنَ . وَسَانِسُ الْحَدِّ .
وَزِينَةُ كُلِّ أَحَدٍ . لَا تَسْتَقِيمُ الْحَيَاةُ إِلَّا بِهِ . وَلَا تَدُورُ الْأُمُورُ إِلَّا عَلَيْهِ

(للقيرواني)

قَالَ الْخَضِرَاوِيُّ :

وَأَفْضَلُ قَسَمِ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عَقْلُهُ فَلَيْسَ مِنَ الْخَيْرَاتِ شَيْءٌ يُقَارِبُهُ
بَيْنَ أَلْفَتِي فِي النَّاسِ صِحَّةُ عَقْلِهِ وَإِنْ كَانَ تَحْطُورًا عَلَيْهِ مَكَاسِبُهُ
وَشَيْنُ أَلْفَتِي فِي النَّاسِ قَلَّةُ عَقْلِهِ وَإِنْ كُرِّمَتْ أَعْرَاقُهُ وَمُنَاسِبُهُ
إِذَا أَكْمَلَ الرَّحْمَنُ لِلْمَرْءِ عَقْلَهُ فَقَدْ كَمَلَتْ أَخْلَاقُهُ وَمَارِبُهُ
وَقَالَ آخَرُ :

أَلْعَقْلُ حُلَّةٌ فَخْرٍ مَنْ تَسَرَّ بِهَا كَانَتْ لَهُ نَسَبًا تُغْنِي عَنِ النَّسَبِ
وَالْعَقْلُ أَفْضَلُ مَا فِي النَّاسِ كُلِّهِم بِالْعَقْلِ يَتَجَوَّأُونَ أَلْفَتِي مِنْ حَوْمَةِ الطَّلَبِ
١٣٧ قِيلَ : إِنَّ الْعُمَيَّانِ أَذْكَى مِنْ غَيْرِهِمْ . وَقِيلَ لِقَتَادَةَ : مَا بَالُ
الْعُمَيَّانِ يُجِدُّهُم أَذْكَى مِنَ الْبَصَرَاءِ . قَالَ : لِأَنَّ الْقُوَّةَ الْبَاصِرَةَ مِنْهُمْ
أَنْقَلَبَتْ إِلَى بَاطِنِهِمْ

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَمَّا كُفَّ بَصَرُهُ :

إِنْ يَأْخُذُ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نُورَهَا فَنِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهَا نُورُ
قَلْبِي ذِكْرِي وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ وَفِي فَمِي صَارِمٌ كَالسِّيفِ مَشْهُورٌ
(لابن عبد ربه)

في العلم وشرفه

١٣٨ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : أَلْعِلْمُ خَلِيلٌ وَالْجُلُمُ وَزِيرُهُ . وَالْعَقْلُ
دَلِيلُهُ . وَالْعَمَلُ قَائِدُهُ وَالْوَقْفُ وَالِدُهُ . وَالْيَرُّ أَخُوهُ وَالصَّبْرُ أَمِيرُ جُنُودِهِ .
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : لِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنَ الْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنْ جِهَادِ الْجَاهِلِ

أَلْفَعَامَ . وَقَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ : لَيْسَ بَعْدَ الْقَرَأْضِ أَفْضَلُ مِنْ
طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ نُورٌ يَهْتَدِي بِهِ الْخَائِرُ (لَا يَنْصُرُ الْمَقْدِسِي)
قَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ :

وَالْعِلْمُ أَشْرَفُ شَيْءٍ وَقَالَ رَجُلٌ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ عِلْمٌ لَمْ يَكُنْ رَجُلًا
تَعْلَمُ الْعِلْمَ وَتَعْمَلُ يَا أَحْيَى بِهِ فَالْعِلْمُ زَيْنٌ لِمَنْ بِالْعِلْمِ قَدْ عَمِلَا
وَفِي مَعْنَاهُ أَنْشَدُوا :

بِالْعِلْمِ تَحْيَا نَفْسٌ قَطُّ مَا عَرَفَتْ مِنْ قَبْلِ مَا أَلْفَرَقَ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالْمِينِ
أَلْعِلْمُ لِلنَّفْسِ نُورٌ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى الْحَقَائِقِ مِثْلُ النُّورِ لِلْعَيْنِ
١٣٩ وَقَالَ أَبُو بَيْرُوتَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ : كَتَبَ إِلَيَّ أَبِي مِنَ الْعِرَاقِ : يَا بُنَيَّ
عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ فَإِنَّكَ إِنْ أَفْقَرْتَ إِلَيْهِ كَانَ مَالًا . وَإِنْ أَسْتَفْنَيْتَ بِهِ
كَانَ جَمَالًا . وَأَنْشَدَ فِي مَعْنَاهُ :

أَلْعِلْمُ مُبْلِغٌ قَوْمٍ ذِرْوَةَ الشَّرَفِ وَصَاحِبُ الْعِلْمِ مُحْفُوظٌ مِنَ التَّلَفِ
يَا صَاحِبَ الْعِلْمِ مَهْلًا لَا تُدْنِسْهُ بِالْمُؤَبَّاتِ فَمَا لِلْعِلْمِ مِنْ خَلَفٍ
أَلْعِلْمُ يَرْفَعُ بَيْتًا لَا عِمَادَ لَهُ وَالْجَهْلُ يَهْدِمُ بَيْتَ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ
١٤٠ وَقَالَ بَعْضُ الْمُضَلَّاءِ : يَنْبَغِي لِكُلِّ عَاقِلٍ أَنْ يُبَالِغَ فِي تَعْظِيمِ
الْعِلْمِ مَا أُمِكنَ وَلَا يَدَّغِيرُهُمْ مِنَ الْأَحْيَاءِ . وَقَدْ أَجَادَ الْحَرِيرِيُّ بِقَوْلِهِ
وَمِنَ الْجَهْلَةِ أَنْ تُعْظِمَ جَاهِلًا لِصِتَالِ مَلْبَسِهِ وَرَوْتِ نَفْسِهِ
وَأَعْلَمُ بَأَنَّ التَّبَرُّ فِي بَطْنِ الثَّرَى خَافٍ إِلَى أَنْ يَسْتَبِينَ بَنِيهِ
وَقَضِيْلَةُ الدِّيَارِ يَظْهَرُ سِرُّهَا مِنْ حَكْمِهِ لَا مِنْ مَلَاحَةِ نَفْسِهِ

وَقِيلَ فِي مَعْنَى ذَلِكَ :

عَابَ النَّعْلَمَ قَوْمٌ لَا عُمُولَ لَهُمْ وَمَا عَلَيْهِ إِذَا عَابُوهُ مِنْ ضَرَرٍ
مَا ضَرَّ شَيْئًا الصَّحْبِي وَالشَّيْءُ طَالِمَةً أَنْ لَا يَرَى ضَوْهَا مِنْ لَيْسَ ذَا بَصَرٍ
١٤١ وَقَالَ عَلِيٌّ : أَلْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ . أَلْعِلْمُ يَخْرُسُكَ وَأَنْتَ تَخْرُسُ
الْمَالَ . وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ . وَالْعِلْمُ يَزِيدُ بِالْإِنْفَاقِ وَالْمَالُ
يَنْقُصُ بِالْفَقْدِ . وَعَنْ أَبِي عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : خَيْرُ سَلِيمَانَ بْنِ دَاوُدَ بَيْنَ
الْعِلْمِ وَالْمَالِ وَالْمَالِ . فَأَخْتَارَ الْعِلْمَ فَأَعْطَاهُ الْمَلِكُ وَالْمَالُ مَعَهُ . وَقَالَ
الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : لَيْسَ الْعِلْمُ كَثْرَةَ الرِّوَايَةِ إِنَّمَا الْعِلْمُ نُورٌ
يَجْعَلُهُ فِي قَلْبٍ مَنْ يَشَاءُ . وَمَا أَحْسَنَ مَا قِيلَ :

(مَعَ) فَتَبَيَّنَ لَنَا لِقَابُ بَيْنَ الْعَمَى وَعَنْ عَلِيٍّ الدِّينَ الَّذِي أَمْرُهُ غَنَمٌ
فَخَالِطُوا رِوَاةَ الْعِلْمِ وَأَصْحَابُ خَبَارِهِمْ فَصَبَّحَتْهُمْ زَيْنٌ وَخَلَطَتْهُمْ غَنَمٌ
وَلَا تَعْدُونَ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُمْ نَجْمٌ هُدَى إِنْ غَابَ نَجْمٌ بَدَأَتْ نَجْمٌ
فَوَاللَّهِ لَوْ لَا الْعِلْمُ مَا أَتَّصَعَ الْهُدَى وَلَا لَاحَ مِنْ غَيْبِ الْأُمُورِ لَنَارَسَمُ
١٤٢ وَعَنْ أَبِي الْمُبَارَكِ أَنَّهُ قَالَ : لَا يَزَالُ الْمَرْءُ عَالِمًا مَا طَلَبَ الْعِلْمَ
فَإِذَا ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ عَلِمَ فَقَدْ جَهَلَ . وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ :
سَمِعْتُ وَكَيْمًا يَقُولُ : لَا يَكُونُ الرَّجُلُ عَالِمًا حَتَّى يَسْمَعَ مَنْ هُوَ أَسَنُّ مِنْهُ .
وَمَنْ هُوَ مِثْلُهُ . وَمَنْ هُوَ دُونُهُ . وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ : مَنْ هُوَ مَانٍ
لَا يَشْبَعَانِ طَالِبُ الْعِلْمِ رَطَابُ الدُّنْيَا وَهِيَ لَا يَسْتَوِيَانِ . أَمَّا طَالِبُ
الْعِلْمِ فَيَزِدَادُ رِضَا الرَّحْمَنِ . وَأَمَّا طَالِبُ الدُّنْيَا فَيَزِدَادُ فِي الطُّغْيَانِ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ :

لَوْ كَانَ نُورُ الْعِلْمِ يُدْرِكُ بِالْمَنَى مَا كَانَ يَبْقَى فِي الْبَرِيَّةِ جَاهِلٌ
إِجْدٌ وَلَا تَكْسَلٌ وَلَا تَكْ غَافِلًا قَدَامَةُ الْعَقْبَى لِمَنْ يَتَكَاَسَلُ
قَالَ غَيْرُهُ :

مِفْتَاحُ رِزْقِكَ تَقْوَى اللَّهِ فَاتَّقِهِ وَلَيْسَ مِفْتَاحُهُ حِرْصًا وَلَا عِلْمًا
وَالْعِلْمُ أَجَلٌ قُوتٌ أَنْتَ لَا لِإِسْهُ فَأَخْتَرْ لَهُ عَمَلَيْنِ الدِّينَ وَالْوَرَعَا
قَالَ غَيْرُهُ :

وَفِي الْجَهْلِ قَبْلَ الْمَوْتِ مَوْتُ لِأَهْلِهِ وَأَجْسَادُهُمْ دُونَ الْقُبُورِ قُبُورُ
وَأَنْ أَمْرًا لَمْ يَخَيَّ بِالْعِلْمِ قَلْبُهُ فَلَيْسَ لَهُ حَتَّى الشُّورِ نُشُورُ
قَالَ أَيْضًا :

لِكُلِّ مُجِدِّ فِي الْوَرَى نَفْعٌ فَاضِلٌ وَلَيْسَ يُفِيدُ الْعِلْمُ مِنْ دُونَ عَامِلٍ
يُسَاقُ بِمَضْرُ النَّاسِ بَعْضًا بِجَهْدِهِمْ وَمَا كُلُّ كَرٍّ بِالْهَوَى كَرٌّ بِاسِلٍ
إِذَا لَمْ يَكُنْ نَفْعٌ لَدِي الْعِلْمِ وَالْحُجْبَى قَا هُوَ بَيْنَ النَّاسِ إِلَّا كَالْجَاهِلِ
كَذَاكَ إِذَا لَمْ يَنْفَعِ الْمَرْءَ غَيْرُهُ يَمُدُّ كَشُوكَ بَيْنَ زَهْرِ الْحَمَائِلِ
وَقِيلَ أَيْضًا :

أَلْمَالُ يَفْنَى مَعَ الْأَيَّامِ إِنْ قَلَبْتَ لَكِنَّ ذَا يَجْتَبِ الْأَنْسَانَ لِلتَّرَبِّ
إِنَّمِ جَنَى ثَمَرَةٍ تَحْطَ بِبَيْلٍ مَنَى وَتَعْلُ بِالْقَدْرِ فَوْقَ السَّبْعَةِ الشُّهُبِ
١٤٣ قَالَ أَلْمَلْهِيَا بِأَذْيٍ مُغْرِيَا عَلَى تَأْثِيرِ الْعِلْمِ :

يَا سَاعِيَا وَطَلَّابُ أَلْمَالِ هِمَّتُهُ إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفَ الْعَقْلِ وَالِدَيْنِ

عَلَيْكَ بِالْعِلْمِ لَا تَطْلُبْ لَهُ بَدَلًا وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ فِيهِ غَيْرُ مَغْبُونٍ
 أَلْعِلْمُ يُجِدِّي وَيَبْقَى لِلَّهِ أَبَدًا . وَأَمَّا لِيُفَنِّي وَإِنْ أَجَدَى إِلَى حِينٍ
 هَذَاكَ عِزٌّ وَذَا ذُلٌّ لِصَاحِبِهِ مَا زَالَ بِالْبَعْدِ بَيْنَ الْعِزِّ وَالْهُونِ
 قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ دُرَيْدٍ :

لَا تَحْقِرَنَّ عَالِمًا وَإِنْ خَلَّتْ أَثْوَابُهُ فِي عُيُونِ رَامِقِهِ
 وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ بِعَيْنِ ذِي خَطَرٍ مُدَبِّبِ الرَّأْيِ فِي طَرَائِقِهِ
 فَأَلَيْسَ لَكَ مَهْمَا تَرَاهُ مُتَمَتِّنَا بِفَهْمِ عَطَارِهِ وَسَاحِقِهِ
 حَتَّى تَرَاهُ بِإِرْضَى مَلِكٍ وَمَوْضِعِ التَّلَاجِ مِنْ مَفَارِقِهِ
 قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّؤَلِيُّ :

أَلْعِلْمُ زَيْنٌ وَتَشْرِيفٌ لِصَاحِبِهِ فَاطْلُبْ هُدَيْتَ فَنُورَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
 كَمَا سَيِّدُ بَطْلَانِ آبَاؤِهِ نُجَبُ كَانُوا الرُّؤُوسَ فَاَتَمَسَى بَعْدَهُمْ ذَنَبًا
 وَمُفَرِّقَ حَامِلِ الْأَبَاءِ ذِي آدَبٍ نَالَ الْعَالِي بِالْأَدَبِ وَالرَّتَبَا
 أَلْعِلْمُ كَزُّ وَذُخْرٌ لَا فَنَاءَ لَهُ نِعَمَ الْقَرِينِ إِذَا مَا صَاحِبٌ صَحَابَا
 قَدْ يَجْمَعُ أَمْوَالَ شَخْصٍ ثُمَّ يُحْرِمُهُ عَمَّا قَلِيلٍ فَيَلْقَى الذُّلَّ وَالْحَرَبَا
 وَجَامِعُ الْعِلْمِ مَغْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا وَلَا يُحَازِرُ مِنْهُ أَلْفُوتَ وَالسَّلْبَا
 يَا جَامِعَ الْعِلْمِ نِعَمَ الذُّخْرِ تَجْمَعُهُ لَا تَعْدِلَنَّ بِهِ دُرًّا وَلَا ذَهَبَا
 ١٤٤ قَالَ غَيْرُهُ :

بِأَلْعِلْمِ وَالْعَقْلِ لَا بِالْمَالِ وَالذَّهَبِ يَزْدَادُ رُفْعُ الْقَتَى قَدْرًا بِمَا طَلَبَ
 فَأَلْعِلْمُ طَوْقُ النَّهْيِ يَزْهَوِيهِ شَرْقًا وَالْجَهْلُ قَيْدٌ لَهُ يُبْلِيهِ بِالْآلَبِ

كَمْ يَرْفَعُ الْعِلْمُ أَشْخَاصًا إِلَى رُتَبٍ وَيَنْقُصُ الْجُلُوسُ أَشْرَافًا بِلاَ أَدَبٍ
 الْعِلْمُ كَثْرًا فَلَا تَقْنَى ذَخَائِرُهُ وَأَزَاءُ مَا زَادَ عِلْمًا زَادَ بِالرُّتَبِ
 فَالْعِلْمُ قَاطِبٌ لِكَيْ يُجِدِيكَ جَوْهَرُهُ كَالْقَوْتِ لِلْجِسْمِ لَا تَطْلُبُ غِنَى النَّعْبِ
 قَالَ آخِرُ:

مَا حَوَى الْعِلْمُ جَمِيعًا أَحَدٌ لَا وَلَوْ مَارَسَهُ أَلْفَ سَنَةٍ
 إِنَّمَا الْعِلْمُ بَعِيدٌ غَوْرُهُ فَخُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ
 قَالَ بَعْضُهُمْ:

تَعْلَمُ مَا اسْتَطَعْتَ بِحَيْثُ تَسْعَى فَإِنَّ الْعِلْمَ زَيْنُ الرِّجَالِ
 لِأَنَّ الْعِلْمَ فِي الدُّنْيَا جَمَالٌ وَفِي الْآخِرَةِ تَنَالٌ بِهِ الْعَالِي
 قَالَ آخِرُ:

الْعِلْمُ زَيْنٌ فَكُنْ لِلْعِلْمِ مُكْتَسِبًا وَكُنْ لَهُ طَالِبًا مَا عَشْتَ مُقْتَسِبًا
 إِنْ كُنْ إِلَيْهِ وَثِقَ بِاللَّهِ وَاعْتَنَ بِهِ وَكُنْ حَالِمًا زَيْنَ الْعَالِ مُحْتَرِسًا
 وَكُنْ قَتِي مَائِكَامُ خَضِرِ التُّقَى وَرِعَا الدِّينِ مُتَّقِنًا فِي الْعِلَامِ مُنْعَسًا
 مَنْ تَخَلَّقَ بِالْأَدَابِ ظَلَّ بِهَا رَئِيسَ قَوْمٍ إِذَا مَا فَارَقَ الرُّؤْسَا

وصف الكتاب

١٤٥ أَلِكِتَابُ نِعَمِ الْإِنْسِ فِي سَاعَةِ الْوَحْدَةِ . وَنِعَمِ الْمَرْقَةِ فِي
 دَارِ الْغُرْبَةِ . وَنِعَمِ الْقَرِينِ وَالِدَخِيلِ . وَنِعَمِ الزَّائِرِ وَالزَّيْلِ . وَعَاةُ مُلِيٍّ
 عِلْمًا وَظَرْقًا . وَإِنَاءُ مُلِيٍّ نَزْحًا وَجَدًا . وَحَبْدَا بَسْتَانٍ يُحْمَلُ فِي خُرْجِ
 وَرَوْضٍ يُقَابُ فِي خَيْرٍ . هَلْ سَمِعْتَ بِشَجَرَةٍ تُؤْتِي أَكْثَامًا كُلَّ حِينٍ

يَا وَانْ مُخْتَلِفَةً وَطُغُومٌ مُتَبَايِنَةً . هَلْ تَسِمْتَ بِشَجَرَةٍ لَا تَذَوِي . وَزَهْرٍ لَا يَبُوي .
 وَفَرٍّ لَا يَفْنَى . وَمَنْ لَكَ بِجَلْدِيسٍ يُفِيدُ الشَّيْءَ . وَخِلَافَهُ وَالْجِلْسَ وَضِدَّهُ .
 يَنْطِقُ عَنِ الْمَوْتَى وَيُترَجِّمُ عَنِ الْأَحْيَاءِ . إِنْ غَضِبْتَ لَمْ يَغْضَب . وَإِنْ
 عَرَبِدْتَ لَمْ يَعْصِب . انْكَتَمُ مِنَ الْأَرْضِ . وَأَتَمُّ مِنَ الرِّيحِ . وَأَهْوَى مِنَ
 الْهَوَى . وَأَخْذَعُ مِنَ الْمُنَى . وَأَمْتَعُ مِنَ الصَّحَى . وَأَنْطَقُ مِنْ تَحْتَانِ وَإِلَى
 وَأَعْيَانٍ مِنْ بَاقِلٍ . هَلْ تَسِمْتَ بِمُطَلِّمٍ تَحْلِي بِخِلَالِ كَثِيرَةٍ وَجَمْعٍ أَوْصَافًا عَدِيدَةٍ .
 عَرَبِيٌّ فَارِسِيٌّ يُونَانِيٌّ هِنْدِيٌّ سِنْدِيٌّ رُومِيٌّ . إِنْ وَعَظَ أَسْمَعَ . وَإِنْ أَلْهَى
 أَمْتَعَ . وَإِنْ أَتَبَكَ أَذْمَعَ . وَإِنْ ضَرَبَ أَوْجَعَ . يُفِيدُكَ وَلَا يَسْتَفِيدُ مِنْكَ .
 وَيَزِيدُكَ وَلَا يَسْتَرِيدُ مِنْكَ . إِنْ وَجَدَ قَعْبَرَةً . وَإِنْ مَزَحَ قَزَحَةً . قَبِرُ
 الْأَسْرَارِ وَخَزْنُ الْأَوْدَاعِ . قَيْدُ الْمُلُومِ . وَيَبْذُوعُ الْحَكْمِ وَمَعْدِنُ
 الْمَكَارِمِ . وَمَوْئِسٌ لَا يَتَامُ . يُفِيدُكَ عِلْمُ الْأَوَّلِينَ . وَيُنْخِرُكَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ
 أَخْبَارِ الْمُتَأَخِّرِينَ . هَلْ تَسِمْتَ فِي الْأَوَّلِينَ أَوْ بَلَّغْتَ أَنْ أَحَدًا مِنْ السَّالِفِينَ
 جَمَعَ هَذِهِ الْأَوْصَافَ مَعَ قَلَّةٍ مَوْوَنَةٍ وَخَفَةِ عَمَلِهِ . لَا يَزُوكَ شَيْئًا مِنْ
 ذُنُوبِكَ . نَعَمْ الْمُدَّخِرُ وَالْعُدَّةُ . وَالْمُسْتَقِلُّ وَالْجُرْفَةُ . جَلِيسٌ لَا يُطْرِكُ
 وَرَفِيقٌ لَا يَمْلِكُ . يُطِيعُكَ فِي اللَّيْلِ طَاعَتُهُ فِي النَّهَارِ . وَيُطِيعُكَ فِي السَّعْرِ
 طَاعَتُهُ فِي الْحَضَرِ . إِنْ أَطَلْتَ الْأَنْظَرَ إِلَيْهِ أَطَالَ إِمْتَاعَكَ . وَتَحَذَّ طَابَعَكَ .
 وَبَسَطَ لِسَانَكَ . وَجَوَّدَ بَيَانَكَ . وَفَحَّمَ أَلْفَاظَكَ . إِنْ أَلْفَتَهُ خَلَّدَ عَلَى
 الْأَيَّامِ ذِكْرَكَ . وَإِنْ دَرَسْتَهُ رَفَعَ فِي الْخَلْقِ قَدْرَكَ . وَإِنْ نَزَّهَتْهُ نَوَّهَتْ عَنْهُمْ
 بِأَمْرِكَ . يُعِيدُ الْعَبِيدَ فِي مَقَاعِدِ السَّادَاتِ . وَيُجْلِسُ السُّوفَةَ فِي مَجَالِسِ

الْمُلُوكَ فَكَرَّمَهُ مِنْ صَاحِبِهِ . وَأَعَزَّهُ بِهِ مِنْ مُوَافِقِ (الْكُتْرِ الْمَدْفُونِ)
 ١٤٦ أَرْسَلَ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ فِي طَلَبِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ لِيَسِيرَهُ . فَلَمَّا
 جَاءَ الْخَادِمُ إِلَيْهِ وَجَدَهُ جَالِسًا وَحَوْلَيْهِ كُتُبٌ وَهُوَ يُطَالِعُ فِيهَا . فَقَالَ
 لَهُ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسْتَدْعِيكَ . فَقَالَ : قُلْ عِنْدِي قَوْمٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ
 أَحَادِيثُهُمْ فَإِذَا فَرَعْتُ مِنْهُمْ حَضَرْتُ . فَلَمَّا عَادَ الْخَادِمُ إِلَى الْخَلِيفَةِ وَأَخْبَرَهُ
 بِذَلِكَ قَالَ لَهُ : وَنَحَكَ مَنْ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءِ الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَهُ . قَالَ :
 وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ عِنْدَهُ أَحَدٌ . قَالَ : فَأَحْضِرْهُ السَّاعَةَ كَيْفَ
 كَانَ . فَلَمَّا حَضَرَ ذَلِكَ الْعَالِمُ . قَالَ لَهُ الْخَلِيفَةُ : مَنْ هَؤُلَاءِ الْحُكَمَاءِ
 الَّذِينَ كَانُوا عِنْدَكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

لَمَّا جُلَسَا مَا تَمَلُّ حَدِيثَهُمْ إِلَيْهِ مَا مُمُونُونَ غِيًّا وَمَشْهَدًا
 يُفِيدُونَ تَامًا مِنْ عِلْمِهِمْ عِلْمَ مَا مَضَى وَرَأْيَا وَتَأْدِيًّا وَتَجْدًا وَسُودَدًا
 فَإِنْ قُلْتَ أَمْوَاتٌ فَلَمْ تَعُدْ أَمْرَهُمْ وَإِنْ قُلْتَ أَحْيَاءٌ فَلَسْتَ مُقْبِدًا
 فَعَلِمَ الْخَلِيفَةُ أَنَّهُ يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى الْكُتُبِ وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ تَأْخُرَهُ

١٤٧ طَلَبَ الْمَكْنِي مِنْ وَزِيرِهِ كُتُبًا يَلُوحِيهَا وَيَقْطَعُ بِطُحْلَاتِهَا
 زَمَانَهُ . فَتَنَدَّمَ الْوَزِيرُ إِلَى الثُّوَابِ بِتَحْصِيلِ ذَلِكَ وَعَرَضَهُ عَلَيْهِ قَبْلَ
 حَمْلِهِ إِلَى الْخَلِيفَةِ . فَحَصَلُوا شَيْئًا مِنْ كُتُبِ التَّارِيخِ فِيهَا شَيْءٌ بِمَا جَرَى
 فِي الْأَيَّامِ السَّالِفَةِ مِنْ وَقَائِعِ الْمُلُوكِ وَأَخْبَارِ الْوُزَرَاءِ وَمَعْرِفَةِ التَّحْقِيلِ
 فِي اسْتِخْرَاجِ الْأَمْوَالِ . فَلَمَّا رَأَى الْوَزِيرُ قَالَ لِثَوَابِهِ : إِنَّكُمْ أَشَدُّ
 النَّاسِ عِدَاوَةً لِي . أَنَا قُلْتُ لَكُمْ حَصَلُوا لَهُ كُتُبًا يَلُوحِيهَا وَيَقْطَعُ بِهَا

عَنِّي وَعَنْ غَيْرِي . فَقَدْ حَصَلَتْ لَهُ مَا يَعْرِفُهُ مَصَارِعُ الْوُزَرَاءِ وَيُوجِدُهُ
الطَّرِيقُ إِلَى اسْتِغْرَاجِ الْمَالِ وَيَعْرِفُهُ خَرَابُ الْبِلَادِ مِنْ عِمَارَتِهَا . رُدُّوْهَا
وَحَصِّلُوْهَا كَتَبْنَا فِيْهَا حِكَايَاتُ تَلْمِيْهِ وَأَسْمَارُ نَقَارِ بَعْضِهِ (الفجري)
قَالَ ابْنُ دُوسْتٍ فِي الْخَفْظِ وَالْإِسْتِغْثَارِ :

عَلَيْكَ بِالْخَفْظِ دُونَ الْجَمْعِ فِي الْكُتُبِ فَإِنَّ لِكُتُبِ آفَاتٍ تُفَرِّقُهَا
الْمَاءُ يُفْرِقُهَا وَالنَّارُ تُحْرِقُهَا وَالْقَارُ يُخْرِقُهَا وَالْأَصُّ يَسْرِقُهَا

في البيان والبلاغة والفصاحة

١٤٨ قَالَ ابْنُ الْمُعْتَرِ : الْبَيَانُ تَرْجَمَانُ الْقُلُوبِ وَصَيْقَلُ الْقَوْلِ . وَأَمَّا
حَدُّهُ فَقَدْ قَالَ الْجَلَّاحِظُ : الْبَيَانُ أَنْتُمْ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا كَتَفَ لَكَ عَنْ
الْمَعْنَى . وَقَالَ الْيُونَانِيُّ : الْبَلَاغَةُ وَضُوحُ الدَّلَالَةِ وَاتِّهَارُ الْفَرْصَةِ
وَحُسْنُ الْإِشَارَةِ . وَقَالَ الْهِنْدِيُّ : الْبَلَاغَةُ تَضَمُّنُ الْأَقْسَامِ . وَاخْتِيَارُ
الْكَلَامِ . وَقَالَ الْكِنْدِيُّ : يَجِبُ لِلْبَلِغِ أَنْ يَكُونَ قَلِيلَ اللَّفْظِ كَثِيرَ
الْمَعْنَى وَقِيلَ : إِنَّ مُعَاوِيَةَ سَأَلَ عُمَرَو بْنَ الْخَطَّابِ : مَنْ أَبْلَغُ النَّاسِ .
فَقَالَ : أَقْلَهُمْ لَفْظًا وَأَسْهَلَهُمْ مَعْنَى وَأَحْسَنَهُمْ بَدِيعَةً . وَقَالَ أَبُو عَبْدِ
اللَّهِ وَزِيرُ الْمُهَدِيِّ : الْبَلَاغَةُ مَا فَهِنَتْهُ الْعُلَمَاءُ وَرَضِيَتْ بِهِ الْخَاصَّةُ .
وَقَالَ الْبُخْتَرِيُّ : خَيْرُ الْكَلَامِ مَا قَلَّ . وَجَلَّ . وَدَلَّ . وَلَمْ يُلَّ . وَقَالُوا :
الْبَلَاغَةُ مِيدَانٌ لَا يَقْطَعُ إِلَّا بِسَوَائِقِ الْأَذْهَانِ . وَلَا يُسَاكُ إِلَّا بِبَصَائِرِ
الْبَيَانِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

لَكَ الْبَلَاغَةُ مِيدَانٌ كُنْتُ فِيهِ وَكُنْتُ بِهُ صُورٌ عَنْكَ نَعَرْتُ

هَذَا فِي الْمَذَرِّ فِي نَقَامٍ بَعَثَ بِهِ مَنْ عِنْدَهُ الدَّرُّ لَا يَهْدِي لَهُ الصَّدْفُ
 ١٤٩ وَقَالَ الثَّعَالِبِيُّ: أَلْبَلِغُ مَا كَانَ لَفْظُهُ فُحْلًا وَمَعْنَاهُ بَكْرًا. وَقَالَ
 الْإِمَامُ فخر الدين الرَّازِيُّ فِي حَدِّ الْبَلَاغَةِ: إِنَّهَا بُلُوغُ الرَّجُلِ بِبَارِيهِ
 كُنْهَ مَا فِي قَلْبِهِ مَعَ الْإِحْتِرَازِ عَنِ الْإِبْجَازِ الْخَلِّ. وَالتَّطْوِيلِ الْمَمْلُ.
 وَأَمَّا الْقَصَاحَةُ فَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ فخر الدين الرَّازِيُّ عَنْهَا: أَعْلَمُ أَنَّ
 الْقَصَاحَةَ خُلُوصَ الْكَلَامِ مِنَ التَّعْقِيدِ وَأَصْلَاهَا مِنْ قَوْلِهِمْ أَقْصَحَ الْكَلْبُ
 إِذَا أَخَذَتْ عَنْهُ الرَّمْعُوهُ. وَأَكْثَرُ الْبَلَاءِ لَا يَكْادُونَ يَفْرُقُونَ بَيْنَ
 الْبَلَاغَةِ وَالْقَصَاحَةِ. بَلْ يَسْتَمْلُونَهَا اسْتِمَالِ الشَّيْئَيْنِ الْمُتَرَادِفَيْنِ عَلَى
 مَعْنَى وَاحِدَةٍ فِي تَسْوِيَةِ الْحُكْمِ بَيْنَهُمَا. وَدَّعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْبَلَاغَةَ
 فِي الْمَعْنَى وَالْقَصَاحَةُ فِي الْأَلْفَافِ. وَيُسْتَدَلُّ بِقَوْلِهِمْ مَعْنَى بَلِغٌ وَلَفْظٌ
 فَصِيحٌ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ: مَا رَأَيْتُ رَجُلًا قَطُّ إِلَّا هَبَّتْهُ حَتَّى يَتَكَلَّمَ. فَإِنْ
 كَانَ فَصِيحًا عَظُمَ فِي صَدْرِي. وَإِنْ قَعَرَ سَطَطَ مِنْ عَيْنِي (الابشيحي)

في الشعر

١٥٠ كَانَ يُقَالُ: الشَّعْرُ دِيْوَانُ الْعَرَبِ وَمَدِينُ حِكْمَتِهَا وَكَثْرُ أَدَبِهَا.
 وَيُقَالُ: الشَّعْرُ لِسَانُ الزَّمَانِ. وَالشَّعْرَاءُ الْكَلَامُ أَمْرًا. وَقَالَ بَعْضُ
 السَّافِ: الشَّعْرُ جِزْلٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ يُقَامُ بِهِ الْجَائِسُ وَتُسْتَجْعُ بِهِ
 الْحَوَائِجُ وَتَشْفَى بِهِ السَّخَائِمُ. وَيُقَالُ: الْمَدْحُ هَرَّةُ الْكِرَامِ. وَإِعْطَاهُ
 الشَّعْرَاءُ مِنْ بَرِّ الْوَالِدَيْنِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَنْتُمْ فِ الشَّعْرَاءِ فَإِنْ
 ظَلَمْتُمْ تَبْقَى وَعِقَابُهُمْ لَا يَنْتَقِي. وَهُمْ الْحَاكِمُونَ عَلَى الْحُكَّامِ. وَقَالَ

آخِرُ : الشَّعْرُ الْجَيِّدُ هُوَ الشَّعْرُ الْحَلَالُ . وَالْعَذْبُ الزَّلَالُ . إِنَّ مِنْ
 الشَّعْرِ لِحِكْمَةً وَإِنْ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا . وَكَانَ يُقَالُ : اَلْتَرَى يَتَطَايَرُ تَطَايُرَ
 الشَّرَرِ . وَالشَّرْمِيَّتَى بَقَاءُ النَّفْسِ فِي الْحَجْرِ . وَقِيلَ لِحِزَّةِ بَنِي يَنْصِ :
 مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ . قَالَ . مَنْ إِذَا قَالَ أَسْرَعَ . وَإِذَا وَصَفَ أَبْدَعَ . وَإِذَا
 مَدَحَ رَفَعَ . وَإِذَا هَجَا وَضَعَ . وَقَالَ دَعِيْلٌ فِي كِتَابِهِ الْمَوْضُوعِ فِي مَدَحِ
 الشُّعْرَاءِ : إِنَّهُ لَا يَكْذِبُ أَحَدٌ إِلَّا أَمَرَ تَرَاهُ النَّاسُ قَتَالُوا : كَذَابٌ . إِلَّا
 الشَّاعِرَ فَإِنْ يَكْذِبُ يُسْتَحْسَنُ كَذِبُهُ . وَيَحْتَمَلُ ذَلِكَ لَهُ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ
 عَيْبًا عَلَيْهِ . ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَنْ يُقَالَ : أَحْسَنْتَ . (وَفِيهِ) أَنَّ الرَّجُلَ الْمَلِكَ أَوْ
 السُّرُقَةَ إِذَا صَيَّرَ ابْنَهُ فِي الْكِتَابِ أَمَرَ مُعَلِّمَهُ أَنْ يُعَلِّمَهُ الشَّعْرَ . لِأَنَّهُ
 تُوَصَّلُ بِهِ إِلَى الْحَاجِسِ . وَتُضْرَبُ فِيهِ الْأَمْثَالُ : تُعْرَفُ بِهِ عَظَائِمُ الْأَخْلَاقِ
 وَمَشَائِبُهَا فَتُذَمُّ وَتُحْمَدُ وَتُهْجَى وَتُمدَحُ . وَأَيُّ شَرَفٍ أَتَى مِنْ شَرَفِ
 يَتَّقِي بِالشَّعْرِ . (وَفِيهِ) أَنَّ أَمْرًا أَلْقَيْسَ كَانَ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ . وَكَانَ
 مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَبَنِي أَبِيهِ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِينَ مَلَكًا فَجَادُوا وَبَادَ ذِكْرُهُمْ .
 وَبَقِيَ ذِكْرُهُ إِلَى الْقِيَامَةِ . وَإِنَّمَا أَمْسَكَ ذِكْرَهُ شِعْرُهُ . وَقَالَ : أَحْسَنُ مَا
 مَدَحَ بِهِ الشَّعْرُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ حَيْثُ يَقُولُ :
 وَلَوْلَا خِلَالُ سَنَاهَا الشَّعْرُ مَا دَرَى بُعَاةُ الْمَعَالِي كَيْفَ تُبْنَى الْمُسْكَرِمُ
 وَأَحْسَنُ مِنْهُ :

أَرَى الشَّعْرَ يُهْجِي الْجُودَ وَالنَّاسَ بِالَّذِي تُبْقِيهِ أَرْوَاحُ لَهُ عَطْرَاتُ
 وَمَا تُجَدُّ لَوْلَا الشَّعْرُ إِلَّا مَعَاهِدُ وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَعْظَمُ نُجَرَاتُ

١٥١ (فَصْلٌ لِأَيِّ بَكْرِ الْخَوَارِزْمِيِّ جَامِعٌ لِمَدَحِ الشُّرَاءِ) مَا ظَنُّكَ
 بِقَوْمٍ لَا اقْتِصَارَ لِحُجُودِ إِلَّا مِنْهُمْ . وَالْكَذِبُ مَذْمُومٌ وَمَرْدُودٌ إِلَّا فِيهِمْ .
 إِذَا ذَمُّوا ذَلُّوا . وَإِذَا مَدَحُوا سَلَبُوا . وَإِذَا رُضُوا رَفَعُوا الْوَضِيعُ .
 وَإِذَا غَضِبُوا . وَضَعُوا الرَّفِيعُ . وَإِذَا أَقْرَأُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَبِيرِ . لَمْ
 يَلْزَمْ حَدٌّ . وَلَمْ تَمُتْ إِلَيْهِمْ الْعُقُوبَةُ يَدُ . غَيْبُهُمْ لَا يُصَادَرُ . وَقَبِيرُهُمْ لَا
 يُسْتَحْفَرُ . وَشَيْئُهُمْ يُوقَرُ . وَشَابَهُمْ لَا يُسْتَصَفَرُ . سِهَاتُهُمْ تَنْقُذُ فِي
 الْأَعْرَاضِ . وَشَهَادَتُهُمْ مَقْبُولَةٌ . وَإِنْ لَمْ يَنْطَلِقْ بِهَا سَجِلٌ وَلَمْ يَشْهَدْ بِهَا
 عَدْلٌ . بَلْ مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ هُمْ صَيَارِفَةُ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ . وَمَسَامِيرَةُ
 النُّصَرِ وَالْكَمَالِ . بَلْ مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ أَنْتَهُمُ نَاطِقٌ بِالْفَضْلِ . وَأَنْتُمْ
 صِنَاعَتُهُمْ مُشْتَقٌّ مِنَ الْعُتْلِ . بَلْ مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ أَمْرَاهُ الْكَلَامِ .
 يَقْصِرُونَ طَوِيلَهُ . وَيَطْوِلُونَ قَصِيرَهُ . يَقْصِرُونَ مَمْدُودَهُ . وَيُخَفِّقُونَ
 ثَقِيلَهُ . وَلَيْمَ لَا أَقُولُ : مَا ظَنُّكَ بِقَوْمٍ يَنْبَهُمُ الْفَاوُونَ . وَفِي كُلِّ وَادٍ
 يَهيمُونَ

(لَايِي نصر المقدسي)

في الأدب

١٥٢ قَالَ الْعَلَاءُ بْنُ أَيُّوبَ كَانَ يُقَالُ : مَثَلُ الْأَدِيبِ ذِي الْقَرِيحَةِ
 مَثَلُ دَائِرَةٍ تُدَارُ مِنْ خَارِجِهَا . فَهِيَ فِي كُلِّ دَائِرَةٍ تُدَارُ تَأْسِعُ وَتَزْدَادُ
 عِظَمًا . وَمَثَلُ الْأَدِيبِ غَيْرِ ذِي الْقَرِيحَةِ مَثَلُ دَائِرَةٍ تُدَارُ مِنْ دَاخِلِهَا فَهِيَ
 عَنْ قَلِيلٍ تَبْلُغُ إِلَى بَاطِنِهَا . أَوْصَى الْحَكَمَاءُ بَيْنَهُ قَالَهُمْ :
 الْأَدَبُ أَكْرَمُ الْجَوَاهِرِ طَبِيعَةً وَأَنْفُسُهَا قِيَمَةٌ . يَرْفَعُ الْأَخْسَابَ الْوَضِيعَةَ .

وَيُفِيدُ الرَّغَائِبَ الْجَلِيلَةَ . وَيُنِي مِنْ غَيْرِ عَشِيرَةٍ . وَيَكْثُرُ الْأَنْصَارُ مِنْ
غَيْرِ رِزْيَةٍ . قَالِبُوهُ حُلَّةً . وَتَرَيُوا بِهِ جِلْبَابَهُ . يُؤَانِسُكُمْ فِي الْوَحْشَةِ .
وَيَجْمَعُ الْقُلُوبَ الْمُخْتَلِفَةَ . وَأَنْشُدِ الْأَصْمَعِي :

إِنْ كَانَ لِلْعَقْلِ مَوْلُودٌ فَلَسْتُ أَرَى ذَا الْعَقْلِ مُسْتَوْحِشًا مِنْ حَادِثِ الْأَدَبِ
إِنِّي رَأَيْتُهُمَا كَالْمَاءِ مُخْتَلَطًا بِالتَّرْبِ تَطَوَّرَ عَنْهُ زَهْرَةُ الشُّبِّ
١٥٣ وَقَالَ بَزْرَجَمَرُ : مَا وَرَثَ الْأَبَاءُ إِلَّا بَنَاءَ خَيْرٍ مِنَ الْأَدَبِ .
لَا نَهَمُ بِهِ يَكْسِبُونَ أَمَالًا وَبِالْجَلِيلِ يُتْلَفُونَهُ : وَقَالَ : حُسْنُ الْخُلُقِ خَيْرُ
قَرِينٍ وَالْأَدَبُ خَيْرُ مِيرَاثٍ وَأَتَتْهُ وَى خَيْرُ زَادٍ . وَقَالَ أَيْضًا : لَيْتَ
شِعْرِي أَيَّ شَيْءٍ أَذْرَكَ مِنْ قَاتِهِ الْأَدَبُ . وَأَيَّ شَيْءٍ دَفَاتَ مَنْ أَذْرَكَ
الْأَدَبُ . وَقَالَ ابْنُ عَائِشَةَ الْقُرَشِيِّ : أَهْلُ الْأَدَبِ هُمُ الْأَكْثَرُونَ
وَأَنْ قَلُّوا . وَتَحَلَّ الْأَنْسُ أَنْ يَحْلُوا . وَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ لِابْنِهِ :
يَا بُنَيَّ الْأَدَبُ بَهَاءُ الْمُلُوكِ وَرِيَاشُ السُّوقَةِ وَالنَّاسُ بَيْنَ هَاتَيْنِ فَعَلَّمَهُ
تَجِدُهُ حَيْثُ تُحِبُّ . وَقَالَ بَعْضُ الظَّاهِرِيِّ : لَوْ عَلِمَ الْجَاهِلُونَ مَا
الْأَدَبُ . لَا يَقْنُوا أَنَّهُ الطَّرَبُ . وَقَالَ حَكِيمٌ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ عِزُّ السُّلْطَانِ
يَوْمَ لَكَ وَيَوْمَ عَلَيْكَ . وَعِزُّ أَمَالٍ وَشَيْكُ ذَهَابِهِ . جَدِيدُ أَنْتِ طَاعُهُ
وَأَنْتِ قَلَابُهُ . وَعِزُّ الْحَسَبِ إِلَى خُمُولٍ وَدُثُورٍ وَدُثُولٍ . وَعِزُّ الْأَدَبِ رَأْيُ
وَاصِبٍ . لَا يَزُولُ زَوَالِ أَمَالٍ وَلَا يَتَحَوَّلُ يَتَحَوَّلُ السُّلْطَانُ . وَيُقَالُ : مَنْ
قَدَّ بِهِ حَسَبُهُ . نَهَضَ بِهِ أَدَبُهُ . وَقَالَ ابْنُ الْمُبَرِّزِ : جِلْبَابُ الْأَدَبِ لَا
تُفْنِي . وَحُرْمَتُهُ لَا تُنْحَى . وَالْأَدَبُ صُورَةُ الْعَقْلِ فَحَسِّنْ عَقْلَكَ كَيْفَ

يُثَنِّتَ . قَالَ بَرَزَجَمْرُ : مَنْ كَثُرَ أَدَبُهُ . كَثُرَ شَرَفُهُ وَإِنْ كَانَ قَبْلُ
وَضِيئًا وَبَعْدَ صَيْتُهُ وَإِنْ كَانَ حَامِلًا . وَسَادَ وَإِنْ كَانَ غَرِيبًا . وَكَثُرَتْ
الْحَاجَةُ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا . وَقَالُوا : الْأَدَبُ أَدْبَانُ أَدَبُ الْفَرِيزَةِ
وَهُوَ الْأَصْلُ وَأَدَبُ الرِّوَايَةِ وَهُوَ الْقَرَعُ . وَلَا يَتَمَرَّعُ الشَّيْءُ إِلَّا عَنِ
أَصْلِهِ . وَلَا يَتَغَوَّ الْأَصْلُ إِلَّا بِاتِّصَالِ الْمَادَّةِ (للشرشي)

١٥٤ وَقَالَ حَيْبُ فَأَحْسَنَ

وَمَا السِّيفُ إِلَّا زُرَّةٌ لَوْ تَرَكَتَهُ عَلَى الْحِلَقَةِ الْأُولَى لَمَا كَانَ يَهْطَعُ
وَقَالَ آخَرُ :

مَا وَهَبَ اللَّهُ لِأَمْرِي هَبَةً أَفْضَلَ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ أَدَبِهِ
هَمَا كَمَالُ أَتَقَى فَإِنْ فُقِدَا فَقَفَدْتُ الْحَيَاةَ أَحْسَنُ بِهِ
وَقِيلَ : إِذَا كَانَ الرَّجُلُ ظَاهِرَ الْأَدَبِ طَاهِرَ النَّتِ تَأَدَّبَ بِأَدَبِهِ
وَصَلَحَ بِصَلَاحِهِ أَهْلُهُ وَوَلَدُهُ . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

رَأَيْتُ صَلاَحَ الْمَرْءِ يُصْلِحُ أَهْلَهُ وَيُنْصِلُهُمْ عِنْدَ الْفَسَادِ إِذَا فَسَدَ
يُعْظَمُ فِي الدُّنْيَا لِأَجْلِ صَلاَحِهِ وَيُحْفَظُ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ
قَالَ غَيْرُهُ :

لَتَمُرَّكَ مَا لِلْإِنْسَانِ إِلَّا ابْنُ يَوْمِهِ عَلَى مَا تَجَلَّى يَوْمُهُ لَا ابْنُ أَمْسِهِ
وَمَا أَتَفَخَّرُ بِالْعَظَمِ الرَّمِيمِ وَإِنَّمَا فَخَارُ الَّذِي يَنْبَغِي التَّفَخُّارَ بِنَفْسِهِ
١٥٥ الْأَدَبُ مَالٌ . وَاسْتِعْمَالُهُ كَمَالٌ . بِالْعَمَلِ يُصْلِحُ كُلُّ أَمْرٍ .
وَبِالْجَلْمِ يُقْطَعُ كُلُّ شَرٍّ (للشراوي)

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :

حَرَصَ بَيْتُكَ عَلَى الْأَدَابِ فِي الصِّغَرِ كَمَا تَقَرَّ بِهِمْ عَيْنَاكَ فِي الْكِبَرِ
وَأَمَّا مَثَلُ الْأَدَابِ تَجَمُّعُهَا فِي عُقْوَانِ الصَّبَا كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ
هِيَ الْكُنُوزُ الَّتِي تَنْمُو ذَخَائِرُهَا وَلَا يُخَافُ عَلَيْهَا حَادِثُ الْعَبْرِ
إِنَّ الْأَدِيبَ إِذَا رَلَتْ بِهِ قَدَمُ يَهْوِي عَلَى فُرْشِ الدِّيَارِ وَالسُّرُرِ
قَالَ غَيْرُهُ :

مَنْ لَمْ يَرَ التَّأْدِيبَ فِي صِغَرِ الصَّبَا شَفَعَ الْفَلَاحُ عَلَيْهِ فِي وَقْتِ الْكِبَرِ
الْأَدَابُ الظَّاهِرَةُ

١٥٦ (الْأَدَابُ فِي الْأَكْلِ) . قَالَ بَعْضُهُمْ : إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ فِي أَوَّلِ أَكْلِهِ وَآخِرِهِ . وَعَلَى مَنْ يَأْكُلُ أَنْ يُلَقِّعَ بِالْأَدَابِ وَالرُّسُومِ الْمُسْتَحْسَنَةِ . مِنْهَا أَنْ يَأْكُلَ بِيَمِينِهِ وَيَشْرَبَ بِيَمِينِهِ . وَلَا يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ قَائِمًا . وَأَوْصَى رَجُلٌ مِنْ خَدَمِ الْمُلُوكِ ابْنَهُ فَقَالَ : إِذَا أَكَلْتَ فَضْمْ شَفَتَيْكَ وَلَا تَانْفَتِحْ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا وَتَلَقَّمْ بِسَكِينٍ . وَلَا تَجْلِسَ فَوْقَ مَنْ هُوَ أَشْرَفُ مِنْكَ وَارْفَعْ مَنَزَلًا . وَلَا تَبْصُقْ فِي الْأَمَاكِنِ النَّظِيفَةِ . وَمِنْ حُسْنِ الْأَدَابِ أَنْ يَرْضَ عَنْ الْبُطْنَةِ . قَالَ بَعْضُهُمْ : مَنْ قَلَّ طَعَامُهُ صَحَّ جِسْمُهُ وَصَفَا قَلْبُهُ . مَنْ كَثُرَ طَعَامُهُ سَقَمَ جِسْمُهُ وَفَسَدَ قَلْبُهُ . قَالَ آخَرُ : لَا تَغْمِثُوا الْقُلُوبَ بِكَثْرَةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ . فَإِنَّ الْقَلْبَ كَالزَّرْعِ . إِذَا كَثُرَ عَلَيْهِ الْمَاءُ مَاتَ . قَالَ ابْنُ الْمُقَمَّرِ : كَانَتْ مُلُوكُ الْأَعَاجِمِ إِذَا رَأَتْ الرَّجُلَ نَهْمًا شَرِيهَا

أَخْرَجُوهُ مِنْ طَبَقَةِ الْجِدِّ إِلَى بَابِ الْهَزْلِ وَمِنْ بَابِ التَّعْظِيمِ إِلَى بَابِ
الِاخْتِقَارِ (للابشيهي)

١٥٧ (وَأَمَّا أَدَبُ الضَّيْفِ) فَهُوَ أَنْ يَخْدُمَ ضَيْفَاكَ وَيُظَهِّرَ لَهُمُ النَّعْيَ
وَيَسْطِ الْأُوجُهَ فَقَدْ قِيلَ: أَلْبَشَاشَةٌ فِي الْأُوجُهِ خَيْرٌ مِنَ الْقَرَى. قَالُوا:
فَكَيْفَ يَمُنُ يَأْتِي بِهِ وَهُوَ ضَاحِكٌ. وَقَدْ صَمِنَ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ
الْبُدَيْوِيُّ هَذَا الْكَلَامَ بِأَيَاتٍ قَالُ:

إِذَا الْمُرءُ وَافَى مَنْزِلًا مِنْكَ قَاصِدًا قِرَاكَ وَأَرَمَتْهُ لَدَيْكَ أَسَالِكُ
فَكُنْ بَابِمَا فِي وَجْهِهِ مُتَهَيِّلًا وَقُلْ مَرْحَبًا أَهْلًا وَيَوْمٌ مُبَارَكُ
وَقَدِّمْ لَهُ مَا تَسْتَطِيعُ مِنَ الْقَرَى عَجُولًا وَلَا تَبْغُلْ بِمَا هُوَ هَالِكُ
فَقَدْ قِيلَ بَيْتٌ سَائِفٌ مُتَقَدِّمٌ تَدَاوَلَهُ زَيْدٌ وَعَمْرُو وَمَالِكُ
بَشَاشَةٌ وَجْهِ الْمُرءِ خَيْرٌ مِنَ الْقَرَى فَكَيْفَ يَمُنُ يَأْتِي بِهِ وَهُوَ ضَاحِكُ
قَالَ الْعَرَبُ: تَمَامُ الضِّيَافَةِ الطَّلَاقَةُ عِنْدَ أَوَّلِ وَهْلَةٍ وَإِطَالَةُ
الْحَدِيثِ بَيْنَ الْمُوَاكَلَةِ. وَلِلَّهِ دَرَمَنُ قَالَ:

اللَّهُ يَتْلُمُ أَنَّهُ مَا سَرَّنِي شَيْءٌ كَهَلَاكَةِ الضُّيُوفِ الْتَزَلِ
مَا زِلْتُ بِالْتَّرَجِيبِ حَتَّى خَلَّتْنِي ضَيْفًا لَهُ وَالضَّيْفُ رَبُّ الْمَنْزِلِ
وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ سَيْفُ الدَّلَّةِ بْنُ حَمْدَانَ:

مَنْزِلُنَا رَحْبٌ إِنْ زَارَهُ نَحْنُ سِوَاهُ فِيهِ وَالطَّارِقُ
وَكُلُّ مَا فِيهِ حَلَالٌ لَهُ إِلَّا الَّذِي حَرَّمَهُ الْخَالِقُ

قَالَ عَاصِمُ بْنُ وَائِلٍ:

وَأَنَّا نَتَّعِزُّ الضَّيْفَ قَبْلَ زُرُولِهِ وَنُشِيعُهُ بِالْبَشْرِ مِنْ وَجْهِ صَاحِبِكَ
 ١٥٨ وَمِنْ آدَابِ الْمُضَيَّفِ أَنْ يُحَدِّثَ أَضْيَافَهُ بِمَا تَمِيلُ إِلَيْهِ نَفْسُهُمْ . وَلَا
 يَتَأَمَّ قَبْلَهُمْ . وَلَا يَشْكُو الزَّمَانَ بِحُضُورِهِمْ . وَيَبْسُ عِنْدَ قُدُومِهِمْ وَيَتَأَمَّ
 عِنْدَ وَدَاعِهِمْ . وَأَنْ لَا يُحَدِّثَ بِمَا يَرُوعُهُمْ بِهِ . وَيَجِبُ عَلَى الْمُضَيَّفِ أَنْ
 يُرَاعِيَ خَوَاطِرَ أَضْيَافِهِ كَيْفَمَا أَمَكَّنَ . وَلَا يَتَضَبَّ عَلَى أَحَدٍ بِحُضُورِهِمْ .
 وَلَا يُنْقِصَ عَيْنَهُمْ بِمَا يَكْرَهُونَهُ . وَلَا يَبْسُ بِوَجْهِهِ . وَلَا يُظْهِرُ نَدَامًا .
 وَلَا يَنْهَرُ أَحَدًا وَلَا يَشْتُمُهُ بِحُضْرَتِهِمْ بَلْ يَدْخُلُ عَلَى قُلُوبِهِم السُّرُورُ بِكُلِّ مَا
 أَمَكَّنَ . وَعَلَيْهِ أَنْ يَسْهَرَ مَعَ أَضْيَافِهِ وَيُؤَانِسَهُمْ بِلَذِيذِ التَّحَادُثِ وَغَرِيبِ
 الْحِكَايَاتِ . وَأَنْ يَسْتَمِيلَ قُلُوبَهُمْ بِالْبَذْلِ لَهُمْ مِنْ غَرَائِبِ الطَّرَافِ إِنْ
 كَانَ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ . وَعَلَى الْمُضَيَّفِ إِذَا قَدَّمَ الطَّعَامَ إِلَى أَضْيَافِهِ أَنْ
 لَا يَنْتَظِرُ مَنْ يَحْضُرُ مِنْ عَشِيرَتِهِ . هَذَا قِيلَ : أَلَا تَهْنِي بِسِرَاجٍ لَا يَهْنِي
 وَرَسُولٌ بَطِي . وَمَا نَدَةُ يَنْتَظَرُ لَهَا مَنْ يَجِي . وَمِنْ السُّنَنِ أَنْ يُشَمِّعَ
 الْمُضَيَّفُ الضَّيْفَ إِلَى بَابِ الدَّارِ (الابشيهي)

١٥٩ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : مَا اسْتَكْمَلَ عَمَلُ امْرِئٍ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ
 عَشْرُ خِصَالٍ . الرَّشْدُ مِنْهُ مَأْمُولًا . وَالْكَبَرُ مِنْهُ مَأْمُونًا . نَصِيْبُهُ مِنْ
 الدُّنْيَا الْقَوْتُ . وَالذَّلُّ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْعِزِّ . وَالْفَقْرُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْغِنَى
 يَسْتَقِلُّ كَثِيرَ الْمَعْرُوفِ مِنْ نَفْسِهِ . وَيَسْتَكْثِرُ قَلِيلَ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِهِ .
 وَلَا يَسَامُ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ طَوْلَ عُمْرِهِ . وَلَا يَتَّبِعُ مِنْ طَلَبِ الْحَوَائِجِ
 قَلْبُهُ . وَالْعَاشِرَةُ أَنْ يَرَى النَّاسَ كُلَّهُمْ خَيْرًا مِنْهُ (لابن المعتز)

أَلْبَابُ النَّاسِ فِي اللَّطَائِفِ

الحداد والامير

١٦٠ حَكِي الْقَاضِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَمِيدِيُّ النَّابُ قَالَ : دَخَلْتُ
عَلَى الْأَمِيرِ سَمِيدِ بْنِ الْمُظَفَّرِ أَيَّامَ وَلَايَتِهِ لِأَتَشْرَفَ فَوَجَدْتُهُ يَقْطُرُ دَهْنًا
عَلَى خَنْصِرِهِ . فَسَأَلْتُهُ عَنْ سَبَبِهِ فَذَكَرَ ضَيْقَ خَاتِمِهِ وَأَنَّهُ وَرِمَ بِسَبَبِهِ .
فَقُلْتُ لَهُ : أَلَرَأَيْ قَطْعَ حَلَقَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَتَقَاعَمَ الْأَمْرُ . فَقَالَ : مَنْ يَصْلُحُ
لِذَلِكَ . فَأَسْتَدْعَيْتُ ظَافِرَ الْحَدَّادِ الشَّاعِرَ فَقَطَعَ الْحَلَقَةَ وَأَنشَدَ بَدِيحًا :
قَصَرَ عَنِ أَوْصَافِكَ الْعَالَمُ وَكَثُرَ الْإِثْرُ وَالنَّاطِمُ
مَنْ يَكُنْ الْجَزْرُ لَهُ رَاحَةً يَضِيقُ عَنْ خَنْصِرِهِ الْحَاتِمُ
فَأَسْتَحْسَنَهُ الْأَمِيرُ وَوَهَبَ لَهُ الْحَلَقَةَ . وَكَانَتْ مِنْ ذَهَبٍ
وَكَانَ بَيْنَ يَدَيِ الْأَمِيرِ غَزَالٌ مُسْتَأْنِسٌ وَقَدْ رَبَضَ وَجَعَلَ رَأْسَهُ فِي
حُجْرِهِ . فَقَالَ ظَافِرٌ بَدِيحًا :

عَجِبْتُ لِحِرَاوْهَذَا الْغَزَالِ وَأَمْرِي تَخْطِي لَهُ وَأَعْتَمَدُ
وَأَعْجِبُ بِهِ إِذَا بَدَأَ جَائِمًا وَكَيْفَ أَطْمَأَنَّ وَأَنْتَ أَسَدُ
فَرَادِ الْأَمِيرِ وَالْحَاضِرُونَ فِي الْإِسْتَعْسَانِ (بدائع البداهة للارزدي)
١٦١ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ الْفَقِيرَ وَالْغَنِيَّ :
مَنْ كَانَ يَمْلِكُ دِرْهَمَيْنِ تَلَمَّتْ شَفَتَاهُ أَنْوَاعُ الْكَلَامِ فَقَالَ

وَتَقَدَّمَ الْإِخْوَانُ فَاسْتَمَعُوا لَهُ وَرَأَيْتُهُ بَيْنَ الْوَرَى مُخْتَلَا
لَوْلَا دَرَاهِمُهُ الَّتِي يَزْهُو بِهَا لَوَجَدْتُهُ فِي النَّاسِ أَسْوَأَ حَالًا
إِنَّ الْغَنِيَّ إِذَا تَكَلَّمَ بِالْخَطَا قَالُوا صَدَقْتَ وَمَا نَطَقَتْ مُحَالَا
أَمَّا الْفَقِيرُ إِذَا تَكَلَّمَ صَادِقًا قَالُوا كَذَبْتَ وَأَبْطَلُوا مَا قَالَا
إِنَّ الدَّرَاهِمَ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا تَكُنُّ سَوَالِجَ رِجَالٍ مَهَابَةٍ وَجَمَالَا
فَهِيَ اللِّسَانُ لِمَنْ أَرَادَ فَصَاحَةً وَهِيَ السِّلَاحُ لِمَنْ أَرَادَ قِتَالَا

الحجاج والفتية

١٦٢ أَمْرًا الْحَجَّاجُ صَاحِبَ حَرَسِهِ أَنْ يَطُوفَ بِاللَّيْلِ فَمِنْ رَأَاهُ بَعْدَ
الْمَشَاءِ سَكْرَانٌ ضَرَبَ عَنْقَهُ . فَطَافَ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي فَوَجَدَ ثَلَاثَةَ فِتْيَانٍ
يَتِمَّلُونَ وَعَلَيْهِمْ أَمَارَاتُ السُّكْرِ . فَأَحَاطَتْ بِهِمُ الْغُلَامَانُ . وَقَالَ لَهُمُ
صَاحِبُ الْحَرَسِ : مَنْ أَنْتُمْ حَتَّى خَالَقْتُمْ أَمْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَخَرَجْتُمْ
فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ . فَقَالَ أَحَدُهُمْ :

أَنَا ابْنُ مَنْ دَانَتْ الرِّقَابُ لَهُ مَا بَيْنَ مَخْزُومِهَا وَهَاشِمِهَا
تَأْتِيهِ بِالرَّغْمِ وَهِيَ صَاغِرَةٌ يَأْخُذُ مِنْ مَالِهَا وَمِنْ دِيَارِهَا
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ : لَعَلَّهُ مِنْ أَقَارِبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . ثُمَّ قَالَ لِلْآخَرِ :
وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ . فَقَالَ :

أَنَا ابْنُ مَنْ لَا تَنْزِلُ الدَّهْرَ قِدْرُهُ وَإِنْ تَزَلَّتْ يَوْمًا فَسَوْفَ تَعُودُ
رَأَى النَّاسُ أَفْوَاجًا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ فَفَنَّهُمْ قِيَامُ حَوْلِهَا . وَقَعُودُ
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ : لَعَلَّهُ ابْنُ أَشْرَفِ الْعَرَبِ . ثُمَّ قَالَ لِلْآخَرِ :

وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ . فَأَشَدَّ عَلَى الْبِدِيَّةِ :

أَنَا ابْنُ مَنْ خَاضَ الصُّوفَ بِعَزْمِهِ وَقَوْمَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى اسْتَقَامَتْ
وَرَكْبَاهُ لَا يَتَفَكَّرُ رَجُلَاهُ مِنْهُمَا إِذَا الْخِلُ فِي يَوْمِ الْكَرْيَةِ وَلَتْ
فَأَمْسَكَ عَنْ الْآخِرِ وَقَالَ : لَعَلَّهُ ابْنُ أَشْجَعِ الْعَرَبِ وَأَحْفَظَ عَلَيْهِمْ .
فَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ رَفَعَ أَمْرَهُمْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَأَحْضَرَهُمْ وَكَشَفَ عَنْ
حَالِهِمْ . فَإِذَا الْأَوَّلُ ابْنُ حُجَّامٍ . وَالثَّانِي ابْنُ قُوَالٍ . وَالثَّلَاثُ ابْنُ
حَالِكٍ . فَتَجَبَّ مِنْ قَصَاحَتِهِمْ وَقَالَ لِحَلَسَائِهِ : عَامُوا أَوْلَادَكُمْ الْأَدَبَ
قَوْلَ اللَّهِ لَوْلَا قَصَاحَتُهُمْ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَهُمْ (لِلنَّوَاجِي)

ابو الهلاد وكتاب النصوص

١٦٣ أَلْفُ أَبْوَالِ الْعَلَاءِ صَاعِدٌ كُتِبَ مِنْهَا كِتَابُ الْقُصُوصِ . وَاتَّفَقَ
لِهَذَا الْكِتَابِ مِنْ تَحَابُّبِ الْإِتِّفَاقِ أَنَّ أَبَا الْعَلَاءِ دَفَعَهُ حِينَ كَمَلَ لِلْعَلَامِ
لَهُ يَحْمِلُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ . وَعَبَّرَ النَّهْرَ نَهْرَ قَرْطَبَةَ . فَحَاتَتِ الْعَلَامَ رَجُلُهُ
فَسَقَطَ فِي النَّهْرِ هُوَ وَالْكِتَابُ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ وَهُوَ
الْعَرِيفُ بَيْتًا مَطْبُوعًا بِحَضْرَةِ الْمُنْصُورِ وَهُوَ :

قَدْ غَاصَ فِي أُنْجَرِ كِتَابُ الْقُصُوصِ وَهَكَذَا كُلُّ ثَقِيلٍ يُنْصُوصُ
فَصَحَّحَ الْمُنْصُورُ وَالْحَاضِرُونَ . فَلَمْ يَدْعُ ذَلِكَ صَاعِدًا وَلَا هَالَةً .
وَقَالَ مُرْتَجِلًا نَحِيْبًا لِابْنِ الْعَرِيفِ :

عَادَ إِلَى مَعْدِنِهِ إِنَّمَا تُوْجَدُ فِي قَمَرِ الْجَبَّارِ الْقُصُوصُ

(كتاب المحجب لمبد الواحد المراكشي)

١٦٤ قَالَ ابْنُ شَرَفٍ يَصِفُ دَارًا وَيَتَشَكَّى بُعُودَهَا :
لَكَ مَنَزَلٌ كَمَتَ سِتَارُهُ لَنَا لِّلَّهِو لَكِنْ تَحْتَ ذَلِكَ حَدِيثٌ
عَنِّي الذَّبَابُ وَظِلُّ يَزْمُرُ حَوْلَهُ فِيهِ الْبُعُوضُ وَدَقِصُ الْبِرْعَوِثُ
قَالَ آخَرُ فِي هَذَا الْمَعْنَى :

لَيْلُ الْبِرْعَاثِ وَالْبُعُوضِ لَيْلُ طَوِيلٍ بِلَا غُمُوضٍ
فَذَلِكَ يَتَرَوْنَ بَغِيرِ رَقِصٍ وَذَا يُعْنِي بِلَا عَرُوضٍ
فَتَبْصِيحُ

١٦٥ دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ صَالِحٍ عَلَى الْمُأْمُونِ حِينَ قُبِضَتْ
ضِيَاعُهُمْ وَهُوَ غَلَامٌ صَغِيرٌ . فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ سَلِيلُ نِعْمَتِكَ وَأَبْنُ دَوْلَتِكَ وَغَضَنُ مِنْ أَعْصَانِ
دَوْلَتِكَ . أَقْتَادُنِي فِي الْكَلَامِ . قَالَ : نَعَمْ . فَحَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى وَشَكَرَهُ
ثُمَّ قَالَ : أَمْتَمْنَا اللَّهُ بِحَيَاةِ دِينِنَا وَدُنْيَانَا . وَرِعَايَةِ أَقْصَانَا وَأَدْنَانَا .
بِمَمْلَكَتِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَنَسَأَلُهُ أَنْ يَزِيدَ فِي عُمرِكَ مِنْ أَعْمَارِنَا . وَفِي
أَثَرِكَ مِنْ آثَارِنَا . وَيَقِيكَ الْأَذَى بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا . هَذَا مَقَامُ
الْعَائِدِ بِظِلِّكَ . الْهَارِبِ إِلَى كَفِّكَ وَفَضْلِكَ . الْفَقِيرِ إِلَى رَحْمَتِكَ
وَعَدْلِكَ . ثُمَّ سَأَلَ حَوَالِجَهُ فَقَضَاهَا (لِلشَّرِيشِيِّ)

عَلِيَّ بْنِ الْجَهْمِ

١٦٦ سَخِطَ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْجَهْمِ فَقَفَاهُ إِلَى خُرَاسَانَ . وَكَتَبَ
أَنْ يُصَلَّبَ إِذَا وَرَدَهَا يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْأَشَادِيَاخِ حَبَسَهُ

طَاهِرٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ثُمَّ أَخْرَجَهُ . فَصَلَّاهُ إِلَى اللَّيْلِ مُجَرَّدًا . فَقَالَ :
 لَمْ يَصَلُّوا بِالشَّاذِيَاخِ عَشِيَّةَ الْإِثْنَيْنِ مَسْبُوقًا وَلَا مَحْمُولًا
 نَصَبُوا بِحَمْدِ اللَّهِ مِائَةَ عِوْنِهِمْ شَرْقًا وَمِائَةَ صُدُورِهِمْ تَجِيلاً
 مَا أَزْدَادَ إِلَّا رَفْعَةً وَسَعَادَةً وَأَزْدَادَتِ الْأَعْدَاءُ عَنْهُ نَكُولًا
 هَلْ كَانَ إِلَّا اللَّيْلُ فَارَقَ غِيْلَهُ قَرَأَتْهُ فِي تَحْمِيلِ مَحْمُولًا
 مَا عَابَهُ أَنْ قَدْ تَرَعْتَ لِبَاسَهُ كَالسَّيْفِ أَفْضَلُ مَا بَرَى مَسْلُولًا
 وَقَالَ فِي الْجَنَسِ :

قَالُوا حُبِسْتَ فَقُلْتَ لَيْسَ بِضَارٍ حَبْسِي وَأَيُّ مُهَنْدٍ لَا يُفْعَدُ
 أَوْ مَا رَأَيْتَ اللَّيْلَ يَأْلُفُ غِيْلَهُ كَبْرًا وَأَوْبَاشُ السَّبَاعِ تَصِيدُ
 فَالْتَمَسُ لَوْلَا أَنَّهَا تَحْجُوبُهُ عَنْ نَاطِرِيكَ لَمَا أَضَاءَ الْفَرْقَدُ
 وَالنَّارُ فِي أَحْجَارِهَا تَحْبُوءُهُ لَا تَصْطَلِي إِنْ لَمْ تُثْرَهَا الْأَزْنُدُ
 وَالْجَنَسُ إِنْ لَمْ تَغْشَهُ لِدَنِيَّةٍ شَعَاءُ نَعَمَ الْمُنَزِلُ الْمُنَوَّرُ

درواس بن حبيب وهشام

١٦٧ قُحِطَتِ الْبَادِيَةُ أَيَّامَ هِشَامَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَوَفَدَ عَلَيْهِ رُؤُسُ
 الْقَبَائِلِ . فَجَلَسَ لَهُمْ وَفِيهِمْ صَبِيٌّ ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةِ سَنَةٍ يُسَمَّى دِرْوَاسَ
 ابْنَ حَبِيبٍ . فِي رَأْسِهِ ذُوَابَةٌ وَعَلَيْهِ بُرْدَةٌ يَمَانِيَّةٌ فَاسْتَصَفَرَهُ هِشَامُ
 وَقَالَ لِحَاجِهِ : مَا يَشَاءُ أَحَدُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْنَا إِلَّا وَصَلَ حَتَّى الصَّبِيَّانِ .
 فَقَالَ دِرْوَاسُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ دُخُولِي لَمْ يُجَلِّ بِكَ وَلَا ائْتَمَّصَكَ
 وَلَكِنَّهُ شَرَفَنِي . وَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَدِمُوا لِأَمْرِ فَهَابُوكَ دُونَهُ . وَإِنَّ الْكَلَامَ

كُشِّرُ وَالسُّكُوتَ حَتَّى لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِنَشْرِهِ . فَأَتَجَبَّهُ كَلَامُهُ وَقَالَ :
 أُنْشِرْ لَا أَمَّ لَكَ . فَقَالَ : إِنَّا أَصَابْنَا سِنُونَ ثَلَاثَ . فَسَنَةٌ أَكَلَتْ
 اللَّحْمَ . وَسَنَةٌ أَذَابَتْ الشَّحْمَ . وَسَنَةٌ أَنْقَتِ الْعَظْمَ . وَفِي يَدَيْكُمْ
 فَضُولُ أَمْوَالٍ فَإِنْ كَانَتْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَهْرُ قُوهَا عَلَى عِبَادِهِ . وَإِنْ
 كَانَتْ لَهُمْ فَلَا تَحْسُبُوهَا عَنْهُمْ . وَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ فَتَصَدَّقُوا بِهَا عَلَيْهِمْ
 فَإِنَّ اللَّهَ يُجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْخَسِينِينَ . وَإِنَّ الْوَالِيَّ مِنَ
 الرِّعْيَةِ كَالرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ لَا حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِهِ . فَقَالَ هِشَامٌ مَا تَرَكَ
 أَلْهَامٌ فِي وَاحِدَةٍ مِنَ الثَّلَاثِ عُدْرًا . وَأَمَرَ بِمِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ فَفَرَّقَتْ
 فِي أَهْلِ الْبَادِيَةِ . وَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ فَقَالَ : أَرَدْتُهَا فِي
 جَارِزَةِ الْعَرَبِ قُمَالِي حَاجَةً فِي خَاصَّةِ نَفْسِي دُونَ عَامَّةِ النَّاسِ (لِلشَّارِئِيِّ)

الشاعر التروذي

١٦٨ يُحْكِي أَنَّ بَعْضَ الْأَعْرَابِ أَمْتَدَحَ بَعْضَ الرُّؤَسَاءِ بِتَّصِيدَةِ
 بَدِيَمَةٍ . فَلَمَّا قَرَأَهَا عَلَيْهِ اسْتَكْثَرَهَا عَلَيْهِ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ وَنَسَبَهُ إِلَى
 سَرِقَتِهَا . فَأَرَادَ الْمَمْدُوحُ أَنْ يَعْرِفَ حَقِيقَةَ الْحَالِ . فَرَسَمَ لَهُ بِمِدْرٍ مِنْ
 الشَّعِيرِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِنْ كَانَ لَهُ بَدِيَمَةٌ فِي النَّظْمِ فَلَا بُدَّ أَنْ
 يَقُولَ شَيْئًا فِي شَرْحِ حَالِهِ . فَأَخَذَ الْمَدَّ الشَّعِيرَ فِي رِدَائِهِ وَخَرَجَ فَقَالَ
 الْمَمْدُوحُ لِلْبَوَائِينَ سِرًّا : لَا تَكُنُّوهُ مِنَ الْخُرُوجِ . وَرَفَعَ الْأَعْرَابِيُّ فِي
 الدَّهْلِ بَزْ حَازِرًا . فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْمَمْدُوحُ مَنْ سَأَلَهُ وَقَالَ لَهُ : مَا شَأْنُكَ
 يَا أَعْرَابِي . فَقَالَ : إِنِّي أَمْتَدَحْتُ الْأَمِيرَ بِتَّصِيدَةِ . قَالَ : فَمَا أَجَارَكَ

عَلَيْهَا. قَالَ: هَذَا الْمَدُّ الشَّعِيرَ. فَقَالَ لَهُ: هَلْ قُلْتَ فِي ذَلِكَ شَيْئًا. قَالَ
نَعَمْ. قَالَ: مَا هُوَ. فَأَنشَدَ بِدِيهَا:

يَقُولُونَ لِي أَرَخَصْتَ شِعْرَكَ فِي الْوَرَى قُلْتُ لَهُمْ مِنْ عَدَمِ أَهْلِ الْمَكَارِمِ
أَجِزْتُ عَلَى شِعْرِي الشَّعِيرَ وَإِنَّهُ كَثِيرٌ إِذَا خَاصَتْهُ مِنْ بَهَائِمِ
فَلَمَّا بَلَغَ الْمَدُوحُ هَذَا الْيَتَانِ أَنْجَبَ بِهِمَا. وَعَلِمَ أَنَّ الْقَصِيدَةَ مِنْ
نَظْمِهِ. فَرَسَمَ لَهُ بِجَارَةِ سَيِّدَةٍ

المصنوع وابن هيرة

١٦٩ لَمَّا حَاضَرَ الْمُصَوِّرَ ابْنُ هُبَيْرَةَ بَعَثَ إِلَيْهِ ابْنُ هُبَيْرَةَ وَقَالَ:
تَوَرَّني. فَقَالَ: لَا أَفْعَلُ. فَقَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ لِأَشْهَرَنَ أَمْتَاعَكَ
لَا أُعِيرُكَ بِهِ. فَقَالَ الْمُصَوِّرُ: مَثَلُنَا مَا قِيلَ: إِنْ خِزِرًا بَعَثَ إِلَى
الْأَسَدِ وَقَالَ: قَاتِلْنِي. وَقَالَ الْأَسَدُ: لَسْتُ بِكُفُوفِي. فَأَنِي إِنْ
قَاتَلْتُكَ لَمْ يَكُنْ لِي فَخْرٌ. وَإِنْ قَاتَلْتَنِي لَحَنِي وَصَمُّ عَظِيمٌ. فَقَالَ الْأَخِيرَنُ
السَّاعَ بِنُكُولِكَ. وَقَالَ الْأَسَدُ: أَحْتِمَالُ الْعَارِ فِي ذَلِكَ أَيْسَرُ
مِنَ السَّطْحِ بِدَمِكَ. فَخَلَّ ابْنُ هُبَيْرَةَ وَكَفَّ عَنْهُ (لِلنَّوَاجِي)

١٧٠ مَا أَرَقُّ وَأَجُودَ مَا قَالَ بَعْضُهُمْ فِي الْهَرَاقِ:

مَا الدَّارُ قَدْ غَبِثُ يَسَادَتِي دَارُ كَلَّا وَلَا الْجَارُ مَذْغِثُ لَنَا جَارُ
غَبِثُ فَأَوْحَشْتُ الدُّنْيَا بَعْدَكُمْ وَأَظْلَمْتُ بَعْدَكُمْ رُحْبُ وَأَفْطَارُ
لَيْتَ الْغُرَابَ الَّذِي نَادَى بِفِرْقَتِنَا يَرَى مِنَ الرِّيشِ لَا تَحْوِيهِ أَوْكَارُ
رَأَى تَعُودَ لِيَالِنَا الَّتِي سَلَتْ كَمَا عَهْدُنَا وَتَجْمَعُ بَيْنَنَا الدَّارُ

١٧١ أَرْسَلَ شَاعِرٌ هَدِيَّةً إِلَى مَلِكٍ وَشَفَعَهَا بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ :
 أَتَتْ سُلَيْمَانَ يَوْمَ الْعَرْضِ قُبْرَةً تُبْدِي إِلَيْهِ حَرَادًا كَانَتْ فِيهَا
 وَأَنْشَدَتْ فِي لِسَانِ الْحَالِ قَائِلَةً إِنَّ الْهَدِيَّةَ مِنْ مِمْدَارِ مُهْدِيهَا
 لَوْ أَنَّ يُهْدَى إِلَى الْإِنْسَانِ قِيَمَتُهُ لَكَانَ تُهْدَى إِلَيْكَ الدُّنْيَا مَا فِيهَا
 فَاسْتَحْسَنَهَا الْمَلِكُ وَأَجَازَهُ
 (طرائف الطوائف)

١٧٢ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ فِي تَرْغِيدِ اللَّبْلُ:
 أَيُّهَا اللَّبْلُ الْمُرْدُ فِي الْتَخْلِ غَرِيبًا مِنْ أَهْلِهِ حَيْرَانًا
 أَفِرَاقًا تَشْكُوهُ أَمْ دُمْتَ تَدْعُو فَوْقَ أَفْكَانٍ تَخْلَعُ وَرَشَانًا
 هَاجَ لِي صَوْتُكَ الْمُرْدُ سَجَّوًا رَبِّ صَوْتٍ يُعْجِجُ الْآخِرَانَا
 ١٧٣ وَقَالَ نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ فِي مَنْ لَا يَتَصَدَّقُ إِلَى صَفَائِرِ الشُّرُورِ :
 أَرَى بَيْنَ الرَّمَادِ وَمِیْضِ نَارٍ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامُ
 فَإِنْ لَمْ تُطْفَأْ عَمَلَاءُ قَوْمٍ يَكُونُ وَقُودَهَا جُثَّةٌ وَهَامُ
 فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودِ تَذْكِي وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلَهَا كَلَامُ

١٧٤ اجْتَمَعَ يَوْمًا آلُ الصَّخَايَةِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ :
 أَلَمُوتُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ تَدْخُلُهُ يَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ أَلْبَابٍ مَا الدَّارُ
 فَقَالَ عُمَرُ :

أَلَدَّارُ دَارُ نَعِيمٍ إِنْ عَمَاتَ بِمَا يُدْخِي الْإِلَهِ وَإِنْ خَالَفَتْ فَالْنَّارُ
 فَأَجَازَهُ عُثْمَانُ :

هُمَا مَحَلَّانِ مَا لِلنَّاسِ غَيْرُهُمَا فَأَنْظُرْ لِنَفْسِكَ أَيَّ الدَّارِ تَخْتَارُ

فَأَجَازَهُ عَلَيَّ يَقُولُهُ :

مَا لِلْعِبَادِ سِوَى الْفِرْدَوْسِ أَنْ يَعْمَلُوا وَإِنْ هَفَوْا هَفْوَةً فَالرَّبُّ غَفَّارٌ
١٧٥ قَالَ أَعْرَابِيٌّ يَتَشَوَّقُ إِلَى بَلَدِهِ :

ذَكَرْتُ بِلَادِي فَأَسْتَهْتَمْدَامِي يَشُوقُ إِلَى عَهْدِ الصَّبَا الْمَتَّامِ
خَنَّتْ إِلَى رُبْعٍ بِهِ أَخْضَرٌ شَارِبِي وَقُطِعَ عَنِّي فِيهِ عَهْدُ التَّمَامِ
١٧٦ قَالَ ابْنُ عَلَاءٍ مُودَعًا :

لَا وَدَعْتُكَ ثُمَّ تَدَمَعُ مُقْلَتِي إِنَّ الدُّمُوعَ هِيَ الْوَدَاعُ الثَّانِي
فِي فِرْقَةٍ الْأَحْبَابِ شَغْلٌ شَاغِلٌ وَالْمَوْتُ صِدْقًا فِرْقَةُ الْإِخْوَانِ
١٧٧ قَالَ تَمِيمُ الْمَعَالِي قَابُوسُ وَكَانَتْ أَصْحَابُهُ قَدْ خَرَجَتْ عَنْ طَاعَتِهِ :

قُلْ لِلَّذِي بَصُرُوفِ الدَّهْرِ عَيْرَنَا هَلْ عَانَدَ الدَّهْرُ الْإِمْنَ لَهُ خَطَرُ
قَبِي السَّمَاءِ نُجُومٌ مَا لَهَا عَدَدٌ وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
١٧٨ حَدَّثَ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ

يَوْمًا فَدَخَلَ إِلَيْهِ ابْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْفَضْلِ وَهُوَ طِفْلٌ
وَكَانَ يَرِقُ عَلَيْهِ لِأَنَّ أَبَاهُ مَاتَ فِي حَيَاتِهِ . فَأَجْلَسَهُ فِي حُجْرِهِ وَصَمَّهُ إِلَيْهِ
وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ . فَأَنْشَأْتُ أَقُولُ :

مَدَّ لَكَ اللَّهُ الْحَيَاةَ مَدًّا حَتَّى يَكُونَ أَبْنُكَ هَذَا جَدًّا
مُؤَزَّرًا بِعَجْدِهِ مُرْدَى ثُمَّ يُفْدَى مِنْهُ مَا تُفْدَى
أُشْبَهُ مِنْكَ سُنَّةً وَجَدًّا وَشَيْبًا مُرْضِيَةً وَمَجْدًا
كَأَنَّهُ أَنْتَ إِذَا تَبَدَّى شَمَائِلًا مَحْمُودَةً وَقَدًّا

قَالَ: قَبَسَمَ الْفَضْلُ وَقَالَ: اَمْتَعْنِي اللَّهُ بِكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ. فَقَدْ عَوِضْتُ
 مِنَ الْحَزَنِ سُرُورًا وَتَسَلَّيْتُ بِقَوْلِكَ. وَكَذَلِكَ يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ،
 ١٧٩ أَخْبَرَ الصَّوْلِي قَالَ: عَتَبَ الْمَأْمُونُ عَلَى إِسْحَاقَ فِي شَيْءٍ
 فَكَتَبَ إِلَيْهِ رُقْعَةً وَأَوْصَلَهَا إِلَيْهِ مِنْ يَدِهِ. فَفَتَحَهَا الْمَأْمُونُ فَإِذَا فِيهَا قَوْلُهُ:
 لَا شَيْءٌ أَعْظَمُ مِنْ جُرْمِي سِوَى أَمَلِي لِحَسَنِ عَفْوِكَ عَنْ ذَنْبِي وَعَنْ زَلَالِي
 فَإِنْ يَكُنْ ذَاوَدًا فِي الْقَدْرِ قَدْ عَظُمَا فَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْ جُرْمِي وَمِنْ أَمَلِي
 فَصَحِّحْ ثُمَّ قَالَ: يَا إِسْحَاقُ عَذْرُكَ أَعْلَى قَدْرًا مِنْ جُرْمِكَ. وَمَا جَالَ
 يَفْكِرِي وَلَا أَحْضَرْتُهُ بَعْدَ أَنْ تَضَاهَيْهِ عَلَى ذِكْرِي (الآغا نِي)

١٨٠ تَعَذَّرَ بَعْضُهُمْ لِلْحَرْبِ فَقَالَ:
 قَامَتْ تُنَجِّعُنِي هُنْدٌ قُلْتُ لَهَا إِنَّ الشَّجَاعَةَ مَقْرُونٌ بِهَا الْعَطَابُ
 لَا وَالَّذِي مَنَعَ الْأَبْصَارَ رُؤْيَاهُ مَا يَشْتَهِي أَمْوَاتٌ عِنْدِي مِنْ لَهُ أَدَبُ
 لِلْحَرْبِ قَوْمٌ أَضَلَّ اللَّهُ سَبِيلَهُمْ إِذَا دَعَتْهُمْ إِلَى نِيرَانِهِمَا وَتَبَوُّوا
 وَلَسْتُ مِنْهُمْ وَلَا أَهْوَى فِعَالَهُمْ لَا الْقَتْلُ يُنَجِّعُنِي مِنْهُمْ وَلَا السَّابُ
 ١٨١ قَالَ تَحْمُودُ الْوَرَّاقُ فِي هَذَا الْأَمْنَى:

أَيُّهَا الْقَارِيسُ الْمُسَجِّعُ الْمُنِيرُ إِنْ قَلْبِي مِنَ السَّلَاحِ يَطِيرُ
 لَيْسَ لِي قُوَّةٌ عَلَى رَهْجِ الْخَيْلِ إِذَا تَوَرَّ الْقُبَارُ مُثِيرُ
 وَاسْتَدَارَتْ رَحَى الْحُرُوبِ يَقُومُ قَتِيلٌ وَهَارِبٌ وَأَسِيرُ
 حَيْثُ لَا يَنْطِقُ الْجَبَانُ مِنَ الدَّعْرِ وَيَعْلُو الصَّبَاحُ وَاللَّيْلُ يُخِيرُ
 أَنَا فِي مِثْلِ هَذَا وَهَذَا بَلِيدٌ وَلَيْبُ فِي غَيْرِهِ نَحْرُودُ

١٨٢ مَثَلٌ دَغِيلٌ بَيْنَ يَدَيَّ بَعْضِ أُمَرَاءِ لَرَّةٍ قَالَتْ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ :
 مَاذَا أَقُولُ إِذَا أَتَيْتُ مَعَاشِرِي صُفْرًا يَدَيَّ مِنْ عِنْدِ أَرْوَمِ مُجْزَلٍ
 إِنْ قُلْتُ أُعْطَانِي كَذَبْتُ وَإِنْ أَقُلْتُ ضَنْنَ الْأَمِيرِ بِمَالِهِ لَمْ يَجْمَلِ
 وَلَا نَتَ أَعْلَمُ بِالْمَكَارِمِ وَالْعُلَى مِنْ أَنْ أَقُولَ فَعَلْتَ مَا لَمْ تَفْعَلِ
 فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ مَا أَقُولُ فَإِنِّي لَا بُدَّ تُخَيِّرُهُمْ وَإِنْ لَمْ أَسْأَلِ
 قَالَتْ لَهُ قَاتِلَكَ اللَّهُ : وَأَمْرُهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ (لَا بَنَ عَبْدِ رَبِّهِ)

١٨٣ وَصَفَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ رَجُلًا يَجْمِي خَيْثًا :
 رَأَيْتُ مُنَافِقًا يَجْمِي خَيْثًا وَكُلُّ مِنْهُمَا بِالظُّلْمِ يَسْمَى
 قَدْ اتَّفَقَا وَلَكِنْ فِي فِسَادٍ كَقُرْبِ رَاكِبٍ لِلشَّرِّ أَفْعَى

أبو عبادة المجتري عند التوكل

١٨٤ حَدَّثَ أَبُو عِبَادَةَ الْمُجْتَرِي الشَّاعِرُ وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ أَدَخَلَهُ فِي
 نُدْمَانِهِ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الْمُتَوَكِّلِ يَوْمًا فَرَأَيْتُ فِي يَدَيْهِ دُرَّتَيْنِ مَا
 رَأَيْتُ أَشْرَفَ مِنْ نُورِهِمَا . وَلَا أَنْقَى بَيَاضًا وَلَا أَكْبَرَ . فَادَمْتُ النَّظَرَ
 إِلَيْهِمَا وَلَمْ أَصْرِفْ طَرْفِي عَنْهُمَا . وَرَأَيْتُ الْمُتَوَكِّلَ قَرَمَى إِلَيَّ الَّتِي كَانَتْ
 فِي يَدَيْهِ الْيَتَى . فَقَبَّلْتُ الْأَرْضَ وَجَمَلْتُ أَفْكَرُ فِيمَا يُضْحِكُهُ طَعْمًا فِي
 الْأُخْرَى . فَمَنْ لِي أَنْ قُلْتُ :

بِسْرٍّ مَرًّا لَنَا إِمَامٌ تَعْرِفُ مِنْ كَفِّهِ الْبَحَارُ
 خَلِيفَةً يُؤْتَحَى وَيُخْشَى كَأَنَّهُ جَنَّةٌ وَنَارُ
 الْمَلِكِ فِيهِ وَفِي بَنِيهِ مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

يَدَاهُ فِي الْجُودِ ضَرَّتَانِ هَذِي عَلَى هَذِهِ تَعَارُ
وَلَيْسَ تَأْتِي الْيَمِينَ شَيْئًا إِلَّا أَتَتْ مِنْهُ الْيَسَادُ
فَرَمَى بِالْذُّرَّةِ الَّتِي كَانَتْ فِي يَسَارِهِ وَقَالَ : خُذْهَا يَا عِيَّارُ (للازدي)
١٨٥ مَرَضَ ابْنُ عُنَيْنٍ فَكَتَبَ إِلَى السُّلْطَانِ هَذَيْنِ الْيَتِيمَيْنِ :

أَنْظُرْ إِلَيَّ يَتِيمِ مَوْلَى لَمْ يَزَلْ يُؤَلِّي النَّدَى وَتَلَّافَ قَبْلَ تَلَا فِي
أَنَا كَأَلَّذِي أَحْتَاجُ مَا يَحْتَاجُهُ فَأَغْنِمْ دُعَائِي وَالثَّنَاءَ أَلُوَا فِي
فَحَضَرَ السُّلْطَانُ إِلَى عِيَادَتِهِ . وَأَتَى إِلَيْهِ بِأَلْفِ دِينَارٍ وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ
الَّذِي . وَهَذِهِ الْعَلَّةُ . وَأَنَا الْمَلِئْدُ (لبهاء الدين)

١٨٦ كَانَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرَّازِيُّ فِي مَجْلِسِ دَرْسِهِ إِذْ أَقْبَلَتْ
حَمَامَةٌ خَلْفَهَا صَفَرٌ يُرِيدُ صَيْدَهَا . فَأَلَّتْ نَفْسَهَا فِي خُجْرِهِ كَأَنَّهَا تُسْتَجِيرُهُ
بِهِ فَأَنْشَدَ شَرَفُ الدِّينِ بْنُ عُنَيْنٍ أَيْتَانِ فِي هَذَا الْمَثْنَى . مِنْهَا :

جَاءَتْ سُلَيْمَانَ الزَّمَانِ حَمَامَةٌ وَأَلَّتْ يَأْمَعُ مِنْ جَنَاحِي خَاطِفٍ
مَنْ أَنْبَأَ الْوَرَقَاءَ أَنَّ مَحَلَّكُمْ حَرَمٌ وَأَنَّكَ مَلِئْدُ لِلْخَاطِفِ
(تاريخ الذهبي)

١٨٧ رَكِبَ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنِ يَوْمًا بِبَغْدَادَ فِي حَرَاةٍ فَأَعْرَضَهُ مُقَدِّسُ
ابْنُ صَفِيٍّ الْخَلْقِيُّ الشَّاعِرُ . وَقَدْ أَذْنَيْتَ مِنَ الشُّطْرِ لِيُخْرِجَ . فَقَالَ :
أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَسْمَعَ مِنِّي أَيْتَانَا . فَقَالَ : قُلْ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :
عَجِبْتُ لِحِرَاقَةِ ابْنِ الْحُسَيْنِ لَا عَرِقَتْ كَيْفَ لَا تَعْرِقُ
وَيَخْرُجَانِ مِنْ قُوْفِهَا وَاحِدٌ وَآخَرُ مِنْ تَحْتِهَا مُطِيقُ

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَعْوَادُهَا وَقَدْ مَسَّهَا كَيْفَ لَا تُورِقُ
فَقَالَ طَاهِرٌ: أَعْطَوْهُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ دِينَارٍ (لابن خلكان)

جرير والفرزدق والاخلط في مجلس عبد الملك

١٨٨ اجْتَمَعَ جَرِيرٌ وَالْفَرَزْدَقُ وَالْأَخْطَلُ فِي مَجَاسِرِ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَأَحْضَرَ
بَيْنَ يَدَيْهِ كَيْسًا فِيهِ خَمْسُ مِائَةِ دِينَارٍ . وَقَالَ لَهُمْ : لِيُقِلَّ كُلُّ مِنْكُمْ
بَيْتًا فِي مَدْحِ نَفْسِهِ فَأَيُّكُمْ غَابَ فَلَهُ الْكَيْسُ . فَبَدَرَ الْفَرَزْدَقُ فَقَالَ :
أَنَا أَنْمُطِرَانُ وَالْأَشْعَرَاءُ جَرَبِي وَفِي الْأَطْرَانِ لِلْجَرَبِيِّ شِفَاءُ
فَقَالَ الْأَخْطَلُ :

فَإِنْ تَكُ زِقَ زَائِلَةٌ فَإِنِّي أَنَا الطَّاعُونَ لَيْسَ لَهُ دَوَاءُ
قَالَ جَرِيرٌ :

أَنَا الْمَوْتُ الَّذِي آتَى عَلَيْكُمْ فَلَيْسَ لِهَارِبٍ مِنِّي نَجَاءُ
فَقَالَ : خُذِ الْكَيْسَ فَلَمْعَرِي إِنْ أَلَمْتُ بِأَيِّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
(طبقات الشعراء لابن سلام)

الركاض والرشيد

١٨٩ أَدْخَلَ الرَّكَاضُ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِ سِنِينَ إِلَى الرَّشِيدِ لِيَتَعْجَبَ مِنْ
فِطْنَتِهِ . فَقَالَ لَهُ : مَا تُحِبُّ أَنْ أَهَبَ لَكَ . قَالَ : جَمِيلَ رَأْيِكَ . فَأَنَّى
أَفُوزُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . فَأَمَرَ بِدَنَانِيرَ وَدَرَاهِمَ تُصَبَّتْ بَيْنَ يَدَيْهِ .
فَقَالَ لَهُ : اخْتَرِ الْأَحَبَّ إِلَيْكَ فَقَالَ : الْأَحَبُّ إِلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ .
وَهَذَا مِنْ هَذَيْنِ وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى الدَّنَانِيرِ . فَصَحَّحَكَ الرَّشِيدُ وَأَمَرَ

بِصَمِّهِ إِلَى وَلَدِهِ وَالْإِجْرَاءَ عَلَيْهِ (لكمال الدين الحلبي)

١٩٠ كَتَبَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ وَكَانَ مُعْتَقًا :

فَدَيْتُكَ بِأَرْوَحِ الْمَكَارِمِ وَالْأَعْلَاءِ
بِأَنْفُسِ مَا عِنْدِي مِنَ أَرْوَحِ النَّفْسِ
حُسْنَتْ فَمِنْ بَعْدِ الْكُسُوفِ تَبْلُجُ
تُضِي بِهِ الْأَفَاقُ كَالْبَدْرِ وَالنَّجْمِ
فَلَا تَمْتَقِدْ لِلْجَنَسِ هُمَا وَوَحْشَةٌ
فَمَنْكَ قَدَمًا كَانَ يُوسُفُ فِي الْجَنَسِ
١٩١ قَالَ ابْنُ عَرَبٍ شَاهُ يُغْرِي عَلَى طَالِبِ الْحُجْدِ :

لَا يُؤَيِّسُكَ مِنْ مَجْدٍ تَبَاعُدُهُ
فَإِنَّ لِلْمَجْدِ تَذَرِيحًا وَتَرْتِيبًا
إِنَّ الْفَنَاءَ الَّتِي شَاهَدْتَ رَفَعَهَا
أَتَمُّ قَتَبَتْ أَنْبُوبًا فَأَنْبُوبًا
١٩٢ كَانَ ابْنُ أَبِي صَفَرٍ طَعَنَ فِي السِّنِّ وَضَعَفَ عَنِ الشَّيْءِ فَصَادَرَتْهُ عَلَى عَصَا فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

كُلُّ مَرءٍ إِذَا تَفَكَّرْتَ فِيهِ وَتَأَمَّلْتَهُ رَأَيْتَ ظَرِيفًا
كُنْتُ أَمْشِي عَلَى اثْنَتَيْنِ قَوِيًّا صِرْتُ أَمْشِي عَلَى ثَلَاثٍ ضَعِيفًا
١٩٣ زَلْتُ بِالْأَتَايِكَ صَاحِبِ الْمَوْصِلِ بَغْلَةً فَأَنْشَدَ ابْنُ الْأَثِيرِ :

إِنْ زَلَّتِ الْبَغْلَةُ مِنْ تَحْتِهِ
فَإِنَّ فِي زَلَّتِهَا عُذْرًا
حَمَلَهَا مِنْ عِلْمِهِ شَاهِدًا
وَمِنْ نَدَى رَاحَتِهِ بَحْرًا
١٩٤ قَالَ ابْنُ السَّرَّاجِ الْوَرَّاقُ يُعِيبُ عَلَى نَفْسِهِ :

يَا تَجَلَّتِي وَصَحَائِفِي قَدْ سُوِّدَتْ وَصَحَائِفُ الْأَبْرَارِ فِي إِشْرَاقٍ
وَمَوْجِئِي فِي الْفَيَاقَةِ قَائِلُ أَكْذَا تَكُونُ صَحَائِفُ الْوَرَّاقِ
١٩٥ حَضَرَ ابْنُ الْحَجَّاجِ فِي دَعْوَةِ رَجُلٍ فَأَخَّرَ الطَّعَامَ إِلَى الْمَسَاءِ فَقَالَ :

يَا صَاحِبَ الْيَدِ الَّذِي ضَيَّفَانُهُ مَا قُوا جَمِيعًا
أَدْعَوْنَا حَتَّى تَمُوتَ بِدَانِئَاعْطَشًا وَجُوعًا
مَا لِي أَرَى فَلَكَ الرَّغِيفَ لَدَيْكَ مُشْتَرَفًا رَفِيعًا
كَالْبَدْرِ لَا تَرْجُو إِلَى وَقْتِ الْمَسَاءِ لَهُ طُلُوعًا

١٩٦ قَالَ ابْنُ حَمْدٍ يَشْقُوقُ إِلَى صِقْلِيَّةَ وَهِيَ مَكَانٌ مَشَاهُ :

ذَكَرْتُ صِقْلِيَّةَ وَالْأَسَى يُجَدِّدُ لِلنَّاسِ تَذَكُّارَهَا
فَإِنْ كُنْتُ أُخْرِجْتُ مِنْ جَنَّةٍ فَأَنِي أَحَدْتُ أَخْبَارَهَا
وَلَوْلَا مَلُوحَةُ مَا أَلْبَسَا حَسِبْتُ دُمُوعِي أَنَهَا رَا

١٩٧ حُكِيَ أَنَّ جُمْهُورَ شِعْرَاءِ مِصْرَ كَانَ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ يَأْتُوا الْوَالِيَّ
كُلَّ سَنَةٍ فِي الْعِيدِ فَيَهْنِئُونَهُ بِالشَّائِدِ وَيَتَأَلَوْنَ مِنْهُ الْجَوَازِ . فَيَمَّا كَانُوا
لَدَيْهِ ذَاتَ سَنَةٍ يَسِدُونَهُ بِالْأَشْعَارِ حَدَّثَتْ زَلْزَلَةٌ شَدِيدَةٌ أَرْجَحَتْ
مِنْهَا دِيَارَ مِصْرَ . فَالْتَفَتَ الْوَالِي إِلَى الشُّعْرَاءِ وَقَالَ لَهُمْ : هَلْ مِنْكُمْ
مَنْ يُطَرِّفُنَا بِدِيَارِ بَيْتِ مَصْنُوعَةٍ هَذِهِ الزَّلْزَلَةُ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ :

يَا حَاكِمَ الْفَضْلِ إِنَّ الْحَقَّ مُتَفَعٌّ لَدَى الْكِرَامِ أَيَا ابْنَ السَّادَةِ الثَّجِبَا
مَا زِلْتَ مِصْرَ مِنْ كَيْدِ أَلْمِ بِهَا لَكِنَّا رَقَصْتَ مِنْ عَذْلِكُمْ طَرَبَا
الْأَعْمَى وَالْأَعُورَ

١٩٨ سَمِعْتُ أَعْمَى مَرَّةً قَائِلًا يَا قَوْمُ مَا أَصَابَ قَهْدَ الْبَصَرِ
أَجَابَهُ أَعُورٌ مِنْ خَلْفِهِ عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ نِصْفُ الْخَبَرِ

١٩٩ قَالَ ابْنُ الدَّهَّانِ فِي غُلَامٍ لَسَبَتْهُ نَحْلَةٌ فِي شَفَةِ :

يَأْيِي مَنْ لَسَبْتُهُ نَحْلَةً أَلَمْتُ أَكْرَمَ شَيْءٍ وَأَجَلْ
حَسِبْتُ أَنَّ بَيْعِهِ بَيْتَهَا إِذْ رَأَتْ رَيْقَتُهُ مِثْلَ الْعَسَلِ
٢٠٠ أَنَشْدُ صُرْدُ الشَّاعِرِ ابْنُ جَبْرِ لَمَّا عَادَ إِلَى الْوِزَارَةِ بَعْدَ الْعَزْلِ :

قَدْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى نَصَائِهِ وَأَنْتَ مِنْ كُلِّ الْوَرَى أَوْلَى بِهِ
مَا كُنْتُ إِلَّا السَّيْفَ سَلْتُهُ يَدُ ثُمَّ أَعَادْتُهُ إِلَى قِرَائِهِ
هَزَنُهُ حَتَّى أَبْعَثْتُهُ صَارِمًا رَوْنَفُهُ يُغْنِيهِ عَنْ ضَرَائِهِ
٢٠١ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ قَارِسٍ الرَّازِيُّ الْقُفُويُّ يَصِفُ مَا كَانَ عَلَيْهِ :

وَقَالُوا كَيْفَ حَالُكَ قُلْتُ خَيْرٌ تُقْضَى حَاجَةٌ وَتَقُوتُ حَاجُ
إِذَا أُرْذِمَتْ هُمُومُ الصَّدْرِ قُلْنَا عَسَى يَوْمًا يَكُونُ لَهَا أَنْفِرَاجُ
نَدِيهِ هِرَّتِي وَأَنْيَسُ نَفْسِي دَقَّازٌ لِي وَمَعْشُوقِي السَّرَاجُ
٢٠٢ أَرْسَلَ الْبَدِيعُ الْأَنْطَرُ لَائِي هَدِيَّةً لِبَعْضِ الْأُمَرَاءِ فَأَنْشَدَ :

أَهْدِي لِعَجَلِهِ الْكَرِيمِ وَأَنَا أَعْدِي لَهُ مَا حَزْتُ مِنْ نَعْمَائِهِ
كَالْبَحْرِ يَمُطُّهُ السَّحَابُ وَمَالَهُ فَضْلٌ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ مَارِهِ

٢٠٣ كَانَ الْحَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ يَقْطَعُ الْعُرُوضَ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ وَلَدُهُ فِي
تِلْكَ الْحَالَةِ فَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ وَقَالَ : إِنَّ أَبِي قَدْ جَنَّ . فَدَخَلَ النَّاسُ
عَلَيْهِ وَهُوَ يَقْطَعُ الْعُرُوضَ . فَأَخْبَرُوهُ بِمَا قَالَ أَبْنُوهُ . فَقَالَ لَهُ :

لَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا أَقُولُ عَذْرَتِي أَوْ كُنْتُ تَعْلَمُ مَا تَقُولُ عَذْلَتُكَ
أَكُنْ جَهْلًا مَقَالَتِي فَعَذْلَتُنِي وَعَلِمْتُ أَنَّكَ جَاهِلٌ فَعَذْرَتُكَ

(نُزْهَةُ الْأَلْبَاءِ فِي طَبَقَاتِ الْأَدْبَاءِ لِأَبِي بَرَكَاتٍ الْإِنْبَارِيِّ)

اولاد تزار عند الامي

٢٠٤ شَخْصَ مُضَرٍّ وَرَبِيعَةٍ وَإِيَادُ وَأَنَارُ أَوْلَادُ زِرَارٍ إِلَى أَرْضِ نَجْرَانَ .
 فَبَيْنَمَا هُمْ يَسِيرُونَ إِذْ رَأَى مُضَرٌّ كَلًّا قَدْ رَعِيَ فَقَالَ : الْبَعِيرُ الَّذِي رَعَى
 هَذَا أَعُورٌ . فَقَالَ رَبِيعَةٌ : وَهُوَ أَزُورٌ . قَالَ إِيَادُ : وَهُوَ أَتَرٌ . وَقَالَ أَنَارُ :
 وَهُوَ شُرُودٌ . فَلَمْ يَسِيرُوا إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى لَقِيَهُمْ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ فَسَأَلَهُمْ
 عَنِ الْبَعِيرِ . فَقَالَ مُضَرٌّ : أَهْوُ أَعُورٌ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ رَبِيعَةٌ : أَهْوُ أَزُورٌ .
 قَالَ : نَعَمْ . قَالَ إِيَادُ : أَهْوُ أَتَرٌ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ أَنَارُ : أَهْوُ شُرُودٌ .
 قَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ : هَذِهِ وَاللَّهِ صِفَاتُ بَعِيرِي دُلُونِي عَلَيْهِ . فَخَلَقُوا أَنَّهُمْ مَا
 رَأَوْهُ . فَلَزِمَهُمْ وَقَالَ : كَيْفَ أَصَدَقُكُمْ وَأَنْتُمْ تَصِفُونَ بَعِيرِي بِصِفَتِهِ .
 فَسَارُوا حَتَّى قَرَبُوا نَجْرَانَ فَتَزَلُّوا بِالْأَفْعَى الْجُرْهُمِيِّ . فَتَنَادَى صَاحِبُ
 الْبَعِيرِ : هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ وَصَفُوا لِي بَعِيرًا بِصِفَتِهِ ثُمَّ أَنْكَرُوهُ . فَقَالَ
 الْجُرْهُمِيُّ : كَيْفَ وَصَفْتُمُوهُ وَلَمْ تَرَوْهُ . فَقَالَ مُضَرٌّ : رَأَيْتُهُ يَدْعَى جَانِبًا
 وَيَدْعُ جَانِبًا فَقُلْتُ أَنَّهُ أَعُورٌ . وَقَالَ رَبِيعَةٌ : رَأَيْتُ إِحْدَى يَدَيْهِ
 ثَابِتَةً الْأَثَرُ وَالْأُخْرَى قَائِدَةً الْأَثَرُ فَقُلْتُ أَنَّهُ أَفْسَدَهَا بِشِدَّةِ
 وَطْنِهِ لِأَزُورِيهِ . وَقَالَ إِيَادُ : عَرَفْتُ بَنِيهِ بِإِجْمَاعِ بَنِيهِ وَلَوْ كَانَ
 ذِيَالًا لَتَفَرَّقَ . وَقَالَ أَنَارُ : إِنَّمَا عَرَفْتُ أَنَّهُ شُرُودٌ لِكَوْنِ أَنَّهُ كَانَ
 يَدْعَى فِي الْمَكَانِ الْمُتَلَفِّ نَبْتَهُ ثُمَّ يَجُوزُ إِلَى مَكَانٍ أَرْقَ مِنْهُ وَأَخْبَتْ .
 فَقَالَ الْأَفْعَى : لَيْسُوا بِأَصْحَابِ بَعِيرِكَ . ثُمَّ سَأَلَهُمْ مَنْ هُمْ فَأَخْبَرُوهُ .
 فَرَحَّبَ وَأَضَاهُمْ وَبَالَغَ فِي إِكْرَامِهِمْ (ثمرات الاوراق للحموي)

الْبَابُ الْعَاشِرُ

فِي الْمَدِيحِ

٢٠٥ أَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى دَاوُدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ فَقَالَ لَهُ: إِنِّي مَدَحْتُكَ فَاسْتَمِعْ. قَالَ: عَلَى رِسْلِكَ. ثُمَّ دَخَلَ بَيْتَهُ وَتَعَلَّدَ سَيْفَهُ وَخَرَجَ فَقَالَ: قُلْ فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَكْمَنَاكَ وَإِنْ أَسَأْتَ قَتَلْنَاكَ. فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

أَمِنْتُ بِدَاوُدَ وَجُودِ يَمِينِهِ مِنْ أَلْحَدِثِ الْخُشْيِ وَالْيَأْسِ وَالْفَقْرِ
فَأَصْبَحْتُ لَا أَخْشَى بِدَاوُدَ نَبْوَةً مِنْ أَلْحَدَثَانِ إِذْ شَدَدْتُ بِهِ أَزْرِي
لَهُ حُكْمُ لُثْمَانَ وَصُورَةُ يُوسُفَ وَحُكْمُ سُلَيْمَانَ وَعَدْلُ أَبِي بَكْرٍ
فَتَى تَفَرَّقَ الْأَمْوَالُ مِنْ جُودِ كَفِّهِ كَمَا يَفَرَّقُ الشَّيْطَانُ مِنْ لَيْلَةِ الْأَذْرِ
فَقَالَ لَهُ: قَدْ حَكَمْنَاكَ فَإِنْ شِئْتَ عَلَى قَدْرِكَ وَإِنْ شِئْتَ عَلَى قَدْرِي.
فَقَالَ: عَلَى قَدْرِي. فَأَعْطَاهُ خَمْسِينَ أَلْفًا. فَقَالَ لَهُ جُلَسَاؤُهُ: هَلَّا أَحْكَمْتَ
عَلَى قَدْرِ الْأَمِيرِ. قَالَ: لَمْ يَكْ فِي مَالِهِ مَا يَنْبَغِي بِقَدْرِهِ. قَالَ لَهُ دَاوُدُ:

أَنْتَ فِي هَذِهِ أَشْرُ مِنْكَ فِي شِعْرِكَ وَأَصْرَلَهُ بِمِثْلِ مَا أَعْطَاهُ

٢٠٦ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ أَلْهَائِدِ فَأَنْشَدْتُ:

اللَّهُ جَرَدٌ لِلنَّدَى وَالْبَاسِ سَيْفًا فَقَلَدَهُ أَبَا الْعَبَّاسِ
مَلِكٌ إِذَا اسْتَقْبَلَتْ غُرَّةً وَجْهِهِ قَبْضُ الرِّجَاءِ إِلَيْكَ رُوحَ الْيَاسِ
وَبِهِ عَلَيْكَ مِنْ الْحَيَاةِ سَكِينَةٌ وَمَحَبَّةٌ تَجْرِي مِنَ الْأَنْفَاسِ
وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ يَوْمًا عَبْدَهُ أَلْقَى عَلَيْهِ مَحَبَّةً لِلنَّاسِ

ثُمَّ سَأَلَتْهُ حَاجَةٌ فِيهَا بَعْضُ الْفَلْظِ . فَتَلَاكَ عَلَيَّ . فَوَقَّعْتُ فِي سِحَابَةٍ :
 مَا ضَرَّ عِنْدَكَ حَاجَتِي مَا هَزَّهَا عُذْرًا إِذَا أُعْطِيتَ نَفْسَكَ قَدْرَهَا
 أَنْظِرْ إِلَى عَرْضِ الْإِلَادِ وَطُولِهَا أَوْلَسْتَ أَكْرَمَ أَهْلِهَا وَأَبْرَهَا
 حَاشَى لِحُودِكَ أَنْ يُوعَرَ حَاجَتِي يُقَيِّ بِجُودِكَ سَهَّلْتَ لِي وَغَرَّهَا
 لَا يَجْتَنِي حُلُو الْحَاكِيدِ مَا جُدَّ حَتَّى يَذُوقَ مِنَ الْمَطَالِبِ مُرَّهَا
 قَفَّصَى الْحَاجَةَ وَسَارَعَ إِلَيْهَا (لَا بَنَ عَبْدِ رَبِّهِ)

٢٠٧ وَصَفَ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي خَفْصَةَ بَنِي مَطَرٍ فَقَالَ :

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ الْفَقَاءِ كَانَهُمْ أَسْوَدُ لَهَا فِي غَيْلِ خَفَّانٍ أَشْبَلُ
 هُمْ يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا لَجَّارِهِمْ بَيْنَ السَّمَاءِ كَيْنَ مَنْزِلِ
 هُمْ الْقَوْمُ إِنْ قَاوُا أَصَابُوا وَإِنْ دَعُوا أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجَزَلُوا
 وَمَا يَسْتَطِيعُ الْفَقَاءُ لَوْ أَنَّ فَعَالَهُمْ وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي النَّاتِبَاتِ وَاجْمَلُوا
 ٢٠٨ حَدَّثَ مُحَمَّدُ الرَّائِيَةُ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ وَعِنْدَهُ الْقُضْلُ
 ابْنُ الرَّيِّعِ وَزَيْدُ بْنُ زَيْدٍ . وَبَيْنَ يَدَيْهِ خِوَانٌ لَطِيفٌ عَلَيْهِ جِرْمَانُ
 وَرَغِيفَانُ سَمِيدَاوَدَجَاجَانِ . فَقَالَ لِي : أَتَشِدُّنِي . فَأَنْشَدَنِي قَصِيدَةَ
 النَّمِرِيِّ الْعَيْنِيَّةَ فَلَمَّا بَلَغْتَ إِلَى قَوْلِهِ :

إِنَّ الْمَكْرَامَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَهُ أَحَلَّكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ يَتَّبِعُ
 إِذَا رَفَعْتَ أَمْرًا فَاللَّهُ يَرْفَعُهُ وَمَنْ وَضَعْتَ مِنْ الْأَقْوَامِ مُتَضِعُ
 نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَالْأَبْطَالُ مُعَلَّمَةُ يَوْمِ الْوَعَى وَالْمُنَايَا صَابِهَا فَرَعُ
 قَالَ فَرَحَى بِالْحِوَانِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَصَاحَ وَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ أَطْيَبُ

مِنْ كُلِّ طَعَامٍ وَكُلِّ شَيْءٍ. وَبَثَّ إِلَيْهِ بِسَبْعَةِ آلَافٍ دِينَارٍ
 ٢٠٩ حَكِي الْمَنْصُورُ النَّسْرِيُّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ يَوْمًا وَلَمْ أَكُنْ
 أَعْدَدْتُ لَهُ مَدْحًا. فَوَجَدْتُهُ نَشِيطًا طَلَبَ النَّفْسَ فَرُمْتُ شَيْئًا فَأَجَاءَنِي.
 وَنَظَرَ إِلَيَّ سَتَظَقًا قَالَتْ:

إِذَا اعْتَصَصَ الْمَدِيحُ عَلَيْكَ فَأَمْدَحْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَجِدْ مَقَالًا
 وَعُذَّ بِفَنَائِهِ وَأَجْعَ إِلَيْهِ تَمَلُّ عُرْقًا وَلَمْ تَذَلَّ سُؤَالًا
 فَنَاءً لَا تَرَالُ بِهِ رِكَابُ وَضَعْنَ مَدَائِحًا وَحَمَلْنَ مَالًا
 فَقَالَ: اللَّهُ دَرَكُ لَنْ قَصَرَتْ أَلْقَوْلُ لَنْدَ أَطَلَّتِ الْمَنَى. وَأَمْرِي بِصَلَةِ سَنِيَّةٍ
 ٢١٠ لَمَّا قَوْلِي ابْنَ زِيَادٍ أَعْمَالُ الْأَهْوَاِ قَصَدَهُ عَجْرُدُ إِلَيْهَا وَقَالَ فِيهِ:

يَحْيَى أَمْرُوهُ زَيْنُهُ رَبُّهُ يَفْعَلُهُ الْأَقْدَمُ وَالْأَخْدَثُ
 إِنْ قَالَ لَمْ يَكْذِبْ وَإِنْ وَدَّ لَمْ يَقْطَعْ وَإِنْ عَاهَدَ لَمْ يَنْكُثْ
 أَصْبَحَ فِي أَخْلَاقِهِ كُلِّهَا مُوَكَّلًا بِالْأَسْهَلِ الْأَدْمَثِ
 طَبِيعَةٌ مِنْهُ عَلَيْهَا جَرَى فِي خُلُقٍ لَيْسَ بِسُتْعَدَثِ
 وَرَثُهُ ذَاكَ أَبُوهُ فَيَا طَيْبَ ثَمَاءِ الْوَارِثِ الْوَارِثِ
 فَوْصَلَهُ يَحْيَى بِصَلَةِ سَنِيَّةٍ وَحَمَلَهُ وَكَسَاهُ. وَأَقَامَ عِنْدَهُ مُدَّةً ثُمَّ انْصَرَفَ
 ٢١١ إِمْتَدَحَ رَبِيعَةُ الرَّقِّيُّ الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِقَصِيدَةٍ لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهَا
 حُسْنًا وَهِيَ طَوِيلَةٌ يَقُولُ فِيهَا:

لَوْ قِيلَ لِلْعَبَّاسِ يَا ابْنَ مُحَمَّدٍ قُلْ لَا وَأَنْتَ تُحَلِّدُ مَا قَالَهَا
 مَا إِنْ أَعْدُدْ مِنَ الْمَكَارِمِ خَصْلَةً إِلَّا وَجَدْتُكَ عَمَّا أَوْ خَالَهَا

وَإِذَا الْمُلُوكُ تَسَاءَلُوا فِي بَلَدِهِ كَانُوا كَوَاكِبَهَا وَكُنْتَ هَالِكًا
 إِنَّ الْمَكَارِمَ لَمْ تَرَلْ مَمْقُولَةً حَتَّى حَلَّتْ بِرَاحَتِكَ عِقَالَهَا
 ٢١٢ أَنشَدَ أَبُو إِسْحَاقَ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى الْبَرْمَكِيُّ :

عِنْدَ الْمُلُوكِ مَضْرُوءٌ وَمَنْ أَعْبَسَ وَأَرَى الْبَرَامِكُ لَا تَضُرُّ وَتَنْفَعُ
 إِنَّ الْعُرُوقَ إِذَا اسْتَسْرَبَهَا أَلْزَى أَشِيرَ النَّبَاتِ بِهَا وَطَابَ الْمَرْزَعُ
 فَإِذَا نَكَرَتْ مِنْ أَمْرِهِ أَعْرَافُهُ وَقَدِيمُهُ فَأَنْظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ
 قَالَ تَأْمِجُهُ الشَّمْعُ فَقَالَ : يَا أَبَا نَحْهٍ كَأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ هَذَا الْقَوْلَ إِلَّا السَّاعَةَ .
 وَمَا لَهُ عِنْدِي إِلَّا أَنِّي لَمْ أَكُنْ يَتُّهُ عَلَيْهِ . فَقُلْتُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ أَصْلَحَكَ
 اللَّهُ وَقَدْ وَهَبَتْ لَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ قَالَ : لَا مَا يَلَاثُونَ أَلْفَ
 دِينَارٍ بِمِثْلِهَا لَهُ فَكَيْفَ يَلَاثُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ (الآغا نِي)

قَالَ أَبُو الشَّيْخِ الْخُرَازِيُّ يُمْدَحُ بَعْضَ الْأَمْرَاءِ :

تَكَلَّمْتُ فِيكَ أَوْصَافُ خُصِّصْتُهَا فَكُنَّا بِكَ مَسْرُورٌ وَمُنْقَبِطُ
 السِّنِّ ضَاحِكَةٌ وَالْكَفُّ مَانِحَةٌ وَالْفَرْسُ وَاسِعَةٌ وَأَوَّجُهُ مُنْبَسِطُ
 ٢١٣ قَالَ الْقَسَمُ بْنُ عُيَيْدٍ : لِقَضَلِ بْنِ سَهْلٍ يَدُ تَقَاصَرَعْنَاهَا الْمَثَلُ .
 فظَاهِرُهَا لِلْفَيْلِ . وَبَسْطَتْنَاهَا لِلْفَنَى . وَسَطَوْنَاهَا لِلْأَجَلِ . أَخَذَهُ ابْنُ
 الرُّومِيِّ فَقَالَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَدِينِيِّ :

أَصْبَحْتُ بَيْنَ ضَرَاعَةٍ وَتَحْمَلٍ وَالْمَرْءُ بَيْنَهُمَا يَمُوتُ هَزِيلًا
 فَأَمْدُدْ إِلَيَّ يَدَا تَعَوِّدَ بَطْنَهَا بِذَلِكَ التَّوَالِ وَظَهَرُهَا التَّشْيِيلَا

٢١٤ قَالَ ابْنُ الْمُؤَلَّى لِزَيْدِ بْنِ قَيْصَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ :

وَإِذَا تُبَاعَ كَرِيمَةٌ أَوْ تُشْتَرَىٰ فَسَوَّكَ بَابُهَا وَأَنْتَ الْمُشْتَرَىٰ
وَإِذَا تَوَعَّرَتِ الْمَسَالِكُ لَمْ يَكُنْ مِنْهَا السَّبِيلُ إِلَىٰ نَدَاكَ بِأَوْعَرِ
وَإِذَا صَنَعْتَ صَنِيعَةً أَتَمَمْتَهَا بِإِدْنٍ لَيْسَ نَدَاهَا بِمُكَدِّرِ
يَا وَاحِدَ الْعَرَبِ الَّذِي مَا إِنْ لَمْ مِنْ مَذْهَبٍ عَنْهُ وَلَا مِنْ مَقْصِرِ
٢١٥ قَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ الشَّاعِرُ النَّصْرَانِيُّ :

أَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إِنْ شِئْتَكَ الْحَيَاءُ
وَعِلْمُكَ بِالْحُقُوقِ وَأَنْتَ فَرَعٌ لَكَ الْحَسْبُ الْمُهَذَّبُ وَالسَّنَاءُ
خَلِيلٌ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ عَنْ الْخُلُقِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ
وَأَرْضُكَ كُلُّ مَكْرَمَةٍ بَنَتْهَا بَنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءُ
إِذَا أَتَىٰ عَلَيْكَ الْمُرُءُ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَرْضِيهِ الْإِنْسَاءُ
تُبَارِي الرِّيحَ مَكْرَمَةً وَتُجَدِّدَا إِذَا مَا الْكَلْبُ أَجْمَرَهُ الشِّتَاءُ

٢١٦ قَالَ آخِرُ مِدْحِ آلِ الْمُهَلَّبِ :

آلُ الْمُهَلَّبِ قَوْمٌ خُولُوا شَرَفًا مَا نَالَهُ عَرَبِيٌّ لَا وَلَا كَادًا
لَوْ قِيلَ لِلْمَجْدِ جِدْ عَنْهُمْ وَخَلِيمٍ بِمَا اخْتَكَمْتَ مِنَ الدُّنْيَا لَمَّا حَادَا
إِنَّ الْمَكَارِمَ أَرْوَاحٌ يَكُونُ لَهَا آلُ الْمُهَلَّبِ دُونَ النَّاسِ أَجْسَادًا

٢١٧ قَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْ إِيَادٍ :

الْحَيْلُ تَعْلَمُ يَوْمَ الرُّوعِ إِنْ هُزِمَتْ أَنْ ابْنَ عَمْرِو لَدَى الْعِجْيَاءِ يَجْمَعُهَا
لَمْ يُبْدِ فَحْشًا وَلَمْ يَهْدَدْ لِعِظْمَةٍ وَكُلَّ مَكْرَمَةٍ يَأْتِي يُسَامِيهَا
الْمُسْتَشَارُ لِأَمْرِ الْقَوْمِ يَحْزَنُ إِنْهَا إِذَا الْهَنَاتُ أَهَمَّ الْقَوْمَ مَا فِيهَا

لَا يَرْهَبُ الْجَارُ مِنْهُ غَدْرَةَ أَبَدًا وَإِنْ أَلَمْتُ أُمُورُ قَهْوٍ كَافِيهَا
٢١٨. قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ يَمْدَحُ بَعْضُهُمْ :

كُنْ لِلْجَلَلِ الَّذِي فِيكُمْ مَحَاسِنُكُمْ تَشَابَهَتْ مِنْكُمْ الْأَخْلَاقُ وَالْخَلْقُ
كَمَنْ أَنْتُمْ شَجَرُ الْأَرْجِ طَلَبَ مِمَّا حَمَلًا وَنَشْرًا وَطَابَ الْعُودُ وَالْوَرَقُ
٢١٩. قَالَ شَاعِرٌ يَمْدَحُ قَوْمًا بِالْكَرَمِ :

نَصَبُوا بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ خِيَامَهُمْ يَتَسَابَّحُونَ عَلَى قَرَى الضِّيْفَانِ
وَيَكَادُ مَوْقِدُهُمْ يَجُودُ بِنَفْسِهِ حُبَّ الْقَرَى حَطَبًا عَلَى النَّيِّرَانِ
٢٢٠. غَنَى يَوْمًا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْمَكِّيُّ الْأَمِينُ :

تَبَسُّ عُمْرُ نُوحٍ فِي سُورٍ وَغِبْطَةٌ وَفِي خَنْضَرِ عَيْشٍ لَيْسَ فِي طُولِهِ أَمٌّ
تُسَاعِدُكَ الْأَقْدَارُ فِيهِ وَتَنْتَنِي إِلَيْكَ وَتَرْعَى فَضْلَكَ الْعَرَبُ وَالنَّجْمُ
٢٢١. وَمِنْ جَمِيلِ مَا جَاءَ فِي بَابِ الْمَدِيحِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

يَا دَهْرُ بَعْ رُبَّ الْمَالِي بَعْدَهُ بَيْعَ السَّمَاحِ رُبِحْتَ أَمْ لَمْ تَرْجَحْ
قَدِيمٌ وَأَخْرَجَ مِنْ تَرْيَدٍ فَإِنَّهُ مَاتَ الَّذِي قَدْ كُنْتَ مِنْهُ تُسْتَعِي
٢٢٢. وَقَوْلُ آخَرٍ :

كَرِيمٌ يُغْضَرُ الطَّرْفُ فَضْلُ حَيَاتِهِ وَيَدْنُو وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ دَوَانِ
وَكَا لَسَيْفٍ إِنْ لَا يَنْتَهُ لَانَ مَسُهُ وَحَدَاهُ إِنْ خَاشَتُهُ خَشِنَانِ
٢٢٣. مَدَحَ بَعْضُهُمْ أَمِيرًا فَقَالَ :

عَلِمَ اللَّهُ كَيْفَ أَنْتَ فَأَعْطَاكَ الْحَلَّ الْجَلِيلَ مِنْ سُلْطَانِهِ
٢٢٤. قَالَ آخَرُ :

مَنْ قَاسَ جَدَّوَاكَ بِالْغَنَامِ قَا أَنْصَفَ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ شَكَلَيْنِ
أَنْتَ إِذَا جُدْتَ صَاحِبُكَ أَبَدًا وَهُوَ إِذَا جَادَ دَامِعُ الْعَيْنِ
٢٢٥ قَالَ غَيْرُهُ :

مَا تَوَالُ الْغَنَامِ وَقْتَ رَيْعٍ كَنَوَالِ الْأَمِيرِ يَوْمَ سَخَاءِ
فَنَوَالِ الْأَمِيرِ بَذْرُهُ مَالٍ وَنَوَالُ الْغَنَامِ قَطْرَةُ مَاءِ

٢٢٦ قَالَ يَزِيدُ الْمُهَلَّبِيُّ فِي الْمُنْتَصِرِ بَعْدَ أَنْ وُلِّيَ الْخِلَافَةَ :

لِيَهْنِكَ مُلْكُكَ بِالسَّعَادَةِ طَائِرُهُ مَوَارِدُهُ تَحْمُودُهُ وَمَصَادِرُهُ
فَأَنْتَ الَّذِي كُنَّا نَرْجِي فَلَمْ نَحِبْ كَمَا يَرْجِي مِنْ وَاقِعِ الْغَيْثِ بَاكِرُهُ
بِمُنْتَصِرِ بِاللَّهِ نَمَّتْ أُمُورُنَا وَمَنْ يَنْتَصِرْ بِاللَّهِ قَالَهُ نَاصِرُهُ
٢٢٧ دَخَلَ النَّبَاطَةُ عَلَى الثُّمَّانِ بْنِ النُّذَيْرِ فَحَيَّاهُ تُحِيَّةُ الْمُلُوكِ ثُمَّ قَالَ :

أُفَاخِرُكَ ذَوْقَانِسَ وَأَنْتَ سَائِسُ الْعَرَبِ . وَعُرَّةُ الْحَسَبِ . وَاللَّاتِ
لَأَمْسُكَ أَيْمَنُ مِنْ يَوْمِهِ . وَلَمَبْدُكَ أَكْرَمُ مِنْ قَوْمِهِ . وَلَقَقَّاكَ أَحْسَنُ مِنْ
وَجْهِهِ . وَلَيْسَارُكَ أَجْوَدُ مِنْ يَمِينِهِ . وَلَطَنُكَ أَصْدَقُ مِنْ يَقِينِهِ . وَلَوْعَدُكَ
أَنْبَجُ مِنْ رَفِيدِهِ . وَلِحَالُكَ أَشْرَفُ مِنْ جَدِّهِ . وَلِنَفْسِكَ أَمْنٌ مِنْ
جُنْدِهِ . وَلِيَوْمِكَ أَزْهَرُ مِنْ زَهْرِهِ . وَلِقَتْرُكَ أَبْسَطُ مِنْ شَبْرِهِ . وَأَنْشَدَ :

أَخْلَاقُ مُجْدِكَ جَلَّتْ مَا لَهَا خَطَرُ فِي الْبَاسِ وَالْجُودِ بَيْنَ الْحِلْمِ وَالْحَقْرِ
مُتَوَجِّحٌ بِالْعَالِيِ فَوْقَ مَفْرِقِهِ وَفِي الْوَعَى ضَيْقُهُ فِي صُورَةِ الْقَمْرِ
إِذَا دَجَا الْخَطْبُ جَلَّاهُ بِصَارِمِهِ كَمَا يُجَلِّي زَمَانُ الْخَلْلِ بِالْمَطَرِ
فَقَهَّلَ وَجْهَهُ الثُّمَّانُ سُرُورًا . ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُلَافُوهُ دُرًّا وَيَكْسَى

أَثَابَ الرِّضَا (وَهِيَ جَبَابُ أَطْوَأَهَا الذَّهَبُ فِي قُضْبِ الزُّمُرْدِ). ثُمَّ
 قَالَ: هَكَذَا أَقْلَمْتُ دَحَ الْمُلُوكِ (أَلْفَ بَاءٍ لَا فِي الْحِجَاجِ الْبَلَوِي)
 ٢٢٨ دَخَلَ ابْنُ الْحَيَّاطِ الْمَسْكِيَّ عَلَى الْمُهْدِيِّ وَأَمْتَدَحَهُ فَأَمَرَ لَهُ
 بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. فَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي تَقْيِيلِ يَدِهِ فَأَذِنَ فَصَلَّاهَا
 وَخَرَجَ. فَمَا أَتَتْهُ إِلَى الْبَابِ حَتَّى فَرَّقَ الْمَالُ بِأَسْرِهِ. فَغُوتَبَ عَلَى
 ذَلِكَ فَأَعْتَذَرَ وَاشْتَدَّ يَقُولُ:

لَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتِغِي النَّعْيَ وَلَمْ أَذِرْ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدي
 فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَهَادُ ذُوو النَّعْيِ أَفِدْتُ وَأَعْدَانِي فَأَنْتَلَقْتُ مَا عِنْدِي
 فَحَبَّبَ بِهِمَا الْمُهْدِيُّ وَعَنِّي بِهِمَا وَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ
 ٢٢٩ دَخَلَ أَعْرَابِي عَلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ فَقَالَ:

أَخَالِدُ إِنِّي لَمْ أَزِدْكَ حَاجَةً سِوَى أَتَيْتِي عَافٍ وَأَنْتَ جَوَادُ
 أَخَالِدُ بَيْنَ الْحَمْدِ وَالْأَجْرِ حَاجَتِي فَأَيُّهُمَا تَأْتِي فَأَنْتَ عِمَادُ
 فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ: سَلْ حَاجَتَكَ. قَالَ: إِنَّهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ. قَالَ خَالِدُ
 أَسْرَفْتَ فَأَحْطَطْنَا مِنْهَا. قَالَ: حَطَطْتُكَ أَتَاهَا. فَقَالَ خَالِدُ: مَا أَعْجَبَ
 مَا سَأَلْتَ وَمَا حَطَطْتَ. فَقَالَ: لَا يَنْجِبُ الْأَمِيرُ. سَأَلْتُهُ عَلَى قَدْرِهِ
 وَحَطَطْتُهُ عَلَى قَدْرِي. فَصَحَّحَ مِنْهُ وَأَمَرَ لَهُ بِصَلَّةٍ

٢٣٠ حَبَسَ الْحِجَاجُ بَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ لِبَاقٍ عَلَيْهِ كَانَ بِحُرَّاسَانَ. وَأَقْسَمَ
 لَيْسَتْ أَرْيَهُ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. فَبَيْنَمَا هُوَ قَدْ جَبَاهَا لَهُ ذَاتَ
 يَوْمٍ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ الْأَخْطَلُ فَأَنْشَدَهُ:

أَبَا خَالِدٍ ضَاقتْ خُرَاسَانُ بِمَدِّكُمْ وَقَالَ ذَوُو الْحَاجَاتِ آمِنٌ بِيَدِ
وَمَا قَطَرَتْ بِالْشَّرْقِ بِمَدِّكَ قَطْرَةٌ وَلَا أَخْضَرَ بِالْمَرْيَمِ بِمَدِّكَ عُودٌ
وَمَا لَسِرِيرِ بِمَدِّ بِمَدِّكَ بَهْجَةٌ وَمَا لِحَوَادِ بِمَدِّ جُودِكَ جُودٌ
فَقَالَ: يَا غَلَامُ أَعْطِهِ الْمِائَةَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فَإِنَّا نَصْبِرُ عَلَى عَذَابِ الْحُجَّاجِ وَلَا
نُخْشِبُ الْأَخْطَلَ. فَلَبَّتِ الْحُجَّاجُ فَقَالَ: اللَّهُ دَرِّ يَدَ لَوْ كَانَ تَارِكًا
لِلْشُّغَا يَوْمًا لَتَرَكَهُ الْيَوْمَ وَهُوَ تَوَقَّعُ أَلُوتَ (لِلْيَمِينِ)

٢٣١ وَمِنْ رَفِيقِي شِعْرُ ابْنِ الْعَبَّاسِ الْوَلِيِّ قَوْلُهُ فِي الْمَدِيحِ وَالشُّكْرِ:
فَلَوْ كَانَ لِلشُّكْرِ شَخْصٌ يَبِينُ إِذَا مَا تَأَمَّلَهُ الْأَنْظَرُ
لَمَثَلْتُهُ لَكَ حَتَّى تَرَاهُ فَمَتَعَلَّمَ آتِي أَمْرُوهُ شَاكِرُ

٢٣٢ كَتَبَ بِدِيعُ الزَّمَانِ لِأَحَدِ الْخُلَفَاءِ:

يَا سَيِّدَ الْأُمَرَاءِ فَخْرًا فَمَا مَلَكَ إِلَّا تَمَنَّاكَ مَوَلَى وَأَشْتَهَاكَ أَبَا
وَكَاذِيحُكَ صَوْبُ الْغَيْثِ مُنْسَكِبًا لَوْ كَانَ طَالِقَ الْغَمِّ يَطْلُرُ الذَّهَبَا
وَالذَّهْرُ لَوْ لَمْ يَجْنُ وَالشَّمْسُ لَوْ نَطَقَتْ وَاللَّيْلُ لَوْ لَمْ يَهْلُ وَالْبَحْرُ لَوْ تَدَبَّأَ
وَالْبَحْرِيُّ فِي الْمَدِيحِ: ٢٣٣

لَا تَنْظُرَنَّ إِلَى الْعَبَّاسِ عَنْ صَغِيرٍ فِي السِّنِّ وَأَنْظُرِي إِلَى الْأَجْدَادِ الَّذِي شَادَا
إِنَّ النُّجُومَ نُجُومَ الْجَوِّ أَخْرَجَهَا فِي الْعَيْنِ أَكْثَرُهَا فِي الْجَوِّ إِصْعَادَا
٢٣٤ قَالَ أَبُو نُؤَاسٍ يَمْدَحُ بَنِي حَمْدَانَ:

لَيْزَ خُلُقِ الْأَنَامِ لِحَبِّ كَاسٍ وَمِزْمَارٍ وَطَنْبُورٍ وَعُودٍ
فَلَمْ يُخْلَقْ بَنُو حَمْدَانَ إِلَّا لِبَاسٍ أَوْ لِحِجْدٍ أَوْ لِحُودٍ

أَلَلْبُ الْحَادِي عَشَرَ فِي الْفَخْرِ وَالْحَمَاسَةِ وَالنَّجْوَى

٢٣٥ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ مِنْ أَشْعَرِ قُرَيْشٍ وَهُوَ الْقَائِلُ عَنْ قَبِيلَتِهِ مُفْتَخِرًا:
لَقَدْ عَلِمْتُ قُرَيْشٌ غَيْرَ فَخْرٍ بِأَنَا نَحْنُ أَجُودُهُمْ حِصَانًا
وَأَكْثَرُهُمْ دُرُوعًا سَائِفَاتٍ وَأَمْضَاهُمْ إِذَا طَعَنُوا سِنَانًا
وَأَدْقَمُهُمْ عَنِ الضَّرَاءِ عَنْهُمْ وَأَبْيَنُهُمْ إِذَا نَطَقُوا لِسَانًا
٢٣٦ قَالَ السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ إسمَاعِيلَ بْنِ الْقَاسِمِ:

أَنَا مِنْ قَوْمٍ إِذَا مَا غَضِبُوا أَطْمَعُوا الْأَرْمَاحَ حَبَاتِ الْقُلُوبِ
وَهُمْ فِي السَّلَامِ كَالْمَاءِ صَفَا لِصَدِيقٍ وَحِمِيمٍ وَقَرِيبٍ
فِيهِمْ فَخْرِي وَفِيهِمْ قُدُوتِي وَبِهِمْ زِلْتُ مِنَ الْعُلَيَّا نَصِيبٍ
وَبِعَضَلِ اللَّهِ رَبِّي لَمْ أَزَلْ فِي مَرَايِ الْغَيْرِ وَالْعَيْشِ الرُّطِيبِ
لَيْسَ لِي إِلَّا الْمَعَالِي أَرَبُّ فَقَلَى كَاهِلَهَا صَارَ الرُّكُوبُ
إِنْ دَعَا دَاعٍ إِلَى غَيْرِ الْعَلَا لَا تَرَانِي لِدُعَاهُ مِنْ حُجُبٍ
٢٣٧ مَرَّ ابْنُ بَشِيرٍ بِأَبِي عُثْمَانَ الْمَازِنِيِّ فَجَلَسَ إِلَيْهِ سَاعَةً. فَقَرَأَ مِنْ
فِي مَجْلِسِهِ يَتَجَبَّوْنَ مِنْ نَعْلِ كَانَتْ فِي رِجْلِهِ خَلْقَةً فَأَخَذَ وَرَقَةً وَكَتَبَ:

كَمْ أَرَى ذَا تَجَبٍّ مِنْ نَعَالِي وَرِضَانِي مِنْهَا بِلَيْسِ الْبَوَالِي
مَنْ يُعَالِي مِنَ الرِّجَالِ يَنْعَلُ فِسْوَايَ إِذَا بَيْنَ يُعَالِي
لَوْ حَدَاهُنَّ لِلْجَمَالِ فَإِنِّي فِي سِوَاهُنَّ زِينَتِي وَجَمَالِي

فِي إِخَاهٍ وَفِي وَفَاءٍ وَرَأْيٍ وَإِسَانِي وَمَنْطِقِي وَفِعَالِي
مَا وَقَانِي أَلْحَا وَبَلَّغَنِي أَلْحَا جَهَّ مِنْهَا فَإِنِّي لَا أَبْلِي

٢٣٨ قَالَ الْحَرِيرُ بْنُ هِلَالٍ الْقُرَيْبِيُّ :

نُعْرِضُ لِلسُّيُوفِ إِذَا اتَّقَيْنَا وَجُوهًا لَا تُعْرِضُ لِلْعِلَامِ
وَلَسْتُ بِمَخَالِبٍ عَنِّي ثِيَابِي إِذَا هَرَّ الْكُمَاةُ وَلَا أَرَامِي
وَلَكِنِّي بِجَوْلِ الْمَرْءِ نَحْتِي إِلَى الذَّارَاتِ بِالْعُضْبِ الْحَسَامِ

٢٣٩ قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْمُرُوفُ بِمِحْظَةِ الْبَرَمَكِيِّ :

أَنَا ابْنُ أَنْاسٍ مَوْلَى النَّاسِ جُودُهُمْ فَأَضْحَكُوا حَدِيثًا لِلنَّوَالِ الْمُشْهَرِّ
قَلَمٌ يَخْلُ مِنْ إِحْسَانِهِمْ لَفْظٌ خَيْرٌ قَلَمٌ يَخْلُ مِنْ تَقْرِيطِهِمْ بَطْنٌ دَقَقَرِ

٢٤٠ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْفَرَازِدِينَ :

وَالْإِلَاسُ كُنْ عَظِيمِي طَوِيلًا فَإِنِّي لَهُ بِالْخِصَالِ الصَّالِحَاتِ وَصُولُ
وَلَا خَيْرَ فِي حُسْنِ الْجُسُومِ وَنِيَاهَا إِذَا لَمْ تَرِنْ حُسْنَ الْجُسُومِ عُمُولُ
إِذَا كُنْتُ فِي الْأَيَّامِ الطَّوَالِ عُلُوتُهُمْ بِمَارِقَةٍ حَتَّى يُقَالَ طَوِيلُ
وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ فُرُوعٍ كَثِيرَةٍ تَمُوتُ إِذَا لَمْ تُنْجِئِنْ أَصُولُ
وَلَمْ أَرَ كَالْمُرُوفِ أَمَّا مَذَاقُهُ فَحَلَوْ وَأَمَّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

٢٤١ قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْمَى لِأَذَى مَعِيشَةٍ كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلًا مِنَ الْمَالِ
وَلَكِنَّا أَسْمَى لِعَجْدٍ مُؤْتَلٍ وَقَدْ يَذْرُكُ الْحُجْدُ الْمُؤْتَلُ أَمْثَالِي

٢٤٢ قَالَ حَاتِمُ الطَّائِي :

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللَّهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ وَيَا ابْنَ ذِي الْبُرْدَيْنِ وَالْقَرَسِ الْوَرْدِ
 إِذَا مَا صَنَعْتَ أَرْزَادَ فَالْتِسِّي لَهُ أَكِيلًا فَإِنِّي لَسْتُ أَكَلُهُ وَحْدِي
 أَخَا طَارِقًا أَوْ جَارَ بَيْتٍ فَإِنِّي أَخَافُ مَذْمَمَاتِ الْأَحَادِيثِ مِنْ بَنَدِي
 وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيَا وَمَا فِيَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شِيمَةِ الْعَبْدِ
 ٢٤٣ قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ :

أَصُونُ عِرْضِي بِمَا لِي لَا أَدْنَسُهُ لَا بَارَكَ اللَّهُ بَعْدَ الْفَرَضِ فِي الْمَالِ
 أَحْتَالُ لِلْمَالِ إِنْ أَوْدَى فَاجْمَعُهُ وَلَسْتُ لِلْعِرْضِ إِنْ أَوْدَى بِمُحْتَالِ
 ٢٤٤ قَالَ أَبُو دَلْفٍ الْعَجَلِي :

أَجُودُ بِنَفْسِي دُونَ قَوْمِي دَائِمًا يَأْمَانَهُمْ قَدَمًا وَأَعْنَى الدَّوَاهِيَا
 وَأَقْفَعُ الْأَمْرَ الْخَوْفَ أَفْتَحَاهُ لِأَذْرِكَ مَجْدًا أَوْ أَعَاوِدَ ثَاوِيَا
 (الاعاني والحماسة)

الهجو

٢٤٥ قَالَ أَبُو نُؤَاسٍ فِي بَخِيلٍ :

مِيَّانَ كَسْرٍ رَغِيفِهِ أَوْ كَسْرُ عَظَامٍ مِنْ عِظَامِهِ
 فَارْفُقْ بِكَسْرِ رَغِيفِهِ إِنْ كُنْتَ تَرْتَعِبُ فِي كَلَامِهِ
 وَتَرَاهُ مِنْ خَوْفِ التَّزْوُّ لِي بِهِ دُرُوعٌ فِي مَنَامِهِ
 وَقَالَ أَيْضًا :

خَانَ عَهْدِي عَمْرُو وَمَا خُنْتُ عَهْدَهُ وَجَفَانِي وَمَا تَغَيَّرْتُ بَعْدَهُ
 لَيْسَ لِي مَذْحِيْتُ ذَنْبٌ إِلَيْهِ غَيْرَ أَنِّي يَوْمًا تَعَدَّيْتُ عَنْدَهُ

وَلَهُ أَيْضًا:

أَبُو جَعْفَرٍ رَجُلٌ عَالِمٌ يَمَاضِغُ أَلَمَدَةَ الْقَاسِدَةِ
تَخَوَّفَ ثَمَنَةَ أَضْيَانِهِ فَمَوَدَّهَا أَكْثَنَةً وَاحِدَةً

٢٤٦ قَالَ الْخَوَارِزْمِيُّ فِي طَلِيبٍ:

أَبُو سَعِيدٍ رَاحِلٌ لِلْكَرَامِ وَمَنَسَفُ يَنْسِفُ عُمَرَ الْأَنَامِ
لَمْ أَرَهُ إِلَّا خَشِيتُ الرَّدَى وَقُلْتُ يَا رُوحِي عَلَيْكَ السَّلَامُ
يَبْقَى وَيَبْقَى النَّاسُ مِنْ شُؤْمِهِ قَوْمُوا أَنْظِرُوا كَيْفَ نَجَاةُ النَّاسِ
ثُمَّ تَرَاهُ آمِنًا سَالِمًا يَا مَلِكَ الْمَوْتِ إِلَى كَيْفِ تَنَامِ
٢٤٧ يُحْكِي أَنَّ الْوَزِيرَ أَبَا عَلِيٍّ الْخَطَّافِيَّ كَانَ ضَجُورًا كَثِيرَ الثَّقَلِ
فَكَانَ يُوَلِّي الْأَمَلَ الْوَاحِدَةَ مِنَ الْعَمَالِ فِي الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ . حَتَّى
إِنَّهُ وَلَّى الْكُوفَةَ فِي عِشْرِينَ يَوْمًا سَبْعَةً مِنَ الْعَمَالِ . فَقِيلَ فِيهِ :

وَزِيرٌ قَدْ تَكَامَلَ فِي الرِّقَاعَةِ يُوَلِّي ثُمَّ يَعْرِضُ بَعْدَ سَاعَةٍ
إِذَا أَهْلُ الرُّشَى أَجَمُوا عَلَيْهِ فَخَيْرُ الْأَيَّامِ أَوْفَرُهُمْ بِضَاعَةٍ

٢٤٨ قَالَ بَعْضُهُمْ يَعْجُوبُ بِخِيَلِهِ :

رَأَى السَّيْفَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِ دَارِهِ فَصَفَّحَهُ ضَيْفًا فَقَامَ إِلَى السَّيْفِ
وَقُلْنَا لَهُ خَيْرًا قَطَنًا بِأَنَّنَا نَذُولُ لَهُ خَبْرًا فَمَاتَ مِنَ الْخَوْفِ
٢٤٩ هَجَا آخِرُ طَلِيبًا قَالَ :

قَالَ حِجَارُ الطَّلِيبِ مُوسَى لَوْ أَنَصَفُونِي لَكُنْتُ أَزْكَبُ
لِأَنِّي جَاهِلٌ بَسِيطٌ وَرَأَيْتُ جَاهِلٌ مُرَكَّبٌ

٢٥٠ قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَيْهِ يَهْجُو رَجُلًا جَبَانًا :

إِذَا صَوَّتَ الْمُصْفُورُ طَارَ فُؤَادُهُ وَلَيْثٌ حَدِيدُ الثَّأْبِ عِنْدَ الثَّرَائِدِ
قَالَ آخَرُ :

لَوْ أَنَّ خِطَّةَ عَقْلِهِ فِي رِجْلِهِ سَبَقَ الْفَزَالَ وَلَمْ يَفْتَهُ الْأَرْبُ
٢٥١ قَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو الْمُبَرَّدَ مُحَمَّدَ بْنَ يُزَيْدٍ التَّخَوِيِّ :

سَأَلْنَا عَنْ ثَمَلَةَ كُلِّ حَيٍّ فَقَالَ الْقَابِلُونَ وَمَنْ ثَمَلَةٌ
فَقُلْتُ مُحَمَّدُ بْنُ يُزَيْدٍ مِنْهُمْ فَقَالُوا أَلَا أَنْ زِدْتَ مِنْ جَمَالَةٍ
٢٥٢ قَالَ غَيْرُهُ :

يَا قَبَّحَ اللَّهُ أَقْوَامًا إِذَا ذُكِرُوا بَنِي عُمَيْرَةَ رَهَطَ اللُّؤْمُ وَالْمَارِ
قَوْمٌ إِذَا خَرَجُوا مِنْ سَوْءَةٍ وَلَجُوا فِي سَوْءَةٍ لَمْ يُجِثُوا بِأَسْتَارِ
٢٥٣ قَالَتْ كَنْزَةُ أُمُّ ثَمَلَةَ الْمُنْقَرِي فِي مِئَةٍ صَاحِبَةِ ذِي الرِّمَّةِ :

أَلَا حَبْدًا أَهْلُ الْمَلَأَا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا ذُكِرَتْ مَيِّ فَلَا حَبْدًا هِيَا
عَلَى وَجْهِ مَيِّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلَا حَةٍ وَفِي الْقَلْبِ مِنْهَا الْحِزْبِيُّ لَوْ كَانَ بَادِيَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ يُخْلَفُ طَعْمُهُ وَإِنْ كَانَ لَوْنُ الْمَاءِ أَيْضَ صَافِيَا
إِذَا مَا أَتَاهُ وَارِدٌ مِنْ ضَرُورَةٍ تَوَلَّى بِأَضْعَافِ الَّذِي جَاءَ ظَامِيَا
٢٥٤ قِيلَ : إِنَّهُ أَفْتَحَرَ رَجُلٌ عَلَى ابْنِ الْأَهَّانِ الشَّاعِرِ فَأَجَابَهُ :

لَا تَحْسَبَنَّ أَنَّ الشَّعْرَ مِثْلَنَا سَتَصِيرُ
فَلِلدَّجَا جَةِ رَيْشٌ أَكِنَهَا لَا تَطِيرُ

ابن كلدّة عند كسرى

٢٥٥ وقد ابن كلدّة التقي على كسرى فأنصب بين يديه . فقال له
 كسرى : من أنت . قال : أنا الحارث بن كلدّة . قال : أعربي أنت .
 قال : نعم ومن صميمها . قال : فاصنعك . قال : طيب . قال : وما صنع
 العرب بالطيب مع جهلها وضعف عقولها وقلة قبولها وسوء غذايتها .
 فقال : ذلك أجدر أيها الملك إذا كانت بهذه الصفة أن تحتاج إلى ما
 يصلح جهلها ويقيم عوجها . ويسوس أبدانها . ويبدل أسنادها . قال
 الملك : كيف لها بأن تعرف ما تهده عليها . لو عرفت الحق لم تنسب
 إلى الجهل . قال الحارث : أيها الملك إن الله جل اسمه قسم العقول بين
 العباد كما قسم الأرزاق وأخذ الأوم نصيبهم . فبهم ما في الناس من
 جاهل وعالم وعاجز وحازم . قال الملك : فما الذي تجد في أخلاقهم .
 وتحفظ من مذاهبهم . قال الحارث : لهم أنفس شخية . وقلوب
 جريئة . وعقول صحيحة مرضية . وأحساب نقيّة . فيترق الكلام من
 أفواههم مروق السهم من الور . ألين من الماء . وأعذب من الهواء .
 يطعمون الطعام . ويضربون اللحم . وعزهم لا يرام . وجارهم لا
 يضام . ولا يروغ إذا نام . لا يفرقون بفضل أحد من الأقوام . ما
 خلا الملك الهمام الذي لا يقاس به أحد من الأنام . قال كسرى :
 لله درك من عربي لقد أصبت علما وخصيت به من بين الخلق
 فضة وفهما . ثم أمر بإعطائه وصلته وقضى حوائجه (لابن عدريه)

الْبَابُ الثَّانِي عَشَرَ فِي الْأَلْفَاظِ

٢٥٦ قَدْ أَلْفَزَ بَعْضُهُمْ فِي الْقَلَمِ :

وَأَرَقَسَ مَرْهُوفِ الشَّابَةِ مَهْفَفٍ
يُسْتَتُ شَمْلُ الْخُطْبِ وَهُوَ جَمْعُ
تَدِينُ لَهُ الْأَفَاقُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
وَتَعْنُو لَهُ مَلَائِكُهُمَا وَتَطِيمُ
حَتَّى الْمَلِكِ مَقْطُومًا كَمَا كَانَ تَحْتَمِي
بِهِ الْأَسَدُ فِي الْأَجَامِ وَهُوَ رَضِيمُ
وَقَالَ آخَرُ فِيهِ :

٢٥٧ وَذِي خُضْرٍ رَاكٍ سَاجِدٍ
وَدَمْعُهُ مِنْ جَفْنِهِ جَارِي
مُؤَاطِبُ الْخُسْرِ لِأَوْقَاتِهَا
مُنْقَطِعُ فِي خِدْمَةِ الْبَارِي
وَقَالَ غَيْرُهُ فِيهِ :

٢٥٨ فَلَا هُوَ يَمْشِي وَلَا هُوَ مُقْعَدٌ
وَمَا إِنْ لَهُ رَأْسٌ وَلَا كَفٌّ لَا مِسْ
وَلَا هُوَ حَيٌّ وَلَا هُوَ مَيِّتٌ
وَلَكِنَّهُ شَخْصٌ يَرَى فِي الْمَجَالِسِ
يَزِيدُ عَلَى سَمِّ الْأَفَاعِي لِعَابُهُ
يَلْبُ دَيْبًا فِي الدُّجَى وَالْحَنَادِسِ
يُفَرِّقُ أَوْصَالَ بَضْمَتِ يَجْنَهُ
وَتُفَرِّقُ بِهِ الْأَوْدَاجُ تَحْتَ أَلْفَالِسِ
إِذَا مَا رَأَتْهُ أَلْعَيْنُ تُخْفِرُ شَانَهُ
وَهِيَاتِ يَدُو النَّفْسُ عِنْدَ الْكَرَادِسِ
وَقِيلَ آيُنَا فِيهِ :

وَأَعْيَفَ مَذْبُوحٌ عَلَى سَدْرِ غَيْرِهِ
يُتَرْجَمُ عَنْ ذِي مَنْطِقٍ وَهُوَ أَبْكَمُ
رَأَاهُ قَصِيرًا كُلَّمَا طَالَ عُمُرُهُ
وَيُضْحِي لَيْلِيًا وَهُوَ لَا يَتَكَلَّمُ

وَجَاءَ أَيْضًا فِيهِ :

بَصِيرٌ بِمَا يُوحَىٰ إِلَيْهِ وَمَا لَهُ
كَأَنَّ صَمِيرَ الْقَلْبِ بَاحُ إِسْرِهِ
إِلَيْهِ إِذَا مَا حَرَّكَتُهُ الْأَصَابِعُ
٢٦٠ وَجَاءَ أَيْضًا فِي مَعْنَاهُ :

وَأَخْرَسَ يَنْطِقُ بِالْحِكْمَاتِ وَجُثْمَانُهُ صَامِتٌ أَجَوَفٌ
بِمَكَّةَ يَنْطِقُ فِي خُفْيَةٍ وَبِالشَّامِ مَنْطِقُهُ يُعْرَفُ
٢٦١ قَالَ آخِرُ مُلْتَزَا فِي دَوَاةٍ :

وَمَرْضَعَةٌ أَوْلَادَهَا بَنَدٌ ذَنْجَمٌ لَهَا لَبَنٌ مَا لَذَّ يَوْمًا لِشَارِبٍ
وَفِي بَطْنِهَا السَّكِينُ وَالَّذِي رَأَتْهَا وَأَوْلَادَهَا مَذْخُورَةٌ لِلنَّوَابِ
٢٦٢ وَأَنْتَزَعَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ التَّائِمِذِ الطَّيِّبُ النَّصْرَانِيُّ فِي الْمِيزَانِ :

مَا وَاحِدٌ مُتَّخِلِفُ الْأَسْمَاءِ يَمْدُلُ فِي الْأَرْضِ وَفِي السَّمَاءِ
يُخَكِّمُ بِالْقِسْطِ بِلا رِيَاءِ أَعْمَى يُرِي الْإِرْشَادَ كُلَّ رَأَى
أَخْرَسُ لَا مِنْ عِلَّةٍ وَدَاءِ يُغْنِي عَنِ التَّصْرِيحِ بِالْإِيمَانِ
يُجِيبُ إِنْ تَادَاهُ ذُو أَمْتَرَاءِ بِالرَّفْعِ وَالْخَفْضِ عَنِ النِّدَاءِ
يُفَصِّحُ إِنْ عَلِقَ فِي الْهَوَاءِ

٢٦٣ قَالَ آخِرُ فِي الْبَيْضَةِ :

أَلَا قُلْ لِأَهْلِ الرَّأْيِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَكُلِّ بَصِيرٍ بِالْأُمُورِ لَدَى أَرْبٍ
أَلَا خَبَرُونِي أَيَّ شَيْءٍ رَأَيْتُمْ مِنْ الطَّيْرِ فِي أَرْضِ الْأَعَاجِمِ وَالْعَرَبِ
قَدِيمٌ حَدِيثٌ قَدْ بَدَأَ وَهُوَ حَاضِرٌ يُصَادُ بِالْأَصِيدِ وَإِنْ جَدَّ فِي الطَّابِ

وَيُكَلِّلُ أَحْيَانًا طَلِيحًا وَتَارَةً قَلِيًّا وَشَوِيًّا إِذَا دُسَّ فِي الْأَهَبِ
وَلَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَلَيْسَ لَهُ دَمٌ وَلَيْسَ لَهُ عَظْمٌ وَلَيْسَ لَهُ عَصَبٌ
وَلَيْسَ لَهُ رِجْلٌ وَلَيْسَ لَهُ يَدٌ وَلَيْسَ لَهُ رَأْسٌ وَلَيْسَ لَهُ ذَنْبٌ
وَلَا هُوَ حَيٌّ وَلَا هُوَ مَيِّتٌ أَلَا خَيْرُ نَفْسٍ إِنَّ هَذَا هُوَ الْعَجَبُ
٢٦٤ أَلْفَرَّ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ الْحُشَابِ الْبَغْدَادِيُّ فِي كِتَابِهِ :

وَذِي أَوْجِهِ أَكْبَهُ عَيْرٌ بِأَنْحِيسِرَ وَذُو الْوَجْهِينِ لِلْسِرِّ مُظْهِرٌ
تُنَاجِيكَ بِالْأَسْرَارِ أَمْرَارٌ وَجْهِهِ فَتَسْمَعُهَا بِالْعَيْنِ مَا دُمْتَ تَنْظُرُ
٢٦٥ قُلْعٌ لِأَسَامَةِ بْنِ الْمُتَقِدِّ ضَرْسٌ قُتِلَ فِيهِ مُلْغَرًا :

وَصَاحِبٌ لَا أَمَلَ الدَّهْرِ صُحْبَتُهُ يَشْتَقِي لِنَفْعِي وَيَسْمَى سَفَى مُجْتَهِدِ
لَمْ أَلْقَهُ مِذَّ تَصَاحُبًا فَحِينَ بَدَأَ لِلنَّظَرِيِّ أَفْتَرَفَا فُرْقَةً الْأَبَدِ
٢٦٦ أَلْفَرَّ ابْنُ زَكْرِيَّا بْنِ سَلَاةٍ الْخَصَكِيُّ فِي نَفْسِ الْمَوْتَى :

أَتَرَفُ شَيْئًا فِي السَّمَاءِ تَظْهِرُهُ إِذَا سَادَ صَاحُ النَّاسِ حَيْثُ لَيْسِيرُ
فَتَلْقَاهُ مَرْكُوبًا وَتَلْقَاهُ رَاكِبًا وَكُلُّ أَمِيرٍ يَمْتَلِيهِ أَسِيرُ
يَحْضُ عَلَى التَّقْوَى وَيَكْرَهُ قُرْبَهُ وَيَنْفَرُ مِنْهُ النَّفْسُ وَهُوَ نَذِيرُ
وَلَمْ يُسْتَرْزَعَنْ رَغْبَةً فِي زِيَارَةٍ وَلَكِنْ عَلَى رَغَمِ الْمُزُورِ يَرُودُ
٢٦٧ وَقَدْ أَحْسَنَ الصَّاحِبُ بِهِاءَ الدِّينِ زُهَيْرٌ وَزِيرُ الْمَلِكِ الصَّالِحِ

مُلْغَرًا فِي فُفْلٍ :

وَأَسْوَدَ عَارِ الْأَحْمَلِ الْبَرْدُ جِسْمُهُ وَمَا زَالَ مِنْ أَوْصَافِهِ الْحِرْصُ وَالنَّمْعُ
وَأَعْجَبُ شَيْءٍ كَوْنُهُ الدَّهْرَ حَارِسًا وَلَيْسَ لَهُ عَيْنٌ وَلَيْسَ لَهُ سَمْعٌ

٢٦٨ أَنْزَلْنِي طَاحُوتٍ :

وَمُسْرَعَةٍ فِي سَيْرِهَا طُولَ دَهْرِهَا
وَفِي سَيْرِهَا مَا تَقْطَعُ الْأَكْلَ سَاعَةً
وَمَا قَطَعَتْ فِي السَّيْرِ خَمْسَةَ أَذْرُعٍ
وَلَا تُنْثَنِي مِنْ ذِرَاعٍ وَلَا أَقْرَبُ

٢٦٩ قَالَ بَعْضُهُمْ فِي حِذَاءِ :

مَطِيَّةٌ قَارِسُهَا رَاجِلٌ
وَأَقْفُهُ فِي الْبَابِ مَرْدُودَةٌ
تَحْمِلُهُ وَهُوَ لَهَا حَامِلٌ
لَا تَشْرَبُ الدَّهْرَ وَلَا تَأْكُلُ

٢٧٠ قَالَ غَيْرُهُ فِي الْمَوْزِ :

مَا أَسْمُ شَيْءٍ فَحَسَنَ شَكْلُهُ
تَرَاهُ مَعْدُودًا فَإِنْ زِدْتَهُ
تَلْقَاهُ عِنْدَ النَّاسِ مَوْزُونًا
وَأَوَّا وَنُونًا صَارَ مَوْزُونًا

٢٧١ قَالَ آخَرُ فِي النَّارِ :

أَيُّ صَغِيرٍ يَشْوِي عَلَى عَجَلٍ
يَغْلِبُ أَقْوَى جِسْمٍ وَيَغْلِبُهُ
يَعِيشُ بِالرَّيْحِ وَهِيَ تُهْلِكُهُ
أَضْعَفُ جِسْمٍ بِحَيْثُ يُدْرِكُهُ

٢٧٢ أَنْزَلَ آخَرُ فِي يَدِ الْهَآوِنِ :

خَبَّرَنِي أَيُّ شَيْءٍ أَوْسَعُ مَا فِيهِ قُمْهُ
وَأَبْنُهُ فِي بَطْنِهِ
وَقَدْ عَلَا صِيَاحُهُ
وَلَمْ يَجِدْ مَنْ يَزِجُهُ

٢٧٣ وَقَالَ آخَرُ فِي الْإِبْرَةِ :

وَذَاتِ ذَوَائِبٍ تَنْجُرُ طُولًا
وَرَاهَا فِي الْحِجَى وَفِي الدَّهَابِ

يَعْنِي لَمْ تَذُقِ النَّوْمَ طَعْمًا وَلَا ذَرَفْتَ لَدَمَ ذِي الْأَسْكَابِ
وَمَا لَسْتَ مَدَى الْأَيَّامِ قَوْبًا وَتَكْسُو النَّاسَ أَنْوَاعَ الثِّيَابِ
٢٧٤ أَلْفَزُ الصَّلَاحِ الصَّفْدِيِّ فِي عِيدِ :

يَا كَاتِبًا بِفَضْلِهِ كُلُّ أَدِيبٍ يَشْهَدُ
مَا أَسْمُ عَلِيلٌ وَقَلْبُهُ وَفَضْلُهُ لَا يُحْجَدُ
لَيْسَ بِذِي جِسْمٍ يُرَى وَفِيهِ عَيْنٌ وَيدُ
٢٧٥ قَالَ آخِرُ فِي غَزَالِ :

إِسْمٌ مِنْ هَاجٍ خَاطِرِي أَرْبَعٌ فِي صُنُوفِهِ
فَإِذَا زَالَ رُبْعُهُ زَالَ بَاقِي حُرُوفِهِ
٢٧٦ قَالَ آخِرُ فِي الْمَاءِ :

يُمِيتُ وَيُحْيِي وَهُوَ مِيتٌ بِنَفْسِهِ وَيَمِشِي بِلَا رِجْلٍ إِلَى كُلِّ جَانِبٍ
يُرَى فِي حَضْبِ الْأَرْضِ طُورًا وَآوَارَةً نَرَاهُ تَسَاوَى فَوْقَ طُورِ السَّمَاءِ
٢٧٧ قَالَ آخِرُ فِي مِصْرَاعِ الْبَابِ :

عَجِبْتُ لِحُرُومَيْنِ مِنْ كَلِّ لَذَّةٍ يَدِيتَانِ طُولِ الْأَيْلِ يَمْتَتِقَانِ
إِذَا أَمْسَيَا كَانَا عَلَى النَّاسِ مَرَصِدًا وَعِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ يَفْتَرِقَانِ
٢٧٨ قَالَ عَيْرُهُ فِي نَارِ :

وَمَا أَسْمُ ثُلَاثِي لَهُ النَّفْعُ وَالضَّرَرُ لَهُ طَلْعَةٌ تُنْثِي عَنِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
وَلَيْسَ لَهُ وَجْهٌ وَلَيْسَ لَهُ قَهَا وَلَيْسَ لَهُ تَمَعٌ وَلَيْسَ لَهُ بَصَرُ

الْبَابُ الثَّلَاثَ عَشَرَ فِي الْوَصْفِ

٢٧٩ وَصَفَ الْيُوسُفِيُّ غُلَامًا قَالُ: يَبْرُفُ الْمُرَادَ بِاللُّغْظِ. كَمَا رَفَعَهُ
بِاللُّغْظِ. وَيُبَايِنُ فِي النَّاطِرِ. مَا يَجْرِي فِي الْخَاطِرِ. يَبِي الثُّنْجِ قَرْضًا
يَجِبُ أَدَاؤُهُ. وَالْإِحْسَانُ حَتْمًا يَزُومُ قَضَاؤُهُ. إِنْ اسْتَفْرَغَ فِي الْخِدْمَةِ
جَهْدَهُ. خِيلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ بَدَلَ عَفْوِهِ. أَثَبْتُ مِنَ الْجِدَارِ إِذَا اسْتَجْمَلَ.
(للشاعري)

٢٨٠ تَقَلَّمَ رَجُلٌ لِلْمَأْمُونِ مِنْ عَامِلٍ لَهُ قَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
مَا تَرَكَ لِنَافِضَةٍ إِلَّا قَضَاهَا. وَلَا ذَهَبًا إِلَّا ذَهَبَ بِهِ. وَلَا مَاشِيَةً إِلَّا
مَشَى بِهَا. وَلَا غَلَّةً إِلَّا غَلَّمَهَا. وَلَا ضَيْعَةً إِلَّا أَضَاعَهَا. وَلَا عَمَلًا إِلَّا
عَقَلَهُ. وَلَا عِرْضًا إِلَّا عَرَضَ لَهُ. وَلَا جَبِيلًا إِلَّا أَجَلَهُ. وَلَا دَقِيقًا إِلَّا
أَدَقَّهُ. فَحَبَّ الْمَأْمُونُ مِنْ فَصَاحَتِهِ وَقَضَى حَاجَتَهُ (الشمريني)

٢٨١ حَدَّثَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ قَوْلَ: أَجْرِي هَارُونَ الرَّشِيدُ الْخُبْلَ فَجَاءَ
فَرَسٌ يُدَالُّ لَهُ الْمُسْتَمِرُّ سَابِقًا. وَكَانَ الرَّشِيدُ مُعْجَبًا بِذَلِكَ الْقَرَسِ.
فَأَمَرَ الشُّعْرَاءَ أَنْ يَقُولُوا فِيهِ. فَبَدَرَهُمْ أَبُو الْمَتَاهِيَةِ قَالُ:

جَاءَ الْمُسْتَمِرُّ وَالْأَفْرَاسُ يَمُدُّهَا هَوْنًا عَلَى رِسْلِهِ مِنْهَا وَمَا انْبَهَرَ
وَحَلَفَ الرِّيحُ حَسْرَى وَهِيَ جَاهِدُهُ وَمَرَّ يَخْتَفُ الْأَبْصَارُ وَالْأَنْظَرُ
فَأَجَزَلُ صِلَتِهِ وَمَا جَسَرَ أَحَدٌ أَنْ يُجِيزَ أَبَا الْمَتَاهِيَةِ (الاعلاني)

٢٨٢ لَقِيَ الْحُجَّاجُ أَعْرَابِيًّا فَقَالَ لَهُ: مَا بِيَدِكَ. فَقَالَ: عَصَايَ أَرْكُزُهَا
لِصَّلَاتِي. وَأَعِدُّهَا لِمُدَاتِي. وَأَسُوقُ بِهَا دَابَّتِي. وَأَقْوَى بِهَا عَلَى سَفَرِي.
وَأَعْتَمِدُ عَلَيْهَا فِي مَشْيِي يَتَسَعُ خَطْوِي. وَأَتَبُّ بِهَا عَلَى النَّهْرِ. وَتَوَكِّلُنِي
أَلَمَرُّ. وَالَّتِي عَلَيْهَا كِسَاتِي. فَيَقِينِي الْحَرَّ. وَيَجْتَنِبُنِي الْقُرَّ. وَتُنْذِرُنِي إِلَى مَا
بَعْدَ عَنِّي. وَهِيَ تَحْمِلُ سَفَرَتِي. وَعَلَاقَةُ أَدَوَاتِي. أَفْرَعُ بِهَا الْأَبْوَابَ.
وَأَلْقِي بِهَا عَمُورَ الْكِلَابِ. وَتُثَوِّبُ عَنِ الرَّيْحِ الطَّعْنَ. وَعَنِ السَّيْفِ
عِنْدَ مُنَازَلَةِ الْأَقْرَانِ. وَرِثْتَهَا عَنْ أَبِي وَسَآوَرْتُهَا أَنِّي مِنْ بَعْدِي.
وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي. وَلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى. فَهِيَ الْحُجَّاجُ
وَأَنْصَرَفَ (لبهاء الدين)

٢٨٣ ذَمَّ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ: إِنْ سَأَلَ الْحَفَّ. وَإِنْ سُئِلَ سَوَّفَ.
وَإِنْ حَدَّثَ حَلَفَ. وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ. وَإِذَا صَنَعَ أَتَفَ. وَإِذَا طَلَعَ
أَقْرَفَ. وَإِذَا سَامَرَ نَشَفَ. وَإِذَا نَامَ خَوَّفَ. وَإِذَا هَمَّ بِالْفِعْلِ الْجَمِيلِ
تَوَقَّفَ. يَنْظُرُ نَظْرَ الْحُسُودِ. وَيُعْرِضُ إِعْرَاضَ الْحُمُودِ. بَيْنَمَا هُوَ خَلٌّ
وَدُودٌ. إِذَا هُوَ خَلٌّ وَدُودٌ. فَنَاوَهُ شَاسِعٌ. وَضَيْقُهُ جَانِعٌ. وَشَرُّهُ
شَاسِعٌ. وَسِرُّهُ ذَانِعٌ. وَلَوْ نُهُ فَاقِعٌ. وَجَفَنُهُ دَامِعٌ. وَدِيَارُهُ بَلَّاقِعٌ. رَدِي
الْمُنْظَرِ سَيِّئُ الْخَبَرِ. يَجُلُّ إِذَا أَيْسَرَ. وَيَهْلَعُ إِذَا أَعْسَرَ. وَيَكْذِبُ إِذَا
أَخْبَرَ. وَيَكْفُرُ إِذَا كَبَّرَ. إِنْ عَاهَدَ غَدَرَ. وَإِنْ خَاصَمَ فَجَرَ. وَإِنْ حَمَلَ
أَوْقَرَ. وَإِنْ خُوِطِبَ نَفَرَ

٢٨٤ سُئِلَ سَنَاقِدِسٌ عَنِ الْمَرْكَبِ فَكَتَبَ: بَيْتٌ بِلَا أَسَاسٍ. قَبْرٌ مُؤَلَّفٌ.

وَسُئِلَ عَنِ اللَّهِ سُجَّانَهُ فَكُتِبَ : مَثْمُولٌ مَجْهُولٌ . وَاحِدٌ لَا نَظِيرَ لَهُ مَطْلُوبٌ
 غَيْرُ مَذْرُوكٍ سُجَّانُهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . وَسُئِلَ عَنِ الْمَوْتِ فَكُتِبَ : قَوْمٌ لَا
 أَنْبَاءَ مَعَهُ رَاحَةُ الْمَرْضَى . نَقِيزُ الْبَلِيَّةِ . أَنْفِصَالُ الْأَتِّصَالِ .
 الرَّجُوعُ إِلَى الْغَضَبِ . شَهْوَةُ الْفُقَرَاءِ . فَرْعُ الْأَغْنِيَاءِ . سَفَرُ الْبَدَنِ .
 قُتْدَانُ الْأَخْوَانِ . وَسُئِلَ عَنِ الْهَرَمِ فَكُتِبَ : شَرٌّ يُتَّقَى . مَرَضٌ
 الْأَصْحَاءِ . مَوْتُ الْحَيَاةِ . صَاحِبُهُ مَيِّتٌ يَتَحَرَّكُ . وَسُئِلَ عَنِ الْمَالِ
 فَكُتِبَ : خَادِمُ الشَّهَوَاتِ . هَمٌّ فِي كُلِّ يَوْمٍ . شَرٌّ مَحْبُوبٌ . وَسُئِلَ عَنِ
 الْحُسْنِ فَكُتِبَ : تَصَوُّيرِي طَبِيعِي . زَهْرَةٌ تَذْبُلُ . وَسُئِلَ عَنِ الشَّمْسِ
 فَكُتِبَ : عَيْنُ الْفَلَكَ النَّهَارِيِّ . عِلَّةُ الْعَوَرَاتِ . وَسَبَبُ الثَّمَرَاتِ . وَعَنِ
 الْقَمَرِ فَكُتِبَ : عَقِيبُ الشَّمْسِ . سِرَاجٌ لَيْلِي . وَسُئِلَ عَنِ الْإِنْسَانِ فَكُتِبَ :
 مَلْعَبَةُ الْبُخْتِ . مَطْلُوبُ السَّيْنِ . أَمْنِيَّةُ الْأَرْضِ . وَسُئِلَ عَنِ الْأَرْضِ
 فَكُتِبَ : قَاعِدَةُ الْفَلَكَ . (عَلَى زَعَمِ الْأَقْدَمِينَ) أَصْلٌ ثَابِتٌ فِي الْهَوَاءِ .
 أُمُّ الثَّمَرَاتِ . وَسُئِلَ عَنِ الْفَلَاحِ فَكُتِبَ : خَادِمُ الْغِذَاءِ . وَسُئِلَ عَنِ
 الْأَعْدَاءِ فَكُتِبَ :

إِنِّي بُلِيتُ بِأَرْبَعٍ لَمْ يُخْلَفُوا إِلَّا لِشِدَّةِ شَقَوَتِي وَعَنَانِي
 إِبْلِيسُ وَالْذُّنْيَا وَنَفْسِي وَالْهَوَى كَيْفَ الْخُلَاصُ وَكُلُّهُمْ أَعْدَائِي
 ٢٨٥ وَصَفَ الْكَاتِبُ مُحَمَّدٌ كَاتِبًا فَقَالَ : وَهَذَا فَلَانُ آتَاهُ اللَّهُ
 الْحِكْمَةَ وَفَضَلَ الْخُطَابِ . وَمَكَّنَهُ مِنْ أَرْمَةِ جِيَادِ الْمُعَانِي . فَهِيَ تَجْرِي
 بِأَمْرِ رُخَاءٍ حَيْثُ أَصَابَ . وَمَنْحُهُ فَضِيلَتِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ . فَإِذَا كُتِبَ

أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأَزْيَنَتْ (الكنز المدفون)

٢٨٦ : يَقْدُ أَحْسَنَ الشَّاعِرُ فِي وَصْفِ الطَّائُوسِ حَيْثُ قَالَ :

سُبْحَانَ مَنْ مِنْ خَلْقِهِ الطَّائُوسُ طَيْرٌ عَلَى أَشْكَالِهِ رَيْسُ
كُشْرُقٍ فِي دَارَاتِهِ تُمُوسُ فِي الرَّأْسِ مِنْهُ شَجَرٌ مَفْرُوسُ
كَأَنَّهُ بِنَفْسِهِ يَمِيسُ أَوْ هُوَ زَهْرٌ حَرَمٍ يَبِيسُ

٢٨٧ قَالَ بَعْضُهُمْ فِي وَصْفِ الْفُسْقِ :

كَأَنَّمَا الْفُسْقُ الْمَلُوحُ حِينَ بَدَأَ مُشَقَّاتًا فِي لَطِيفَاتِ الطَّلَافِيرِ
وَاللَّبِّ مَا بَيْنَ قَشْرَيْهِ يَلُوحُ لَنَا كَأَنَّهُ الطَّيْرُ مَا بَيْنَ الْمُنَاقِيرِ

٢٨٨ وَقِيلَ فِي الْفُسْقِ أَيْضًا :

تَمَكَّرْتُ فِي مَعْنَى أَتِمَارٍ فَلَمْ أَجِدْ لَهَا ثَمَرًا يَبْدُو بِحُسْنٍ مُجَرَّدٍ
سِوَى الْفُسْقِ الرُّطْبِ الْجَنِيِّ فَإِنَّهُ زَهًا يَمَعَانُ زَيْتٌ بِجَرْدٍ
غَالِلَةٌ مَرَجَانٍ عَلَى جِسْمٍ فَضَّةٍ وَأَحْشَاءُ يَأْقُوتٍ وَقَابُ زَرْجَدٍ

٢٨٩ قَالَ ابْنُ الْأَرَمَوِيِّ يَصِفُ الْجَلْنَارَ :

بَدَانَا الْجَلْنَارُ فِي الْفُضْبِ وَالطَّلُّ يَبْدُو عَلَيْهِ كَالْحَبِّ
كَأَنَّمَا أَكْخُوسُ الْعَمِيقِ بِهِ قَدْ مَلَأَتْ مِنْ بُرَادَةِ الذَّهَبِ

٢٩٠ وَمِمَّا جَاءَ فِي وَصْفِ الْأَزْهَارِ وَالرَّيْعِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

غَدَوْنَا عَلَى الرَّوْضِ الَّذِي طَلَّهُ الْتَدَى سُحَيْرًا وَأَوْدَاجُ الْأَبَارِقِ تُسَمِّكُ
فَلَمْ تَرَ شَيْئًا كَانَ أَحْسَنَ مَنْظَرًا مِنْ أَنْوَارٍ يَجْرِي دَمْعُهُ وَهُوَ يَضْحَكُ

٢٩١ قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ الرَّيْعَ :

مَرْحَبًا بِالرَّيِّعِ فِي آذَارٍ وَيَإْشِرَاقِ بَهْجَةِ الْأَنْوَارِ
مِنْ شَقِيقٍ وَأَقْحَوَانٍ وَوَرْدٍ وَخَزَامٍ وَزَجِسٍ وَبَهَارٍ
٢٩٢ قَالَ غَيْرُهُ :

أَمَاتَرَى الْأَرْضَ قَدْ أَعْطَيْتُكَ زَهْرَتَهَا بِمُحْضَرَةٍ وَأَكْتَسَى بِالنُّورِ عَارِيَهَا
فَلِسَّمَاءُ بُكَاءٍ فِي جَوَانِبِهَا وَالرَّيِّعُ أَنْبَسَامُ فِي نَوَاحِيهَا
٢٩٣ قَالَ آخَرُ فِي الْغَدَامِ :

إِنَّ السَّمَاءَ إِذَا لَمْ تَبْكْ مُثْلَهَا لَمْ تَعْطِكِ الْأَرْضُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ الزَّهْرِ
وَالْأَرْضُ لَا تَعْمَلُ أَنْوَارَهَا أَبَدًا إِلَّا إِذَا رَمَدَتْ مِنْ شِدَّةِ الْمَطَرِ
٢٩٤ قَالَ أَبُو الْحَزَمِ بْنِ جَهْوَرٍ فِي الْوَرْدِ :

الْوَرْدُ أَحْسَنُ مَا رَأَتْ عَيْنِي وَأَذَى كَمَا سَقَى مَا السَّحَابُ الْجَاوِدُ
خَصَمَتْ نَوَازِيرُ الرِّيَاضِ لِحُسْنِهِ قَدْ لَأَتْ تَنْقَادُ وَهِيَ شَوَارِدُ
وَإِذَا تَبَدَّى الْقَصُ فِي أَغْصَانِهِ يَزْهُو قَدْ أَمِيتُ وَهَذَا حَاسِدُ
وَإِذَا أَتَى وَقْدَ الرَّيِّعِ مُبَشِّرًا يَطْلُوعُ وَقْدَتِهِ فَنَعَمَ الْوَافِدُ
لَيْسَ الْمُبَشِّرُ كَالْمُبَشِّرِ بِأَنِيهِ خَبَرُ عَلَيْهِ مِنَ الذُّبُورَةِ شَاهِدُ
وَإِذَا تَعَرَّى الْوَرْدُ مِنْ أَوْرَاقِهِ بَقِيَتْ عَوَرِفُهُ فَهَنْ خَوَالِدُ
٢٩٥ قَالَ آخَرُ فِي الْيَاسَمِينِ :

وَالْأَرْضُ تَبْسِمُ عَنْ ثُغُورِ رِيَاضِهَا وَالْأَفْقُ يُسْفِرُ نَارَةَ وَيُقْطَبُ
وَكَأَنَّ مَحْضَرَ الرِّيَاضِ مَلَاءَةٌ وَالْيَاسَمِينُ لَهَا طِرَازُ مُذْهَبُ
٢٩٦ قَالَ الْأَخْطَلُ الْأَهْوَازِيُّ فِي السُّوسَنِ :

سَمَاءَ الْأَرْضِ إِذَا مَا نَمَتْ تُبْهِئِي بَعْدَ الْهُدُوءِ بِهَا قَرْعُ النُّوَاقِيسِ
كَأَنَّ سُوسَهَا فِي كُلِّ شَارِقَةٍ عَلَى الْمِيَادِينِ أَذْنَابُ الطُّوَائِسِ
٢٩٧ وَقِيلَ فِي السَّفَرَجَلِ :

حَازَ السَّفَرَجَلُ لَذَاتِ الْوَرَى قَنَدًا عَلَى الْقَوَائِكِ بِالتَّفْضِيلِ مَشْهُورًا
كَالْأَرَاكِ طَعْمًا وَشَمَّ الْإِسْكِ رَائِحَةً وَالتَّيْرِ لَوْنًا وَشَكْلَ الْبَدْرِ تَدْوِيرًا
٢٩٨ وَقِيلَ فِي الْخَوْخِ :

وَرِمَاحُ بِغَيْرِ طَعْنٍ وَضَرْبٍ بَلْ لَا تَكُلْ وَمَصْرُوبٍ وَرَشْفٍ
كَمَلَتْ فِي أَسْتَوَانِهَا وَأَسْتَقَامَتْ بِإِعْتِدَالٍ وَحُسْنٍ قَدْرٍ وَلُطْفٍ
٢٩٩ قَالَ آخِرُ يَصِفُ نَاعُورَةَ :

وَنَاعُورَةَ قَالَتْ وَقَدْ حَالَ لَوْنُهَا وَأَضْلَمَهَا كَادَتْ تُعَذُّ مِنَ الشُّمِّ
أَدُورُ عَلَى قَلْبِي لِأَنِّي قَدَدْتُهُ وَأَمَّا دُمُوعِي فَهِيَ تَجْرِي عَلَى جَنْبِي
٣٠٠ قَالَ الْبُخَيْرِيُّ يَصِفُ الشَّامَ :

عُنِيتُ بِشَرْقِ الْأَرْضِ قَدَمًا وَغَرْبِهَا أَجُوبُ إِلَى آفَاقِهَا وَأَسِيرُهَا
فَلَمْ أَرْ مِثْلَ الشَّامِ دَارَ إِقَامَةٍ لِأَرَاكِ أَغَادِيهَا وَكَأْسَ أُدِيرُهَا
مَصْحَةُ أَبْدَانٍ وَزُهْرَةُ أَعْيُنٍ وَلَهُوَ لِنَفْسِي دَائِمٌ لِي سُرُورُهَا
مُقَدَّسَةٌ جَادَ الرَّيِّعُ بِإِلَادِهَا قَبِي كُلِّ أَرْضٍ رَوْضَةٌ وَغَدِيرُهَا
٣٠١ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ الشَّطْرَنْجِ قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَرِّ :

يَا عَائِبَ الشَّطْرَنْجِ مِنْ جَهْلِهِ وَلَيْسَ فِي الشَّطْرَنْجِ مِنْ بَاسٍ
فِي قَهْمِهَا عِلْمٌ وَفِي لُغِيهَا شُغْلٌ عَنِ الْغِيَةِ لِلنَّاسِ

وَتَشْفُلُ أَلْهَامَ عَنْ حُزْنِهِ وَصَاحِبَ الْكَاسِ عَنِ الْكَاسِ
وَصَاحِبَ الْحَرْبِ بِتَدْيِيرِهَا يَزْدَادُ فِي الشَّدَةِ وَالْبَاسِ
وَأَهْلَهَا فِي حُسْنِ آدَابِهِمْ مِنْ خَيْرِ أَصْحَابِ وَجُلَاسِ
٣٠٢ وَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ فِي وَصْفِ وَبَرِّ كَثِيرِ التَّلَوْنِ :

مُقِيلٌ مُدِيرٌ بَعِيدٌ قَرِيبٌ مُحْسِنٌ مُذْبِبٌ عَدُوٌّ حَبِيبٌ
عَجَبٌ مِنْ عَجَابِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَنَوْعُ وَرْدٍ وَشَكْلُ غَرِيبٍ
٣٠٣ قَالَ إِنْ حَاقَ ابْنُ خَلْفِ الْبَهْرَانِيِّ فِي وَصْفِ النَّحْوِ :

النَّحْوُ يُضِلُّ مِنْ لِسَانِ الْأَلَكْنِ وَالزَّمَنُ تُنْظِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ
فَإِذَا طَلَبْتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجَلَهَا فَأَجَلُهَا مِنْهَا مُقِيمُ الْأَلْسُنِ
٣٠٤ وَصَفَ ابْنُ شَيْرَوَيْهِ الْحُمَى قَالَ :

وَزَايِرُهُ زُرُورٌ بِلَا رَقِيبٍ وَتَنْزِيلُ الْبَالِقَى مِنْ غَيْرِ حَبِ
وَمَا أَحَدٌ حُبُّ الْقُرْبِ مِنْهَا وَلَا تَحْلُو زِيَارَتُهَا بِقَالِهِ
تَبَيْتُ بِبَاطِنِ الْأَخْشَاءِ مِنْهُ وَيَطْلُبُ بَعْدَهَا مِنْ عِظَمِ كَرَمِهِ
وَتَنْعَمُهُ لَذِيذُ الْعَيْنِ حَتَّى تُنْقَضَ بِمَأْكَلِهِ وَشَرِبِهِ
أَنْتَ لِي زِيَارَتِي مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ وَكَمْ مِنْ زَائِرٍ لَا مَرْحَا بِهِ
قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَصِفُ فِرَاقَ الْخُلَانِ :

أَلْهَابُ مِنْ قُرْفَةِ الْخُلَانِ يَحْتَرِقُ وَالْدَّمْعُ كَالدَّرِّ فِي الْخَدَيْنِ بَسْتَقِ
إِنْ قَاضَ مَا دُوِّعِي لَمْ يَكُنْ عَجَبًا أَلْعُودُ يَقْطُرُ مَاءً وَهُوَ مُحْتَرِقُ

الْبَابُ الرَّابِعُ عَشَرَ فِي الْحِكَايَاتِ

ابن الزبيرى و معاوية

٣٠٥ كَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَرْضٌ وَكَانَ لَهُ فِيهَا عَيْدٌ يَعْمَلُونَ فِيهَا .
وَالِى جَانِبِهَا أَرْضُ مُعَاوِيَةَ وَفِيهَا أَيْضًا عَيْدٌ يَعْمَلُونَ فِيهَا . قَدْ خَلَّ عَيْدُ
مُعَاوِيَةَ فِي أَرْضِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ كِتَابًا إِلَى مُعَاوِيَةَ
يَقُولُ لَهُ فِيهِ : أَمَّا بَعْدُ يَا مُعَاوِيَةُ فَإِنَّ عَيْدَكَ قَدْ دَخَلُوا فِي أَرْضِي .
فَأَنَّهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَالْأَكَاثِلِ وَالْكَشَاةِ وَالسَّلَامِ . فَلَمَّا وَقَفَ مُعَاوِيَةُ
عَلَى كِتَابِهِ وَقَرَأَهُ دَفَعَهُ إِلَى وَلَدِهِ يَدَهُ . فَلَمَّا قَرَأَهُ قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : يَا بُنَيَّ
مَا تَرَى . قَالَ : أُرَى أَنْ تَبْعَثَ إِلَيْهِ جَيْشًا يَكُونُ أَوَّلُهُ عِنْدَهُ وَآخِرُهُ
عِنْدَكَ يَا تَوْنِكَ بِرَأْسِهِ . فَقَالَ : بَلْ نَيْرُ ذَلِكَ خَيْرٌ مِنْهُ يَا بُنَيَّ . ثُمَّ أَخَذَ
وَرَقَةً وَكَتَبَ فِيهَا جَوَابَ كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ يَقُولُ فِيهِ : أَمَّا
بَعْدُ فَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ وَلَدِ حَوَارِي وَسَاءَ فِي مَا سَاءَ . وَالذُّنُوبُ
بِأَسْرَها هَمِيَّتُهُ عِنْدِي فِي جَنْبِ رِضَاهُ . تَرَأْتُ عَنْ أَرْضِي لَكَ فَاضْنُوسًا
إِلَى أَرْضِكَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْعَيْدِ وَالْأَمْوَالِ وَالسَّلَامِ . فَلَمَّا وَقَفَ عَبْدُ
اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَلَى كِتَابِ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْهِ : قَدْ وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ وَلَا أَعْدَمُهُ الرَّأْيَ الَّذِي أَحْلَاهُ مِنْ
رَبِّسِ هَذَا الْجَلِّ وَالسَّلَامِ . فَلَمَّا وَقَفَ مُعَاوِيَةُ عَلَى كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

الرُّبَيْرَ وَقَرَأَهُ رَقًى بِهِ إِلَى ابْنِهِ بَرِيدَ . فَلَمَّا قَرَأَهُ تَهَلَّلَ وَجْهُهُ وَأَسْفَرَ .
فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : يَا بُنَيَّ مَنْ عَفَا سَادَ . وَمَنْ حَلَمَ عَظُمَ . وَمَنْ تَجَاوَزَ أَسْتَمَالَ
إِلَيْهِ الْقُلُوبَ . فَإِذَا أَتَيْتَ إِشْيَ مِنْ هَذِهِ الْأَدْوَاءِ . فِدَاوِهِ يَمِثُلُ
هَذَا الدَّوَاءِ

النَّصُورُ وَمُحَمَّدُ بْنُ جَنْفَرٍ

٣٠٦ قِيلَ : كَانَ النَّصُورُ مُعْجَبًا بِمُحَمَّدٍ بْنِ جَنْفَرٍ وَلِإِظْمَ قَدْرِهِ
يَنْفَرُ عَنْ إِلَيْهِ فِي الشَّفَاعَاتِ . فَفَعَّلَ ذَلِكَ عَلَى النَّصُورِ فَحَبَّبَهُ مُدَّةً . ثُمَّ
لَمْ يَصْبِرْ عَنْهُ . فَأَمَرَ الرَّبِيعَ أَنْ يُكَلِّمَهُ فِي ذَلِكَ فَكَلَّمَهُ وَقَالَ : أَعَفُ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تُثْقِلْ عَلَيْهِ فِي الشَّفَاعَاتِ . فَقَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ . فَلَمَّا تَوَجَّهَ
إِلَى الْبَابِ أَعْتَرَضَهُ قَوْمٌ مِنْ قُرَيْشٍ مَعَهُمْ رِقَاعٌ فَسَأَلُوهُ إِيصَالَهَا إِلَى
النَّصُورِ . فَقَصَّ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ فَأَبَوْا إِلَّا أَنْ يَأْخُذَهَا . فَقَالَ : أَقْذِفُوهَا
فِي سُبْحِي . ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الْخَضِرَاءِ مُشْرِفٌ عَلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ
وَمَا حَوْلَهَا مِنَ الْأَسَايِينِ . فَقَالَ لَهُ : أَمَا تَرَى إِلَى حُسْنِهَا يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ .
فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا أَنَاكَ وَهَنَّاكَ بِإِثْمَامِ نِعْمَتِهِ
عَلَيْكَ فِيمَا أَعْطَاكَ . فَمَا بَلَّتِ الْعَرَبُ فِي دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ وَلَا الْعَجَمُ فِي
سَائِلِ الْأَيَّامِ أَحْصَنَ وَلَا أَحْسَنَ مِنْ مَدِينَتِكَ وَلَكِنْ سَجَّتْهَا فِي عَيْنِي
خَصْلَةً . قَالَ : وَمَا هِيَ . قَالَ : لَيْسَ لِي فِيهَا ضِيْعَةٌ . فَتَبَسَّمَ وَقَالَ :
قَدْ حَسَّنْتُهَا فِي عَيْنِكَ بِثَلَاثِ ضِيَاعٍ قَدْ أَقْطَعْتُكُمْهَا . فَقَالَ : اللَّهُ دَرَكُ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّكَ شَرِيفُ الْمَوَارِدِ كَرِيمُ الْمَصَادِرِ . فَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى

بِأَيِّ عَمْرِكَ أَكْثَرَ مِنْ مَا ضِيَهُ . ثُمَّ قَامَ مَعَهُ يَوْمَهُ ذَلِكَ . فَلَمَّا نَهَضَ
لِيَقُومَ بَدَتْ الرِّقَاعُ مِنْ كَتَمِهِ فَجَعَلَ يَرُدُّهُنَّ وَيَقُولُ : أَرْجِصْنَ خَائِبَاتِ
خَائِرَاتِ . فَضَحِكَ الْمَنُصُورُ وَقَالَ : بَقِيَ عَلَيْكَ إِلَّا أَخْبَرْتَنِي وَأَعْلَمْتَنِي
بِخَبَرِ هَذِهِ الرِّقَاعِ . فَأَعْلَمَهُ وَقَالَ : مَا أَتَيْتَ يَا ابْنَ مُعَلِّمِ الْخَيْرِ إِلَّا كَرِيمًا
وَتَمَثَّلَ يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ :

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَبْنَا كَرَمْتَ يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ تَسْكِلُ
نَبْنِي تَمَا كَأَنْتَ أَوَّلُنَا تَبْنِي وَنَفْعُلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا
ثُمَّ تَصْبَحُ الرِّقَاعُ وَقَضَى حَوَائِجَهُمْ عَنْ آخِرِهَا (اللابشيحي)

عدل عمر بن الخطاب بما آداهُ لعجوز من قراء رعيته

٣٠٧ ذكر في كتاب المغازي عن عبد الله بن العباس عن أبيه قال :
خَرَجْتُ لَيْلَةً حَالِكَةً فَاصْدَادَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ . فَأَوْصَلْتُ إِلَى نِصْفِ الطَّرِيقِ إِلَّا وَرَأَيْتُ نَخْصًا أَعْرَابِيًّا
جَذَبَنِي بَنُو بِي وَقَالَ : الزَّمْنِي يَا عَبَّاسُ . فَتَأَمَّلْتُ الْأَعْرَابِيَّ فَإِذَا هُوَ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ وَهُوَ مُتَنَكِّرٌ . فَتَنَدَّيْتُ إِلَيْهِ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : إِلَى أَيْنَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : أُرِيدُ جَوْلَةً بَيْنَ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ فِي هَذَا اللَّيْلِ
الْدَّامِسِ . وَكَانَتْ لَيْلَةٌ قَرِيَّةٌ . فَتَبِعْتُهُ فَسَارَ وَنَاوَرَاءَهُ وَجَعَلَ يَجُولُ بَيْنَ
خِيَامِ الْأَعْرَابِ وَيُوتِرُهُمْ وَيَتَأَمَّلُهُمْ إِلَى أَنْ أَتَيْنَا عَلَى جَمِيعِهِمَا وَأَوْشَكْنَا أَنْ
نَخْرُجَ مِنْهَا . فَظَرْنَا وَإِذَا هُنَاكَ خِيْمَةٌ وَفِيهَا أَمْرَأَةٌ تُعْجِزُ وَحَوْلَهَا صَبِيَّةٌ
يُؤُولُونَ عَلَيْهَا وَيَكُونُ . وَأَمَّا أَنَا فَنُفِي عُلْمًا قَدَرْتُ وَتَحْتَهَا النَّارُ تَشْتَدُّ .

وَهِيَ تَقُولُ لِلصَّبِيَّةِ: رُوَيْدَا رُوَيْدَا بَنِي قَلِيلًا وَيَنْصُجُ الطَّعَامُ فَتَأْكُلُونَ.
فَوَقَفْنَا بَعِيدًا مِنْ هُنَاكَ وَجَعَلَ عُمَرُ يَتَأَمَّلُ الْعُجُوزَ تَارَةً وَيَنْظُرُ إِلَى
الْأَوْلَادِ أُخْرَى. فَقَالَ الْوُقُوفُ. فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا الَّذِي
يُرْقِفُكَ سِرًّا. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أُرْحُ حَتَّى أَرَاهَا قَدْ صَبَتْ لِلصَّبِيَّةِ
فَأَكَلُوا وَاشْكَمُوا. فَوَقَفْنَا وَقَدْ طَالَ وَقُوفُنَا جِدًّا وَمَلَأْنَا الْمَكَانَ خَوْفًا
أَنْ تَسْتَرِيبَ بَنَاتُ الْعُمُونَ. وَالصَّبِيَّةُ لَا يَذَالُونَ يَصْرُخُونَ وَيَبْكُونَ
وَالْعُجُوزُ تَقُولُ لَهُمْ مَقَالَتَهَا: رُوَيْدَا رُوَيْدَا بَنِي قَلِيلًا وَيَنْصُجُ الطَّعَامُ
فَتَأْكُلُونَ: فَقَالَ لِي عُمَرُ: ادْخُلْ بِنَاتِنَا عِنْدَهَا لِنَسْأَلَهَا. فَدَخَلَ وَدَخَلَتْ
وَرَأَاهُ. فَقَالَ لَهَا عُمَرُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَالَةَ. فَردَّتْ عَلَيْهِ السَّلَامَ
أَحْسَنَ رَدٍّ. وَقَالَ لَهَا: مَا بَالُ هَؤُلَاءِ الصَّبِيَّةِ يَتَصَارُخُونَ وَيَبْكُونَ.
فَقَالَتْ لَهُ: لِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْجُوعِ. فَقَالَ لَهَا: وَلِمَ لَمْ تُطْعِمِيهِمْ مِمَّا فِي
الْقَدْرِ. فَقَالَتْ لَهُ: وَمَاذَا فِي الْقَدْرِ لِأَطْعِمَهُمْ لَيْسَ هُوَ إِلَّا عِلَالَةٌ فَطُطِ
إِلَى أَنْ يَصْغُرُوا مِنْ الْعَوِيلِ فَيَغْلِبَهُمُ النَّوْمُ. وَلَيْسَ لِي شَيْءٌ لِأَطْعِمَهُمْ.
فَتَقَدَّمَ عُمَرُ إِلَى الْقَدْرِ وَنَظَرَهَا فَإِذَا فِيهَا حَصْبَاءٌ وَعَلَيْهَا الْمَاءُ يَغْلِي.
فَتَجَبَّبَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ لَهَا: مَا الْمُرَادُ بِذَلِكَ. فَقَالَتْ: أَوْهَمُهُمْ أَنَّ فِيهَا
شَيْئًا يُطْبَخُ فَيُؤْكَلُ فَأَعْلَلَهُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا صَغُرُوا وَغَلَبَ النَّوْمُ عُيُونَهُمْ
نَامُوا. فَقَالَ لَهَا عُمَرُ: وَمَاذَا أَنْتِ هَكَذَا. فَقَالَتْ لَهُ: أَنَا مَقْطُوعَةٌ لَا أَخُ
لِي وَلَا أَبٌ وَلَا زَوْجٌ وَلَا قَرَابَةٌ. فَقَالَ لَهَا: لِمَ لَمْ تَرْضِي أَنْ تَكُنِي عَلَى أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَيَجْعَلَ لَكَ شَيْئًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ. فَقَالَتْ لَهُ: لَا

حَيًّا اللَّهُ عَمْرٍ وَنَكَّسَ اللَّهُ أَعْلَامَهُ وَاللَّهُ إِنَّهُ ظَلَمَنِي . فَلَمَّا سَمِعَ عَمْرُ مَقَاتِلَهَا
 ارْتَاعَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ لَهَا : يَا خَلَةَ بِمَاذَا ظَلَمْتُكَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ . قَالَتْ
 لَهُ : نَعَمْ وَاللَّهُ ظَلَمْنَا إِنْ الرَّاعِي عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَشَ عَلَى حَالِ كُلِّ مَنْ رَعِيَّتِهِ .
 لَعَلَّهُ يُوْجَدُ فِيهَا مَنْ هُوَ مِثْلِي ضَيْقُ الْيَدِ كَثِيرُ الصَّبِيَةِ وَلَا يُبْنَ وَلَا
 مُسَاعِدَ لَهُ فَيَتَوَلَّى لَوَازِمَهُ وَيَسْمَعُ لَهُ مِنْ بَيْتِ أُمِّهِ بِنَا يُقْسُوهُ وَعِيَالَهُ أَوْ
 صِبْيَتَهُ . فَقَالَ لَهَا عَمْرُ : وَمِنْ أَيْنَ يَلْمُ عَمْرُ بِحَالِكَ وَمَا أَنْتَ بِهِ مِنَ الْفَاقَةِ
 مَعَ كَثَرَةِ الصَّبِيَةِ . كَانَ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَقَدَّمِي وَتُطْلِبَ بِهِ بِأَمْرِكَ .
 فَقَالَتْ : لَا وَاللَّهُ إِنْ الرَّاعِي الْحُرَّ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُفْتَشَ عَلَى أَحْتِيَاجَاتِ
 رَعِيَّتِهِ خُصُوصًا وَعُمُومًا . فَلَمَّا ذَلِكَ انْتَحَصَرَ الْقَبِيرُ الْمَالُ الضَّيْقُ الْيَدِ غَلَبَهُ
 حَيَاؤُهُ وَمَنْعَهُ مِنَ التَّقَدُّمِ إِلَى رَاعِيهِ لِيُطْلِمَهُ بِحَالِهِ . فَعَلَى عَمْرٍ السُّؤَالُ عَنْ
 حَالِ الْفُقَرَاءِ فِي رَعِيَّتِهِ أَكْثَرَ مِنْ تَقَدُّمِ الْقَبِيرِ إِلَى مَوْلَاهُ لِإِعْلَامِهِ بِحَالِهِ .
 وَالرَّاعِي الْحُرُّ إِذَا أَهْمَلَ ذَلِكَ فَيَكُونُ هَذَا ظُلْمًا مِنْهُ . وَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ
 وَمَنْ تَعَدَّاهَا فَقَدْ ظَلَمَ . فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ لَهَا عَمْرُ : صَدَقْتَ يَا خَلَةَ وَلَكِنْ
 عَلَيَّ الصَّبِيَةِ وَالسَّاعَةِ آتِيكَ : ثُمَّ خَرَجَ وَخَرَجَتْ مَعَهُ وَكَانَ قَدْ بَقِيَ
 مِنَ اللَّيْلِ ثَلَاثَةُ الْأَخِيرِ . فَشَيْتَا وَالْكَلابُ تَجَنَّبَا وَأَنَا أَطْرُدُهَا وَأَذْبُهَا . بَقِيَ
 وَعَنْهُ إِلَى أَنْ أَتَيْتُمَا إِلَى بَيْتِ الدَّخِيرَةِ . فَفَتَحَهُ وَحَدَّهُ وَدَخَلَ وَأَمْرَيْنِ
 فَدَخَلَتْ مَعَهُ . فَظَرَبْتُمَا وَشِمَالًا فَعَمَدَ إِلَى كَيْسٍ مِنَ الدَّقِيقِ يَحْتَوِي
 عَلَى مِائَةِ رَطلٍ وَنَيْفٍ . فَقَالَ لِي : يَا عَبَّاسُ حَوْلْ تَلِي كُنْفِي فَمَعَانِي إِيَّاهُ
 ثُمَّ قَالَ لِي : أَهْلُ أَنْتَ هَاتِيكَ جِرَّةُ السَّمَنِ . وَأَشَارَ لِي إِلَى حَبْرَةٍ هُنَاكَ

فَحَمَلَتْهَا وَخَرَجْنَا وَأَقْبَلَ أَلْبَابَ وَسِرْنَا وَقَدْ أَنهَارَ مِنَ الدَّقِيقِ عَلَى حَيْثِهِ
وَعَيْنِيهِ وَجَبِينِهِ . فَمَشِينَا إِلَى أَنْ أَنْصَفْنَا وَقَدْ أَتَمَّهِ الْجَمَلُ لِأَنَّ الْمَكَانَ
كَانَ بَعِيدَ الْمَسَافَةِ . فَعَرَضْتُ نَفْسِي عَلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : يَا ابْنِي يَا أُمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ حَوْلِ الْكَيْسِ عَنْكَ وَدَعْنِي أَحْمِلُهُ . فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ أَنْتَ لَا
تَحْمِلُ عَنِّي جِرَائِمِي وَظُلْمِي يَوْمَ الدِّينِ . وَأَعْلَمَ يَا عَبَّاسُ أَنَّ حَمْلَ جِبَالِ
الْحَدِيدِ وَثِقَلَهَا خَيْرٌ مِنْ حَمْلِ ظُلَامَةٍ كَبُرَتْ أَوْ صَغُرَتْ . وَلَا يَسِيئَا هَذِهِ
الْجُجُوزُ تَعْلِيلُ أَوْلَادِهَا بِالْحَصَى . يَا لَهُ مِنْ ذَنْبٍ عَظِيمٍ عِنْدَ اللَّهِ . سِرْنَا
وَأَسْرَعَ يَا عَبَّاسُ ثَبَلُ أَنْ تَصْجِرَ الصَّبِيَّةُ مِنَ الْمَوِيلِ فَيَنَامُوا تَحَا قَالَتْ .
فَسَارَ وَأَسْرَعَ وَأَتَا مَعَهُ وَهُوَ يَلْمُ لَهْتُ الثَّوْرِ مِنَ التَّيْبِ إِلَى أَنْ
وَصَلْنَا خِيَةَ الْجُجُوزِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ حَوْلَ كَيْسِ الدَّقِيقِ عَنْ كَيْفِهِ وَوَضَعْتُ
جِرَّةَ السَّمَنِ أَمَامَهُ . فَمَتَّعَهُ هُوَ بِذَائِهِ وَأَخَذَ الْقِدْرَ وَكَبَّ مَا فِيهَا وَوَضَعَ
فِيهَا السَّمْنَ وَجَعَلَ بِجَانِبِهِ الدَّقِيقُ . ثُمَّ نَظَرَ فَإِذَا النَّارُ قَدْ كَادَتْ تَضْفَأُ فَقَالَ
لِلْجُجُوزِ : أَعِنْدَكُمْ حَطَبٌ . قَالَتْ : نَعَمْ يَا ابْنِي . وَأَشَارَتْ لَهُ إِلَيْهِ . فَقَامَ
وَجَاءَ بِقَلِيلٍ مِنْهُ وَكَانَ الْحَطَبُ أَخْضَرَ فَوَضَعَ مِنْهُ فِي النَّارِ وَوَضَعَ الْقِدْرَ
عَلَى الْأَثَافِي . وَجَعَلَ يُنَكِّسُ رَأْسَهُ إِلَى الْأَرْضِ وَيَنْفُخُ بِفَمِهِ تَحْتَ الْقِدْرِ .
فَوَاللَّهِ إِنِّي رَأَيْتُ دُخَانَ الْحَطَبِ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِ حَيْثِهِ وَقَدْ كُنَّ
بِهَا الْأَرْضُ إِذْ كَانَ يُطَاطِي رَأْسَهُ لِيَتَمَكَّنَ مِنَ النَّفْخِ . وَلَمْ يَزَلْ هَكَذَا
حَتَّى اشْتَعَلَتِ النَّارُ وَذَابَ السَّمْنُ وَابْتَدَأَ غَلْيَانُهُ . فَجَعَلَ يَحْرُكُ السَّمْنَ
بِعُودٍ فِي يَدِهِ الْوَاحِدَةِ وَيَخْلُطُ مِنَ الدَّقِيقِ مَعَ السَّمَنِ فِي يَدِهِ الْأُخْرَى

إِلَى أَنْ أُسْمِعَ وَالصَّبِيَّةُ حَوْلَهُ يَتَصَارخُونَ. فَلَمَّا طَابَ الطَّعَامُ طَلَبَ مِنْ
 الْعَجُوزِ إِنَاءً فَأَتَتْهُ بِهِ. فَجَمَلَ يَصُبُّ الطَّيِّبُ فِي الْإِنَاءِ وَيَفْتَحُهُ بِفَمِهِ لِيَرِدَهُ
 وَيَلْقِمَ الصَّغَارَ. وَلَمْ يَذَلْ يَفْعَلْ هَكَذَا مَعَهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ حَتَّى أَتَى
 جَمِيعَهُمْ وَشَبِعُوا وَاكْتَفَوْا. وَقَامُوا يَلْعَبُونَ وَيَضْحَكُونَ مَعَ بَعْضِهِمْ إِلَى
 أَنْ غَلَبَ عَلَيْهِمُ النَّوْمُ فَنَامُوا. فَالْتَفَتَ عُمَرُ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الْعَجُوزِ وَقَالَ
 لَهَا: يَا خَالَهُ أَنَا مِنْ قَرَابَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ وَ- أَذْكُرُ لَهُ حَالَكِ. فَأَثْبَتَنِي
 غَدًا صَبَاحًا فِي دَارِ الْإِمَارَةِ فَجَدَدَنِي هُنَاكَ فَارْجِي خَيْرًا. ثُمَّ وَدَّعَهَا
 عُمَرُ وَخَرَجَ وَخَرَجَتْ مَعَهُ فَقَالَ لِي: يَا عَبَّاسُ وَاللَّهِ إِنِّي حِينَ رَأَيْتُ الْعَجُوزَ
 تُعَلِّلُ صَبِيَّتَهَا بِحَصَى حَسَنَتْ أَنْ الْجِبَالُ قَدْ زُلْزَلَتْ وَأَسْتَقَرَّتْ عَلَى
 ظَهْرِي. حَتَّى إِذَا جِئْتُ بِمَا جِئْتُ وَأَطْعَمْتُهُمْ مَا طَبَخْتُهُ لَهُمْ وَأَكْنَعْتُهُمْ
 وَجَلَسُوا يَلْعَبُونَ وَيَضْحَكُونَ فَحِينَئِذٍ شَعَرْتُ أَنَّ تِلْكَ الْجِبَالَ قَدْ سَقَطَتْ
 عَنْ ظَهْرِي. ثُمَّ أَتَى عُمَرُ دَارَهُ وَأَمَرَنِي فَدَخَلْتُ مَعَهُ وَبَيْنَا لَيْتَنَّا. وَلَمَّا
 كَانَ الصَّبَاحُ أَتَتْ الْعَجُوزُ فَاسْتَقَرَّهَا وَجَمَلَ لَهَا وَلِصَبِيَّتِهَا رَأْيَا مِنْ
 بَيْتِ الْمَالِ تَسْتَوِيهِ شَهْرًا فَشَهْرًا (للالبيدي)

معاوية والزرقاء

٣٠٨ حُكِيَ عَنْ مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ لَمَّا وَلِيَ الْحِلَافَةَ وَأَنْتَضَمَتْ إِلَيْهِ الْأُمُورُ
 وَأَمَتَلَتْ مِنْهُ الصُّدُورُ. وَأَذْعَنَ لِأَمْرِهِ الْجُنُودُ. وَسَاعَدَهُ اللَّهُ فِي
 مُرَادِهِ. اسْتَخْصَرَ لَيْلَةَ خَوَاصِّ أَصْحَابِهِ وَذَاكَ رُحْمُ وَقَانِعِ أَيَّامِ صِفَيْنَ. وَمَنْ
 كَانَ يَتَوَلَّى كِبَرَ الْكُرْبِيَّةِ مِنَ الْمُعْرِوفِينَ. فَأَنَّهُمْ كَرُّوا فِي الْقَوْلِ الصَّحِيحِ

وَالرَّيْضُ. وَالْحَدِيثُ إِلَى مَنْ كَانَ يَجْتَهِدُ فِي إِيقَادِ نَارِ الْحَرْبِ عَلَيْهِمْ بِزِيَادَةِ التَّخْرِيسِ. فَقَالُوا: أَمْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ نَسَبُ الزُّرْقَاءِ بِنْتُ عَدِيِّ كَانَتْ تَعْتُمُ الْوُقُوفَ بَيْنَ الصُّفُوفِ. وَتَرْفَعُ صَوْتَهَا صَارِخَةً: يَا أَصْحَابَ عَلِيٍّ. لَسْتُمْهُمْ كَلَامًا كَالصَّوَارِمِ. مُسْتَعْتَةً لَهُمْ يَقُولُ لَوْ سَمِعَهُ الْجَبَانُ لَقَاتَلُوا الْمَذْبُورَ لِأَقْبَلِ. وَالْمَسَامُ الْحَارِبَ. وَالنَّهَارُ لَكَرَّ. وَالْمُتْرَزِلُ لَا سَمِيرَ. فَقَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ كَلَامَهَا. قَالُوا: كُلُّنَا نَحْفَظُهُ. قَالَ: فَمَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِيهَا. قَالُوا: نُشِيرُ بِقَاتِلِهَا فَإِنَّهَا أَهْلُ لَذَلِكَ. فَقَالَ لَهُمْ مُعَاوِيَةُ: بَلَسَ أَأَشْرَثُكُمْ بِهِ وَفُجَّأُ لِمَا قَاتِمُ. أَيْخُسُنُ أَنْ يَشْتَهَرَ عَنِّي أَنِّي بَعْدَ مَا ظَفِرْتُ وَقَدَرْتُ قَتْلَ أَمْرَأَةٍ قَدْ وَفَّتْ لِصَاحِبِهَا. إِنِّي إِذَا لَسْتُمْ. لَا وَاللَّهِ لَا فَعَلْتُ ذَلِكَ أَبَدًا. ثُمَّ تَعَايَا كَاتِبَهُ فَكَتَبَ كِتَابًا إِلَى وَالِيهِ بِالْكُوفَةِ أَنْ: أَنْفِذْ إِلَيَّ الزُّرْقَاءَ بِنْتَ عَدِيِّ مَعَ نَفَرٍ مِنْ عَشِيرَتِهَا وَفَرَسَانِ مِنْ قَوْمِهَا. وَهَذَا لَهَا وَطَاءٌ لَنَا وَمَرْكَبًا ذُلُولًا. فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ رَكِبَ إِلَيْهَا وَقَرَأَهُ عَلَيْهَا. فَقَالَتْ بَعْدَ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ: مَا أَنَا بِزَائِمَةٍ عَنِ الطَّاعَةِ. فَعَمَلَهَا فِي هَوْدَجٍ وَجَعَلَ غِشَاءَهُ خَزًّا مُبْطِنًا. ثُمَّ أَحْسَنَ ضَجْبَتَهَا. فَلَمَّا قَدِمَتْ عَلَى مُعَاوِيَةَ قَالَ لَهَا: رَحِبًا وَأَهْلًا خَيْرَ مَقْدَمٍ قَدِمَهُ وَافِدٌ. كَيْفَ حَالُكَ يَا خَلَةَ وَكَيْفَ رَأَيْتَ سَيْرَكَ. قَالَتْ: خَيْرَ مَسِيرٍ. فَقَالَ: هَلْ تَلْمِيزُ لِمَ بَعَثْتُ إِلَيْكَ. قَالَتْ: لَا يَتَلَمَّ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. قَالَ: أَلَسْتَ رَاكِبَةً الْجَمَلِ الْأَحْمَرَ يَوْمَ صِفَيْنَ. وَأَنْتِ بَيْنَ الصُّفُوفِ تُوقِدِينَ نَارَ الْحَرْبِ

وَمُحْرَضِينَ عَلَى الْقِتَالِ . قَالَتْ : نَعَمْ . قَالَ : فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ . قَالَتْ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ قَدِمَتِ الرَّأْسُ وَبَتَرَ الذَّنْبُ . وَالذَّهْرُ دُوْغَيْرٍ وَمَنْ
تَفَكَّرَ أَبْصَرَ . وَالْأَمْرُ يُحْدِثُ بَعْدَهُ الْأَمْرُ . فَقَالَ : صَدَقْتَ فَهَلْ
تَعْرِفِينَ كَلَامَكَ وَتَحْفَظِينَ مَا قُلْتَ . قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ . قَالَ : لِلَّهِ أَبُوكَ فَلَقَدْ
سَمِعْتُكَ تَقُولِينَ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْمَصْبَاحَ لَا يُضِيءُ فِي الشَّمْسِ . وَإِنَّ
الْكَوَاكِبَ لَا تُضِيءُ مَعَ الْقَمَرِ . وَإِنَّ الْبَغْلَ لَا يَسْبِقُ الْقَرَسَ . وَلَا يُقَطِّعُ
الْحَدِيدُ إِلَّا بِالْحَدِيدِ . أَلَا مَنْ أَسْرَشَدَنَا أَرْشَدَنَا . وَمَنْ سَأَلَنَا
أَخْبَرَنَا . إِنْ الْحَقُّ كَانَ يَطْلُبُ ضَلَّةً فَاصْبَاهَا . فَصَبْرًا يَا مَعْشَرَ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ . فَكَأَنَّكُمْ وَقَدْ التَّامَ شَمْلُ الشَّتَاتِ وَظَهَرَتِ كَلِمَةُ
الْعَدْلِ وَغَلَبَ الْحَقُّ بَاطِلَهُ . فَإِنَّهُ لَا يَسْتَوِي الْحَقُّ وَالْمُبْطِلُ . أَفَن كَانَ
مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا . لَا يَسْتَوُونَ . فَأَلْزَمَ الزَّلَّالَ وَالصَّبْرَ الصَّبْرَ .
أَلَا وَإِنَّ خِضَابَ النِّسَاءِ الْحِنَاءَ وَخِضَابَ الرِّجَالِ الْدِّمَاءَ . وَالصَّبْرَ خَيْرُ
الْأُمُورِ عَاقِبَةً . إِنَّا الْخَرْبَ غَيْرَ نَاكِصِينَ فَهَذَا يَوْمٌ لَهُ مَا بَعْدَهُ . يَا زُرْقَاءُ
أَلَيْسَ هَذَا قَوْلَكَ وَمُحْرِضُكَ . قَالَتْ : لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ . قَالَ : لَقَدْ
شَارَكْتَ عَلِيًّا فِي كُلِّ دَمٍ سَفَكَهُ . فَقَالَتْ : أَحَسَنَ اللَّهُ إِشَارَتَكَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَدَامَ سَلَامَتَكَ . مِنْكَ مَنْ يُبَشِّرُ بِخَيْرٍ وَيَسِرُّ جَلِيسَهُ .
فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : أَوْ قَدْ سَرَّكَ ذَلِكَ . قَالَتْ : نَعَمْ وَاللَّهِ أَقْدَسَ رَنِّي قَوْلَكَ
وَأَنَّى لِي بِصَدِيقِهِ . فَقَالَ لَهَا مُعَاوِيَةُ : وَاللَّهِ لَوْ فُؤُوكُمْ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ
أَعْجَبُ إِلَيَّ مِنْ حُكْمِكُمْ لَهُ فِي حَيَاتِهِ فَادْكُرِي حَوَائِجَكَ تُخْضَرُ . فَقَالَتْ :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي آتَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ لَا أَسْأَلَ أَحَدًا بَعْدَ عَلِيٍّ
حَاجَةً . فَقَالَ : فَمَا أَشَارَ عَلِيٌّ بِغَضٍ مِنْ عِرْفِكَ بِقِتْلِكَ . فَقَالَتْ : لَوْ
مِنْ الْمَشِيرِ . وَلَوْ أُلْعِنَتْ لَشَارَكْتُهُ . قَالَ : كَلَّا بَلْ نَفَعُونَاكَ وَنَحْسِنُ
إِلَيْكَ وَنَزَعَاكَ . فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَرَّمَ مِنْكَ . وَمِثْلَكَ مَنْ قَدَرَ
فَعَمَّا وَتَجَاوَزَ عَنْ أَسَاءٍ وَأَعْطَى مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ . فَأَعْطَاهَا كُنُوسَةً
وَدَرَاهِمَ وَأَفْطَمَهَا ضَيْعَةً تُبَلُّ لَهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ .
وَأَعَادَهَا إِلَى وَطَنِهَا سَائِلَةً وَكُتِبَ إِلَى وَالِي الْكُوفَةِ بِالْوَصِيَّةِ
بِهَا وَبِعَشِيرَتِهَا

(للابشيهي)

رجلان كريهان حصلا على الامارة بكرهما

٣٠٩ كَانَ فِي أَيَّامِ خِلَافَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ
خَزِيمَةُ بْنُ إِشْرِ بْنِ أَبِي أُسَيْدٍ مَشْهُورٌ بِالْمُرُوءَةِ وَالْكَرَمِ وَالْوَأَسَاءَةِ وَكَانَتْ
نِعْمَتُهُ وَافِرَةً . فَلَمْ يَزَلْ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ مِنَ الْكَرَمِ حَتَّى أَحْتَاجَ إِلَى
إِخْوَانِهِ الَّذِينَ كَانَ يُوَأْسِيهِمْ وَيَتَفَضَّلُ عَلَيْهِمْ . فَأَسُوهُ حِينَئِذٍ إِنَّهُمْ مَلُوءَةٌ .
فَلَمَّا لَاحَ مِنْهُمْ ذَلِكَ أَتَى أَمْرَآتَهُ وَكَانَتْ ابْنَةُ عَمِّهِ فَقَالَ لَهَا : يَا ابْنَةُ أَعْمَمٍ
رَأَيْتُ مِنْ إِخْوَانِي تَقَرُّ أَعْمَامَهُمْ مِنْهُمْ . وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى لُزُومِ بَيْتِي
إِلَى أَنْ يَأْتِيَنِي الْمَوْتُ . ثُمَّ إِنَّهُ أَغْلَقَ بَابَهُ وَأَقَامَ يَتَوَتَّى بِمَا عِنْدَهُ حَتَّى
نَفِدَ جَمِيعُهُ وَبَقِيَ حَاتِرًا فِي أَمْرِهِ . وَكَانَ يَوْمَئِذٍ عِكْرَمَةُ الْهَيَاضُ وَالْيَا
عَلَى الْجَزِيرَةِ . فَيَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي دِيْوَانِهِ وَعِنْدَهُ حَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ
مِنْ مَعَارِفِهِ إِذْ جَرَى ذِكْرُ خَزِيمَةَ بْنِ إِشْرِ . فَسَأَلَهُمْ عِكْرَمَةُ عَنْ حَالِهِ

فَقَالُوا لَهُ: إِنَّهُ فِي أَشَقِّ حَالٍ مِنَ الْفَقْرِ وَقَدْ أَغْلَقَ بَابَهُ وَلَزِمَ بَيْتَهُ. فَقَالَ
عِكْرِمَةُ الْفَيَّاضُ: أَمَا وَجَدَ خُرَيْمَةُ بْنُ يَشْرِ مُوَيْسِيًا أَوْ مُكَافِيًا. فَقَالُوا لَهُ:
لَا. فَأَمْسَكَ عِكْرِمَةُ عَنْ ذَلِكَ. وَكَانَ عِكْرِمَةُ فِي الْكُرْمِ بِالْمَنْزِلَةِ الْمَطْمِيَّةِ
وَقَدْ نَبِيَّ الْفَيَّاضَ لِنِ يَادَةِ كَرَمِهِ وَجُودِهِ. ثُمَّ إِنَّ عِكْرِمَةَ أَنْتَظَرَ إِلَى أَنْ
دَخَلَ اللَّيْلُ فَعَمِدَ إِلَى أَرْبَعَةِ آلَافٍ دِينَارٍ فَجَعَلَهَا فِي كَيْسٍ وَأَمَرَ
بِالسَّراجِ دَأْتَهُ. فَرَكِبَهَا وَخَرَجَ مِرًّا مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ وَسَارَ وَمَعَهُ غُلَامٌ وَاحِدٌ
يَعْمَلُ لِمَالٍ. وَكَانَ اللَّيْلُ قَدْ أَنْصَفَ. فَلَمْ يَزَلْ سَارًا حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَابِ
خُرَيْمَةَ فَتَزَلَّ عَنْ دَأْتِهِ بَعِيدًا عَنِ الْبَابِ وَأَمْسَكَهَا لَهُ لِيَمِيهِ وَأَخَذَ مِنْهُ
الْكَيْسَ وَأَتَى بِهِ وَحْدَهُ إِلَى الْبَابِ وَفَرَعَهُ. فَخَرَجَ خُرَيْمَةُ فَقَالَ لَهُ
عِكْرِمَةُ وَقَدْ ذَكَرَ صَوْتُهُ: خُذْ هَذَا أَصْلِحْ بِهِ شَأْنَكَ. فَتَنَاوَلَهُ خُرَيْمَةُ فَرَأَاهُ
أَقِيلًا فَوَضَعَهُ وَقَبَضَ عَلَى ذَيْلِ عِكْرِمَةَ وَقَالَ لَهُ: أَخْبِرْنِي مَنْ أَنْتَ جُعِلْتُ
فِدَاكَ. فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ: مَا جِئْتُكَ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ وَأُرِيدُ أَنْ
تَعْرِفَنِي. فَقَالَ لَهُ خُرَيْمَةُ: وَاللَّهِ لَا أَفْهِيهِ إِلَّا تُخْبِرَنِي مَنْ أَنْتَ. فَقَالَ لَهُ
عِكْرِمَةُ: أَنَا جَابِرُ عَتَرَاتِ الْكِرَامِ. فَقَالَ خُرَيْمَةُ: زِدْنِي إِضَاحًا. فَقَالَ لَهُ
عِكْرِمَةُ: لَا وَاللَّهِ. وَأَنْصَرَفَ. فَدَخَلَ خُرَيْمَةُ بِالْكَيْسِ إِلَى امْرَأَتِهِ وَقَالَ
لَهَا: أَبْشِرِي فَقَدْ أَتَى اللَّهُ بِالْفَرَجِ فَهُوَ أَسْرَجِي. فَقَالَتْ: لَا سَبِيلَ إِلَى
السَّراجِ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَنَا زَيْتٌ. فَبَاتَ خُرَيْمَةُ يَلْبَسُ الْكَيْسَ فَيَجِدُ
خُشْنَةَ الدَّانِيرِ. وَلَمَّا رَجَعَ عِكْرِمَةُ إِلَى مَنْزِلِهِ سَأَلَتْهُ امْرَأَتُهُ فِيمَ خَرَجَ
بَعْدَ هَذِهِ مِنَ اللَّيْلِ مُتَفَرِّدًا. فَأَجَابَهَا: مَا كُنْتُ لِأَخْرُجَ فِي وَقْتِ كُنَّا

وَأُرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ نَاخَرَجْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اللَّهَ فَقَطَّ . فَقَالَتْ لَهُ : لَا بُدَّ لِي
 أَنْ أَعْلَمَ ذَلِكَ وَصَاحَتْ وَنَاحَتْ وَأَلَحَّتْ عَلَيْهِ بِالطَّلَبِ . فَلَمَّا رَأَى
 أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ بُدٌّ قَالَ لَهَا : أَخْبِرْكِ بِالْأَمْرِ فَأُكْسِمُكِ إِذَا . قَالَتْ لَهُ : قُلْ وَلَا
 تُبَالِ بِذَلِكَ . فَأَخْبَرَهَا بِالْقِصَةِ عَلَى وَجْهِهَا . أَمَّا مَا كَانَ مِنْ خُرَيْمَةَ فَإِنَّهُ
 لَمَّا أَصْبَحَ صَاحَ غُرْمَاءَهُ وَأَصْلَحَ شَأْنَهُ وَتَجَهَّزَ السَّفَرُ يُرِيدُ الْخَلِيفَةَ سُلَيْمَانَ
 ابْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَدَخَلَ الْحَاجِبُ وَأَخْبَرَ سُلَيْمَانَ بِوُصُولِ خُرَيْمَةَ بْنِ يَشْرٍ .
 وَكَانَ سُلَيْمَانُ يَعْرِفُهُ جَيِّدًا بِأَرْوَةِ وَالْكَرَمِ فَأَذِنَ لَهُ . فَلَمَّا دَخَلَ خُرَيْمَةُ
 وَسَلَّمْ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ قَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : يَا خُرَيْمَةُ مَا أَبْطَأَكَ عَنَّا . قَالَ : سُوهُ
 الْحَالِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ فَمَا مَنَعَكَ النَّهْضَةَ إِلَيْنَا . قَالَ خُرَيْمَةُ : ضُنْفِي
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَلَّةُ مَا بِيَدِي . قَالَ : فَمَنْ أَنْهَضَكَ الْآنَ . قَالَ خُرَيْمَةُ : لَمْ
 أَشْعُرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ هَذِهِ مِنَ الدَّلِيلِ إِلَّا وَالْبَابُ يُطْرَقُ فَخَرَجْتُ
 فَرَأَيْتُ شَخْصًا وَكَانَ مِنْهُ كَيْتٌ وَكَيْتٌ . وَأَخْبَرَهُ بِقِصَّتِهِ مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى
 آخِرِهَا . فَقَالَ لَهُ : أَمَا عَرَفْتَهُ . فَقَالَ خُرَيْمَةُ : مَا سَمِعْتُ مِنْهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 إِلَّا حِينَ سَأَلْتُهُ عَنْ أَسْمِهِ قَالَ : أَنَا جَابِرُ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ . قَالَ : فَتَلَهَّفَ
 سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى مَعْرِفَتِهِ وَقَالَ : لَوْ عَرَفْتَاهُ لَكَأَيْتَاهُ عَلَى مَرْوَةٍ .
 ثُمَّ قَالَ : عَلَيَّ بِالْكَاتِبِ فَحَضَرَ إِلَيْهِ . فَكَتَبَ لِحُرَيْمَةَ الْوَلَايَةَ عَلَى الْجَزِيرَةِ
 وَجَمِيعِ عَمَلِ عِكْرَمَةَ وَأَجْزَلَ لَهُ الْعَطَاءُ وَأَحْسَنَ ضِيَافَتَهُ . وَأَمَرَهُ بِاتِّوَجُّهِ مِنْ
 وَفْتِهِ إِلَى الْوَلَايَةِ فَهَبَلَ الْأَرْضَ خُرَيْمَةُ وَتَوَجَّهَ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى الْجَزِيرَةِ .
 فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهَا خَرَجَ عِكْرَمَةُ وَكَانَ قَدْ بَلَغَهُ عَزْلُهُ وَأَقْبَلَ لِلْمَلَأَةِ خُرَيْمَةَ

مَعَ جَمِيعِ أَغْيَانِ الْبَلَدِ . وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ وَسَارُوا جَمِيعًا إِلَى أَنْ دَخَلُوا بِهِ الْبَلَدَ .
 فَتَزَلَّ خُزَيْمَةُ فِي دَارِ الْأُمَارَةِ وَأَمَرَ أَنْ يُؤْخَذَ عِكْرَمَةُ وَبُجَاسَبَ . فَحُوسِبَ
 فَفَضَّلَ عَلَيْهِ مَالٌ كَثِيرٌ فَطَالِبُهُ خُزَيْمَةُ مِنْهُ . فَقَالَ لَهُ عِكْرَمَةُ : وَاللَّهِ مَا لِي إِلَى
 دِرْهَمٍ مِنْهُ سَبِيلٌ وَلَا عِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ . فَأَمَرَ خُزَيْمَةُ بِجَنَسِهِ وَأَرْسَلَ
 يُطَالِبُهُ بِالْمَالِ . فَأَرْسَلَ عِكْرَمَةُ يَقُولُ لَهُ : إِنِّي لَسْتُ بِمَنْ يَصُونُ مَالَهُ
 بِعِرْضِهِ فَأَصْنَعُ مَا شِئْتُ . فَأَمَرَ خُزَيْمَةُ بِقَيْدِهِ وَضَرَبَهُ . فَكَبَّلَ بِالْحَدِيدِ
 وَضَرَبَ وَضَبَّتْ عَلَيْهِ . فَأَقَامَ كَذَلِكَ شَهْرًا فَأَضْنَاهُ ذَلِكَ وَأَضْرَبَهُ فَبَلَغَ
 أَمْرَ أَنَّهُ ضُرُّهُ فَجَزَعَتْ عَلَيْهِ وَاعْتَمَتْ لِذَلِكَ غَمًّا شَدِيدًا . فَدَعَتْ جَارِيَةً
 لَهَا ذَاتَ عَمَلٍ وَقَاتَ لَهَا : أَمْضِي السَّاعَةَ إِلَى بَابِ خُزَيْمَةَ وَقُولِي لِلْحَاجِبِ :
 إِنَّ عِنْدِي نَصِيحَةً لِلْأَمِيرِ . فَإِذَا طَلَبَهَا مِنْكَ فَقُولِي : لَا أَفُوتُهَا إِلَّا إِلَى الْأَمِيرِ
 خُزَيْمَةَ . فَإِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ فَسَلِّهِ الْخُلُوةَ فَإِذَا فَعَلَ فَقُولِي لَهُ : مَا كَانَ هَذَا
 جَزَاءَ جَابِرِ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ مِنْكَ ؟ فَأَتَتْكَ لَهُ بِالضِّيقِ وَالْجُنْسِ
 وَالْحَدِيدِ ثُمَّ بِالضَّرْبِ . قَالَ : فَفَعَلْتُ جَارِيَتَهَا ذَلِكَ . فَلَمَّا سَمِعَ خُزَيْمَةُ
 قَوْلَهَا قَالَ : وَاسَوْءَ تَاهُ جَابِرُ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ غَرِيبِي . قَالَتْ : نَعَمْ . فَأَمَرَ
 لَوْفَتِهِ بِدَابَّتِهِ فَأَسْرَجَتْ وَرَكِبَ إِلَى وَجْهِ أَهْلِ الْبَلَدِ فَجَمَعَهُمْ وَسَارَ بِهِمْ
 إِلَى بَابِ الْجُنْسِ . فَفَتَحَهُ وَدَخَلَ فَرَأَى عِكْرَمَةَ أَلْمِيَّاضَ فِي قَاعِ الْجُنْسِ
 مُتَغَيِّرًا قَدْ أَضْنَاهُ الضَّرُّ . فَلَمَّا نَظَرَ عِكْرَمَةَ إِلَى خُزَيْمَةَ وَوَجْهَهُ أَهْلَ الْبَلَدِ
 مَعَهُ أَحْسَمُهُ ذَلِكَ فَتَنَكَّسَ رَأْسُهُ . فَأَقْبَلَ خُزَيْمَةُ وَأَكْبَعَ عَلَى رَأْسِهِ قَبْلَهُ .
 فَرَفَعَ عِكْرَمَةُ رَأْسَهُ وَقَالَ : مَا أَتَيْتُ هَذَا مِنْكَ . قَالَ خُزَيْمَةُ : كَرِيمٌ فَمَا لَكَ

وَسُوهُ مُكَافَأَتِي . فَقَالَ لَهُ عِكْرَمَةُ : يَغْفِرُ اللَّهُ لَنَا وَلَكَ . ثُمَّ إِنَّ خُرَيْمَةَ
 أَمَرَ بِضُيُودِهِ أَنْ تُنْفَكَ وَأَنْ تُوضَعَ فِي رَجْلَيْهِ نَفْسُهُ . فَقَالَ لَهُ عِكْرَمَةُ :
 مَا مُرَادُكَ بِذَلِكَ . قَالَ : مُرَادِي أَنْ يَنَالَنِي مِنَ الضَّرِّ مَا نَالَكَ . فَقَالَ لَهُ
 عِكْرَمَةُ : أَقْسِمُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ أَنْ لَا تَفْعَلَ . وَبَعْدَ ذَلِكَ خَرَجَا جَمِيعًا وَجَاءَا
 إِلَى دَارِ خُرَيْمَةَ فَوَدَّعَهُ عِكْرَمَةُ وَأَرَادَ أَنْ يَنْصَرِفَ فَلَمْ يُمَكِّنْهُ مِنْ ذَلِكَ .
 ثُمَّ أَمَرَ خُرَيْمَةَ بِالْحَمَامِ فَأَخْلَبِي وَدَخَلَ جَمِيعًا . وَقَامَ خُرَيْمَةُ نَفْسُهُ فَتَوَلَّى
 خِدْمَةَ عِكْرَمَةَ . ثُمَّ خَرَجَ فَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحَمَلَ إِلَيْهِ مَالًا كَثِيرًا وَسَأَلَهُ أَنْ
 يَسِيرَ مَعَهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَكَانَ يَوْمَئِذٍ مُقِيمًا فِي
 الرَّمْلَةِ . فَسَارَ مَعَهُ حَتَّى قَدِمَ عَلَى سُلَيْمَانَ . فَدَخَلَ الْحَاجِبَ وَأَخْبَرَهُ
 بِشُؤْمِ خُرَيْمَةَ بْنِ بَشَرَ . فَرَأَاهُ ذَلِكَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : وَالِی الْجَزِيرَةُ يَتَقَدَّمُ
 عَلَيْنَا بِغَيْرِ أَمْرٍ نَامِعٍ قَرِيبِ الْعَهْدِ بِهِ . مَا هَذَا إِلَّا لِجَادِثٍ عَظِيمٍ . فَلَمَّا
 دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : مَا وَرَاءَكَ يَا خُرَيْمَةُ . قَالَ : خَيْرٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ : فَمَا
 أَفَدَمَكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي ظَفِرْتُ بِجَاوِرِ عَثَرَاتِ الْكِرَامِ
 فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُسْرَكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ شَوْفِكَ إِلَى رُؤُوسِهِ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ .
 قَالَ : عِكْرَمَةُ الْهَلْبَاضُ . فَأَذِنَ لَهُ فِي الدُّخُولِ فَدَخَلَ وَسَأَلَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ
 فَرَحَّبَ بِهِ وَأَذَنَاهُ مِنْ مَجْلِسِهِ وَقَالَ لَهُ : يَا عِكْرَمَةُ قَدْ كَانَ خَيْرُكَ لَهُ وَبَالَآ
 عَلَيْكَ . ثُمَّ إِنَّ الْخِلَافَةَ قَالَ لَهُ : اكْتُبْ حَوَائِجَكَ وَمَا تَخَارُهُ فِي رَقْعَةٍ .
 فَكَتَبَهَا فَضَيَّعَتْ عَلَى أَمِّ وَجْهِهِ . ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِبَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ وَأَضَافَ
 لَهُ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْخُفِّ وَالظَّرْفِ وَوَلَّاهُ عَلَى الْجَزِيرَةِ وَأَرَاهُ مِينَبَةً

وَأَذْرَبِيحَانَ وَقَالَ لَهُ: أَمْرُ خُرَّمَةَ بِيَدِكَ إِنْ شِئْتَ أَنْبَتَهُ وَإِنْ شِئْتَ
عَزَلْتَهُ. قَالَ: بَلْ رُدُّهُ إِلَى عَمَلِهِ مُكْرَمًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. ثُمَّ إِنَّهُمَا انْصَرَفَا
جَمِيعًا وَلَمْ يَزَالَا عَامِلَيْنِ لِسُلَيْمَانَ مُدَّةَ عِلَاقَتِهِ (ثمرات الاوراق للحوي)

يزيد بن المهلب عند سليمان بن عبد الملك

٣١٠ قِيلَ إِنَّ الْحُجَّاجَ بْنَ يُونُسَ أَخَذَ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ
وَعَذَّبَهُ وَأَسْتَأْصَلَهُ وَأَسْتَأْصَلَ مَوْجُودَهُ وَتَحَبَّهُ. فَأَحْتَلَّ يَزِيدُ بِجُسْنِ
تَلَطُّفِهِ وَأَرْغَبَ السَّجَّانَ وَأَسْتَأْأَلَهُ. وَهَرَبَ هُوَ وَالسَّجَّانُ وَقَصَدَ الشَّامَ إِلَى
سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ. وَكَانَ الْحُلَيْفَةُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَوْلَادَ بْنَ عَبْدِ
الْمَلِكِ. فَلَمَّا وَصَلَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَكْرَمَهُ
وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَأَقَامَ عِنْدَهُ. فَكَتَبَ الْحُجَّاجُ إِلَى الْأَوْلَادِ يُعْلِمُهُ أَنَّ يَزِيدَ
هَرَبَ مِنَ السَّجَّانِ وَأَنَّهُ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَوَلِيَّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ. وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَى رَأْيًا. فَكَتَبَ الْأَوْلَادُ إِلَى أَخِيهِ
سُلَيْمَانَ بِذَلِكَ. فَكَتَبَ سُلَيْمَانُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَجَرْتُ يَزِيدَ بْنَ
الْمُهَلَّبِ لِأَنَّهُ هُوَ وَأَبَاهُ وَإِخْوَتُهُ أَحِبَّاءُ لَنَا مِنْ عَهْدِ آبَائِنَا. وَلَمْ أَجِرْ عَدُوًّا
لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَدْ كَانَ الْحُجَّاجُ عَذَّبَهُ وَعَرَمَهُ دَرَاهِمَ كَثِيرَةً ظُلْمًا.
ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُ بَعْدَهَا فَمَلَّ مَا طَلَبَ أَوَّلًا. فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ لَا
يُخْزِيَنِي فِي ضَيْفِي لِمَفْعَلٍ فَإِنَّهُ أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْأَوْلَادُ
إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيَّ يَزِيدَ مُقَيَّدًا مَظْلُومًا. فَلَمَّا وَرَدَ ذَلِكَ عَلَى
سُلَيْمَانَ أَحْضَرَ وَلَدَهُ أَيُّوبَ فَقَيَّدَهُ. ثُمَّ دَعَا يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ وَقَبَّضَهُ.

ثُمَّ شَدَّ قَيْدَ هَذَا إِلَى قَيْدِ هَذَا بِسِلْسِلَةٍ وَغَايَهِمَا جَمِيعًا يَنْتَلِيانِ وَحَمَاهُمَا إِلَى
 أَخِيهِ الْوَلِيدِ وَكَبَّ إِلَيْهِ : أَمَا بَعْدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَهَذِهِ وَجْهَتُ إِلَيْكَ
 يَزِيدُ وَأَبْنُ أَخِيكَ أَيُّوبُ بْنُ سُلَيْمَانَ . وَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَكُونَ تَالِئَهُمَا . فَإِنْ
 هَمَمْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقْتُلُ يَزِيدُ قَبْلَ اللَّهِ عَلَيْكَ فَأَبْدَأُ بِقَتْلِ أَيُّوبَ . ثُمَّ
 أَجْمَلَ يَزِيدُ ثَانِيًا . وَأَجْعَلَنِي إِنْ شِئْتَ تَالِئًا وَالسَّلَامُ . فَلَبَّأَ دَخَلَ يَزِيدُ
 ابْنَ الْمُوَلَّبِ وَأَيُّوبُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَلَى الْوَلِيدِ وَهُمَا فِي سِلْسِلَةٍ أَطْرَقَ الْوَلِيدُ
 اسْتِحْيَاءً وَقَالَ : لَقَدْ أَسَأْنَا إِلَى أَبِي أَيُّوبَ إِذْ بَاغَيْنَا بِهِ هَذَا الْمَلِيعَ . فَأَخَذَ
 يَزِيدُ يَتَكَلَّمُ وَيُخَيِّجُ لِنَفْسِهِ . فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ : مَا نَحْتَاجُ مَا نَحْتَاجُ إِلَى
 الْكَلَامِ قَدْ قَبِلْنَا عُذْرَكَ وَعَلَيْنَا ظَلَمُ الْحُجَّاجِ . ثُمَّ اسْتَخْضَرَ حَدَادًا فَأَزَالَ
 عَنْهُمَا الْحَدِيدَ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا وَوَصَلَ أَيُّوبَ ابْنَ أَخِيهِ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ
 دِرْهَمٍ وَوَصَلَ يَزِيدُ بْنُ الْمُوَلَّبِ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَرَدَّهُمَا إِلَى سُلَيْمَانَ .
 وَكَتَبَ كِتَابًا لِلْحُجَّاجِ مَضْمُونُهُ : لَا سَبِيلَ لَكَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ الْمُوَلَّبِ فَإِنَّا كَ
 أَنْ تُعَاوِدَنِي فِيهِ بَعْدَ الْيَوْمِ . فَسَارَ يَزِيدُ بْنُ الْمُوَلَّبِ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ
 الْمَلِكِ . وَأَقَامَ عِنْدَهُ فِي أَعْلَى الْمَرَاتِبِ وَأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ (لِلأَبِشِيِّ)

دفنوكريم ولحسنه الى من قتل اباه

٣١١ حَكِي أَنَّهُ لَمَّا أَفْضَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى بَنِي أَلْمُبَاسِ اخْتَفَتَ مِنْهُمْ
 جَمِيعُ رِجَالِ بَنِي أُمَيَّةَ وَكَانَ مِنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ .
 وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ هَذَا رَجُلًا عَالِمًا كَامِلًا أَدِيبًا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ فِي سِنِّ
 الشَّيْبَةِ فَأَخَذُوا لَهُ أَمَانًا مِنْ السَّقَّاحِ فَأَعْطَاهُ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّقَّاحُ أَمَانًا

وَأَكْرَمَهُ وَقَالَ لَهُ: أَلَزِمْتُكَ فِي قَدَاتِ يَوْمٍ قَالَ لَهُ أَبُو الْبَلَّاسِ السَّفَّاحُ:
يَا إِبْرَاهِيمُ حَدِّثْنِي عَمَّا مَرَّ بِكَ فِي اسْتِخْفَانِكَ مِنَ الْهَدُوءِ . فَقَالَ تَمَعًا
وَطَاعَةً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . كُنْتُ مُخْتَفِيًا فِي الْحِيرَةِ بِمَنْزِلٍ فِي شَارِعٍ عَلَى
الصُّحُرَاءِ فَبَيْنَمَا كُنْتُ يَوْمًا عَلَى ظَهْرِ ذَلِكَ الْبَيْتِ إِذْ بَعُرْتُ بِأَعْلَامِ
سُودٍ قَدْ خَرَجَتْ مِنَ الْكُوفَةِ يُرِيدُ الْحِيرَةَ . فَتَحَيَّاتُ أَنَّهَا تُرِيدُنِي
فَخَرَجْتُ مُسْرِعًا مِنَ الدَّارِ مُتَتَكِّرًا حَتَّى أَتَيْتُ الْكُوفَةَ وَأَنَا لَا أَعْرِفُ
أَحَدًا أَخْفِي عَنْهُ فَبَقِيتُ فِي حَيْرَةٍ . فَظَنَرْتُ وَإِذَا أَنَا بِبَابِ كَبِيرٍ
وَاسِعٍ الرَّحْبَةِ قَدْ خَلَّتْ فِيهِ . فَرَأَيْتُ رَجُلًا وَسِيمًا حَسَنَ الْهَيْئَةِ مُثْبَلًا
تَلَى الرَّحْبَةَ وَمَعَهُ أَتْبَاعُهُ فَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَأَلْتَمَسَتْ قُرْآنِي فَقَالَ لِي : مَنْ
أَنْتَ وَمَا حَاجَتُكَ . فَقُلْتُ رَجُلٌ خَافَ نَلَى دَمِهِ وَجَاءَ يَسْتَعِيرُ فِي
مَنْزِلِكَ . فَأَدْخَلَنِي مَنْزِلَهُ وَصَيَّرَنِي فِي حُجْرَةٍ تَلَى حَرَمَهُ وَكُنْتُ عَنْدهُ فِي
كُلِّ مَا أَحَبُّهُ مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَلِبَاسٍ وَهُوَ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ مِنْ
حَالِي . إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَذْكُبُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنَ الْفَجْرِ وَيَبْغِي وَلَا يَرْجِعُ إِلَّا
قَرِيبَ الظَّهِيرِ . فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا : أَرَأَيْكَ تَذَمِّنُ الرُّكُوبَ كُلَّ يَوْمٍ نَهْيًا
ذَلِكَ . فَقَالَ لِي : إِنْ إِبْرَاهِيمَ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ كَانَ تَذَقَّلَ أَبِي
ظُلَمًا فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ مُخْتَفٍ فِي الْحِيرَةِ فَأَنَا أَطْلُبُهُ يَوْمِيًا لِي أَجِدَهُ
وَأَذْرَكَ مِنْهُ نَارِي قَالَ : فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَذَرْتُ
تَعْجِي وَفُلْتُ فِي نَفْسِي : إِنْ أَلْقَدَرَسَاقَنِي إِلَى حَنْفِي فِي مَنْزِلٍ مَنْ يَطْلُبُ
دَمِي . فَوَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي كَرِهْتُ الْحَيَاةَ ثُمَّ إِنِّي سَأَلْتُ الرَّجُلَ

عَنْ أَبِيهِ وَأَنَّهُمْ أَبِيهِ فَأَخْبَرَنِي فَعَلِمْتُ أَنَّ كَلَامَهُ حَقٌّ وَأَنِّي أَنَا الَّذِي
قَتَلْتُ أَبَاهُ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا إِنَّهُ قَدْ وَجَبَ عَلَيَّ حَقُّكَ وَلَمَعْرُوفُكَ لِي
يَلْزِمَنِي أَنْ أَدُلَّكَ عَلَى خَصْمِكَ الَّذِي قَتَلَ أَبَاكَ وَأَقْرَبَ عَلَيْكَ
الْخَطْوَةَ . فَقَالَ : وَمَا ذَاكَ . فَقُلْتُ لَهُ : أَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَنَا قَاتِلُ
أَبِيكَ فَخُذْ بِدَارِكَ . فَبَسَمَ مِنِّي وَقَالَ : هَلْ أَصْبَحَكَ إِلَّا خُفَاءً رَالْبَعْدُ عَنْ
مَنْزِلِكَ وَأَهْلِكَ فَأَحْبَبْتُ الْمَوْتَ . فَقُلْتُ : لَا وَاللَّهِ وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكَ
الْحَقَّ وَإِنِّي قَتَلْتُهُ فِي يَوْمٍ كَذَا مِنْ أَجْلِ كَذَا . فَلَمَّا سَمِعَ الرَّجُلُ كَلَامِي
هَذَا وَعَلِمَ صِدْقِي تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَاحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ ثُمَّ فَكَّرَ طَوِيلًا وَانْتَهَتْ إِلَيَّ
وَقَالَ : أَمَّا أَنْتَ فَسَوْفَ تَلْقَى أَبِي عِنْدَ حَاكِمٍ عَادِلٍ فَيَأْخُذُ بِثَارِهِ مِنْكَ
وَأَمَّا أَنَا فَلَا أَخْضِرُ دِمَّتِي وَلَكِنِّي أُرِيدُ أَنْ تُخْرِجَ عَنِّي قَاتِلَ لَسْتُ أَمِنُ
عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِي . ثُمَّ إِنَّهُ أَعْطَانِي أَلْفَ دِينَارٍ فَأَبَيْتُ أَخْذَهَا
وَأَنْصَرَفْتُ عَنْهُ . فَهَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَكْرَمُ رَجُلٍ رَأَيْتُهُ وَسَمِعْتُ عَنْهُ فِي
عُمْرِي بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

(للتلخيص)

بود . عن ابن زائدة

٣١٢ حكي عن معن بن زائدة أن شاعراً من الشعراء قصده فأقام
مُدَّةً يُرِيدُ الدُّخُولَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَتِمَّ لَهُ ذَلِكَ . فَلَمَّا أَعْيَاهُ الْأَمْرُ سَأَلَ
بَعْضَ خَدَمِهِ وَقَالَ لَهُ : أَرَجُوكَ إِذَا دَخَلَ الْأَمِيرُ إِلَى الْبُسْتَانِ أَنْ تُعْرِفَنِي .
فَلَمَّا دَخَلَ مَعْنُ إِلَى بُسْتَانِهِ لِيَتَنَزَّهُ جَاءَ الْخَادِمُ وَأَخْبَرَ الشَّاعِرَ فَكَتَبَ
الشَّاعِرُ بَيْتًا مِنَ الشِّعْرِ دَلَّى خَشَبَةً وَأَلْقَاهَا فِي الْمَاءِ الْجَارِي إِلَى دَاخِلِ

الْبُسْتَانِ . فَاتَّفَقَ أَنْ مَعَنَا كَانَ جَالِسًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ عَلَى جَانِبِ الْمَاءِ
 قَرَّتْ عَلَيْهِ الْحَشَبَةُ فَنَظَرَ فِيهَا كِتَابَةً فَأَخَذَهَا وَقَرَّاهَا فَوَجَدَ فِيهَا :
 أَيَا جُودَ مَعْنٍ نَاجٍ مَعْنًا بِحَاجَتِي فَمَا لِي إِلَى مَنْ سِوَاكَ سَائِلُ
 فَلَمَّا قَرَّاهَا مَعْنٌ قَالَ لَخَادِمِهِ : أَحْضِرِ الرَّجُلَ صَاحِبَ هَذِهِ الْكِتَابَةِ . فَخَرَجَ
 وَجَاءَ بِهِ فَقَالَ لَهُ : مَاذَا كُتِبَ . فَأَنشَدَهُ الْبَيْتَ فَلَمَّا تَحَقَّقَهُ أَمَرَهُ
 بِأَلْفِ دِرْهَمٍ . ثُمَّ إِنَّ مَعْنًا وَضَعَ تِلْكَ الْحَشَبَةَ تَحْتَ الْبَسَاطِ مَكَانَ
 جُلُوسِهِ . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّانِي جَاءَ فَجَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ فَلَمَّتْهُ الْحَشَبَةُ
 فَتَامَ لِنَظَرِ مَا أَلَّهُ فَرَأَى الْحَشَبَةَ فَأَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ يَدْعُو الرَّجُلَ . فَمَضَى
 وَجَاءَ بِهِ فَأَمَرَهُ لَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ثَانِيَةً . ثُمَّ إِنَّهُ فِي الثَّلَاثِ خَرَجَ إِلَى
 مَجْلِسِهِ فَأَلَمَتْهُ الْحَشَبَةُ فَدَعَا الشَّاعِرَ وَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ أَيْضًا . فَلَمَّا
 رَأَى الشَّاعِرُ هَذَا الْأَعْطَاءَ لَزَّائِدَ لِأَجْلِ بَيْتٍ وَاحِدٍ مِنَ الشِّعْرِ خَافَ
 أَنْ مَعْنًا يَرْجِعُهُ عَقْلَهُ وَيَأْخُذُ الْمَالَ مِنْهُ فَهَرَبَ . ثُمَّ إِنَّ مَعْنًا خَرَجَ إِلَى
 مَجْلِسِهِ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ فَلَمَّتْهُ فَخَطَرَ الشَّاعِرُ بِإِلَالِهِ فَأَمَرَ خَادِمَهُ أَنْ
 يُخْضِرَهُ وَيُعْطِيَهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَمَضَى الْخَادِمُ وَسَأَلَ عَنْهُ فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُ
 سَافِرٌ . فَرَجَعَ وَآخَبَ مَوْلَاهُ . فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّهُ سَافِرٌ أَغْتَمَّ جِدًّا وَقَالَ : وَدِدْتُ
 وَاللَّهِ لَوْ أَنَّهُ مَكَثَ وَأَعْطَيْتُهُ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفًا حَتَّى لَا يَبْقَى فِي بَيْتِي دِرْهَمٌ

ابراهيم الموصلي والمهدي

٣١٣ حَدَّثَ اِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ : كَانَ الْمَهْدِيُّ لَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ
 فَأَرَادَنِي عَلَى مُلَازِمَتِهِ وَتَرْكِ الشَّرْبِ فَأَبَيْتُ فَحَبَسَنِي . ثُمَّ دَعَانِي

يَوْمًا فَعَاثَنِي عَلَى شُرِّي الْحَمْرِ فِي مَنَازِلِ النَّاسِ وَقَالَ : لَا تَدْخُلْ عَلَى
 مُوسَى وَهَارُونَ ابْنَيْ آلِ بَنِي إِسْرَءِيلَ . وَلَئِنْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمَا لَأَفْعَلَنَّ بِكَ وَلَا ضَنْعَن .
 فَقُلْتُ : نَعَمْ . ثُمَّ بَلَغَهُ أَنِّي دَخَلْتُ عَلَيْهِمَا فِي زَهْرَةٍ لَهَا . فَسُيَّ بِمَا وَبَى
 إِلَى الْمَهْدِيِّ . فَدَعَانِي فَسَأَنِي فَأَنْكَرْتُ . فَأَمَرَنِي فَجَرَدْتُ فَضَرَبْتُ
 ثَلَاثِينَ سَوْطًا . فَقُلْتُ لَهُ وَهُوَ يَضْرِبُنِي : إِنْ جُرِمِي لَيْسَ مِنْ
 الْأَجَامِ الَّتِي يَحِلُّ لَكَ بِهَا سَنُكَ دِمِّي . فَلَمَّا قُلْتُ لَهُ هَذَا : ضَرَبَنِي
 بِالسَّيْفِ فِي جَنْبِهِ فَشَجَنِي بِهِ وَسَقَطْتُ مَقْدِيًا عَلَى سَاعَةٍ . ثُمَّ فَتَحْتُ
 عَيْنِي فَوَقَعْتُ عَلَى عَيْنِي الْمَهْدِيِّ . فَرَأَيْتُهُمَا عَيْنِي نَادِمًا . وَقَالَ ابْنُ مَالِكٍ :
 خُذْهُ إِلَيْكَ . قَالَ : فَأَخْرَجَنِي إِلَى دَارِهِ وَأَنَا أَرَى الدُّنْيَا فِي عَيْنِي صَفْرَاءَ
 وَخَضْرَاءَ مِنْ حَرِّ السَّوْطِ . وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَّخِذَ لِي شِدْبَةً بِالقَبْرِ فَيَضْرِبَنِي
 فِيهِ . فَدَعَا بِكَبْشٍ وَسَلَحَهُ . فَأَتَسَنَّى جَانِدَهُ لَيْسَ كَنِ الضَّرْبِ . وَدَقَعَنِي
 إِلَى خَادِمَةٍ لَهُ فَصَيَّرَتْنِي فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ . فَتَأَذَيْتُ بِالْتَّزِّ وَبِالْبَقِ فِي ذَلِكَ
 الْقَبْرِ . وَكَانَ فِيهِ خَلَاءٌ أَسْتَرْجِحُ إِلَيْهِ قُتْلُ اللَّامَةِ : أَطَايِي لِي أَجْرَةٌ عَلَيْهَا
 قَحْمٌ وَكُنْدُرٌ يَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الْبَقُ . فَأَتَتْنِي بِذَلِكَ . فَلَمَّا دَخَلْتُ أَطَايَمَ
 الْقَبْرُ عَلَيَّ وَكَادَتْ تَنْسِي تَخْرُجُ مِنْ أَلْفَمِ . فَأَسْتَرْحْتُ مِنْ أَذَاهُ إِلَى التَّزِّ
 فَأَلَصَقْتُ بِهِ أَنْفِي حَتَّى خَفَّ الدُّخَانُ . فَلَمَّا ظَنَنْتُ أَنِّي قَدْ أَسْتَرْحْتُ بِمَا
 كُنْتُ فِيهِ إِذَا حَيْثَانُ مُقْبِلَانِ تَحْوِي مِنْ شِقِّ الْقَبْرِ تَدُورَانِ حَوْلِي
 بِخَفِيفٍ شَدِيدٍ . فَهَمَمْتُ أَنْ أَخْذَ وَاحِدَةً بِيَدِي الْيُمْنَى وَالْأُخْرَى
 بِيَدِي الْيُسْرَى فَمَا عَلَيَّ وَإِمَائِي . ثُمَّ كَفَيْتُهُمَا قَدَحًا مِمَّنِ الثُّنْبِ الَّذِي

خَرَجَتَا مِنْهُ . فَكُنْتُ فِي ذَلِكَ الْقَبْرِ مَا شَاءَ اللَّهُ وَقُلْتُ فِي الْجَنَسِ :
 أَلَا طَالَ لِي أَرَامِي النَّجُومَ أَعَالِجُ فِي السَّاقِ كَبَلًا ثَقِيلًا
 بَدَارُ الْهَوَانِ وَشَرِّ الدِّيَارِ أَسَامُ بِهَا الْخَسْفَ صَبْرًا جَمِيلًا
 كَثِيرُ الْأَخْلَاءِ عِنْدَ الرَّخَاءِ فَلَمَّا حُسِبْتُ أَرَاهُمْ قَلِيلًا
 لَطُولِ بَلَايِي مَلَّ الصَّدِيقُ فَلَا يَأْمَنُنَّ خَلِيلُ خَلِيلًا
 ثُمَّ أَخْرَجَنِي الْأَمْدِيُّ وَأَجْلَفَنِي (بِكُلِّ يَمِينٍ لَا فَسْخَةَ لِي فِيهَا) أَنْ لَا
 أَدْخُلَ عَلَى مُوسَى وَمَارُونَ أَبَدًا وَلَا أَغِيَّهُمَا وَخَلَّى سَبِيلِي (الَاغَانِي)

المرأة المتظلمة وابن المأمون

٣١٤ حَدَّثَ الشَّيْبَانِيُّ قَالَ : جَلَسَ الْمَأْمُونُ يَوْمًا لِلْمُظَالِمِ . فَكَانَ
 آخِرُ مَنْ تَتَمَدَّدَ إِلَيْهِ وَقَدَّهَمَ بِالْقِيَامِ امْرَأَةٌ عَلَيْهَا هَيْئَةُ السَّفَرِ وَعَايَهَا
 ثِيَابُ رَتْةٍ . فَوَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَتْ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . فَظَنَرَ الْمَأْمُونُ إِلَى يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ فَقَالَ لَهَا يَحْيَى :
 وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا أُمَّةَ اللَّهِ تَكَلَّمِي فِي حَاجَتِكَ . فَقَالَتْ :

يَا خَيْرَ مُنْتَصِفٍ يَهْدِي لَهُ الرُّشْدُ وَيَا إِمَامًا بِهِ قَدْ أَشْرَقَ الْبَلَدُ
 تَشْكُو إِلَيْكَ عَمِيدَ الْأُمُومِ أَرْمَلَةً عَدَا عَايَهَا فَلَمْ يُتْرَكْ لَهَا سَبْدُ
 وَابْتَرَّتْ مِنِّي ضِيَاعِي بَعْدَ مَنَعَتِهَا ظَلَمًا وَفُرِّقَ مِنِّي الْأَهْلُ وَالْوَلَدُ
 فَأَطْرَقَ الْمَأْمُونُ جِنَانًا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهَا وَهُوَ يَقُولُ :

فِي دُونَ مَا قُلْتَ زَالَ الصَّبْرُ وَالْجَلْدُ عَنِّي وَقَرِحَ مِنِّي الْقَلْبُ وَالْكَيْدُ
 هَذَا أَذَانُ الْعَصْرِ فَأَنْصَرِي وَأَحْضِرِي الْحَصَمَ فِي الْيَوْمِ الَّذِي أَعِدُّ

وَالْجُلُوسُ السَّبْتُ إِنْ يُقَضَّ الْجُلُوسُ لَنَا تُنْصِفُكَ مِنْهُ وَإِلَّا الْجُلُوسُ الْوَاحِدُ
 فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الْوَاحِدُ جَلَسَ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تِلْكَ
 الْمَرْأَةُ . فَقَالَتْ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .
 فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ أَيْنَ الْخُصْمُ . فَقَالَتْ : الْوَأَيْفُ عَلَى رَأْيِكَ
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَأَوَمَاتُ إِلَى الْعَبَّاسِ ابْنِهِ . قَالَ : يَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ
 خُذْ يَدَيْهِ فَاجْلِسْهُ مَعَهَا مَجْلِسَ الْخُصُومِ . فَجَعَلَ كَلَامَهَا يُلَوِّكُ كَلَامَ الْعَبَّاسِ
 فَقَالَ لَهَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ : يَا أُمَّةُ اللَّهِ إِنَّكَ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .
 وَإِنَّكَ تُكَلِّمِينَ الْأَمِيرَ فَاخْفِظِي مِنْ صَوْتِكَ . فَقَالَ الْمَاءُونُ : دَعَهَا
 يَا أَحْمَدُ فَإِنَّ الْحَقَّ أَنْظَمَهَا وَأَخْرَسَهُ . ثُمَّ قَضَى لَهَا بِرَدِّ صَبِيَّتَيْهَا إِلَيْهَا . وَظَلَمَ
 الْعَبَّاسُ بِظُلْمِهِ لَهَا . وَأَمَرَ بِالْكَتَابِ لَهَا إِلَى الْوَأَيْفِ بِلَدِّهَا أَنْ يُوْغِرَ لَهَا
 صَبِيَّتَهَا وَيُحْسِنَ مُعَاوَنَتَهَا وَأَمَرَ لَهَا بِنَفَقَةٍ

(لَا بَنَ عَبْدِ رَبِّهِ)

المرأة الكريمة

٣١٥ حُكِيَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ كَانَ مِنْ أَكْبَارِ الْأَجَوَادِ الْكِرَامِ
 فَتَزَلَّ مِنْزِلًا . وَكَانَ مُنْصَرِّفًا مِنَ الشَّامِ إِلَى الْحِجَازِ . فَطَلَبَ مِنْ غُلَامَانِهِ
 طَعَامًا فَلَمْ يَجِدُوا . فَقَالَ لَوَكِيلِهِ : أَذْهَبَ فِي هَذِهِ الْبَرِّيَّةِ فَأَمْلَأَكَ تَجِدُ
 رَاعِيًا أَوْ حَيًّا فِيهِ لَبَنٌ أَوْ طَعَامٌ . فَمَضَى بِالْغُلَامَانِ فَوَقَعُوا عَلَى عَجُوزٍ فِي حَيٍّ .
 فَقَالُوا لَهَا : عِنْدَكَ طَعَامٌ نَبَاغُهُ . قَالَتْ : أَمَا طَعَامُ الْبَيْعَةِ فَلَا وَلَكِنْ عِنْدِي
 مَا بِهِ حَاجَةٌ لِي وَلَا بَنَاتِي . قَالُوا : فَأَيْنَ بُسُوكِ . قَالَتْ : فِي رِغْمِي لَمْ
 دَنَا أَوْ أَنْ أَرْتَبِهِمْ . قَالُوا : فَمَا أَعَدَدْتَ لَكَ وَلَهُمْ قَالَتْ : خُبْزَةٌ تَحْتَ

مَلَيْهَا . قَالُوا : وَمَا هُوَ غَيْرُ ذَلِكَ . قَالَتْ : لَا شَيْءَ . قَالُوا : تَجُودِي أَنَا
بِشَطْرِهَا . قَالَتْ : أَمَّا الشَّطْرُ فَلَا أَجُودُ بِهِ وَأَمَّا الْكُلُّ فَنَحْذَرُهُ . قَالُوا
لَهَا : تَمْتَعِينَ النِّصْفَ وَتَجُودِينَ بِالْكَُلِّ . قَالَتْ : نَعَمْ لِأَنَّ إعْطَاءَ
الشَّطْرِ نَقِصَةٌ . وَإِعْطَاءُ الْكُلِّ كَمَالٌ وَنَضِيلَةٌ . فَأَنَا أَمْنَعُ مَا يَضُرُّنِي
وَأَمْنَعُ مَا يَرْفَعُنِي . فَأَخَذُوهَا وَلَمْ تَسْأَلْهُمْ مِنْ هُمْ وَلَا مِنْ أَيْنَ جَاءُوا . فَلَمَّا
جَاءُوا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ وَأَخْبَرُوهُ بِمَخْرِجِهَا عَجِبَ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ قَالَ لَهُمْ :
أَحْمِلُوهَا إِلَيَّ السَّاعَةَ فَرَجِعُوا إِلَيْهَا . وَقَالُوا لَهَا : أَنْتَ لَوْ مَعَنَا إِلَى صَاحِبِنَا
فَأَنَّهُ يُرِيدُكَ . قَالَتْ : وَمَنْ صَاحِبُكُمْ . قَالُوا : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ . قَالَتْ :
وَأَيُّكُمْ هَذَا هُوَ الشَّرَفُ الْعَالِي وَذِرْوَةُ الرَّفِيعَةِ . وَمَاذَا يُرِيدُ مِنِّي .
قَالُوا : مُكَّافَأَتُكَ وَبِرُّكَ . قَالَتْ : أَوَاهِ وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَا فَعَلْتُ مَرُوفًا
مَا أَخَذْتُ لَهُ بَدَلًا . فَكَيْفَ وَهُوَ شَيْءٌ يَجِبُ عَلَى الْخَلْقِ أَنْ يُشَارِكَ فِيهِ
بَعْضُهُمْ بَعْضًا . فَلَمْ يَزَالُوا يَهَيِّئُونَ أَنْ أَخْذُرَهَا إِلَيْهِ . فَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَيْهِ
سَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهَا السَّلَامَ . وَقَرَّبَ مَجْلِسَهَا ثُمَّ قَالَ لَهَا : مِمَّنْ أَنْتِ .
قَالَتْ : مِنْ بَنِي كَلْبٍ . قَالَ : فَكَيْفَ حَالُكَ . قَالَتْ : أَشْهَرُ الْيَسِيرِ
وَأَهْجَعُ الْكُتْرِ اللَّيْلِ وَأَرَى قُرَّةَ الْعَيْنِ فِي شَيْءٍ . فَلَمْ يَكُ مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ
إِلَّا وَقَدْ وَجَدْتُهُ . قَالَ : فَمَا أَذْخَرْتَ لِنَيْسِكَ إِذَا حَضَرُوا . قَالَتْ :
أَذْخَرْتُ لَهُمْ مَا قَالَه حَاتِمٌ طَيِّبٌ حَيْثُ قَالَ :

وَأَذْأَبَيْتُ عَلَى الطَّوَى وَأَظْلُهُ حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَاكِلِ
فَارْدَادَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْهَا نَجْبًا . ثُمَّ قَالَ لَهَا : لَوْ جَاءَ بَنُوكَ وَهُمْ جِيَاعٌ مَا

كُنْتَ تَصْنَعِينَ . قَالَتْ : يَا هَذَا لَقَدْ عَظُمْتُ عِنْدَكَ هَذِهِ الْخِزْبَةُ حَتَّى
 أَكْثَرْتُ فِيهَا مِمَّا لَكَ . وَأَشْفَلَتْ بِهَا بِأَلِك . إِلَهَ عَنْ هَذَا فَإِنَّهُ يُفْسِدُ
 النَّفْسَ وَيُؤَثِّرُ فِي الْخِيسَةِ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَحْضِرُوا لِي أَوْلَادَهَا
 فَاحْضَرُوهُمْ فَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ رَأَوْا أُمَّهُمْ وَسَلَّمُوا . فَأَدْنَاهُمْ إِلَيْهِ وَقَالَ :
 إِنِّي لَمْ أَطْلُبْكُمْ وَأَمَّا كُمْ لِمَكْرُوهِهِ وَإِنَّمَا أَجِبُ أَنْ أَصْلَحَ مِنْ شَأْنِكُمْ وَلَمْ
 شَعْرَكُمْ . وَمَأْلُوا : إِنَّ هَذَا قَلَّ أَنْ يَكُونَ إِلَّا عَنْ سُؤَالٍ أَوْ مَسْكَافَةٍ لِفِعْلٍ
 قَدِيمٍ . قَالَ : أَيْسَرُ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَكِنْ جَاوَزْتُكُمْ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ
 فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَضَعَ بَعْضَ مَا بِي فِيكُمْ . قَالُوا : يَا هَذَا نَحْنُ فِي خَفَضٍ عَنِ
 وَكَفَافٍ مِنَ الرِّزْقِ فَوَجْهَهُ نَحْوَهُمْ بَسْتَوْثُهُ . وَإِنْ أَرَدْتَ التَّوَالَّ . مَبْتَدَأُ
 مِنْ غَيْرِ سُؤَالٍ فَتَقَدَّمَ فَعَرُوفُكَ مَشْكُورٌ وَرُكَّ مَقْبُولٌ . فَقَالَ : نَعَمْ هُوَ
 ذَلِكَ . وَأَمَرَهُمْ بِبَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَعِشْرِينَ نَاقَةً . فَقَالَتِ الْعَجُوزُ
 لِأَوْلَادِهَا : ائْتِلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ شَيْئًا مِنَ الشَّعْرِ وَأَنَا أَتْبَعُكُمْ فِي
 شَيْءٍ مِنْهُ . فَقَالَ الْأَكْبَرُ :

شَهِدْتُ عَلَيْكَ بِطِيبِ الْكَلَامِ وَطِيبِ الْأَعْمَالِ وَجَائِبِ الْخَيْرِ
 وَقَالَ الْأَوْسَطُ :

تَبَرَّعْتَ بِالْجُودِ قَبْلَ السُّؤَالِ فَقَالَ عَظِيمٌ كَرِيمٌ الْخَطَرِ
 وَقَالَ الْأَصْغَرُ :

وَحَقٌّ لِيَنَّ كَانَ ذَا فِئْلُهُ بِأَنْ يَسَّ تَرِيقَ رِقَابِ الْبَدَنِ
 وَقَالَتِ الْعَجُوزُ :

فَعَمَّرَكَ اللَّهُ مِنْ مَاجِدٍ وَوَقَّيْتَ كُلَّ الرَّدَى وَالْحَذَرِ

الأعرابي ومالك بن طوق

٣١٦ وَقَدْ أَعْرَابِيٌّ عَلَى مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ وَكَانَ زَرِيًّا الْحَالِ رَثًّا
 الْفَيْسَةِ. تُنْعَمُ مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهِ. فَأَقَامَ بِالرَّحْبَةِ أَيْلَامًا. فَخَرَجَ مَالِكُ ذَاتَ
 يَوْمٍ يُرِيدُ التَّزَهُّدَ حَوْلَ الرَّحْبَةِ. فَعَارَضَهُ الْأَعْرَابِيُّ فَنَعِمَهُ اشْرَاطَةً
 أَزْدَرَاءَ بِهِ. فَلَمْ يَتَمَنَّ عَنْهُ حَتَّى أَخَذَ بَعَنَانِ قَرَسِهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا الْأَمِيرُ
 أَنَا عَائِدُكَ مِنْ شُرْطِكَ. فَتَبَاهَمُ عَنْهُ وَأَبَدَهُمْ مِنْهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ: هَلْ
 مِنْ حَاجَةٍ. قَالَ: نَعَمْ أَسْأَلُ اللَّهَ الْأَمِيرَ. قَالَ: وَمَا هِيَ. قَالَ: أَنْ تُصْنِيَ
 إِلَيَّ بِسْمَتِكَ. وَتَنْظُرَ إِلَيَّ بِطَرَفِكَ. وَتُقِيلَ عَلَيَّ بِوَجْهِكَ. ثُمَّ أَسَدَدَ:
 بِبَابِكَ دُونَ النَّاسِ أَرَزْتُ حَاجَتِي وَأَقْبَلْتُ أَسْمَى نَحْوَهُ وَأَطُوفُ
 وَبِمَعْنَى الْحُجَابِ وَالْأَلِيلِ مُسْبِلٌ وَأَنْتَ بَعِيدُ وَالرِّجَالُ ضُفُوفُ
 يَطُوفُونَ حَوْلِي بِأَلْفِ لُوبٍ كَأَنَّهُمْ ذُنَابُ جِيَاعٍ بَيْنَهُنَّ خُرُوفُ
 فَأَمَّا وَقَدْ أَبْصَرْتُ وَجْهَكَ مُقْبِلًا وَأَصْرَفُ عَنْهُ إِنِّي لَضَعِيفُ
 وَمَا لِي مِنْ أَدْنَى سِوَاكَ وَمَا لِي مِنْ أَدْنَى سِوَاكَ وَمَا لِي مِنْ أَدْنَى سِوَاكَ
 وَقَدْ عَلِمَ الْحَيَّانُ قَيْسُ وَخَنْدِفُ وَرَكَتُ وَرَأَيْتُ مَرْبَعٌ وَهَضِيفُ
 نَحَطْتُ أَغْنَاكَ الْمُلُوكُ وَرَحَلْتُ إِلَيْكَ وَقَدْ أَخْنَتُ عَلَيَّ صُرُوفُ
 فَجِئْتُكَ أَنِّي أَحْتَرُ مِنْكَ فَهَزَنِي مِنْ ضَرْبِ الْعَيْدِ ضُفُوفُ
 فَلَا تَجْعَلْ لِي نَحْوَ بَابِكَ عَوْدَةً فَهَلِي مِنْ ضَرْبِ الْعَيْدِ نَحُوفُ
 فَاسْتَصْحَكَ مَالِكٌ حَتَّى كَادَ يَسْقُطُ عَنْ قَرَسِهِ. ثُمَّ قَالَ لِمَنْ

حَوْلَهُ : مَنْ يُعْطِيهِ دِرْهَمًا يَدْرْهَمَيْنِ وَتَوْبًا يَتَوْبَيْنِ . فَنُفِثَتْ أَلْدَرَاهِمُ
وَوَقَعَتِ الْأَيْبُ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى تَحْيَرَ الْأَعْرَابِيُّ وَأَخْطَطَ
عَقْلُهُ أَكْثَرَةً مَا أُعْطِيَ . فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ : هَلْ بَقِيَتْ لَكَ حَاجَةٌ يَا أَخَا
الْعَرَبِ . قَالَ : أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا . قَالَ : فَأَلَى مَنْ . قَالَ : إِلَى اللَّهِ أَنْ
يُفِيكَ لِلْعَرَبِ فَإِنَّهَا لَا تَرَالُ بِخَيْرٍ مَا بَسَيْتَ لَهَا (للقليوبي)

الخارجي والمتهم

٣١٧ أَخْبَرَ بَعْضُهُمْ قَالَ : مَا رَأَيْتُ رَجُلًا عُرِضَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ فَلَمْ
يَكْتَرِثْ بِهِ إِلَّا تَيْمِ بْنِ جَبَلٍ الْخَارِجِيِّ . كَانَ قَدْ خَرَجَ عَلَى الْمُتَعَصِمِ
وَرَأَيْتُهُ قَدْ جِيءَ بِهِ أَسِيرًا . فَدَخَلَ عَلَيْهِ فِي يَوْمٍ مَوْكِبٍ وَقَدْ جَاسَ
الْمُتَعَصِمُ لِلنَّاسِ تَحْلِيسًا عَامًا وَدَعَا بِالسَّيْفِ وَالنَّطْعِ . فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ
نَظَرَ إِلَيْهِ الْمُتَعَصِمُ فَأَعْجَبَهُ شَكْلُهُ وَقَدُّهُ وَمَشِيَّتُهُ إِلَى الْمَوْتِ غَيْرَ مَكْتَرِثٍ
بِهِ . فَأَطَالَ الْفِكْرَةَ فِيهِ ثُمَّ اسْتَنْطَقَهُ لِيَنْظُرَ فِي عَقْلِهِ وَبَلَغَتْهُ فَقَالَ :
يَا تَيْمِ إِنْ كَانَ لَكَ عُذْرٌ قَاتٍ بِهِ . قَالَ : أَمَّا إِذَا أَذِنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
(جَبْرَ اللَّهِ بِهِ صَدَعَ الدِّينَ . وَلَمْ تَمُتِ الْمُسْلِمِينَ . وَاتَّخَذَ شِهَابَ الْبَاطِلِ .
وَأَنَارَ سُبُلَ الْحَقِّ) . قَالَ ذُنُوبُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تُغْرِسُ الْأَلْسِنَةَ وَتَهْدَعُ
الْأَفئِدَةَ . وَائِمُّ اللَّهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الْجُرِيرَةُ وَأَنَاطَتِ الْحُجَّةُ . وَسَاءَ الْخُنْ
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْعَفْوُ أَوْ الْإِنْتِصَامُ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَقْرَبُ إِلَى الْعَفْوِ وَهُوَ
أَلْيَقُ شَيْبِهِ الطَّاهِرَةِ . ثُمَّ أَتَشَدَّ :

أَرَى الْمَوْتَ بَيْنَ السَّيْفِ وَالنَّطْعِ كَأَنَّا يُلَاحِظُنِي مِنْ حَيْثُ مَا أَتَلَفْتُ

وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي وَأَيُّ أَمْرِي يَمَّا قَضَى اللَّهُ يُفْلِتُ
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَأْتِي بِمُذْرٍ وَجْهَةٍ وَسَيْفُ الْمَنَاءِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُصَلَّتٌ
وَمَا جَزَعِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَإِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ شَيْءٌ مُوقَّتٌ
وَأَكْبَادُهُمْ مِنْ حَسْرَةٍ تَنَقَّتْ وَأَكْبَادُهُمْ مِنْ حَسْرَةٍ تَنَقَّتْ
كَأَنِّي أَرَاهُمْ حِينَ أَتَى إِلَيْهِمْ وَقَدْ أَطْمَأْزَعُوا تِلْكَ الْحُدُودَ وَصَوَّوْا
فَإِنْ عِشْتُ عَاشُوا سَالِمِينَ بِغِلْظَةٍ أَذُودُ الرَّدَى عَنْهُمْ وَإِنْ مِتُّ مَوْتُوْا
قَالَ فَبِكَيْ الْمُعْتَصِمِ وَقَالَ : إِنَّ مِنَ الْيَأْسِ لَخَيْرًا . ثُمَّ قَالَ : كَادَ
وَاللَّهِ يَا تَيْمٍ أَنْ يَسْبِقَ السَّيْفُ الْمَذَلَّ وَقَدْ وَهَبْتَكَ لِلَّهِ وَلَاصِيتِكَ
وَأَعْطَاهُمْ خَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ (ثمرات الاوراق للحموي)

قصة رجل اجار رجلا استغاث به وكان خائفا على دمه فجزى على احسانه

٣١٨ حَكِي الْعَبَّاسُ حَاجِبُ الْنُصُورِ قَالَ : لَمَّا مَلَكَ الْعَبَّاسُ السَّفَاحُ
الْبِلَادَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَاسْتَوَلَى عَلَى الْخِلَافَةِ قَطَعَ آثَارَ بَنِي أُمَيَّةَ مِنْ
جَمِيعِ الْبِلَادِ . فَبَعْدَ مَدَّةٍ قَلِيلَةٍ تَرَجَعَ الْمُتَعَصِّبُونَ لِبَنِي أُمَيَّةَ وَأَثَارُوا فِتْنَةً
عَظِيمَةً فِي الشَّامِ . وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ مَوْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْعَبَّاسِ السَّفَاحِ
وَتَوَلَّى الْخِلَافَةَ لِأَخِيهِ أَبِي جَعْفَرِ النُّصُورِ . قَامَ الْأُمَوِيُّونَ عَلَى
الْعَبَّاسِيِّينَ وَقَتَلُوا جَمِيعَ مَنْ وَقَعَ مِنْهُمْ فِي أَيْدِيهِمْ . وَبَلَغَنِي الْخَبَرُ وَأَنَا
مَاشٍ فِي شَارِعٍ وَمَاضٍ لَا بَتَّاعَ شَيْئًا أَنَّهُمْ طَلَبُونِي وَأَذْرَكُونِي . فَهَرَبْتُ
وَدَخَلْتُ دَارًا وَجَدْتُ نَابَهَا مَفْتُرَحًا فَلَقِيتُ فِي سَاحَتِهَا شَيْخًا مَرِيئًا جَالِسًا
فَقَالَ : مَنْ الرَّجُلُ . نَهَلْتُ : خَافْتُ عَلَى دَمِيهِ وَقَدْ أَذْرَكُهُ الطَّلَبُ . فَقَالَ :

مَرَحَبًا لَا بَأْسَ عَلَيْكَ ادْخُلْ هَذِهِ الْمَقْصُورَةَ. وَأَشَارَ لِي إِلَى بَابٍ فَدَخَلْتُهُ
 وَمَضَى مُسْرِعًا وَأَقْفَلَ الْبَابَ وَدَخَلَ حُرْمَهُ وَأَتَانِي مِنْ ثِيَابِهِنَّ وَقَالَ
 لِي: قُمْ أَشْلُحْ مَا عَلَيْكَ وَالْبَسْ هَذِهِ الثِّيَابَ لِأَنِّي رَأَيْتُ الطَّلَبَ عَلَيْكَ
 شَدِيدًا. فَلَبَسْتُ ثِيَابَ النِّسَاءِ ثُمَّ ادْخَلَنِي إِلَى مَقْصُورَةِ حَرَمِهِ وَجَعَلَنِي
 بَيْنَهُنَّ. فَمَا لَيْتُ فُلَيْلًا أَنْ طَرِقَ بَابُ الدَّارِ وَقَدْ حَضَرَتِ الرِّجَالُ فِي
 طَائِفِي. فَدَخَلَ الرَّجُلُ عِنْدِي وَقَالَ لِي: لَا تَخَفْ بَلْ كُنْ مُسْتَقِرًّا فِي
 حَرَمِي. ثُمَّ زَلَّ وَقَفَّحَ الْبَابَ لِلنَّاسِ فَطَلَبُونِي مِنْهُ فَأَنْكَرَنِي وَقَالَ: إِيَّاهُ
 لَمْ يَرْنِي. فَقَالُوا لَهُ: نَفِثَسْ بَيْتَكَ وَمَالَ لَهْمُ: دُونَكُمْ فَلَكُمْ ذَلِكَ. فَدَخَلَ
 الْقَوْمُ وَنَفِثُوا جَمِيعَ دَارِ الرَّجُلِ إِلَّا الْمَقْصُورَةَ الَّتِي فِيهَا حَرَمُهُ فَلَمْ يَجِدُوا
 شَيْئًا. فَذَهَبُوا وَأَقْفَلَ الرَّجُلُ بَابَ دَارِهِ وَدَخَلَ عَلَيَّ وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ
 عَلَى سَلَامَتِكَ وَجَعَلَ لَا يَبْرَحَ مِنْ تَائِبِي وَمُجَالِسِي وَإِكْرَامِي
 مُدَّةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ. فَهَاتُ لَهُ يَوْمًا: يَا مَوْلَايَ لَقَدْ طَالَ مَقَامِي وَأَنَا أُرِيدُ
 الْحَاقَّ بِوَلِيِّ نِعْمَتِي. فَقَالَ: أَمَّا إِذَا شِئْتَ فَأَمْضِ مُعَايَ. ثُمَّ إِنَّهُ أَحْضَرَ
 لِي زَانًا كَبِيرًا وَرَكُوبَةً وَأَعْطَانِي صُرَّةً فِيهَا خَمْسُمِائَةِ دِينَارٍ وَقَالَ لِي:
 كُلُّ أَحْتِيَاجِ سَفَرِكَ مُعَدٌّ إِلَّا أَنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تَمْضِيَ وَتَخْرُجَ مِنْ
 الْمَدِينَةِ نَهَارًا فَتَعْرِفَ فَأَهْلُ إِلَى بَعْدِ الْغُرُوبِ قَبْلَ قَفْلِ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ.
 فَهَاتُ لَهُ: إِنْ أَرَأَيْتَ رَأَيْكَ. فَصَبَرْتُ إِلَى أَنْ أَظَلَمْتُ ثُمَّ قُمْتُ وَقَامَ
 مَعِي وَأَخْرَجَنِي مِنْ بَابِ الشَّامِ وَسَارَ مَعِيَ مَسَافَةً طَوِيلَةً فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ
 أَنْ لَا يَزِيدَ عَلَيَّ ذَلِكَ. فَوَدَّعَنِي وَرَجَعَ وَسِرْتُ شَاكِرًا لِلرَّجُلِ

وَمُتَّحِبًّا مِنْ غَزَارَةِ إِحْسَانِهِ إِلَى أَنْ بَلَغَتْ بُغْدَادَ وَلَحِقَتْ بِأَبِي جَعْفَرٍ
الْمَنْصُورِ. فَذَاتَ يَوْمٍ لَمَّا قُمْتُ صَبَاحًا عَلَى عَادَتِي الْفَجْرِ الْعَمِيقِ وَخَرَجْتُ
مِنْ دَارِي قَاصِدًا دَارَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورِ وَجَدْتُ رَسُولَهُ فِي الطَّرِيقِ
وَهُوَ آتٍ مِنْ عِنْدِهِ يَدْعُونِي لَهُ. فَأَنْطَلَقْتُ مُسْرِعًا إِلَى أَنْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ
فَنَظَرُ إِلَيَّ وَقَالَ لِي : يَا عَبَّاسُ. قُلْتُ لَيْتَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ خُذْ
هَذَا الرَّجُلَ وَاحْتَفِظْ بِهِ وَغَدَا أُلْتِمَنِي بِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ قُدِمَ مِنْكَ فَلَا
أَرْضَى إِلَّا بِعُفُوكَ. فَهَاتُ سِدْمًا وَطَاعَةً يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَنَظَرْتُ
فَوَجَدْتُ أَمَلَهُ فِي نَاحِيَةِ الْمَكَانِ سَيِّئًا مُقَدِّدًا فِي عُنُقِهِ وَيَدِيهِ وَرِجْلَيْهِ
فَأَخَذْتُهُ وَخَرَجْتُ بِهِ فَأَزَكَبْتُهُ وَأَتَيْتُ بِهِ إِلَى بَيْتِي. وَكَثُرَتْ حِرْصِي
عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ وَصِيَّةِ الْمَنْصُورِ لِي دَعَوْتُ غُلَامِي وَأَمَرْتُهُمْ فَقَرَّشُوا لَنَا
مَقْصُورَةً وَأَجْلَسْتُ الرَّجُلَ فِيهَا وَجَلَسْتُ إِلَى جَانِبِهِ وَوَضَعْتُ طَرَفَ
قَدِيدِهِ فِي رِجْلِي وَطَبَقْتُ عَلَيْهِ. كُلُّ ذَلِكَ حِرْصًا عَلَى الرَّجُلِ لِئَلَّا يَهْرُبَ
فَيَرْوَحَ عُنُقِي. فَلَمَّا مَضَى النَّهَارُ وَجَاءَ الْمَغْرِبُ أَمَرْتُ غُلَامِي أَنْ يَحْجَاؤُوا
بِأَلْمَانِدَةٍ وَعَلَيْهَا الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ. فَحَاسَتْ أَنَا وَالرَّجُلُ فَأَكَلْنَا ثُمَّ غَسَلْنَا
أَيْدِينَا وَجَلَسْنَا وَقَدْ صَغُرَتْ مِنَ السُّكُوتِ لِأَنَّ الرَّجُلَ مَهْمُومٌ وَيَتَفَكَّرُ فِي
شَأْنِهِ فَسَأَلْتُهُ مِنْ أَيْنَ هُوَ. فَقَالَ : مِنْ الشَّامِ. قُلْتُ : أَتَعْرِفُ فُلَانًا الْفُلَانِيَّ
فِي الشَّامِ. فَقَالَ : مَا أَحَدٌ أَعْرِفُ بِهِ مِنِّي لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنْهُ. قُلْتُ لَهُ : لِأَنِّي
أَسِيرٌ مَعْرُوفٌ وَعَبْدٌ إِحْسَانِهِ. وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا عَمِلَهُ مَعِيَ فِي زَمَانِ فَتَةِ الشَّامِ.
فَتَبَسَّمَ الرَّجُلُ فَلَمَّا تَبَسَّمَ تَفَرَّسْتُ فِيهِ فَإِذَا هُوَ هُوَ. نَظَارَ عَلَيَّ مِنْ

رَأْسِي فَرَحًا بِهِ فَجَمَلْتُ أَسْأَلُهُ إِلَى أَنْ تَحَقَّقَتْهُ فَقُمْتُ حِينَئِذٍ وَكَسَّرْتُ
أَقْفَالَ قُبُودِهِ وَهُوَ يَتَّبِعُ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ أَمَرْتُ الْعُلَمَانَ فَأَحْضَرُوا لَهُ
ثِيَابًا فَأَتَى لِبْسَهَا فَأَقْسَمْتُ عَلَيْهِ فَلَبِسَهَا . ثُمَّ قَالَ لِي : مَا مَرَادُكَ أَنْ تَعْدِلَ بِي .
قُلْتُ : وَاللَّهِ أَنْتَ ذَاكَ حَتَّى تُصِيرَ بَعِيدًا عَنْ بَغْدَادَ بِمَرَّاحِلٍ وَتَذْهَبَ فِي
حَالِ سَبِيلِكَ . فَقَالَ : أَسْمَعُ هَذَا لَيْسَ هُوَ الرَّأْيُ الصَّائِبُ لِأَنَّكَ إِذَا
مَضَيْتَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غَيْرِي يَغْضَبُ عَلَيْكَ فَيَقْتُلُكَ وَأَنَا مَعَاذُ
اللَّهِ أَنْ أَشْتَرِي سَلَامَتِي بِمَوْتِكَ فَهَذَا لَا يُمَكِّنُ . فَقُلْتُ لَهُ : وَمَا ذَنْبُكَ
أَنْتَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ : اتَّهَمُونِي زُورًا بِأَنِّي أَنَا الَّذِي حَرَكْتُ
الْفَتْحَ فِي الشَّامِ وَأَنَّ ابْنِي أُمَيَّةَ عِنْدِي وَدَائِعُ . فَقُلْتُ : حَيْثُ إِنَّ هَذَا
فَقَطُّ جُرْمُكَ وَاللَّهِ إِنِّي أَهْرَبُكَ وَأَنَا لَا أَبَالِي مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ
قَتَلَنِي وَإِنْ عَفَا عَنِّي . فَإِنْ إِحْسَانُكَ السَّالِفَ عَلَيَّ عَظِيمٌ جَدًّا . فَقَالَ لِي :
لَا تَظُنْ أَنَّي أَطَاوَعُكَ عَلَى ذَلِكَ وَلَكِنْ عِنْدِي رَأْيٌ أَصَوَّبُ وَهُوَ :
دَعْنِي مَحْفُوظًا فِي مَسْكَنِ وَأَمْسُ قُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا شِئْتَ مِنْ هَرَبِي .
فَإِنْ عَفَا عَنْكَ فَقَدْ إِنِّي وَأَطْلَعْنِي فَأَهْرُبُ وَإِنْ أَمَرَ بِتَقَاتِكَ فَعِنْدَ ذَلِكَ
أَكُونُ أَنَا فِي أَمْرِكَ فَتُحْضِرُنِي وَتَفْتَدِي نَفْسَكَ . وَعَدَا هَذَا لَا أَرْضِي
مَعَكَ بِشَيْءٍ (قَالَ) فَلَمَّا رَأَيْتُ الرَّجُلَ أَبِي إِلَّا هَذَا وَضَمْتُهُ فِي مَقْصُورَةٍ
خَفِيَّةٍ فِي دَارِي وَأَصْبَحْتُ وَأَبْكَرْتُ إِلَى دَارِ الْحِلَافَةِ . فَدَخَلْتُ فَوَجَدْتُ
الْمَنْصُورَ جَالِسًا يَنْتَظِرُنِي . فَلَمَّا رَأَى وَحْدِي قَامَ عِرْقُ الْغَضَبِ بَيْنَ
عَيْنَيْهِ وَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ قَدْ صَارَتَا مِثْلَ الدَّارِ غِيظًا عَلَيَّ وَقَالَ لِي : هَيْه

يَا عَبَّاسُ أَيْنَ الرَّجُلُ . فَقُلْتُ لَهُ : هَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ الْعَوَّاقِرُ
لِلتَّقْوَى وَهَذَا رَجُلٌ جَرَى لِي مَعَهُ كَيْتٌ وَكَيْتٌ وَقُلْتُ مَعِيَ كَذَا وَكَذَا
مِنَ الْإِحْسَانِ الْعَظِيمِ فَأَلْتَزَمْتُ لِحَقِّ إِحْسَانِهِ أَنْ أَطْلُبَهُ أَمْ لَا يَا أَمِيرَ
وَأَيْتُكَ لَا عَلَى كَرَمِكَ . قَالَ : فَرَأَيْتُ وَجْهَ الْمَنْصُورِ قَدْ تَهَلَّلَ وَقَالَ لِي :
لِحَاكِ اللَّهُ يَا عَبَّاسُ . أَيْفَعَلُ هَذَا الرَّجُلُ مَعَكَ هَذَا الْإِحْسَانِ الْعَظِيمِ فِي
زَمَنِ الْفِتَّةِ وَتَطْلُعِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخْبِرَنِي بِإِحْسَانِهِ لِتَقُومَ بِإِكْرَامِهِ وَتُخْبِرَهُ
عَمَّا فَعَلَهُ مَعَكَ مِنَ الْخَيْرِ . وَجَعَلَ الْمَنْصُورُ يَتَأَسَّفُ وَيَفْرِكُ يَدَيْهِ تَحْسِرًا
وَيَبْكُ : أَبْذَهَبُ مِنَّا إِنْسَانٌ لَهُ عَلَيْنَا إِحْسَانٌ فَلَا نُؤْفِيهِ بَعْضَ مَا اسْتَوْجَبَ
عِنْدَنَا مِنْ عَظِيمِ مَعْرُوفِهِ وَاللَّهُ إِنَّمَا الْكَتَبَنِي . فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَا أَبِي
وَأُمِّي إِنْ الرَّجُلَ مُوجُودٌ عِنْدِي وَقَدْ أَبَى أَنْ يَهْرَبَ لِحُوفِهِ عَلَى غَنِيٍّ
مِنْكَ . فَقَالَ لِي أَنْ أَجْعَلَهُ مَحْفُوظًا فِي مَكَانٍ وَأَتِيَاكَ فَأُخْبِرَكَ أَنَّهُ هَرَبَ
فَإِنْ عَفَوْتَ وَإِلَّا رَجَعْتُ أَحْذَرْتُهُ . فَاسْتَبَشَرَ وَجْهَ الْمَنْصُورِ وَضَرَبَ
بِرِجْلِهِ الْأَرْضَ وَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ إِسْأَوِي مَثَدَارَ سَالِفِ مَعْرُوفِ الرَّجُلِ
إِلَيْكَ . فَأَمَضَ مُسْرِعًا وَأَتْنِي بِهِ مُكْرَمًا مُوقَرًا . فَضَيَّيْتُ وَأَتَيْتُ دَارِي
وَدَخَلْتُ عَلَى الرَّجُلِ فَقَبَّلَ الْأَرْضَ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى وَقَامَ وَجَاءَ مَعِيَ
حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورِ فَمِنْ رَأَاهُ رَجَبَ بِهِ وَأَجَاسَهُ
بِحُبِّهِ وَاعْتَزَمَهُ وَخَطَمَ عَلَيْهِ خِلَةً نَفِيسَةً وَقَالَ لَهُ : هَذَا جَزَاءُ إِحْسَانِكَ .
وَسَأَلَهُ إِنْ شَاءَ أَنْ يُؤْتِيَ الشَّامَ فَأَبَى وَشَكَرَهُ . وَأَطْلَقَهُ الْمَنْصُورُ مُوقَرًا
وَأَرْسَلَ مَعَهُ الْكُتُبَ لَوْلَاتِهِ يَا مُرْعَمُ يَا كَرَامَهُ وَأَقِيَامُ بَحَاوِجِهِ (اللاتيدي)

الْبَابُ الْخَامِسَ عَشَرَ
فِي الْمَكَاهَاتِ

٣١٩ أَرْسَلَ ابْنُ خُرُوفٍ الشَّاعِرُ إِلَى ابْنِ شَدَّادٍ بِحَلَبٍ يَطْلُبُ مِنْهُ قُرُوءَةً:
بِهَاءَ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَنُورَ التَّجْدِيدِ وَالْحَسْبِ
طَلَبْتُ خَفَاةَ الْأَنْوَا وَمِنْ جَدْوَاكَ جِلْدَ أَبِي
وَقَضَاكَ عَالِمٌ أَنِّي خُرُوفٌ بَارِعٌ الْأَدَبِ
حَابَتُ الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ وَفِي حَابٍ صَنَا حَلِي
٣٢٠ دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ عَلَى الْبُصَيْرِ فَأَشَدَّهُ:

رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ كَسَوْتَ جِلْدِي ثِيَابًا جَمَّةً وَتَضَيَّتْ دِينِي
فَكُنَّ بِنَفْسِي الْحُزْنَ فِيهَا وَاجُ نَاعِمٌ فَأَتَمَّ زِينِي
فَصَدَّقَ يَا قَدَتَكَ النَّاسُ رُؤْيَا رَأَتْهَا فِي الْمَنَامِ كَذَلِكَ عَيْنِي
فَأَمَرَ لَهُ بِذَلِكَ وَقَالَ: لَا تَعُدْ فَخْلَمَ فَأَجْمَلَ جَاءَكَ اضْمَانًا (اللازدي)

سيد العرب

٣٢١ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: رَأَيْتُ بِالْبَلَدِيَةِ أَعْرَابِيَّةً تَبْكِي عَلَى قَبْرِ رَتَنُورٍ:
مَنْ لِّلسُّوَالِ وَمَنْ لِّلنَّوَالِ وَمَنْ لِّمَعَالِي وَمَنْ لِّلْعُطَبِ
وَمَنْ لِّلْحِمَاةِ وَمَنْ لِّلْكِمَاةِ إِذَا مَا الْكِمَاةُ جَنُّوا لِلرَّكَبِ
إِذَا قِيلَ مَاتَ أَبُو مَالِكٍ فَتَى الْمَكْرُمَاتِ فَرِيدُ الْعَرَبِ
فَقُلْتُ لَهَا: مَنْ هَذَا الَّذِي مَاتَ هُوَ لَا كُلُّهُمْ يَمُوتُ . فَبَكَتْ

وَقَالَتْ : هَذَا أَبُو مَالِكٍ الْحَجَّامُ حَتَّى أَبِي مَنْصُورٍ الْحَلَالِكِ . فَقَالَتْ : لَا جَزَالَكَ اللَّهُ خَيْرًا . وَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ إِلَّا أَنَّهُ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ الْعَرَبِ

ابن المازلي عند المتضد

٣٧٢ كَانَ ابْنُ الْمَازِلِيِّ رَجُلًا يَتَكَلَّمُ بِبَغْدَادَ عَلَى الطَّرِيقِ بِأَخْبَارِ
وَنَوَادِرَ مُنَوَّعَةٍ . وَكَأَنَّ نِهَآيَةَ فِي الْحَذَقِ لَا يَسْتَطِيعُ مَنْ سَمِعَهُ أَنْ لَا
يَضْحَكُ . قَالَ : وَقَفْتُ يَوْمًا عَلَى بَابِ الْخَاصَّةِ أَضْحَكُ النَّاسَ وَاتَّقَادِرُ
فَحَضَرَ خَافِي بَعْضُ خُدَّامِ الْمُتَضَدِّ . فَأَخَذْتُ فِي نَوَادِرِ الْخُدَمِ فَأَعْجَبَ
بِذَلِكَ وَأَنْصَرَفَ . ثُمَّ عَادَ فَأَخَذَ بِيَدِي وَقَالَ : دَخَلْتُ فَوْقَ قِفَّتِ بَيْنَ
يَدَيَّ سَيِّدِي فَتَذَكَّرْتُ حِكَايَتَكَ فَضَحِكْتُ . فَأَنْكَرَ عَلَيَّ وَقَالَ : مَا لَكَ
وَبِكَ . فَقَالَتْ : عَلَى الْبَابِ رَجُلٌ يُعْرِفُ بِابْنِ الْمَازِلِيِّ يَتَكَلَّمُ بِحِكَايَاتِ
وَنَوَادِرِ ضَحْكِ الْكُؤُولِ . فَأَمَرَ بِإِحْضَارِكَ وَلِي يَصْفُ جَاذِبَتَكَ .
فَطَعَمْتُ فِي الْجَاذِبَةِ وَقُلْتُ : يَا سَيِّدِي أَنَا ضَعِيفٌ وَعَلَيَّ عَيْلَةٌ فَلَوْ
أَخَذْتَ سُدْسَهَا أَوْ رُبْعَهَا . فَأَبَى وَأَدْخَلَنِي . فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ السَّلَامَ وَهُوَ
يَنْظُرُ فِي كِتَابٍ . فَظَنَرُ فِي أَكْثَرِهِ وَأَنَا وَقِفْتُ ثُمَّ أَطْبَعَهُ وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ
وَقَالَ : أَنْتَ ابْنُ الْمَازِلِيِّ . قُلْتُ : نَعَمْ يَا مَوْلَايَ . قَالَ : بَلَّغْنِي أَنَّكَ
تُحْكِي وَتُضْحِكُ نَوَادِرَ عَجِيبَةٍ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْحَاجَّةُ تَنْتَقِي
الْحِيلَةَ . أَجْمَعُ لِلنَّاسِ حِكَايَاتِ أَتَرَبُّ بِهَا إِلَى قُلُوبِهِمْ فَأَلْبَسُ بِرَّهِمْ .
فَقَالَ : هَاتِ مَا عِنْدَكَ فَإِنْ أَضْحَكْتَنِي أَجْزُوكَ بِمِائَةِ دِرْهَمٍ وَإِنْ
أَنَا لَمْ أَضْحَكْ أَضْفَعُكَ بِذَلِكَ الْخِرَابِ عَشْرَ صَعْمَاتٍ . فَقُلْتُ فِي

نَفْسِي : مَلِكٌ لَا يَسْمَعُ إِلَّا بِشَيءٍ لَّيِّنٍ خَفِيفٍ . وَأَثَقْتُ فَإِذَا اجْرَابُ مِنْ
أَدَمٍ مُعَلَّقٍ فِي زَاوِيَةِ أَلْيَتٍ . قُلْتُ : مَا أَخْطَأْتُنِي عَسَى فِيهِ رَيْجٌ .
إِنْ أَصْحَحْتُهُ رَجَحْتُ وَأَخَذْتُ الْجَائِزَةَ وَإِلَّا فَصَرْتُ صَفْعَاتٍ بِجِرَابٍ
مَنْفُوحٍ شَيْءٌ هَيِيزٌ . ثُمَّ أَخَذْتُ فِي التَّوَادِرِ وَالْحِكَايَاتِ وَالْإِنْفَاسَةِ
وَالْعِبَارَةِ . فَلَمْ أَدْعِ حِكَايَةَ أَعْرَابِيٍّ وَلَا نَحْوِيٍّ وَلَا نَحْنَبِيٍّ وَلَا قَاضٍ وَلَا
تَبَطِّيٍّ وَلَا سِنْدِيٍّ وَلَا زَنْجِيٍّ وَلَا خَادِمٍ وَلَا زَكِيٍّ وَلَا شَاطِرٍ وَلَا عِيَّارٍ
وَلَا نَادِرَةَ وَلَا حِكَايَةَ إِلَّا وَأَخْضَرْتُهَا حَتَّى أَفِدَ كُلُّ مَا عِنْدِي وَتَصَدَّعَ
رَأْسِي . وَفَرَّتْ وَبَرَدَتْ وَلَمْ يَبْقَ وَرَائِي خَادِمٌ وَلَا غُلَامٌ إِلَّا وَقَدْ مَاتُوا
مِنْ الصَّحْكِ . وَمَوْمُطٌ لَا يَتَبَسَّمُ . قُلْتُ : قَدْ نَفِدَ مَا عِنْدِي وَوَاللَّهِ
مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ قَطُّ . فَقَالَ لِي : هِيَ مَا عِنْدَكَ . قُلْتُ مَا بَقِيَ لِي سِوَى
نَادِرَةٍ وَاحِدَةٍ . قَالَ : هَاتِيهَا . قُلْتُ : وَعَدْتَنِي أَنْ تَجْعَلَ جَائِزَتِي عَشْرَ
صَفْعَاتٍ وَأَسْأَلُكَ أَنْ تُضَعِّفَهَا لِي وَتُضِيفَ إِلَيْهَا عَشْرَ صَفْعَاتٍ أُخْرَى .
فَأَرَادَ أَنْ يَضْحَكَ ثُمَّ تَنَاسَكَ وَقَالَ : نَفْعٌ . يَا غُلَامُ خُذْ يَدِيهِ . ثُمَّ مَدَدْتُ
ظَهْرِي فَصَفَعْتُ الْجِرَابَ صَفْعَةً فَكَأَنَّمَا سَقَطَتْ عَلَيَّ قِطْعَةٌ مِنْ جَبَلٍ .
وَإِذَا هُوَ مَمْلُوءٌ حَصًّا مُدَوَّرًا فَصَفَعْتُ عَشْرًا فَكَادَتْ أَنْ تَنْفُصِلَ رَقَبَتِي
وَطَلَّتْ أَذُنَايَ وَانْقَدَحَ الشَّمَاعُ مِنْ عَيْنِي . فَصَحْتُ : يَا سَيِّدِي تَهَيَّجَةٌ .
فَرَفَعَ الصَّفْعَ بَعْدَ أَنْ عَزَمَ عَلَى الْعَشْرِينَ . فَقَالَ : قُلْ تَهَيَّجَتُكَ . قُلْتُ :
يَا سَيِّدِي إِنَّهُ لَيْسَ فِي الدِّيَانَةِ أَحْسَنُ مِنَ الْأَمَانَةِ وَأَقْبَحُ مِنَ الْحَيَانَةِ .
وَقَدْ صَيَّغْتُ لِلْخَادِمِ الَّذِي أَذْخَلَنِي نِصْفَ الْجَائِزَةِ عَلَى قُلُوبِهَا وَكُتْرِهَا .

وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ قَدْ أضعَفَهَا . وَقَدْ اسْتَوْفَيْتُ نَصِيْبِي رَبِّي
نِصفَهُ . فَصَحَّحْتُ حَتَّى اسْتَلَقْتُ وَأَسْتَفْزُهُ مَا كَانَ سَمْعًا . فَتَحَامَلُ لَهُ فَمَا زَالَ
يَضْرِبُ يَدَيْهِ الْأَرْضَ وَيَخْصُ بِرِجْلَيْهِ وَيَمْسِكُ بِمِرَاقٍ بَطْنَهُ حَتَّى إِذَا
سَكَنَ قَالَ : عَلَيَّ بِهِ نَأْتِي بِهِ . وَأَمْرٌ بِصَفْعِهِ وَكَانَ طَوِيلًا . فَقَالَ : وَمَا
جِنَائِي . فَقُلْتُ لَهُ : هَذِهِ جَائِزَتِي وَأَنْتَ شَرِيكِي فِيهَا . وَقَدْ اسْتَوْفَيْتُ
نَصِيْبِي مِنْهَا وَبَقِيَ نَصِيْبُكَ . فَلَمَّا أَخَذَهُ الصَّفْعُ وَطَرَقَ قَفَاهُ الْوَقْعُ أَقْبَلْتُ
الْوَمَةَ وَأَقُولُ لَهُ : قُلْتُ لَكَ إِنِّي ضَعِيفٌ مُعِيلٌ وَشَكُوتُ إِلَيْكَ الْحَاجَّةُ
وَالْمُسْكَنَةُ وَأَقُولُ لَكَ : خُذْ رُبْعَهَا أَوْ سُدُسَهَا وَأَنْتَ تَقُولُ لَا أَخُذُ
إِلَّا نِصفَهَا . وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ جَائِزَتُهُ
الصَّفْعُ وَهَبْتُهَا لَكَ كُلَّهَا . فَعَادَ إِلَى الصَّحِيحِ مِنْ عِتَابِي لِلْحَادِمِ . فَلَمَّا
اسْتَوْفَى نَصِيْبَهُ أَخْرَجَ صُرَّةً فِيهَا خَمْسُمِائَةِ دِرْهَمٍ . وَقَالَ : هَذِهِ كُنْتُ
أَعْدَدْتُهَا لَكَ فَلَمْ يَدْعُكَ فُضُولُكَ حَتَّى أَحْضَرْتَ شَرِيكَاً لَكَ . فَقُلْتُ :
وَأَيْنَ الْأَمَانَةُ . فَخَسَمَهَا بَيْنَنَا وَأَنْصَرَفْتُ (لأشراشي)

ابراهيم الموصلي وابراهيم المهدي عند الرشيد

٣٢٣ قَالَ الرَّشِيدُ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِي وَإِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ وَأَبْنِ
جَامِعٍ : بَاكُرُونِي غَدًا وَلَكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ قَدْ قَالَ شِعْرًا إِنْ كَانَ يَقْدِرُ
أَنْ يَقُولَهُ وَغَنَى فِيهِ لَحْنًا . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ شَاعِرًا عَنِّي فِي شِعْرِ غَيْرِهِ . قَالَ
إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِي : فَهَنْتُ فِي السَّحَرِ وَجَدْتُ أَنَّ أَقْدِرَ عَلَى شَيْءٍ
أَضْمُهُ فَلَمْ يَتَّفِقْ لِي . فَلَمَّا خِفْتُ طُلُوعَ الْفَجْرِ دَعَوْتُ بَعْلَمَانِي وَقُلْتُ لَهُمَا :

إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَمْنِي إِلَى مَوْضِعٍ لَا يَشْعُرُ بِأَحَدٍ حَتَّى أَصِيرَ إِلَيْهِ .
وَكُنَّا فِي زُبَيْدِيَّاتٍ لِي يَسْتَوْنَ فِيهَا عَلَى بَابِ دَارِي . قَعْنْتُ قَرَبْتُ
فِي إِحْدَاهَا وَقَصَدْتُ دَارَ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِي . وَكَانَ قَدْ حَدَّثَنِي أَنَّهُ إِذَا
أَرَادَ الصَّنْعَةَ لَمْ يَنْمِ حَتَّى يَدِيرَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ . وَاعْتَمَدَ عَلَى حَشَبَةٍ لَهُ فَلَمْ
يَزَلْ يَقْرَعُ عَلَيْهَا حَتَّى يَفْرَغَ مِنَ الصَّوْتِ وَيَرْتَحِ فِي قَلْبِهِ . فَجِئْتُ حَتَّى
وَقَفْتُ تَحْتَ دَارِهِ فَإِذَا هُوَ يَرُدُّ صَوْتًا أَعْدَهُ . فَأَزَلْتُ وَإِقْفًا أَسْتَمِعُ مِنْهُ
الصَّوْتَ حَتَّى أَخَذْتُهُ . ثُمَّ عَدَوْنَا إِلَى الرَّشِيدِ فَلَمَّا جَاسْنَا لِلشَّرْبِ خَرَجَ
الْخَادِمُ إِلَيَّ فَقَالَ : يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَا ابْنَ أُمِّ غَنِي . فَأَنْدَقْتُ
فَقَعْنْتُ هَذَا الصَّوْتِ وَالْمُوصِلِي فِي الْمَوْتِ حَتَّى قَرَعْتُ مِنْهُ . فَشَرِبَ عَلَيْهِ
وَأَمَرَ لِي بِسَلَاثِمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ . فَوُتِبَ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِي فَخَلَفَ
بِالطَّلَاقِ وَحَيَاةِ الرَّشِيدِ أَنْ الشَّعْرَ لَهُ قَالَهُ الْبَارِحَةُ وَغَنَى فِيهِ . مَا سَبَقَهُ
إِلَيْهِ أَحَدٌ . فَقَالَ ابْنُ الْمُهْدِيِّ : يَا سَيِّدِي فَمَنْ أَيْنَ هُوَ لِي أَنَا لَوْلَا كَذِبُهُ
وَبَهْتُهُ . وَإِبْرَاهِيمَ يُضْطَرِبُ وَيَضْجُ . فَلَمَّا قَضَيْتُ أَرْبَابًا مِنَ الْعَبَثِ بِهِ قُلْتُ
لِلرَّشِيدِ : أَلْحَقْ أَهْلًا أَنْ يَتَّبِعَ وَصْدَقُهُ . فَقَالَ لِلْمُوصِلِي : أَمَّا أَخِي
فَقَدْ أَخَذَ أَلْمَالَ وَلَا سَبِيلَ إِلَى رَدِّهِ . وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ
عَوَضًا مِمَّا جَرَى عَلَيْهِ . فَأَمَرَ لَهُ بِهَا فَحَمِلَتْ إِلَيْهِ (الآغا نِي)

٣٢٤ ذَكَرَ الْمُرْدُ أَنْ الْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صَفْرَةَ قَالَ يَوْمًا وَقَدْ أَشْتَدَّتْ
الْحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَوَارِجِ لِأَبِي عَلَمَةَ الْيَحْيَدِيِّ : أَمِدْنَا بِخَيْلِ
الْيَحْيَدِ . وَقَالَ لَهُمْ : أَعِيرُونَا جَمَاعَكُمْ سَاعَةً . فَقَالَ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ إِنَّ

جَاهِهِمْ لَيْسَتْ بِفَخَّارٍ قَمَارَ . وَأَعْنَاهُمْ لَيْسَتْ بِكَرَّاثٍ قَذْبَتْ . وَقَالَ :
يَقُولُ لِي الْأَمِيرُ بِغَيْرِ جُرْمٍ . تَقْدَمُ حِينَ جَدَّ بِنَا الرِّاسُ
فَمَا لِي إِنْ أَطْمَنْتُكَ مِنْ حَيَاةٍ . وَمَا لِي غَيْرَ هَذَا الرِّاسِ رَأْسُ
ثَقِيلٍ وَظَرِيفٍ

٣٢٥ أَهْدَى رَجُلٌ مِنَ اللَّهِ لَأَدَى إِلَى رَجُلٍ مِنَ الظُّرْقَاءِ جَمَلًا ثُمَّ رَزَلَ
عَلَيْهِ حَتَّى أَرَمَهُ . فَقَالَ فِيهِ :

يَا مُنِيرًا أَهْدَى جَلَّ خُذْ وَأَنْصَرِفْ أَلْقَى جَلَّ
قَالَ وَمَا أَوْقَارُهَا قُلْتُ زَيْبٌ وَعَسَلُ
قَالَ وَمَنْ يَقُودُهَا قُلْتُ لَهُ أَلْفَا رَجُلُ
قَالَ وَمَنْ يَسُوقُهَا قُلْتُ لَهُ أَلْفَا بَطْلُ
قَالَ وَمَا لِبَاسُهُمْ قُلْتُ حُلِيٌّ وَحُلُلُ
قَالَ وَمَا سِلَاحُهُمْ قُلْتُ سُيُوفٌ وَأَسَلُ
قَالَ عَيْدٌ لِي إِذَا قُلْتُ نَعَمْ ثُمَّ خَوْلُ
قَالَ بِهَذَا فَالْكُتُبُوا إِذَنْ عَلَيْكُمْ لِي سِجِلُ
قُلْتُ لَهُ أَلْقَى سِجِلُ فَاصْنِ لَنَا أَنْ تَرْجُلُ
قَالَ وَقَدْ أَضَجَرْتُكُمْ قُلْتُ أَجَلُ ثُمَّ أَجَلُ
قَالَ وَقَدْ آتَيْتُكُمْ قُلْتُ لَهُ الْأَمْرُ جَلُّ
قَالَ وَقَدْ أَتَقَاتُكُمْ قُلْتُ لَهُ فَوْقَ أَلْقَلُ
قَالَ فَأَنِي رَاحِلُ قُلْتُ أَلْعَلُ ثُمَّ أَلْعَلُ

يَا كَوَّكَبَ الشُّومِ وَمَنْ أَرَبِي عَلَى تَحْسِرِ رُحْلٍ
يَا جَبَلًا مِنْ جَبَلٍ فِي جَبَلٍ فَوْقَ جَبَلٍ
(لابن عبد ربه)

سنان بن ثابت والطبيب القروي

٣٢٦ مِنْ ظُرَيْبٍ مَا جَرَى إِسْنَانُ بْنُ ثَابِتٍ فِي الطَّبِّ فِي امْتِحَانِ
الْأَطِبَاءِ عِنْدَ تَقْدِمِ الْخَلِيفَةِ إِلَيْهِ بِذَلِكَ أَنَّهُ أَحْضَرَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مَلِجٌ
الْبَشَرَةَ وَالْهَيْبَةَ ذُو هَيْبَةٍ وَوَقَارٍ. فَأَكْرَمَهُ سِنَانٌ عَلَى مُوجِبِ مَنْظَرِهِ
وَرَفَعَتْهُ. ثُمَّ أَلَمَّتْ إِلَيْهِ سِنَانٌ وَقَالَ: قَدْ أَشْتَيْتُ أَنْ أَتَّبِعَ مِنَ الشَّيْخِ
شَيْذَ أَحْضَلَهُ عَنْهُ وَأَنْ يَذْكُرَ شَيْخَهُ فِي الصَّنَاعَةِ. فَأَخْرَجَ الشَّيْخُ مِنْ كُمِهِ
قِرْطَاسًا فِيهِ دَانِيرٌ صَالِحَةٌ وَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْ سِنَانٍ وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا
أَحْسَنُ أَنْ أَكْتُبَ وَلَا أَقْرَأُ شَيْئًا جَمَلَةً. وَلِي عِيَالٌ وَمَعَاشِي دَارَ دَارُهُ
وَأَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَقْطَعَهُ عَنِّي. فَصَعَكَ سِنَانٌ وَقَالَ: عَلَى شَرِيطَةٍ أَنَّكَ
لَا تَهْجُمُ عَلَى مَرِيضٍ بِمَا لَا تَعْلَمُ وَلَا تُشِيرُ بِفَضْلٍ وَلَا بِدَوَاءٍ مُسْهِلٍ إِلَّا
بِمَا قُرِبَ مِنَ الْأَمْرَاضِ. قَالَ الشَّيْخُ: هَذَا مَذْهَبِي مُذْ كُنْتُ مَا تَدَّيْتُ
السَّكَنِيِّينَ وَالْجَلَابِ. وَأَنْصَرَفَ. وَأَكَانَ مِنَ الْقَدْحِ حَضَرَ إِلَيْهِ غُلَامٌ
شَابٌّ حَسَنُ الْبَرَةِ مَلِجٌ الْوَجْهِ ذِكِيٌّ فَظَرَ إِلَيْهِ سِنَانٌ فَقَالَ لَهُ: عَلَى
مَنْ قَرَأْتَ قَالَ: عَلَى أَبِي. قَالَ: وَمَنْ يَكُونُ أَبُوكَ. قَالَ: الشَّيْخُ
الَّذِي كَانَ عِنْدَكَ بِالْأَمْسِ. قَالَ: نَعَمْ الشَّيْخُ. وَأَنْتَ عَلَى مَذْهَبِهِ.
قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَا تَجَاوِزْهُ. وَأَنْصَرِفْ مُصَاحِبًا (لأبي القريج)

حذاء أبي القاسم الطنبوري

٣٢٧ حكي أنه كان في بغداد رجل اسمه أبو القاسم الطنبوري .
وكان له مداس صار له وهو يلبسه سبع سنين . وكان كلما تقطع
فيه موضع جعل مكانه رُقعة إلى أن صار إلى غاية الثقل وصار الناس
يَضْرِبُونَ به المثل . فاتفق أنه دخل يوماً سوق الزجاج . فقال له
بِمْسَار : يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ قَدِمَ إِلَيْنَا الْيَوْمَ تاجرٌ مِنْ حَابٍ وَمَعَهُ خِلُ
زجاجٍ مُذهَّبٍ قَدْ كَسَدَ فَاشْتَرِهِ مِنْهُ . وَأَنَا أبيعُهُ لَكَ بِمُدَّةِ الْمُدَّةِ
فَتَكْسِبُ بِهِ الْمِثْلَ مِثْلَيْنِ . فَمَضَى وَاشْتَرَاهُ بِسِتِينَ دِينَارًا . ثُمَّ إِنَّهُ دَخَلَ
إِلَى سُوقِ الطَّيَّارِينَ فَصَادَقَهُ بِمْسَارٍ آخَرَ وَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَدْ
قَدِمَ إِلَيْنَا الْيَوْمَ مِنْ صَيْدَيْنِ تاجرٌ وَمَعَهُ مَاءٌ وَرَدِي فِي غَايَةِ الطَّيْبَةِ
وَمُرَادُهُ أَنْ يُسَافِرَ . فَاجْعَلْهُ سَفَرَهُ يُمكنُ أَنْ تُشْتَرِيَهُ مِنْهُ رَخِيصًا وَأَنَا
أبيعُهُ لَكَ فِيمَا بَمُدٍّ بِأَقْرَبِ مُدَّةٍ فَتَكْسِبُ بِهِ الْمِثْلَ مِثْلَيْنِ . فَمَضَى أَبُو
الْقَاسِمِ وَاشْتَرَاهُ أَيْضًا بِسِتِينَ دِينَارًا أُخْرَى وَمَلَأَهُ فِي الزُّجَاجِ
الْمُذهَّبِ . وَحَمَلَهُ وَجَاءَ بِهِ فَوَضَعَهُ عَلَى رَفٍّ مِنْ دُفُوفِ بَيْتِهِ فِي الصَّدْرِ .
ثُمَّ إِنَّ أَبَا الْقَاسِمِ دَخَلَ الْحَمَّامَ يَنْتَسِلُ . فَهَلَّ لَهُ بَعْضُ أَصْدِقَائِهِ يَا أَبَا
الْقَاسِمِ أَشْتَهِي أَنْ تُغَيِّرَ مَدَاسَكَ هَذَا فَإِنَّهُ فِي غَايَةِ الشَّنَاعَةِ
وَأَنْتَ ذُو مَالٍ مِنْ حَمْدِ اللَّهِ . فَقَالَ لَهُ أَبُو الْقَاسِمِ : الْحَقُّ مَعَكَ
فَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ . ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا خَرَجَ مِنَ الْحَمَّامِ وَلَيْسَ ثِيَابُهُ رَأَى بِجَانِبِ
مَدَائِهِ مَدَاسًا جَدِيدًا فَظَنَّ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْ كَرَمِهِ اشْتَرَاهُ لَهُ فَلَبِثَهُ

وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ . وَكَانَ ذَلِكَ الْمَدَاسُ الْجَدِيدُ مَدَاسَ الْقَاضِي جَاءَ
 فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى الْحَمَامِ وَوَضَعَ مَدَاسَهُ هُنَاكَ وَدَخَلَ اسْتَحْمَ . فَلَمَّا
 خَرَجَ قَتَسَ عَلَى مَدَاسِهِ فَلَمْ يَجِدْهُ وَقَالَ : أَيَا إِخْوَانِنَا أَتَرُونَ أَنَّ
 الَّذِي لَيْسَ مَدَاسِي لَمْ يَتْرِكْ عِوَضَهُ شَيْئًا . فَقَتَشُوا فَلَمْ يَجِدُوا سِوَى
 مَدَاسِ أَبِي الْقَاسِمِ الطَّنْبُورِيِّ فَعَرَفُوهُ لِأَنَّهُ كَانَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ .
 فَأَرْسَلَ الْقَاضِي خَدَمَهُ فَكَبَسُوا بَيْتَهُ فَوَجَدُوا مَدَاسَ الْقَاضِي عِنْدَهُ .
 فَأَحْضَرَهُ الْقَاضِي وَأَخَذَ مِنْهُ الْمَدَاسَ وَضَرَبَ بِهِ تَأْدِيبًا لَهُ وَحَبَسَهُ مُدَّةً
 وَعَرَمَهُ بِبَعْضِ أَمْوَالِهِ وَأَطْلَقَهُ . فَخَرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ مِنَ الْحَبْسِ وَأَخَذَ
 مَدَاسَهُ وَهُوَ غَضَبَانُ عَلَيْهِ وَمَضَى إِلَى دِجْلَةٍ فَأَلْقَاهُ فِيهَا فَنَاصَ فِي
 الْمَاءِ . فَأَتَى بَعْضُ الصَّيَّادِينَ وَرَمَى شَبَكَتَهُ فَطَلَعَ فِيهَا الْمَدَاسُ . فَلَمَّا
 رَأَاهُ الصَّيَّادُ عَرَفَهُ وَقَالَ : هَذَا مَدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ الطَّنْبُورِيِّ فَالظَّاهِرُ
 أَنَّهُ وَقَعَ مِنْهُ فِي دِجْلَةٍ . فَحَمَلَهُ وَأَتَى بِهِ بَيْتَ أَبِي الْقَاسِمِ فَلَمْ يَجِدْهُ .
 فَنَظَرَ فَرَأَى حَاقَّةً نَافِذَةً إِلَى صَدْرِ الْيَتِيمِ فَرَمَاهُ مِنْهَا إِلَى الْيَتِيمِ
 فَسَقَطَ عَلَى الرِّفِّ الَّذِي فِيهِ الزُّجَاجُ وَمَاءُ الْوَرْدِ . فَوَقَعَ الزُّجَاجُ
 وَتَكَسَّرَ وَتَبَدَّدَ مَاءُ الْوَرْدِ . فَجَاءَ أَبُو الْقَاسِمِ وَنَظَرَ ذَلِكَ فَعَرَفَ الْأَمْرَ
 فَلَطَمَ عَلَى وَجْهِهِ وَصَاحَ وَبَكَى وَقَالَ : وَاقْتَرَاهُ أَتَقَرَّنِي هَذَا الْمَدَاسُ
 الْمَلْعُونُ . ثُمَّ إِنَّهُ قَامَ لِيُخْفِرَ لَهُ فِي اللَّيْلِ خُفْرَةً وَيَدْفِنَهُ فِيهَا وَيَدْتِاحُ وَنَهُ .
 فَسَمِعَ الْجِيرَانُ حِسَّ الْحَفْرِ فَظَنُّوا أَنَّ أَحَدًا يَنْتَبِ عَلَيْهِمْ . فَزَفَعُوا الْأَمْرَ
 إِلَى الْحَاكِمِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَأَحْضَرَهُ وَاعْتَقَلَهُ وَقَالَ لَهُ : كَيْفَ تَسْتَحِيلُ

أَنْ تَنْقُبَ عَلَى جِيرَانِكَ حَائِطَهُمْ وَحَبَسَهُ وَلَمْ يُطْلِقْهُ حَتَّى غَرِمَ بَعْضُ
 أَمْوَالِهِ . ثُمَّ خَرَجَ مِنَ التَّجْنِ وَمَضَى وَهُوَ حَرْدَانٌ مِنَ الْمَدَاسِ وَحَمَلَهُ
 إِلَى كَنْيَفِ الْحُلَانِ وَرَمَاهُ فِيهِ فَسَدَ قَصَبَةُ الْكَنْيَفِ فَقَاضَ وَضَجَرَ
 النَّاسُ مِنَ الرَّاحَةِ الْكَرِيمَةِ . فَفَتَّشُوا عَلَى السَّبَبِ فَوَجَدُوا مَدَاسًا
 فَتَأَمَّلُوهُ فَإِذَا هُوَ مَدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ . فَحَمَلُوهُ إِلَى الْوَالِيِ وَأَخْبَرُوهُ
 بِمَا وَقَعَ . فَأَحْضَرَ الْوَالِيِ أَبَا الْقَاسِمِ وَوَجَّهَهُ وَحَبَسَهُ وَقَالَ لَهُ : عَلَيْكَ تَصْلُحُ
 الْكَنْيَفِ فَرِمَ جَمَلَةٌ مَالٍ . وَأَخَذَ مِنْهُ الْوَالِيِ مِقْدَارَ مَا غَرِمَ تَأْدِيًّا لَهُ
 وَأَطْلَقَهُ . فَخَرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ وَالْمَدَاسُ مَعَهُ وَقَالَ وَهُوَ مُنْتَظَرٌ مِنْهُ : وَاللَّهِ
 مَا عُدْتُ أَفَارِقُ هَذَا الْمَدَاسَ . ثُمَّ إِنَّهُ غَسَلَهُ وَجَعَلَهُ عَلَى سَطْحِ بَيْتِهِ
 حَتَّى يَجِفَّ . فَرَأَاهُ كَلْبٌ فَظَنَّهُ دِمَّةً فَحَمَلَهُ وَعَبَّرَ بِهِ إِلَى سَطْحِ آخَرَ
 فَسَقَطَ مِنَ الْكَلْبِ عَلَى رَأْسِ رَجُلٍ قَاتَلَهُ وَجَرَحَهُ جُرْحًا بَلِيغًا . فَنَظَرُوا
 وَفَتَّشُوا لِمَنِ الْمَدَاسُ فَعَرَفُوهُ أَنََّّهُ مَدَاسُ أَبِي الْقَاسِمِ . فَزَعَمُوا الْأَمْرَ
 إِلَى الْحَاكِمِ فَالْزَمَهُ بِالْعَوَضِ وَالْقِيَامِ بِلَوَائِمِ الْخُرُوجِ مُدَّةَ مَرَضِهِ .
 فَتَمَدَّ عِنْدَ ذَلِكَ جَمِيعُ مَا كَانَ لَهُ وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ شَيْءٌ . ثُمَّ إِنَّ أَبَا
 الْقَاسِمِ أَخَذَ الْمَدَاسَ وَمَضَى بِهِ إِلَى الْقَاضِيِ وَقَالَ لَهُ : أُرِيدُ مِنْ
 حَضْرَةِ مَوْلَانَا الْقَاضِيِ أَنْ يَكْتُبَ بَيْنِي وَبَيْنَ هَذَا الْمَدَاسِ مُبَارَاةً
 شَرْعِيَّةً عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي وَأَنِّي لَسْتُ مِنْهُ . وَأَنْ كَلَامِنَا بَرِيٌّ مِنْ
 صَاحِبِهِ . وَأَنَّهُ هُمَا يَفْعَلُهُ هَذَا الْمَدَاسُ لَا أُؤْخِذُ بِهِ أَنَا . وَأَخْبَرَهُ بِجَمِيعِ
 مَا جَرَى عَلَيْهِ مِنْهُ . فَصَحَّحَ الْقَاضِيِ مِنْهُ وَوَصَّلَهُ وَمَضَى (لطيف العرب)

أَلْبَابُ السَّادِسَ عَشَرَ فِي التَّوَادِرِ

ابن مقلة والواشي

٣٢٨ حَكِي أَنْ بَغَضَ الْحَسَدَةَ وَشَى بِالْوَزِيرِ الْكَاتِبِ ابْنَ مُثَلَّةَ الَّذِي
أَنْفَرَدَ فِي زَمَانِهِ بِمَلَوِ الْحَطِّ وَحُسْنِهِ . وَادَّعَى أَنَّهُ غَدَرُ الْمَلِكِ فِي بَعْضِ
الْأُمُورِ . فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِقَطْعِ يَدِهِ فَلَمَّا فَعَلَ بِهِ هَذَا الْأَمْرَ لَزِمَ بَيْتَهُ
وَأَنْصَرَفَتْ عَنْهُ الْأَصْدِقَاءُ وَالْحُبُوبُونَ وَلَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ إِلَى نَهْضِ النَّهَارِ .
فَقَبِلَ لِلذَّكَاءِ أَنَّ الْكَلَامَ عَلَيْهِ بِاطِلٍ . فَأَمَرَ بِقَتْلِ الَّذِي وَشَى بِابْنِ
مُثَلَّةَ وَرَدَّهُ إِلَى مَا كَانَ . فَلَمَّا رَأَى إِخْوَانُهُ أَنَّ نِعْمَتَهُ عَادَتْ إِلَيْهِ حَادُوا
لَهُ يَهْنُونَهُ وَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَتَذَرُونَ . فَأَنْشَدَ :

تَحَافَ النَّاسُ وَالزَّمَانُ فَحَيْثُ كَانَ الزَّمَانُ كَانُوا
عَادَانِي الدَّهْرُ نَهَفَ يَوْمٍ فَأَنْكَفَ النَّاسُ لِي وَبَانُوا
وَمَكَثَ يَكْتُبُ يَدِهِ الْيُسْرَى بَقِيَّةَ عُمْرِهِ . وَلَمْ يَتَّخِذْ خَطَّهُ حَتَّى مَاتَ

محنة ظهرت في حصار مدينة وبذ

٣٢٩ خَرَجَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو يَعْقُوبَ بْنِ إِشْبِيلِيَّةَ قَاصِدًا بِإِلَادِ
الْأَذْفُشِ . فَتَزَلَّ عَلَى مَدِينَةٍ لَهُ عَظِيمَةٌ تَسْمَى وَبَذَ . وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ
أَعْيَانَ دَوْلَةِ الْأَذْفُشِ وَوُجُوهَ أَجْنَادِهِ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ . فَأَقَامَ مُحَاصِرًا
لَهَا أَشْهُرًا إِلَى أَنْ أَشْتَدَّ الْحِصَارُ وَرَحَّ بِهِمُ الْعَطَشُ . فَأَدْرَأُوا إِلَى أَمِيرِ

الْمُؤْمِنِينَ يَطْلُبُونَ الْأَمَانَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ عَلَى أَنْ يَخْرُجُوا لَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ .
فَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَأَعْلَمَهُمْ فِيهِمْ مَا نَقَلَ إِلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ عَطَشِهِمْ وَكَثْرَةِ
مَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ . فَلَمَّا يَتَسَوَّأُ مَا عِنْدَهُ سَمِعَ لَهُمْ بَعْضَ اللَّيَالِي لَنْطُ عَظِيمٍ
وَجَلْبَةَ أَصْوَاتٍ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَخْرَجُوا أَنْاجِيَهُمْ وَاجْتَمَعَ قَسِيصُهُمْ
وَرُعْبَاهُمْ يَدْعُونَ وَيَوْمٍ مِنْ بَاقِيهِمْ . فَجَاءَ مَطَرٌ عَظِيمٌ كَأَنَّهُ الْقُرْبُ مَلَأَ مَا كَانَ
عِنْدَهُمْ مِنَ الصَّهَارِ يَج . فَشَرِبُوا وَارْتَوَوْا وَتَوَدَّوْا عَلَى الْمُسَامِينِ . فَأَنْصَرَفَ
عَنْهُمْ الْخَلِيفَةُ رَاجِعًا إِلَى إِسْطِيلِيَّةَ بَعْدَ أَنْ هَادَنَ الْأَذْفَانِشَ (الْمُرَاكَشِي)

مشهد الحسين

٣٣٠ وَفِي تَجَانِبِ مَشَاهِدِ مَضَرِ الشَّهَدِ الْعَظِيمِ الشَّانِ الَّذِي بِالْأَهْرَةِ
حَيْثُ رَأْسُ الْحُسَيْنِ . وَهُوَ فِي تَابُوتٍ مِنْ فِضَّةٍ مَدْفُونٌ قَدْ بَنِيَ عَلَيْهِ
بُيَّانٌ يَقْصُرُ الْوَصْفُ عَنْهُ . مَجْلَلٌ بِأَنْوَاعِ الدِّيْبَاجِ مَخْفُوفٌ بِأَمْثَالِ الْأَعْيَادِ
الْكِبَارِ سَمَاءً تَبَضُّاءُ أَكْثَرُهَا مَوْضُوعٌ فِي أَنْوَارِ الْفِضَّةِ . وَخُفَّ أَعْلَاهُ
كُلُّهُ بِأَمْثَالِ الْأَمْفَاجِ ذَهَبًا فِي مَصْنَعٍ شَبَّهِ الرُّوضَةِ . يَبْهَرُ الْأَبْصَارَ
حُسْنًا وَجَمَالًا . وَفِيهِ أَنْوَاعُ الرُّخَامِ الْعَجْزَعِ الْغَرِيبِ الصَّنْعَةِ الْبَدِيعِ
الْتَّرْصِيعِ مَا لَا يَتَحَلَّى الْمُتَحَلِّلونَ . وَالْمُدْخَلُ إِلَيْهَا مِنْ مُسْجِدٍ عَلَى مِثَالِهَا
فِي التَّنَاقُصِ . حِيطَانُهُ كُلُّهَا رُخَامٌ . وَتَقَرَّبَ مَا فِيهِ حَجَرٌ مَوْضُوعٌ فِي الْجِدَارِ
الَّذِي يَسْتَمْبِلُهُ الدَّاخِلُ شَدِيدُ السَّوَادِ وَالْبَصِيصُ يَصِفُ الْأَشْخَاصَ
كُلُّهَا كَأَنَّهُ الْمِرَاةُ الْهِنْدِيَّةُ . وَلِتَرَاخُمِ النَّاسُ عَلَى الْقَبْرِ وَأَنْكِيَاهُمْ عَلَيْهِ
وَتَسْمِيهِمْ بِهِ وَيَا الْكُسُوفَةَ الَّتِي عَلَيْهِ مَرَأَى هَائِلٌ (الشريشي)

٣٣١ نُسَخَةُ مَبَايِعَةِ مَلِكٍ كَتَبَهَا الشَّيْخُ عُمَرُ بْنُ الْوَرْدِيِّ نَظْمًا :

يَا سَمِ إِلَهَ الْخَلْقِ هَذَا مَا اشْتَرَى مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ سَنَقَرَا
 مِنْ أَحَدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَزْدِ كُلَاهُمَا قَدْ عُرِفَا مِنْ جِلْقِ
 قَبَاعِهِ قِطْعَةً أَرْضٍ وَأَقَمَهُ بِكُورَةِ الْفُوطَةِ وَهِيَ جَامِعَةٌ
 اشْجَرٍ مُخْتَلِفٍ الْأَجْناسِ وَالْأَرْضُ فِي الْبَيْعِ مَعَ الْفِرَاسِ
 وَذِرْعُ هَذِي الْأَرْضِ بِالذِّرَاعِ عَشْرُونَ فِي الطُّولِ بِسَلَا زِرَاعٍ
 وَذِرْعَانِ فِي الْعَرْضِ مِنْهَا عَشْرَةٌ وَهُوَ ذِرَاعٌ بِالْيَدِ الْمُعْتَبَرَةِ
 وَحَدُّهَا مِنْ قِبَلَةِ مَلِكٍ أَلْتَقَى وَحَاضِرُ الرُّومِ حَدُّ الْمَشْرِقِ
 وَمِنْ شِمَالِ مَلِكٍ أَوْلَادِ عَلِيٍّ وَأَنْتَرْبِ مَلِكِ عَامِرِ بْنِ حَنْبَلٍ
 بَتْمَا صَحِيحًا لَازِمًا شَرْعِيًّا ثُمَّ شِرَاءٌ قَاطِعًا بَرْعِيًّا
 لَا شَرْطَ فِيهِ فَاسِدٌ قَبِيلُهُ وَلَا خِيَارَ لَهُمَا يُدَاخِلُهُ
 ثَمَنٌ مَبْلُغُهُ مِنْ فِضَّةٍ دَرَاهِمُ جَدَّةٌ مُبَيَّضَةٌ
 وَفَضْلُهَا الْبَائِعُ مِنْهُ وَأَمِيرُهُ رَعَادَتِ الذِّمَّةُ مِنْهَا خَالِيَةٌ
 وَسَلَّمَ الْأَرْضُ إِلَى مَنْ اشْتَرَى فَتَبَضَّ الْفِضَّةُ مِنْهُ وَجَرَى
 بَيْنَهُمَا بِالْبَدَنِ التَّفَرُّقُ وَمَا بَقِيَ لِأَحَدٍ تَمَلُّقُ
 وَاشْهَدَا عَلَيْهِمَا بِذَلِكَ فِي سَابِعِ عَشْرِ رَمَضَانَ الْأَشْرَفِ
 مِنْ عَامِ سَبْعِمِائَةٍ لِلْهِجْرَةِ مِنْ بَيْدِ خَمْسَةِ تَلِي وَعَشْرَةَ

• رَوَاهُ إِسْمَاعِيلُ الْهَزْرَجِيُّ •

٣٣٢ نَازِعَ الْحَلِيفَةِ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ فِي أَمْرِهِ قَوْمٌ مِنْ قَرَابَةِ ابْنِ قَوْمَتَ وَأَتَتْهَُا

فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ أَجْعَ رَأْيَهُمْ وَرَأْيُ مَنْ وَاقَعَهُمْ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِمْ عَلَى
 أَنْ يَدْخُلُوا عَلَى عَبْدِ الْمُؤْمِنِ خَبَاءَهُ لَيْلًا فَيَقْتُلُوهُ . وَظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ يُخَيِّرُنِي
 مِنْ أَمْرِهِمْ . وَأَنَّ عَبْدَ الْمُؤْمِنِ إِذَا قُتِلَ وَلَمْ يُعْلَمْ مَنْ قَتَلَهُ صَارَ الْأَمْرُ
 إِلَيْهِمْ . لِأَنَّهُمْ أَحَقُّ بِهِ إِذْ كَانُوا أَهْلَ الْإِمَامِ وَقَرَابَتُهُ وَأَوْلَى النَّاسِ بِهِ .
 فَأَعْلِمَ بِمَا أَرَادُوهُ مِنْ ذَلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ تَوْرْتٍ مِنْ خِيَارِهِمْ .
 اسْمُهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ نُجَيْيٍ الْهَزْرَجِيُّ . فَاتَى عَبْدَ الْمُؤْمِنِ فَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ . قَالَ : وَمَا هِيَ يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ فَمَجِيعُ حَوَائِجِكَ
 عِنْدَنَا مَقْضِيَّةٌ . قَالَ : أَنْ تُخْرِجَ عَنْ هَذَا الْحَبَاءِ وَتَدْعِنِي أَيْتُ فِيهِ وَلَمْ
 يُعْلَمْهُ بِمَرَادِ الْقَوْمِ . فَظَنَّ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ أَنَّهُ إِنَّمَا يَسْتَوْهِبُهُ الْحَبَاءُ لِأَنَّهُ
 أَعْجَبَهُ فَخَرَجَ عَنْهُ وَتَرَكَهُ لَهُ . فَبَاتَ فِيهِ إِسْمَاعِيلُ الْمَذْكُورُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ
 أُولَئِكَ الْقَوْمُ فَقَتَلُوهُ بِالْحَدِيدِ حَتَّى يَرَدَّ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا وَرَأَوْا أَنَّهُمْ لَمْ
 يُصِيبُوا عَبْدَ الْمُؤْمِنِ قَرَأُوا بِأَنْفُسِهِمْ حَتَّى أَتَوْا مُرَاكِسَ وَرَأَوْا الْقِيَامَ
 بِهَا . فَاتُوا الْبُؤَابِئَ الَّذِينَ عَلَى الْفُصُورِ فَطَلَبُوا مِنْهُمْ الْمَفَاتِيحَ فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ .
 فَضَرَبُوا عُنُقَ أَحَدِهِمْ وَفَرَّ بَاقِيَهُمْ وَكَادُوا يَغْلِبُونَ عَلَى ذَلِكَ الْفُصُورِ .
 ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ أَجْتَمَعُوا عَلَيْهِمْ مِنَ الْجُنْدِ وَخَاصَّةً الْعَمِيدُ فَقَاتَلُوهُمْ قِتَالًا
 شَدِيدًا مِنْ لَدُنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ . ثُمَّ إِنَّ الْعَمِيدَ غَابَ عَنْهُمْ
 عَلَى أَمْرِهِمْ . وَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ يَتَكَثَّرُونَ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ أُخِذُوا قَبْضًا بِالْيَدِ
 فَصِيدُوا وَجُعِلُوا فِي السِّجْنِ إِلَى أَنْ وَصَلَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ إِلَى
 مُرَاكِسَ فَقَتَلَهُمْ صَبْرًا . وَقَتَلَ مَعَهُمْ جَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِ هَرَاغَةَ بَأَنَّهُ أَنْهَمُ

قَادِحُونَ فِي مُلْكِهِ مُتَرَبِّصُونَ بِهِ . وَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو إِدْرِهِيمَ إِسْمَاعِيلُ الْمُتَّخِذُ
الذِّكْرِ فِي الْحَبَاءِ مَثْوًى عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرْنَا أَعْظَمَ ذَلِكَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ
وَوَجَدَ عَلَيْهِ وَجْدًا مُفْرَطًا أَخْرَجَهُ عَنْ حِدِّ التَّمَاكِ إِلَى حَبِيزِ الْجَزْعِ .
فَأَمَرَ بِنَفْسِهِ وَتَكْفِيهِ وَصَلَّى عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ وَدَفِنَ (لِعَبْدِ الْوَاحِدِ الْمُرَاكَبِي)

جود حاتم الطائي

٣٣٣ قَالَتْ نَوَارُ امْرَأَةِ حَاتِمٍ : أَصَابَتْنَا سَنَةٌ أَقْشَمَتْ لَهَا الْأَرْضُ
وَأَغْبَرَتْ أَفْقَ السَّمَاءِ . وَرَأَيْتُ الْأَيْلُ حِدَابًا حَدَائِيرَ . وَصَنَّتِ الْمَرَاضِعُ
إِلَى أَوْلَادِهَا فَأَبْضُ بِقَطْرَةٍ وَأَيْقَنَّا بِالْهَلَاكِ . قَوْلَ اللَّهِ إِنَّا لَنَاقِي لَيْلَةٍ صَنِيرٍ
بَعِيدَةٍ مَا بَيْنَ الطَّرْقَيْنِ إِذْ تَضَاعَى صَنِيتُنَا جُرْعَاءُ بَدُ اللَّهُ وَعَدِي وَسَدَائَةٍ .
فَقَامَ حَاتِمٌ إِلَى الصَّبِيِّينَ وَقَتُّ أَنَا إِلَى الصَّبِيَّةِ قَوْلَ اللَّهِ مَا كُنْتُمْ إِلَّا بَعْدَ
هَذِهِ مِنَ اللَّيْلِ . وَأَقْبَلَ يُعَالِمُنِي بِالْحَدِيثِ قَدَرْتُ مَا يُرِيدُ قَدَاوَتُ .
فَلَمَّا تَهَوَّرَ النُّجُومُ إِذَا شَيْءٌ قَدْ رَفَعَ كَبَرَ الْيَتِ ثُمَّ عَادَ . قَالَ : مَنْ
هَذَا . قَالَتْ : جَارُكَ فُلَانَةٌ أَتَيْتُكَ مِنْ عِنْدِ صَبِيَّةٍ يَمْعَاوُونَ عَوَاءَ
الذَّنَابِ فَمَا وَجَدْتُ مُوَلًّا إِلَّا عَالِيكَ يَا أَبَا عَدِي . قَالَ : أَعْجَبِيهِمْ فَقَدْ
أَشْبَكَ اللَّهُ وَإِيَّاهُمْ . فَأَقْبَلَتِ الْمَرْأَةُ تَحْمِلُ اثْنَيْنِ وَيَمِثِي جَنَابَهَا
أَرْبَعَةٌ كَأَنَّهَا نَعْمَةٌ حَوْلَهَا رَنَالُهَا . فَقَامَ إِلَى قَرَسِهِ فَوَجَأَ كَبْتَهُ بُدْيَةٍ
فَحَرَّ . ثُمَّ كَسَطَهُ عَنْ جِلْدِهِ وَدَفَعَ الْمُدَّةَ إِلَى الْمَرْأَةِ فَقَالَ لَهَا : شَأْنُكَ .
فَاجْتَمَعْنَا عَلَى الْخَمِّ نَشْوِي وَنَأْكُلُ . ثُمَّ جَعَلَ يَمِثِي فِي الْحَيِّ يَأْتِيهِمْ بَيْتًا
بَيْتًا فَيَقُولُ : هُبُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ بِالنَّارِ . فَاجْتَمَعُوا وَأَنْتَمَعُ فِي تَرْبِهِ

فَاجِبَةً نَظَرُ إِلَيْنَا . فَلَا وَاللَّهِ إِنْ ذَاقَ مِنْهُ مُرْعَةً وَإِنَّهُ لَأَخْوَجُ إِلَيْهِ مِنَّا .
فَأَصْبَحْنَا وَمَا عَلَيَّ الْأَرْضُ مِنْ أَلْقَرَسٍ إِلَّا عَظُمٌ وَحَافِرٌ . فَأَنْشَأَ حَاتِمٌ يَقُولُ :
مَهْلًا نَوَارِ أَقْلِي اللَّوْمُ وَالْعَذْلَا وَلَا تَقُولِي لِشَيْءٍ قَاتَ مَا فَعَلَا
وَلَا تَقُولِي لِمَالٍ كُنْتُ مَهْلَكُهُ مَهْلًا وَإِنْ كُنْتُ أُعْطِي الْإِنْسَ وَالْجِبِلَا
بِمَدَى الْبَجِيلِ سَبِيلَ لِمَالٍ وَاحِدَةٍ إِنْ أَلْجَوَادَ بَرَى فِي مَالِهِ سُبُلَا

إِثَارَ ابْنِ مَامَةَ الْإِيَادِي

٣٣٤ خَرَجَ كَتَبُ بْنُ مَامَةَ الْإِيَادِي فِي قَفْلٍ مَعَهُمْ رَجُلٌ مِنْ بَنِي
النَّمِرِ . وَكَانَ ذَلِكَ فِي حَرِّ الصَّيْفِ فَضَلُّوا وَشَجَّ مَاؤُهُمْ وَكَانُوا
يَتَصَافَتُونَ الْمَاءَ . وَذَلِكَ أَنْ يُطْرَحَ فِي الْهَبِ حَصَاةٌ ثُمَّ يُصَبُّ فِيهِ مِنْ
الْمَاءِ بِقَدَرِ مَا يَغْمُرُ الْحَصَاةَ . فَيَشْرَبُ كُلُّ وَاحِدٍ قَدْرَ مَا يَشْرَبُ الْآخَرُ .
وَلَمَّا تَرَوْا الشَّرْبَ وَدَارَ الْأَمْبُ بَيْنَهُمْ حَتَّى أَتَتْهُ إِلَى كَتَبِ رَأَى
الرَّجُلُ الَّذِي يَرَى يُحَدِّثُ نَزَرَهُ إِلَيْهِ . فَأَثَرُهُ بِمَائِهِ وَقَالَ لِلْسَّاقِي : أَسْقِ
أَنَاكَ النَّعْرِي فَشَرِبَ النَّعْرِي صِيبَ كَتَبِ مِنَ الْمَاءِ ذَلِكَ الْيَوْمَ . ثُمَّ
زَلُّوا مِنْ أَلْعَدِ مَنْزِلِهِمْ الْآخَرَ فَتَصَافَتُوا بَقِيَّةَ مَائِهِمْ . فَنَظَرَ إِلَيْهِ كَنَظَرِهِ
أَمْسٍ . وَقَالَ كَتَبُ كَقَوْلِهِ أَمْسٍ . وَأَرْتَحِلُ الْيَوْمَ وَقَالُوا : يَا كَتَبُ
أَرَحِلْ . فَلَمْ يَكُنْ لَهُ قُوَّةٌ لِلْهُوْضِ وَكَانُوا قَدْ قَرَّبُوا مِنَ الْمَاءِ . فَقَالُوا لَهُ :
رُدِّ يَا كَتَبُ إِيَّاكَ وَارِدُهُ فَمَعَزَ عَنْ الْجَوَابِ . وَلَمَّا أَيْسَوَامَتْهُ خِيَمَاتُهُ عَلَيْهِ بَنُوبٌ
يَمْنَعُهُ مِنَ السَّعَمِ أَنْ يَأْكُلَهُ . وَتَرَكُوهُ مَكَانَهُ فَمَاتَ . فَذَهَبَ ذَلِكَ مَهْلًا
فِي تَفْضِيلِ الرَّجُلِ صَاحِبِهِ عَلَى نَفْسِهِ (أَخْبَارُ الْعَرَبِ لِابْنِ قَتَيْبَةَ)

صنم سومنات

٣٣٥ من عجائب مدينة سومنات هيكَلٌ فيه صنمٌ كان واقفاً في وسط أليت . لا يقاومة من أسفل تدعوه ولا يعلقه من أعلاه تمسكه . وكان أمر هذا الصنم عظيماً عند الهند من رآه وافقاً في الهواء تعجب . وكانت الهند يحجون إليه ويحملون إليه من أهدايا كل شيء نفيس وكان له من الوقوف ما يزيد على عشرة آلاف قرية . وكانت سدنته ألف رجل من البراهمة لعبادته وخدمة الوفود . وأما أليت فكان مبنياً على ست وخمسين سارية من الأساج أنصع بالرصاص . وكانت قبة الصنم مظلمة وضوؤها كان من قناديل الجوهر اللطيف . وعنده سلسلة ذهب كلما مضت طائفة من الليل حركت فتصوت الأجراس فيوم طائفة من البراهمة للعبادة . حكى أن السلطان يمين الدولة لما غزا بلاد الهند ورأى ذلك الصنم أعجبه أمره وقال لأصحابه : ماذا تقولون في أمر هذا الصنم ووقوفه في الهواء بلا عماد وعلاقة . فقال بعضهم : إنه علق بعلاقة وأخفيت العلاقة عن النظر . وقال بعض الحاضرين : إني أظن أن القبة من حجر المغناطيس والصنم من الحديد . والصانع بالغ في تدقيق صنعه ورأى تكافؤ قوة المغناطيس من الجوانب . فواقفه قوم وحالقه آخرون . فلما رفع حجرين من رأس القبة مال الصنم إلى أحد الجوانب . فلم يزل يرفع الأحجار والصنم ينزل حتى وقع على الأرض (للفروبي)

أَلْبَابُ السَّاعِ عَشْرَ فِي الْأَسْفَارِ

مدح السفر

٣٣٦ قَالَ أَبُو قَاسِمٍ الصَّاحِبُ: لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ بَلَدٍ نَسَبٌ فَخَيْرُ الْبِلَادِ مَا حَمَلَكَ. السَّفَرُ يُسْفِرُ عَنْ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ فَأَوْجِشْ أَهْلَكَ إِذَا كَانَ فِي إِحْكَامِهِمْ أَنْفُسُكَ. وَأَهْجُرْ وَطَنَكَ إِذَا نَبَتْ عَنْهُ نَفْسُكَ. رُبَّمَا أَسْفَرَ السَّفَرُ عَنْ الظُّفْرِ. وَتَعَذَّرَ فِي الْوَطَنِ قَضَاءُ الْوَطْرِ (اليواقيت للثعالبي) أَشَدَّ شُكْرُ الْعُلُوِّي:

قَوْضُ خِيَامِكَ عَنْ أَرْضِ تِهَانُهَا وَجَانِبِ الدَّلِّ إِنَّ الدَّلَّ يُجْتَنَبُ
وَارْحَلْ إِذَا كَانَ فِي الْأَوْطَانِ مَنْقَصَةٌ فَأَنْدُلْ الرُّطْبُ فِي أَوْطَانِهِ حَطَبُ
قَالَ آخَرُ:

إِذَا رَحَلَ بِنَفْسِكَ مِنْ أَرْضٍ تَضَامُهَا وَلَا تَكُنْ بِفِرَاقِ الْأَهْلِ فِي حُرْقٍ
مَنْ ذَلَّ بَيْنَ أَهْلِيهِ بِبَلَدِهِ فَلَا غَرَابَ لَهُ مِنْ أَحْسَنِ الْخُلُقِ
أَلِكُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْأَنْجَارِ مَنْطَرِحًا فِي أَرْضِهِ كَالثَّرَى يَبْدُو عَلَى الطَّرْقِ
لَمَّا تَعَرَّبَ نَالَ أَمِيرٌ أَجْمَعُهُ وَصَارَ يُحْمَلُ بَيْنَ الْجَنَنِ وَالْحَدَقِ
قَالَ غَيْرُهُ:

إِذَا مَا ضَاقَ صَدْرُكَ مِنْ بِلَادٍ تَرَحَّلْ طَالِبًا أَرْضًا سِوَاهَا
عَجِبْتُ لِمَنْ يُقِيمُ بِدَارِ ذَلٍّ وَأَرْضُ اللَّهِ مُتَمِيعٌ قَضَاهَا

فَذَلِكَ مِنَ الرِّجَالِ قَلِيلٌ عَثَلُو بِأَيْدٍ لَيْسَ يَتَأَمُّ مَا ظَلَمَها
 فَتَنَفْسُكَ فَرِيهَا إِنْ خِفْتَ ضَيْمًا وَخَلَّ الدَّارَ تَعَى مِنْ بَنَاهَا
 فَإِنَّكَ وَاحِدٌ أَرْضًا بِأَرْضٍ وَنَفْسُكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا
 ٣٣٧ كَتَبَ بَعْضُ الْكُتَّابِ : جَزَى اللَّهُ الْفِرَاقَ خَيْرًا فَا هُوَ إِلَّا
 زَفَرَةٌ وَعَبْرَةٌ . ثُمَّ اعْتَصَامٌ وَتَوَكُّلٌ . ثُمَّ تَأْمِيلٌ وَتَوَقُّعٌ . وَقَبَّحَ اللَّهُ
 التَّلَاقَ . فَإِنَّمَا هُوَ سِرَّةٌ لِحَظَةٍ وَمَسَاءَةٌ أَيَّامٍ . وَأَنْبَاحُ سَاعَةٍ وَأَنْتِسابُ
 زَمَانٍ . وَإِنِّي لَا أَكْزُهُ إِلَّا جَمِيعًا وَلَا أَكْزُهُ الْفِرَاقَ . لِأَنِّ مَعَ الْفِرَاقِ عَمَّةٌ
 يُخْتَفِّمُهَا تَوَقُّعٌ بِإِمْفٍ بِتَأْمِيلِ الْأَوْبَةِ وَالرَّجْحَى . وَمَعَ الْاجْتِمَاعِ مُحَازَرَةٌ
 الْفِرَاقِ وَقِصْرُ السُّرُورِ . قَالَ بَعْضُ الْخُلَفَاءِ : لَوْ قَاتُ إِنِّي لَمْ أَجِدْ
 لِلرَّجِيلِ أَلْمًا وَلِلَّيْنِ حُرْقَةً نَمَاتُ حَقًّا . لِأَنِّي نَبَاتُ بِهِ مِنَ الْعِنَاقِ
 وَأَنْسُ الْفَتَاءَ مَا كَانَ مَعْدُومًا أَيَّامَ الْاجْتِمَاعِ وَبِهِ مُدَاخَعَةُ التَّسْلِيمِ .
 وَرَجَاءُ الْأَوْبَةِ . وَمَعَارَةُ الْقَلْبِ بِالشَّوْقِ . وَالْأَنْسُ بِالْمَكَانَةِ (لِلْمَقْدِسِي)
 قَالَ أَبُو ثَامٍ :

وَلَيْسَتْ فَرَحَةٌ الْأَوْبَاتِ إِلَّا بِمَوْقُوفٍ عَلَى رَحِ الْوَدَاعِ
 قَالَ ابْنُ النَّطْرُونِ :

بَاثَتْ تَهْدَعْنَ النَّوَى وَتَقُولُ كَمْ تَتَغَرَّبُ
 إِنَّ الْحَيَاةَ مَعَ النَّسَا عَةٍ لِلدَّقَامِ الْأَطْيَبِ
 فَأَجِبْهَا يَا هَذِهِ غَيْرِي بِقَوْلِكَ خَابُ
 إِنَّ الْكَرِيمَ مُفَارِقُ أَوْطَانَهُ إِذْ تُجَابُ

وَالْبَدْرُ حِينَ يَشِينُهُ نُقْصَانُهُ يَغِيبُ

ذم السفر

٣٣٨ كَانَ يُقَالُ: فِرَاقُ الْأَحْبَابِ . سَمَامُ الْأَلْبَابِ . حَقُّ الْفِرَاقِ أَنْ
تَطِيرَ لَهُ الْقُلُوبُ . وَتَطْيِشَ مَعَهُ الْقُلُوبُ . وَالْخَلِيجُ عَلَيْهِ النُّفُوسُ . وَفِرَاقُ
الْحَبِيبِ يُشِيبُ الْوَلِيدَ . وَيُذِيبُ الْحَدِيدَ . وَهَوْلُ السِّيَاقِ . أَهْوَنُ
مِنْ الْفِرَاقِ . وَقَالَ النِّزَامُ: لَوْ كَانَتْ لِلْفِرَاقِ صُورَةٌ لَرَأَتْ الْقُلُوبُ
وَهَدَّتِ الْجِبَالُ . وَلَجَمَرَ النَّفْسُ أَهْوَنُ تَوَهَّجًا مِنْ نَارِهِ . قَالَ بَعْضُهُمْ:
وَمَنْ يَنَاعِنِ دَارَ الْعَشِيرَةِ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ رُغُودٌ جَمَّةٌ وَرُغُوقُ
قَالَ ابْنُ الْهَبَّارِيَّةِ :

قَالُوا أَفْتِ وَمَا رَزَوْتَ وَإِنَّمَا بِالسَّيْرِ يَكْتَسِبُ الْغَيْبُ وَبِذَرْقِ
فَأَجَبْتُهُمْ مَا كُلُّ سَيْرٍ نَافِعًا أَلْطَفُ يَنْفَعُ لَا الرَّجِيلُ الْمُفْلِقُ
كَمْ سَفَرَةٍ نَفَعَتْ وَأُخْرَى مِثْلَهَا ضَرَّتْ وَيَكْتَسِبُ الْحَرِيسُ وَيُخَفِّقُ
كَالْبَدْرِ يَكْتَسِبُ الْكَمَالَ بِسَيْرِهِ وَإِذَا حُرِمَ السَّادَةُ فَيُخَفِّقُ

سفرة ابن جابر الى جزيرة صقلية (سنة ٥٨١ هجرية و ١١٨٧ مسيحية)

ذكر مدينة مسينة من جزيرة صقلية

٣٣٩ هَذِهِ الْمَدِينَةُ مَوْسِمُ التِّجَارِ . وَمَقْصِدُ جَوَارِي الْبَحْرِ مِنْ جَمِيعِ
الْأَقْطَارِ . كَثِيرَةٌ الْأَرْفَاقُ بِرَحَاءِ الْأَسْعَارِ . لَا يَفْرِقُهَا إِلَّا السَّلَامُ قَرَارُ .
مَشْحُونَةٌ بِمَدَّةِ الصُّلْبَانِ تَمُصُّ بِقَاطِنِيهَا . وَتَكَادُ تُضَيِّقُ ذُرْعَا سَاكِنِيهَا .
أَسْوَأُهَا نَافِثَةً حَفِيَّةً . وَأَرْزَاقُهَا وَاسِعَةٌ بِإِرْعَاءِ الْعَيْشِ كَفِيَّةً . لَا تَرَالُ

بِهَا لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ فِي أَمَانٍ . وَإِنْ كُنْتَ غَرِيبَ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَالْإِسَانِ .
مُسْتَدَّةً إِلَى جِبَالٍ قَدْ انْظَمَتْ حَضِيضُهَا وَخَنَادِقُهَا . وَالْبَحْرُ يَتَرَضُّ
أَمَامَهَا فِي الْجِلْمَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْهَا . وَمَرَسَاها أَعْجَبُ مَرَايِي الْبِلَادِ الْبَحْرِيَّةِ
لِأَنَّ الْمُرَاكِبَ الْكِبَارَ تَذْوُفِيهِ مِنَ الْبَرِّ حَتَّى تَكَادُ تَمْسُكُهُ . وَيُنْصَبُ
مِنْهَا إِلَى الْبَرِّ خَشْبَةٌ يُصَرَفُ عَلَيْهَا . وَالْحَمَالُ يَصْعَدُ بِحِمْلِهِ إِلَيْهَا وَلَا
يُحْتَاجُ إِلَى زَوَارِقٍ فِي وَسْقِهَا وَلَا فِي تَفْرِينِهَا إِلَّا مَا كَانَ مُرْسِيًا عَلَى
الْبَعْدِ مِنْهَا سِيرًا . فَتَرَاهَا مُطْفَئَةً مِنَ الْبَرِّ كَأَصْطِفَافِ الْجِيَادِ فِي
رَابِطِهَا وَإِصْطَبَاحِهَا وَذَلِكَ لِإِفْرَاطِ عُمُقِ الْبَحْرِ فِيهَا . وَهُوَ زَقَاقُ
مُعْتَرِضٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ بِمَقْدَارِ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ . وَيُقَابِلُهَا
مِنْهُ بَلَدَةٌ تُسَمَّى بِرِيَّةٍ وَهِيَ عِمَالَةٌ كَبِيرَةٌ . وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ مَسِينَةُ رَأْسِ
جَزِيرَةِ صَقِيلِيَّةٍ وَهِيَ كَثِيرَةُ الْمَدُنِ وَالْعِمَارِ وَالضِّيَاعِ . وَطُولُ هَذِهِ
الْجَزِيرَةِ صَقِيلِيَّةٍ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . وَعَرْضُهَا مَسِيرَةٌ خَمْسَةَ أَيَّامٍ . وَبِهَا جَبَلُ
الْبَزْكَانِ . وَهُوَ يَأْتِرُّ بِالسَّحْبِ لِإِفْرَاطِ سَمُوهِ وَيَعْتَمُ بِالْفَلَجِ شِتَاءً وَصَفَاءً
دَائِمًا . وَخَضِبُ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُوصَفَ . وَكَفَى بِأَنَّهَا ابْنَةُ
الْأَنْدَلُسِ فِي سَعَةِ الْعِمَارَةِ وَكَثْرَةِ الْخَضِبِ وَالرَّفَاقَةِ . مَشْحُونَةٌ
بِالْأَزْرَاقِ عَلَى اخْتِلَافِهَا . تَمْلُوءُ بِأَنْوَاعِ الْقَوَاحِ وَأَصْنَافِهَا . وَجِبَالُهَا
كُلُّهَا بَسَاتِينُ مُثْرَةٌ بِالثَّقَاحِ وَالْشَّاءِ بَلُوطٌ وَالتَّنْدُقِ وَالْإِبَاصِ
وغيرها من القَوَاحِ . وَلَيْسَ فِي مَسِينَةِ هَذِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا نَفَرٌ
يَسِيرُونَ ذَوِي الْمَهْنِ وَلِذَلِكَ لَا يَسْتَوْحِشُ بِهَا الْمُسْلِمُ الْغَرِيبُ .

وَأَحْسَنُ مُدْنِهَا قَاعِدَةُ مُلْكِهَا. وَالْمُسَامِرُونَ يَعْرِفُونَهَا بِالْمَدِينَةِ وَالنَّصَارَى
يَعْرِفُونَهَا بِبِلْمَةِ. وَفِيهَا سَكَنَى الْخَضِرِيُّ بَيْنَ وَنِ الْمُسَامِرِينَ
وَبِلْمَةُ هَذِهِ مَسْكِنُ مُلْكِهِمْ ذَلِيَامُ. وَهِيَ أَحْفَلُ مُدْنٍ صَقْلِيَّةٍ
وَبَعْدَهَا مَسْبَنَةُ وَشَأْنُ مُلْكِهِمْ هَذَا عَجِيبٌ فِي حُسْنِ السَّيْرِ. وَهُوَ
كَثِيرُ الثَّمَةِ بِالْمُسَامِرِينَ هُمْ أَهْلُ دَوْلَتِهِ وَالْمُرْتَمِيمُونَ بِخَاصَّتِهِ. وَعَالِمُهُمْ يُلُوحُ
رَدُّوقٌ مُمْلَكْتِهِ. لِأَنَّهُمْ مُتَسَمِعُونَ فِي الْمَلَابِسِ الْآخِرَةِ وَالْأَرَاكِبِ الْآهَرَةِ.
وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ لَهُ الْحَاشِيَّةُ وَالْحَوْلُ وَالْأَتْبَاعُ. وَلِهَذَا الْمَلِكُ الْفُتُوورُ
الْمُشِيدَةُ وَالْبَسَاتِينُ الْأَنِيَّةُ وَالْأَسِيَامُ الْآصِرَةُ. مُلْكِهِ الْمَدِينَةُ الْمَذْكُورَةُ.
وَلَهُ بِمَسِينَةِ قَصْرٌ أَيْضُ كَالْحَمَامَةِ مُطَالٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ. وَأَنَسَ فِي
مُلُوكِ النَّصَارَى أَتْرَفُ فِي الْمَلِكِ وَلَا أَنَّهُمْ وَلَا أَرْفَهُ مِنْهُ. وَهُوَ يَنْشَبُ فِي
تَرْتِيبِ قَوَائِنِهِ وَوَضْعِ أَسَالِيهِ وَتَقْدِيمِ مَرَاتِبِ رِجَالِهِ وَتَفْخِيمِ أَهْلِهِ
الْمَلِكِ وَإِظْهَارِ زِينَتِهِ بِمُلُوكِ الْمُسْلِمِينَ. وَمُلْكُهُ عَظِيمٌ جِدًّا وَلَهُ الْأَطْبَاءُ
وَالْفُقَهَاءُ وَهُوَ كَثِيرُ الْأَعْتَادِ بِهِمْ شَدِيدُ الْخُرُصِ عَلَيْهِمْ. حَتَّى إِنَّهُ مَتَى
ذَكَرَ لَهُ أَنَّ طَبِيبًا أَوْ فُقِهًا اجْتَارَ بِبَلَدِهِ أَمَرَ بِإِسْكَاحِهِ وَأَدَّرَ لَهُ أَرْزَاقَ
مَعِيشَتِهِ. وَمِنْ عَجِيبِ شَأْنِهِ الَّتِي تَحْدُثُ بِهِ أَنَّهُ يَثْرَأُ وَيَكْثُرُ بِالزَّرِيَّةِ
وَعَلَامَتُهُ عَلَى مَا أَعْلَمْنَا بِهِ أَحَدُ خَدَمَتِهِ الْمُخْتَصِمِينَ بِهِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ
وَبِمَدِينَةِ مَسِينَةِ الْمَذْكُورَةِ دَارُ رِزْمَةٍ تَحْتَوِي مِنَ الْأَسَاطِيلِ عَلَى مَا
لَا يُحْصَى عَدْدُ مَرَاكِبِهِ. فَكَانَ زُرُورًا فِي أَحَدِ الْفَنَادِقِ وَأَقْنَابِهَا تِسْعَةَ
أَيَّامٍ. فَلَمَّا كَانَ لَيْلَةُ الثَّلَاثَاءِ الثَّانِي عَشَرَ لِمَهْضَانِ رَكِبْنَا فِي زُرُوقِ

مُتَوَجِّهِينَ إِلَى مَدِينَةٍ بَلْرَمَةٍ . وَسِرْنَا قَرِيبًا مِنَ السَّاحِلِ بِمَحْتِ بُيُصْرَةٍ
رَأَى الْعَيْنَ . وَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا رِيحًا شَرْقِيَّةً رُخًا طَبَّةً زَجَّتْ الزُّورَقَ
أَغْمَأَتْ رُجِيَّةً . وَسِرْنَا نُسْرِحُ اللَّحْظَ فِي عَمَارٍ وَقُرَى مُتَّصِلَةٍ وَحُصُونٍ
وَمَعَاوِلَ فِي قُنُنِ الْجِبَالِ مُشْرِقَةٍ . وَأَبْصَرْنَا عَنْ يَمِينِنَا فِي الْبَحْرِ تِسْعَ جَزَائِرٍ
قَدْ قَامَتْ خِيَالًا مَرْتَفَعَةً عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْ بَرِّ الْجَزِيرَةِ اثْنَانِ مِنْهَا تُخْرَجُ مِنْهَا
النَّارُ دَائِمًا . وَأَبْصَرْنَا الدُّخَانَ صَاعِدًا مِنْهُمَا وَيَظْهَرُ بِاللَّيْلِ نَارًا أَحْمَرًا ذَاتَ
الْسِّنِّ يَصْعَدُ فِي الْجَوِّ . وَهُوَ الْبَرْكَانُ الْمَشْهُورُ خَبْرُهُ . وَأَعْلَمْنَا أَنَّ خُرُوجَهَا
مِنْ مَنَافِسَ فِي الْجِبَلَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ يَصْعَدُ مِنْهَا نَفْسٌ نَارِيَّةٌ بِقُوَّةٍ
شَدِيدَةٍ يَكُونُ عَنْهُ النَّارُ . وَرُبَّمَا قُذِفَ فِيهَا الْحَجَرُ الْكَبِيرُ فَتَلْقَى بِهِ إِلَى
الْمَوْتِ . بِقُوَّةِ ذَلِكَ النَّفْسِ وَتَنْعَمُ مِنَ الْإِسْتِمْرَارِ وَالْإِتِّهَادِ إِلَى الْقَعْرِ .
وَهَذَا مِنْ أَعْجَابِ الْمُسْتَمَوَاتِ الصَّحِيحَةِ . وَأَمَّا الْجَبَلُ الشَّامِخُ الَّذِي بِالْجَزِيرَةِ
الْمَعْرُوفِ بِجَبَلِ النَّارِ فَشَأْنُهُ عَجِيبٌ . وَذَلِكَ أَنَّ نَارًا تُخْرَجُ مِنْهُ كَالسَّلِيلِ
الْعَرِيمِ . فَلَا تَرَى شَيْءَ إِلَّا أَرْقَمَهُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْبَحْرِ . فَتَرْكُ نَيْمِهِ
عَلَى صَفْحِهِ حَتَّى تَغُوصَ فِيهِ . فَسُبْحَانَ الْمُبْدِعِ فِي عَجَائِبِ مَخْلُوقَاتِهِ
وَحَالِنَا عَشِيِّ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ رَسَى مَدِينَةُ شِفْلُودَى

(وَمَدِينَةُ شِفْلُودَى) هِيَ مَدِينَةُ سَاحِلِيَّةٌ كَثِيرَةُ الْخَضْبِ وَاسِعَةٌ
الرَّافِقِ . مُنْتَظِمَةٌ أَشْجَارُ الْأَعْنَابِ وَغَيْرَهَا . مُرْتَبَةٌ الْأَسْوَاقُ تَسْكُنُهَا
طَائِفَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَعَلَيْهَا فُتَّةٌ جَبَلٌ وَاسِعَةٌ مُسْتَدِيرَةٌ فِيهَا قَاعَةٌ لَمْ
يُؤْمَنُ مِنْهَا اتَّخَذُوهَا عُدَّةً لِلسُّطُولِ يُجَاهِمُ مِنْ جِهَةِ الْبَحْرِ مِنْ جِهَةِ

الْمُسْلِمِينَ. وَكَانَ إِفْلَاحُهَا مِنْهَا نِصْفَ اللَّيْلِ فَحِثْنَا مَدِينَةَ ثُرْمَةَ ضُحْوَةَ يَوْمِ
 الْحَمِيسِ بِسَيْرِ رُوَيْدٍ. وَبَيْنَ الْمَدِينَتَيْنِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ مِيلًا. فَأَتَيْنَا
 مِنْهَا مِنْ ذَلِكَ الزُّورِقِ إِلَى زُرُقٍ ثَانٍ أَكْثَرِنَاهُ لِيَكُونَ الْفَجْرَيْنِ
 صَعْبُونَا فِيهِ مِنْ أَهْلِهَا. وَثُرْمَةُ هَذِهِ أَحْسَنُ وَضْعًا مِنْ الَّتِي تَقْدَمُ ذِكْرُهَا.
 وَهِيَ حَصِينَةٌ زَكَبَ النَّجْرُ وَتَشَرَّفَ عَلَيْهِ. وَلِلْمُسْلِمِينَ فِيهَا رَبْضٌ كَبِيرٌ
 لَهُمْ فِيهِ الْمَسَاجِدُ. وَلَهَا قَلْعَةٌ سَامِيَةٌ مَنِعَةٌ. وَفِي أَسْفَلِ الْبَلَدَةِ أَجْمَةٌ قَدْ
 أَغْنَتْ أَهْلَهَا عَنِ اتِّخَاذِ حِمَامٍ. وَهَذِهِ الْبَلَدَةُ مِنَ الْخِصْبِ وَسَعَةِ الرِّزْقِ
 عَلَى غَايَةٍ. وَالْخَزِيرَةُ بِأَسْرَها مِنْ أَعْجَبِ بِلَادِ اللَّهِ فِي الْخِصْبِ وَسَعَةِ
 الْأَرْزَاقِ. فَأَقْتَنَاهَا يَوْمَ الْحَمِيسِ الرَّابِعِ عَشَرَ لِلشَّهْرِ الْمَذْكُورِ وَنَحْنُ قَدْ
 أَرْسَيْنَا فِي وَادٍ بِأَسْفَلِهَا. وَيَطْلُعُ فِيهِ الْمُدُنُ مِنَ النَّجْرِ ثُمَّ تَنْحَسِرُ عَنْهُ. وَبَيْنَا
 بِهَا لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ. ثُمَّ انْقَلَبَ الْهَوَاءُ غَرِيْبًا فَلَمْ نَجِدْ لِلْإِفْلَاحِ سَبِيلًا.
 وَبَيْنَنَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ الْمَأْصُودَةِ الْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ النَّصَارَى بِثُرْمَةِ خَمْسَةِ
 وَعِشْرُونَ مِيلًا. فَحَشِينَا طَوْلَ الْقَامِ وَحَمْدَنَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ
 مِنْ التَّسْهِيلِ فِي قَطْعِ الْمَسَافَةِ فِي يَوْمَيْنِ. وَقَدْ تَلَبَّثُ الزُّوَارِقُ فِي
 قَطْعِهَا عَلَى مَا أَعْلَيْنَا بِهِ الْعِشْرِينَ يَوْمًا وَالثَّلَاثِينَ يَوْمًا وَتَبَقَا عَلَى ذَلِكَ.
 فَأَصْبَحْنَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ مُنْتَصَفَ الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ عَلَى نِيَّةٍ مِنَ السَّيْرِ فِي الْبَرِّ
 عَلَى أَقْدَامِنَا. فَحَمَلْنَا بَضْأَ سَبَابِنَا وَخَلَفْنَا بَضْأَ الْأَصْحَابِ عَلَى الْأَسْبَابِ
 الْبَاقِيَةِ فِي الزُّورِقِ. وَسِرْنَا فِي طَرِيقٍ كَأَنَّهَا السُّوقُ عِمَارَةٌ وَكَثْرَةٌ
 صَادِرٍ وَوَارِدٍ. وَطَوَارِفُ النَّصَارَى يَتَلَقَّوْنَا فَيُبَادِرُونَ بِالسَّلَامِ عَلَيْنَا

وَيُؤَسِّسُونَا. فَرَأَيْنَا مِنْ سِيَاسَتِهِمْ وَلَيْنَ مَقْصَدِهِمْ مَعَ الْمُسْلِمِيَّةِ مَا يُوقِعُ
الْحُبَّ. حَتَّى أَتَيْنَا إِلَى قَصْرِ سَعْدٍ وَهُوَ عَلَى فَرْخٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَقَدْ أَخَذَ
بَنَاءُ الْإِعْيَاءِ فَلَنَا إِلَيْهِ وَبَنَاتُ فِيهِ. وَهَذَا الْقَصْرُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ مُشِيدُ
الْبِنَاءِ عَتِيقُهُ قَدِيمُ الْوَضْعِ مِنْ عَهْدِ مَلَكَ الْمُسْلِمِينَ لِلْعَزِيزَةِ. وَبَارِزُهُ
عَيْنٌ تُعَرِّفُ بَيْنَ الْمَجْنُونَةِ. وَلَهُ بَابٌ وَثِيقٌ مِنَ الْحَدِيدِ. وَدَاخِلُهُ مَسَاكِنُ
وَعَلَابُ مُشْرِقَةٌ وَيُبُوتٌ مُنْتَظِمَةٌ. وَهُوَ كَالِدُ مَرَاقِقِ السُّكْنَى وَفِي
أَعْلَاهُ مُسْجِدٌ مِنْ أَحْسَنِ مَسَاجِدِ الدُّنْيَا بَهَاءً. مُسْتَطِيلٌ ذُو حَنَائِيَا
مَفْرُوشَةٌ بِخَضِرٍ تُطِينُهُ لَمْ يُدْ أَحْسَنُ مِنْهَا صَنَعَةً. وَقَدْ عَاقَ فِيهِ نَحْوُ
الْأَرْبَعِينَ قَنَدِيلًا مِنْ أَنْوَاعِ الصُّفْرِ وَالزُّجَاجِ. وَأَمَامَهُ شَارِعٌ وَاسِعٌ
مُسْتَدِيرٌ بِأَعْلَى الْقَصْرِ وَفِي أَسْفَلِ الْقَصْرِ بَيْتٌ عَذْبَةٌ. فَبَيْنَا فِي هَذَا
الْمَسْجِدِ أَحْسَنَ مَبِيتٍ وَأَطْيَبَهُ. وَبِقُرْبِهِ مِنْ هَذَا الْقَصْرِ نَحْوُ أَلِيلٍ إِلَى
جِهَةِ الْمَدِينَةِ قَصْرٌ آخَرُ عَلَى صِفَتِهِ يُعَرِّفُ بِقَصْرِ جَمْفَرٍ. وَدَاخِلُهُ سِقَايَةٌ
تَقُورُ بِمَاءٍ عَذْبٍ. وَأَبْصَرْنَا لِلنَّصَارَى فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ كَنَائِسَ مُعَدَّةً
لِمَرْضَى النَّصَارَى. وَلَهُمْ فِي مُدُنِهِمْ مِثْلُ ذَلِكَ فِي صِفَةِ مَارِسَاتِنَا
الْمُسْلِمِينَ. وَأَبْصَرْنَا لَهُمْ بَعْكَهَ وَبُصُورَ مِثْلَ ذَلِكَ. فَحَبَّبْنَا مِنْ أَعْتَائِهِمْ
بِهَذَا الْقَدْرِ. فَلَمَّا صَلَّيْنَا الصُّبْحَ تَوَجَّهْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ فَجِئْنَا لِنَدْخُلَ فَمَنَعْنَا
وَحَمَّا إِلَى الْبَابِ الْمُتَّصِلِ بِبُصُورِ الْمَلِكِ الْأَفْرَنْجِيِّ غَلِيَامٌ وَأَدِينَا إِلَى
الْمُسْتَحْلِفِ لَيْسَ لَنَا عَنْ مَقْصَدِنَا. وَكَذَلِكَ فَعَلَهُمْ بِكُلِّ غَرِيبٍ قَسِرْنَا فِي
بِكْكَ رِحَابٍ وَأَبْوَابٍ وَسَاحَاتٍ مُلَوَّكِيَّةٍ. وَأَبْصَرْنَا مِنَ الْقُصُورِ الْمَشْرِقَةِ

وَالْمَبَادِينِ الْمُنتَظِمَةِ وَالْبَسَائِنِ وَالْمَرَاتِبِ الْمُتَخَذَةِ لِأَهْلِ الْخِدْمَةِ مَرَاغَ
 أَبْصَارَنَا. وَأَذْهَلَ أَفْكَارَنَا. وَأَبْصَرَنَا فِيمَا أَبْصَرْنَاهُ تَجَلِّسًا فِي سَاحَةِ
 قَسِيمَةِ قَدْ أَحْدَقَ بِهَا بُسْتَانٌ وَاتْتَضَمَتْ بِجَوَانِبِهَا بِالْأَطْلَاطُ. وَالْجُلُوسُ قَدْ
 أَخَذَ اسْتِطَالَ تِلْكَ السَّاحَةِ كُلَّهَا. فَحِينَمَا مِنْ طُولِهِ وَإِشْرَافِ مَنَاطِيرِهِ.
 فَأَعْلَمْنَا أَنَّهُ مَوْضِعُ غِذَاءِ الْمَلِكِ مَعَ أَصْحَابِهِ. وَتِلْكَ الْبَلَّاطَاتُ وَالْمَرَاتِبُ
 حَيْثُ تَقْعُدُ حُكَّامُهُ وَأَهْلُ الْخِدْمَةِ وَالْعِمَالَةُ أَمَامَهُ. فَخَرَجَ إِلَيْنَا ذَلِكَ
 الْمُسْتَخْلَفُ يَتَهَادَى بَيْنَ خَدِيمَيْنِ يُخَفِّانِ بِهِ وَيَرْفَعَانِ أَذْيَالَهُ. فَأَبْصَرْنَا
 شَيْخًا طَوِيلَ السَّلَةِ أَبْيَضَهَا ذَا أَبْهَةِ. فَسَأَلْنَا عَنْ مَقْصِدِنَا وَعَنْ بَلَدِنَا
 بِكَلَامٍ عَرَبِيٍّ لَيْنٍ فَأَعْلَمْنَاهُ. فَأَظْهَرَ الْإِشْفَاقَ عَلَيْنَا وَأَمَرَ بِأَبْصَرَانَا
 بَعْدَ أَنْ أَخْفَى فِي الْعَلَامِ وَالْمَعَاءِ فَحِينَمَا مِنْ شَأْنِهِ. وَكَانَ أَوَّلُ سُؤَالِهِ
 لَنَا عَنْ خَيْرِ الْأُسْطَنْطِينِيَّةِ الْعُظْمَى وَمَا عِنْدَنَا مِنْهُ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا مَا نُعَلِّمُهُ
 بِهِ. وَخَرَجْنَا إِلَى أَحَدِ الْفَنَادِقِ فَتَرْتَأَقِيهِ وَذَلِكَ يَوْمَ السَّبْتِ الثَّانِي
 وَالْعِشْرِينَ لِذِي حِجْرٍ. وَفِي خُرُوجِنَا مِنَ الْقَصْرِ الْمَذْكُورِ سَلَكْنَا بِالْأَطْلَاطِ
 مُتَّصِلًا مَشِينَا فِيهِ مَسَافَةً طَوِيلَةً وَهُوَ مُسَقَّفٌ حَتَّى أَتَيْنَا إِلَى كَنِيسَةٍ
 عَظِيمَةِ الْبِنَاءِ. فَأَعْلَمْنَا أَنَّ ذَلِكَ الْبَلَّاطُ مَشَى الْمَلِكُ إِلَى هَذِهِ الْكَنِيسَةِ
 (ذَكَرُ بَلَرْمَا) هِيَ بِهَذِهِ الْجَزَائِرِ أُمُ الْخَضَارَةِ. وَالْجَامِعَةُ بَيْنَ الْحُسَيْنِ
 غَضَارَةِ وَنَضَارَةِ. فَأَشْبَتْ بِهَا مِنْ جَمَالِ مَخْبَرٍ وَمَنْظَرٍ. وَمَرَادِ عَيْشٍ يَابِغٍ
 أَخْضَرَ. عَيْقَةُ أَيْقَةٍ. مُشْرِقَةُ مُؤْنِمَةٍ. تَطْلُعُ بِمَرَايَ فَتَانٍ. وَتُخَايِلُ
 بَيْنَ سَاحَاتٍ وَبَسَاطِ كُلِّ بُسْتَانٍ. قَسِيمَةُ السِّكِّكِ وَالشَّوَارِعِ. تَرَوْقُ

الْأَبْصَارُ بِحُسْنِ مَنْظَرِهَا الْبَارِعِ عَجِبَةُ الشَّانِ . قُرْطُيبَةُ الْبُتْيَانِ . مَبَانِيهَا
 كُلُّهَا تَمْخُوتُ الْحَجَرِ الْمَعْرُوفِ بِالْكَذَّانِ . يَشْفَاهُنَّ مَعِينٌ وَيَطْرُدُ فِي
 جَنْبَتِهَا أَرْبَعُ عُيُونٍ قَدْ زَحَرَتْ مِنْهَا لِلْمَلِكِمَا دُنْيَاهُ فَأَتَّخَذَهَا حَاضِرَةً
 مُلْكِهِ الْأَفْرَنْجِي . تَنْتَظِمُ بِأَيْتِهَا قُصُورُهُ اتِّظَامُ الْعُقُودِ فِي نُحُورِ
 الْكُوَاعِبِ . وَيَتَلَبَّ مِنْ بَسَانِيهَا وَمَيَادِينِهَا بَنَنُ زُرْهَةٍ وَمَلَايِبِ . فَكَمْ
 لَهُ فِيهَا مِنْ مَقَاصِيرَ وَمَصَانِعَ . وَمَنَاظِرَ وَمَطَالِعَ . وَكَمْ لَهُ بِمَجَانِبِهَا مِنْ دِيَارَاتٍ
 قَدْ زَحَرَفَ بُيَانُهَا . وَرَقَّةً بِالْأَفْطَالِ الْوَاسِعَةِ رُحْبَانُهَا . وَكُنَائِسَ
 قَدْ صِغَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ صَالِبَانُهَا . وَالْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ
 أَرْبَاضٌ قَدْ انْفَرَدُوا فِيهَا بِسُكْنَاهُمْ عَنِ النَّصَارَى وَالْأَسْوَاقِ مَمُورَةٌ
 بِهِمْ وَهُمْ أَتْجَارُ فِيهَا وَيُصَلُّونَ الْأَعْيَادَ بِخُطْبَةٍ وَدَعَاؤُهُمْ فِيهَا لِلْعَبَائِدِينَ .
 وَلَهُمْ بِهَا قَاصِدٌ يَرْتَفِعُونَ إِلَيْهِ فِي أَحْكَامِهِمْ . وَلِهَذِهِ الْمَدِينَةُ شَبَّهَ
 بِقُرْطُيبَةٍ أَنَّ لَهَا مَدِينَةً قَدِيمَةً تُعْرَفُ بِالْقَصْرِ الْقَدِيمِ هِيَ فِي وَسْطِ
 الْمَدِينَةِ الْحَدِيثَةِ وَعَلَى هَذَا الْمِثَالِ مَوْضِعُ قُرْطُيبَةٍ . وَبِهَذَا الْقَصْرِ دِيَارُ كَانَتِهَا
 الْقُصُورُ الْمُشِيدَةُ . لَهَا مَنَاظِرُ فِي الْجَوِّ مُظِلَّةٌ تُحَارُ الْأَبْصَارُ فِي حُسْنِهَا
 (كَنِيسَةُ بَلْرَمَةِ) وَمِنْ أَعْجَبِ مَا شَاهَدْنَاهُ بِهَا مِنْ أُمُورِ النَّصَارَى
 كَنِيسَةُ تُعْرَفُ بِكَنِيسَةِ الْأَنْطَاكِيِّ أَبْصَرْنَاَهَا يَوْمَ الْمِيلَادِ وَهُوَ يَوْمُ
 عِيدِ لَهُمْ عَظِيمٍ . وَقَدْ اخْتَلَاوُا لَهَا رِجَالًا وَنِسَاءً فَأَبْصَرْنَا مِنْ بُيَانِهَا مَرَأًى
 يَفْجِرُ الْوَصْفَ عَنْهُ وَيَقَعُ الْقَطْعُ بِأَنَّهُ أَعْجَبُ مَصَانِعِ الدُّنْيَا الْمَزْحَرَفَةِ .
 جُدْرُهَا الدَّاخِلَةُ ذَهَبٌ كُلُّهَا وَفِيهَا مِنْ أَلْوَابِ الرُّخَامِ الْمُلَوَّنِ مَا لَمْ يَر

مثله قط قد رُصِّتْ كُلُّهَا بِفُصُوصِ الذَّهَبِ وَكُلَّتْ بِأَشْجَارِ الْفُصُوصِ
 الْخَضِرِ وَظُمَ أَغْلَاهَا بِالسَّمِيبَاتِ الْمَذْهَبَاتِ مِنَ الزَّجَاجِ فَخُفَّتْ الْأَبْصَارُ
 بِسَاطِعِ شُعَاعِهَا وَتُحْدِثُ فِي النُّفُوسِ قِتَّةً . وَأَعْلَمْنَا أَنَّ بَانِيَهَا الَّذِي
 تُنْسَبُ إِلَيْهِ أَنْفَقَ فِيهَا قَنَاطِيرَ مِنَ الذَّهَبِ وَكَانَ وَزِيرًا لِحَدِّ هَذَا الْمَلِكِ .
 وَلِهَذِهِ الْكَنِيسَةُ صَوْمَعَةٌ قَدْ قَامَتْ عَلَى أَعْمَدَةٍ سَوَارٍ مِنَ الرُّخَامِ
 وَعَلَيْهَا قُبَّةٌ عَلَى أُخْرَى سَوَارٍ كُلُّهَا فَتَعْرِفُ بِصَوْمَعَةِ السَّوَارِي وَهِيَ مِنْ
 أَعْجَبِ مَا يُبْصَرُ مِنَ الْبُلْيَانِ . وَزِيَّ النَّصْرَانِيَّاتِ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ زِيُّ
 نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ . فَصِيحَاتُ الْأَلْسُنِ مُتَخَفَاتٌ مُتَّصِفَاتٌ . خَرَجْنَا فِي هَذَا
 الْعِيدِ الْمَذْكُورِ وَقَدْ لَسْنَا بِأَبِ الْحَرِيرِ الْمَذْهَبِ وَالتَّخْفِ الْخَفِّ الرَّائِقَةِ
 وَاتَّقَيْنَ بِالنُّبِّ الْمُلَوَّنَةِ . وَاتَّعَلْنَا الْأَخْفَافَ الْمَذْهَبَةَ . وَبَرَزْنَا
 لِكُنَائِسِينَ حَامِلَاتٍ جَمِيعَ زِينَةِ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ التَّحْلِيِ وَأَتَّخِذُوا
 وَالْعَطْرِ . وَكَانَ مُقَامُنَا فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . وَزَلْنَا بِهَا فِي أَحَدِ
 فَنَادِيهَا الَّتِي يَسْكُنُهَا الْمَسْلُوكُونَ ... وَخَرَجْنَا مِنْهَا صَبْحَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الثَّانِيِ
 وَالْعِشْرِينَ لِهَذَا الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ وَالثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ لِشَهْرِ دَجْنَبَرٍ إِلَى
 مَدِينَةِ أَطْرَابُنْشٍ بِسَبَبِ مَرْكَبِيَّيْهَا أَحَدُهُمَا يَتَوَجَّهُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ
 وَالثَّانِيِ إِلَى سَبْتَةِ . فَسَلَكْنَا عَلَى قُرَى مُتَّصِلَةٍ وَضِيَاعٍ مُتَجَاوِرَةٍ وَأَبْعَرْنَا
 تَحَارِثَ وَمَزَارِعَ لَمْ زَمِثْ تَرْتِيهَا طَيْبًا وَكَرَمًا وَاتِّسَاعًا . فَشَبَّهَا بِقَبَائِلَةِ
 قُرُطْبَةٍ أَوْ هَذِهِ أَطْيَبُ وَأَمْنُ . وَبَيْنَا فِي الطَّرِيقِ لَيْلَةٌ وَاحِدَةٌ فِي بَلَدَةٍ
 تُعْرَفُ بِعَلَمَةٍ . وَهِيَ كَبِيرَةٌ مُتَّسِعَةٌ فِيهَا السُّوقُ وَالْمَسَاجِدُ وَسُكَّانُهَا

وَسُكَّانُ هَذِهِ الضِّيَاعِ الَّتِي فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ كُلُّهَا مُسْلِمُونَ. وَفُتِنَّا مِنْهَا سَحَرٌ
يَوْمَ السَّبْتِ فَأَجْتَرْنَا بِمَغْرِبَةِ مِنْهَا عَلَى حِصْنٍ يُعْرَفُ بِحِصْنِ الْحَنَّةِ وَهُوَ
بَلَدٌ كَثِيرٌ فِيهِ حُمَامَاتٌ. وَقَدْ فَجَّرَهَا اللَّهُ يَتَابِعَ فِي الْأَرْضِ وَأَسَالَهَا
عَنَاصِرَ لَا يَكَادُ الْبَدَنُ يُخْتَلِمُهَا لِإِفْرَاطِ حَرِّهَا. فَأَجْنَانُ مِنْهَا وَاحِدَةٌ عَلَى
الطَّرِيقِ. فَتَزَلْنَا إِلَيْهَا عَنِ الدَّوَابِّ وَأَرْحَتْنَا الْأَبْدَانُ بِالِاسْتِحْثَامِ فِيهَا.
وَوَصَلْنَا إِلَى أَطْرَابِ بُنْشٍ عَصَرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَتَزَلْنَا فِيهَا فِي دَارٍ أَكْثَرُ نِيَاهَا
(مَدِينَةُ أَطْرَابِ بُنْشٍ) وَهِيَ مَدِينَةٌ صَغِيرَةٌ السَّاحَةِ. غَيْرُ كَبِيرَةٍ
السَّاحَةِ. مُسَوَّدَةٌ بَيْضَاءُ كَالْحَمَامَةِ. مَرَسَاهَا مِنْ أَحْسَنِ الْمَرَايِ
وَأَوْقَعَهَا لِلْمَرَآكِبِ. وَلِذَلِكَ كَثِيرًا مَا يَقْصِدُ الرُّومُ إِلَيْهَا وَلَا سِيَّ
الْمُقْلَمُونَ إِلَى بَرِّ الْعُدُودَةِ. فَإِنْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ قُونِسَ مَسِيرَةٌ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ.
فَالسَّفَرُ مِنْهَا إِلَيْهَا لَا يَتَعَطَّلُ شِتَاءً وَلَا صَيْفًا إِلَّا رَيْثًا تَهْبُ الرِّيحُ
الْمُؤَافِقَةُ. فَجَعَلَهَا فِي ذَلِكَ مَجْرَى الْهَجَازِ الْقَرِيبِ. وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ السُّوقُ
وَالْحَمَامُ وَجَمِيعُ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِ الْمَدْنِ. لَكِنَّا فِي لَهَوَاتِ الْبَحْرِ
لِإِحَاطَتِهِ بِهَا مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتٍ وَأَتَّصَلَ الْبَرُّ بِهَا مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ
صَغِيرَةٍ. وَالْبَحْرُ فَلْيَعْرِفْ أَهْلًا مِنْ سَائِرِ الْجِهَاتِ. فَأَهْلُهَا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا بَدْلَهُ
مِنَ الْإِسْتِدْلَادِ عَلَيْهَا وَإِنْ زَاخَى مَدَى أَيَّامِهَا. وَهِيَ مُوَافِقَةٌ لِرِخَادِ
السَّعْرِ بِهَا لِأَنَّهَُا عَلَى مَحَرِّ عَظِيمٍ. وَسُكَّانُهَا الْمُسْلِمُونَ وَالنَّصَارَى
وَالْكِلَالُ الْقَرِيبِينَ فِيهَا الْمَسَاجِدُ وَالْكَنَائِسُ. وَبَرَكْنَهَا مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ
مَا تَلَا إِلَى الشِّمَالِ عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْهَا جَبَلٌ عَظِيمٌ مُفْرِطٌ السَّمْوِ مُتَّسِعٌ. فِي

أَعْلَاهُ قَتَّةٌ تَقَطُّعُ عَنْهُ وَفِيهَا مَقِيلٌ لِلرُّومِ . وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَبَلِ فُطْرَةٌ
وَيَصِلُ بِهِ فِي الْجَبَلِ لِلرُّومِ بَلَدٌ كَبِيرٌ . وَهَذَا الْجَبَلُ الْكُرُومُ وَالْمَزَارِعُ .
وَأَعْلَمْنَا أَنَّ بِهِ نَحْوَ أَرْبَعِمِائَةٍ عَيْنٍ مُتَجَرَّةٍ . وَهُوَ يُعْرَفُ بِجَبَلِ حَامِدٍ
وَالصُّمُودُ إِلَيْهِ هَيِّنٌ مِنْ إِحْدَى جِهَاتِهِ . وَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ مِنْهُ يَكُونُ قَفْحُ
هَذِهِ الْبُزْجَةِ وَلَا سَبِيلَ أَنْ يَتْرُكُوا مُسْلِمًا يَصْعَدُ إِلَيْهِ . وَلِذَلِكَ أَعَدُّوا
فِيهِ ذَلِكَ الْمَقِيلَ الْحَصِينَ . فَلَوْ أَحْسَوْا بِحَادِثَةِ حَصْنِ حَرِيمِهِمْ فِيهِ وَقَطَعُوا
الْفُطْرَةَ . وَاعْتَرَضَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الَّذِي فِي أَعْلَاهُ خَنْدَقٌ كَبِيرٌ .
وَشَأْنُ هَذَا الْبَلَدِ عَجِيبٌ فَمِنْ الْعَجَبِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ مِنَ الْعُيُونِ الْمُتَجَرَّةِ
مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ . وَأَطْرَابُنْشُ فِي هَذَا الْبَسِيطِ وَلَا مَاءَ لَهَا إِلَّا مِنْ بَيْرٍ
عَلَى الْبُعْدِ مِنْهَا . وَفِي دِيَارِهَا أَبَارٌ قَصِيرَةٌ الْأَرْشِيَّةُ مَاوَهَا كُلُّهَا شَرِيبٌ
لَا يُسَاغُ . وَأَقِيمْنَا الْمُرْكَبِينَ الَّذِينَ يَرُومَانِ الْإِفْلَاحَ إِلَى الْمَغْرِبِ بِهَا .
وَمَنْ أَنْ شَاءَ اللَّهُ نُؤَبِّلُ ذِكُوبَ أَحَدِهَا وَهُوَ الْقَاصِدُ إِلَى بَرِّ الْأَنْدَلُسِ .
وَاللَّهُ بِمَعْهُودِ صُنْعِهِ الْجَمِيلِ كَمِيلٌ يَتَنَبَّهُ . وَفِي غَرْبِي هَذِهِ الْبَلَدَةِ
أَطْرَابُنْشُ ثَلَاثُ جَزَائِرٍ فِي الْبَحْرِ عَلَى نَحْوِ فَرَسَتَيْنِ مِنْهَا . وَهِيَ صِنَارٌ
مُتَجَاوِرَةٌ . إِحْدَاهَا تُعْرَفُ بِمِلْطَةِ وَالْأُخْرَى بِبَاسَةِ وَالثَّلَاثَةُ تُعْرَفُ
بِالرَّاهِبِ نُسِبَتْ إِلَى رَاهِبٍ يَسْكُنُهَا فِي بِنَاءِ أَعْلَاهَا كَأَنَّهُ الْحِصْنُ وَهُوَ
مَكْمَنٌ لِلْعَدُوِّ . وَالْجَزِيرَتَانِ لَا عِمَادَةَ فِيهِمَا وَلَا يَغْمُرُ الثَّلَاثَةَ سِوَى
الرَّاهِبِ الْمَذْكُورِ . ثُمَّ اتَّفَقَ كِرَاوْنَا فِي الْمُرْكَبِ الْمَتَوَجِّهِ إِلَى بَرِّ الْأَنْدَلُسِ
وَنَظَرْنَا فِي الزَّادِ وَاللَّهُ الْمُتَكَفِّلُ بِالتَّيْسِيرِ وَالتَّسْهِيلِ (لَا بَنَ جَبِير)

الْبَابُ الثَّامِنَ عَشَرَ فِي عَجَائِبِ الْمَخْلُوقَاتِ

في شرح عجب الموجودات

٣٤٠ قَالَ الْقَزْوِينِيُّ: الْحَبُّ حَيْرَةٌ تَرْضَى لِلْإِنْسَانِ لِقُصُورِهِ عَنْ مَعْرِفَةِ سَبَبِ الشَّيْءِ أَوْ عَنْ مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ تَأْثِيرِهِ فِيهِ . مِثَالُهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا رَأَى خَلِيَّةَ النَّحْلِ وَلَمْ يَكُنْ شَاهِدَهُ قَبْلُ تَعْتَرِيهِ حَيْرَةٌ إِمْدَمَ مَعْرِفَةَ فَاعِلِهِ . فَلَوْ عَرَفَ أَنَّهُ مِنْ عَمَلِ النَّحْلِ لَتَغَيَّرَ أَيْضًا . مِنْ حَيْثُ إِنَّ ذَلِكَ الْحَيَوَانَ الضَّعِيفَ كَيْفَ أَحْدَثَ هَذِهِ الْمَسَدَّاتِ الْمُنَاسِوَةَ الْأَضْلَاحَ الَّتِي عَجَزَ عَنْ مِثْلِهَا الْمُهَنْدِسُ الْحَادِقُ مَعَ الْفَرَجَارِ وَالْإِسْطَرَّةِ . وَمِنْ أَيْنَ لَهَا هَذَا السَّمْعُ الَّذِي اخْتَذَتْ مِنْهُ بُيُوتَهَا الْمُنَاسِوَةَ الَّتِي لَا يُخَافُ بَعْضُهَا بَعْضًا كَأَنَّهَا أَفْرَغَتْ فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ . وَمِنْ أَيْنَ لَهَا هَذَا الْعَسَلُ الَّذِي أَوْدَعَتْهُ فِيهَا ذَخِيرَةً لِلشَّتَاءِ . وَكَيْفَ عَرَفَتْ أَنَّ الشَّتَاءَ يَأْتِيهَا وَأَنَّهَا تَفْقِدُ فِيهِ أَغْدَاءَ . وَكَيْفَ اهْتَدَتْ إِلَى تَغْطِيَةِ خِزَانَةِ الْعَسَلِ بِغَشَاءِ رَقِيقٍ لِيَكُونَ السَّمْعُ مُحِيطًا بِالْعَسَلِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِيهِ فَلَا يُشْفِقُهُ الْهَوَاءُ وَلَا يُصِيبُهُ الْغُبَارُ . وَتَبَقَّى كَأَنَّ لَبْرَنِيَّةَ الْمُصْتَمَةِ الرَّأْسَ بِالْكَعْبِ . فَهَذَا مَعْنَى الْحَبِّ . وَكُلُّ مَا فِي الْعَالَمِ بِهَذِهِ الثَّمَانِيَةِ إِلَّا أَنَّ الْإِنْسَانَ يُدْرِكُهُ فِي صَبَاهُ عِنْدَ قَمَدِ الْخَبْرَةِ . ثُمَّ تَبْدُو فِيهِ غَرِيزَةُ الْعَمَلِ قَلِيلًا قَلِيلًا وَهُوَ مُسْتَفْرَقُ الْقَهْمِ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِهِ وَتَحْصِيلِ شَهَوَاتِهِ وَقَدْ أُنْسَ بِمُدْرَكَاتِهِ

وَحَبْسُ سَائِهِ ~~فَقَطَّ~~ عَنْ نَظَرِهِ بِطُولِ الْأَنْسَرِ بِهَا . فَإِذَا رَأَى بَقْعَةً
حَيَوَانًا غَرِيبًا أَوْ ثَمَانِيًا نَادِرًا أَوْ فِعْلًا خَارَةً لِعَادَاتِ أَنْطَلَقَ لِسَانُهُ
بِالسَّبْحِ ~~هَذَا~~ بِسُجْدَانِ اللَّهِ . وَهُوَ يَرَى طُولَ عُمرِهِ أَشْيَاءَ تَخِيرُ فِيهَا
عُقُولَ الْمُقْلَاءِ وَتَدْهَشُ فِيهَا نَفُوسُ الْأَذْكِيَاءِ

فَمَنْ أَرَادَ صِدْقَ هَذَا الْقَوْلِ فَلْيَنْظُرْ بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ إِلَى هَذِهِ
الْأَجْسَامِ الرَّفِيعَةِ وَسَمْعِهَا وَصَلَابَتِهَا وَحِفْظِهَا عَنْ التَّغْيِيرِ وَالْأَسَادِ فَإِنَّ
الْأَرْضَ وَالْمَوَاءَ وَالْأَنْجَارَ بِالإِضَافَةِ إِلَيْهَا كَحَقَّةٍ مُلَقَاةٍ فِي فَلَاةٍ . ثُمَّ
يَنْظُرُ إِلَى دَوَرَانِهَا مُخْتَلَفًا فَإِنَّ بَعْضَهَا يَدُورُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى النَّارِ حَوِيَّةً . وَبَعْضُهَا
حَمَائِلِيَّةً . وَبَعْضُهَا دَوْلَابِيَّةً . وَبَعْضُهَا يَدُورُ سَرِيعًا . وَبَعْضُهَا يَدُورُ بَطِئًا .
ثُمَّ إِلَى دَوَامِ حَرَكَاتِهَا مِنْ غَيْرِ قُتُورٍ . ثُمَّ إِلَى إِمْسَاكِهَا مِنْ غَيْرِ عَمْدٍ
تَتَعَمَّدُ بِهِ أَوْ عِلَاقَةٍ تَتَدَلَّى بِهَا . ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى كَوَاكِبِهَا وَتَسْمِيَةِهَا وَقَرَرِهَا
وَأَخْتِلَافِ مَشَارِقِهَا وَمَغَارِبِهَا لِأَخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ
نُشُوءِ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ . ثُمَّ إِلَى سَيْرِ كَوَاكِبِهَا وَكَثْرَتِهَا وَأَخْتِلَافِ
أَلْوَانِهَا . فَإِنَّ بَعْضَهَا يَمِيلُ إِلَى الْحُمْرَةِ وَبَعْضُهَا إِلَى الْبَيَاضِ وَبَعْضُهَا
إِلَى لَوْنِ الرِّصَاصِ . ثُمَّ إِلَى مَسِيرِ الشَّمْسِ فِي فَلَكِهَا مُدَّةَ سَنَةٍ وَطُلُوعِهَا
وَعُرُوبِهَا كُلَّ يَوْمٍ . لِأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَعْرِفَةِ الْأَوْقَاتِ وَتَمْيِيزِ
وَقْتِ الْمَعَاشِ عَنْ وَقْتِ الْإِسْتِرَاحَةِ . ثُمَّ إِلَى إِمَاتَتِهَا عَنْ وَسَطِ السَّمَاءِ
إِلَى الْجَنُوبِ وَإِلَى الشَّمَالِ حَتَّى وَقَعَ الصَّيْفُ وَالشِّتَاءُ وَالرَّبِيعُ وَالْخَرِيفُ .
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى جِزْمِ الْقَمَرِ وَكَيْفِيَّةِ أَكْتِسَابِهِ النُّورَ مِنَ الشَّمْسِ لِيُنُوبَ

عَنْهَا بِاللَّيْلِ . ثُمَّ إِلَى امْتِلَائِهِ وَانْتِفَاعِهِ . ثُمَّ إِلَى كُشُوفِ الشَّمْسِ
وَكُشُوفِ الْقَمَرِ وَإِلَى الثَّجَرَةِ وَهُوَ الْبَيَاضُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ سُرُجُ
السَّمَاءِ . وَهُوَ عَلَى فَلَكَ يَدُورُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى تَارْحُوتِ . وَتَجَابُ السَّمَاوَاتِ
لَا مَطْمَعَ فِي إِحْصَاءِ عَشْرِ عَشْرِهَا وَفِيمَا ذَكَرْنَاهُ تَبَصُّرَةٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ
ثُمَّ لِنَنْظَرِ إِلَى مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مِنْ أَنْقِضَاضِ الشُّهُبِ
وَالْفُيُومِ وَالرُّعُودِ وَالْبُرُوقِ وَالصَّوَاعِقِ وَالْأَمْطَارِ وَالثَّلُوجِ وَالرِّيَّاحِ
الْمُخْتَلِفَةِ الْمَهَابِ . وَنَبَاتِ السَّمَاءِ الثَّقِيلِ الْكَثِيفِ الْمُظَامِ كَيْفَ اجْتَمَعَ
فِي جَوْ صَافٍ لَا كُدُورَةَ فِيهِ وَكَيْفَ حَمَلَ الْمَاءُ . وَتَغْيِيرِ الرِّيَّاحِ فَإِنَّهَا
تَلْعَبُ بِهِ وَتَسُوقُهُ إِلَى الْمَوَاضِعِ الَّتِي أَرَادَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ فُقِرْتُ بِالْمَاءِ
وَجَهَ الْأَرْضُ وَتُرْسِلُهُ قَطَرَاتٍ مُتَفَاصِلَةً . لَا تُدْرِكُ قَطْرَةٌ مِنْهَا قَطْرَةً
لِيُصِيبَ وَجَهَ الْأَرْضِ بِرَيْقٍ . فَلَوْ صَبَّهُ عَبَّأً لَأَفْسَدَ الزَّرْعَ بِخَدَشِهِ وَجَهَ
الْأَرْضِ . وَيُرْسِلُهَا مِقْدَارًا كَافِيًا لَا كَثِيرًا زَائِدًا عَنْ الْحَاجَةِ فَيَعْقِنُ
الذَّبَابُ . وَلَا نَاقِصًا وَلَا يَتِمُّ بِهِ النُّمُو . ثُمَّ إِلَى اخْتِلَافِ الرِّيَّاحِ فَإِنَّ مِنْهَا
مَا يَسُوقُ الشُّحْبَ وَمِنْهَا مَا يَنْشُرُهَا . وَمِنْهَا مَا يَجْمَعُهَا وَمِنْهَا مَا يَعْصِرُهَا .
وَمِنْهَا مَا يُنْقِضُ الْأَشْجَارَ . وَمِنْهَا مَا يُدِيرِي الزَّرْعَ وَأَنْبِتَهُ . وَمِنْهَا مَا يُخَفِّفُهَا
ثُمَّ لِنَنْظُرِ إِلَى الْأَرْضِ وَجَعْلِهَا وَفُورًا لِتَكُونَ فِرَاشًا وَمَهَادًا ثُمَّ إِلَى
سَعَةِ اكْتِنَافِهَا وَبُعْدِ أَقْطَارِهَا حَتَّى عَجَزَ الْآدَمِيُّونَ عَنْ بُلُوغِ جَمِيعِ
جَوَانِبِهَا . ثُمَّ إِلَى جَمَلِ ظَهَرِهَا مَحَلًّا لِلْأَحْيَاءِ وَبَطْنِهَا مَقَرًّا لِلْأَمْوَاتِ .
فَقَرَأَهَا وَهِيَ مَيِّتَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهَا الْمَاءُ أَهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ وَأَظْهَرَتْ

أَجَاسَ الْمَعْدِنِ وَأَنْبَتَ أَنْوَاعِ النَّبَاتِ وَأَخْرَجَتْ أَصْنَافَ الْحَيَوَانِ .
ثُمَّ إِلَى إِحْكَامِ أَطْرَافِهَا بِالْجِبَالِ الشَّائِخَةِ كَأَوْتَادِهَا بَيْنَهُمَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ .
ثُمَّ إِلَى إِيْدَاعِ الْمِيَاهِ فِي أَوْشَاقِهَا كَالْخِرَافَاتِ لِتُخْرِجَ مِنْهَا قَلِيلاً قَلِيلاً فَتَنْفَخِرَ
مِنْهَا الْعُيُونُ وَتَجْرِي مِنْهَا الْأَنْهَارُ . فَيَحْيَا بِهَا الْحَيَوَانُ وَالنَّبَاتُ إِلَى وَقْتِ
زُلُولِ الْأَمْطَارِ مِنَ السَّنَةِ الْآتِيَةِ . وَيَنْصَبُ قَاصِلُهَا إِلَى الْبَحَارِ دَائِماً .
ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى الْبَحَارِ الْمَمِيَّةِ الَّتِي هِيَ خِلْجَانٌ مِنَ أَبْجَرِ الْأَعْظَمِ
الْعَاطِلِ بِجَمِيعِ الْأَرْضِ حَتَّى إِنْ جَمِيعَ الْمَكْشُوفِ مِنَ الْبُؤَادِي وَالْجِبَالِ
بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْمَاءِ كَخَزِيرَةٍ صَغِيرَةٍ فِي بَحْرِ عَظِيمٍ وَبَقِيَّةُ الْأَرْضِ
مَسْتَوْرَةٌ بِالْمَاءِ . ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى مَا فِيهَا مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْجَوَاهِرِ . ثُمَّ لِيَنْظُرَ
إِنْ خَلَقَ الْوُثُوفَ فِي صَدْفِهِ تَحْتَ الْمَاءِ . ثُمَّ إِلَى إِنْبَاتِ الْمَرْجَانِ فِي صَمِيمِ
الصَّخْرِ تَحْتَ الْمَاءِ وَهُوَ نَبَاتٌ عَلَى هَيْئَةِ شَجَرَةٍ تَنْبُتُ مِنَ الشَّجَرِ . ثُمَّ إِلَى
مَا عَدَاهُ مِنَ الْعُذْبَرِ وَأَصْنَافِ الثَّقَائِلِ الَّتِي يَفْذِفُهَا الْبَحْرُ وَتُخْرِجُ
مِنْهُ . ثُمَّ إِلَى السُّفُنِ كَيْفَ سِيرَتْ فِي الْبَحَارِ وَرُفْعَةِ جَرِيحِهَا بِالرِّيَّاحِ
وَالِإِتِّخَازِ الْآتِيَةِ وَمَعْرِفَةِ التَّوَاتِي مَوَارِدِ الرِّيَّاحِ وَمَهَابِهَا وَمَوَاقِفِهَا .
وَعَجَائِبُ الْبَحَارِ كَثِيرَةٌ لَا مَطْمَعَ فِي إِحْصَائِهَا

ثُمَّ لِيَنْظُرَ إِلَى أَنْوَاعِ الْمَعْدِنِ الْمَوْدَعَةِ تَحْتَ الْجِبَالِ فَنَظَرُ مَا يَنْطَبِعُ
كَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنُّحَاسِ وَالرَّصَاصِ وَالْحَمِيدِ . وَمِنْهَا مَا لَا يَنْطَبِعُ
كَالْقَيْرِ وَزَجِّ وَالزَّبَقِ وَالزَّبَرَجَدِ . ثُمَّ إِلَى كَيْفِيَّةِ اسْتِخْرَاجِهَا وَتَقْيِيمِهَا
وَالِإِتِّخَازِ الْحَلِيِّ وَالْأَلَاتِ وَالْأَوَانِي مِنْهَا . ثُمَّ إِلَى مَعَادِنِ الْأَرْضِ كَالنَّطِيطِ

وَالْأَكْبَرِ وَالْقَبِيرِ وَغَيْرِهَا وَأَجَلُهَا الْعِلْجُ فَلَوَخَاتٍ مِنْهُ بِلَدَةٍ لَتَسَارَعَ
 انْفِسَادُ إِلَى أَهْلِهَا. ثُمَّ لِنَنْظُرَ إِلَى أَنْوَاعِ النَّبَاتِ وَأَصْنَافِ الْهَوَاكِهِ
 الْمُخْتَلِفَةِ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ وَالطُّعُومِ وَالْأَرَائِيحِ تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ
 وَيَفْضُلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ مَعَ اتِّحَادِ الْأَرْضِ وَالْهَوَاءِ وَالْمَاءِ .
 فَتَخْرُجُ مِنْ نَوَاحٍ تَحْتَهُ مُطَوَّقَةٌ بِمَنَاقِيدِ الرُّطْبِ وَمِنْ حَبَّةٍ سَبْعُ سَنَابِلٍ
 فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ . ثُمَّ لِنَنْظُرَ إِلَى أَرْضِ الْبَوَادِي وَتَشَابُهِ أَجْزَالِهَا
 فَإِنَّمَا إِذَا نَزَلَ الْأَطْرُفُ عَلَيْهَا اهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيمٍ .
 ثُمَّ إِلَى أَشْكَالِهَا وَالْأَلْوَانِهَا وَطُعُومِهَا وَرَوَائِحِهَا وَاخْتِلَافِ طَبَائِعِهَا وَكَثْرَةِ
 مَنَافِعِهَا . فَلَمْ تَبْتَ مِنْ الْأَرْضِ وَرَقَّةٌ إِلَّا وَفِيهَا مَنَفَعَةٌ أَوْ مَنَافِعُ يَفْقَهُ
 قَوْمُ الْبَشَرِ دُونَ إِدْرَاكِهَا . ثُمَّ لِنَنْظُرَ إِلَى أَصْنَافِ الْحَيَوَانِ وَأَنْتِيسَامِهَا إِلَى
 مَا يَطِيرُ وَيَسْبُجُ وَيَمْشِي . وَإِلَى أَشْكَالِهَا وَصُورِهَا وَأَخْلَاقِهَا لِيَرَى عَجَائِبَ
 تَدْهَشُ مِنْهَا الْعُقُولُ . بَلْ فِي الْبَقَّةِ أَوْ الْفُلِّ أَوْ الْغَنَكُوتِ أَوْ الْفَحْلِ فَإِنَّهَا
 مِنْ ضِعَافِ الْحَيَوَانَاتِ لِيَرَى مَا يَتَغَيَّرُ مِنْهُ مِنْ بَنَائِهَا أَلْيَتٍ وَجَمْعِهَا الْغَذَاءِ
 وَادِّخَارِهَا لَوْفِ الشِّتَاءِ وَحِذْقِهَا فِي هَنْدَسَتِهَا وَنَهْضِهَا الشَّبَكَةَ لِلضَّبِّدِ
 وَمَا مِنْ حَيَوَانٍ إِلَّا وَفِيهِ مِنَ الْعَجَائِبِ مَا لَا يُحْصَى . وَإِنَّمَا سَقَطَ التَّعَجُّبُ
 مِنْهَا لِلْأَنْسِ بِهَا بِكَثْرَةِ أَنْشَاهِدَةٍ

في جم الشمس ويضعها

٣٤١ رَأَى الشَّمْسُ قَاعَ عَظْمِ الْكَوَاكِبِ جَرَمًا وَأَشَدَّهَا ضَوْءًا . وَمَكَانَهَا

الطَّيْبِيُّ الْكُرَّةُ الرَّابِعَةُ. (*) زَعَمَ الْمُتَجَمُّعُونَ أَنَّ الشَّمْسَ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ
كَالْمَلِكِ وَسَارَ الْكَوَاكِبُ كَالْأَعْوَانِ وَالْجُنُودِ. وَالْقَمَرُ كَالْوَزِيرِ وَوَلِيَّ
الْعَهْدِ. وَعُطَارِدُ كَالْكَاتِبِ. وَالْمَرْيَخُ كَصَاحِبِ الشَّرْطَةِ. وَالْمَشْتَرِي
كَالْقَاضِي. وَزُحَلُ كَصَاحِبِ الْخَزَائِنِ. وَالزُّهْرَةُ كَالْخَدَمِ وَالْجَوَارِي.
وَالْأَفْلَاكُ كَالْأَقَالِمِ. وَالْبُرُوجُ كَالْبُلْدَانِ. وَالْدَّرَجَاتُ كَالْمَسَاكِرِ.
وَالدَّقَائِقُ كَالْحَالَ. وَالتَّوَانِي كَالْمَنَازِلِ. وَهَذَا تَشْبِيهُ جَيِّدٌ

وَمِنْ عَجَائِبِ لُطْفِ اللَّهِ تَعَالَى جَمْلُ الشَّمْسِ فِي وَسْطِ الْكَوَاكِبِ
السَّبْعَةِ لِيَتَبَقَّ الطَّبَائِعُ وَالْمَطْبُوعَاتُ فِي نَظْمِ أَلَمِ بَحْرِ كَاتِبِهِ أَعْلَى حَدِّهَا
الْإِعْتِدَالِي. إِذْ لَوْ كَانَتْ فِي فَلَكِ الْاَوَابِتِ لَقَسَدَتْ الطَّبَائِعُ
بِشِدَّةِ الْبَرْدِ. وَلَوْ أَنَّهَا انْتَحَدَتْ إِلَى فَلَكِ الْقَمَرِ لَأَحْتَرَقَ هَذَا الْعَالَمُ
بِالْكُلِّيَّةِ. وَلُطْفُ آخَرٍ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ خَلَقَهَا سَائِرَةً غَيْرَ مُوَاقِفَةٍ
وَالْأَشْتَدَّتِ السَّخُونَةُ فِي مَوْضِعٍ وَأَشْتَدَّ الْبَرْدُ فِي غَيْرِهِ فَلَا يَخْفَى
فَسَادُهَا. لَكِنْ تَطْلُعُ كُلُّ يَوْمٍ مِنَ الْمَشْرِقِ (*) وَلَا تَرَالُ تَنْفُسِي
مَوْضِعًا بَعْدَ مَوْضِعٍ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْمَغْرِبِ. فَلَا يَبْقَى مَوْضِعٌ
مَكْشُوفٌ مُوَازٍ لَهَا إِلَّا وَيَأْخُذُ خَطًّا مِنْ شَمَاعِهَا. وَيَمِيلُ فِي كُلِّ
سَنَةِ مَرَّةً إِلَى الْجَنُوبِ وَمَرَّةً إِلَى الشِّمَالِ لِيَتِمَّ قَائِدَتُهَا أَمَّا إِلَى الْجَنَةِ

(*) ذلك زعم الأقدمين أما المتأخرون فعلى أن الشمس في جوف الطلح ومن حولها
تدور سائر الأفلاك واقربها إلى الشمس عطارد ثم الزهرة ثم الأرض ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل
(*) وهذا من آراء الأوائل. فقد ثبت الآن عند العلماء أن الأفلاك تدور حول الشمس
وأطلق ما اعتقده القدماء من أن الشمس تدور حول الأفلاك

الْجَنُوبِيَّةَ قَتِيلٌ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مَطْلَعِ قَابِ الْأَمْرَبِ .
وَهُوَ مَطْلَعُ أَقْصَرِ يَوْمٍ فِي السَّنَةِ . وَأَمَّا إِلَى الْجَنَّةِ الشَّمَالِيَّةِ قَتِيلٌ حَتَّى
تَنْتَهِيَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ مَطْلَعِ السَّمَاءِ الرَّامِحِ وَهُوَ مَطْلَعُ أَطْوَلِ يَوْمٍ فِي
السَّنَةِ . ثُمَّ تَرْجِعُ تَمِيلُ إِلَى الْجَنُوبِ

في كسوف الشمس وبعض خواصها

٣٤٢ وَسَبَبُهُ كَوْنُ الْقَمَرِ حَائِلًا بَيْنَ الشَّمْسِ وَبَيْنَ أَبْصَارِنَا لِأَنَّ
جَرِمَ الْقَمَرِ كَمَدٍ فَيَحْجُبُ مَا وَرَاءَهُ عَنِ الْأَبْصَارِ . فَإِذَا قَارَنَ الشَّمْسُ
وَكَانَ فِي إِحْدَى نَقْطَتَيِ الرَّأْسِ وَالذَّنْبِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُرَى تَحْتَ
الشَّمْسِ فَيَصِيرُ حَائِلًا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْأَبْصَارِ . ثُمَّ الشَّمْسُ إِذَا انْكَسَفَتْ
لَا يَكُونُ لِكُسُوفِهَا مَكْتُ لِأَنَّ قَاعِدَةَ غُرُوطِ الشَّمْسِ إِذَا انْطَبَقَ عَلَى
صَفْحَةِ الْقَمَرِ انْحَرَفَ عَنْهُ فِي الْحَالِ . فَيَبْتَدِئُ الْإِنْسَانُ بِالْإِنْجِلَاءِ . لَكِنْ
يَخْتَلِفُ قَدْرُ الْكُسُوفِ بِاخْتِلَافِ أَوْضَاعِ الْمَسَاكِينِ بِسَبَبِ اخْتِلَافِ
الْمَنْظَرِ . وَقَدْ لَا يَنْكَسِفُ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ أَصْلًا

وَأَمَّا تَأْثِيرَاتُ الشَّمْسِ فِي الْمُلُوكِيَّاتِ وَالسُّفُلِيَّاتِ فَحِجَبَةٌ . أَمَّا فِي
الْمُلُوكِيَّاتِ فَأَخْفَاؤُهَا جَمِيعُ الْكَوَاكِبِ بِكَمَالِ شَمَاعِهَا وَإِعْطَاؤُهَا لِقَمَرِ
الْأُورِ . وَأَمَّا فِي السُّفُلِيَّاتِ فَيَنْتَابِرُهَا فِي الْبُحَارِ . فَإِنَّهَا إِذَا اشْرَقَتْ عَلَى
الْمَاءِ أَصْعَدَتْ مِنْهُ ابْجَرَةً بِسَبَبِ السُّخُونَةِ . فَإِذَا بَلَغَ الْبُخَارُ إِلَى الْهَوَاءِ
الْبَارِدِ تَكَاثَفَ مِنَ الْبَرْدِ وَانْعَقَدَ مَحَابًا . ثُمَّ تَذْهَبُ بِهِ الرِّيَّاحُ إِلَى
الْأَمَاكِنِ الْبَعِيدَةِ عَنِ الْبُحَارِ فَيَنْزِلُ اللَّهُ قَطْرًا يُخْبِي بِهِ الْأَرْضَ بِمَدِّ

مَوْتِهَا . وَتَظَاهَرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَاللَّيُونُ قَصِيرُ سَبَبٍ لِبَقَاءِ الْحَيَوَانِ وَخُرُوجِ
 النَّبَاتِ . وَمِنْهَا أَمْرُ النَّبَاتِ فَإِنَّ الزَّرْعَ وَالْأَشْجَارَ وَالنَّبَاتَ لَا تَنْبُتُ
 بِغَيْرِ إِلَّا فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي نَظْلَعُ عَلَيْهَا الشَّمْسُ . وَلِذَلِكَ لَا يَنْبُتُ تَحْتَ
 النَّخِيلِ وَالْأَشْجَارِ الْعِظَامِ الَّتِي لَهَا ظِلَالٌ وَاسِعَةٌ شَيْءٌ مِنَ الزَّرْعِ
 لِأَنَّهَا تَنْتَعِ شُعَاعَ الشَّمْسِ عَمَّا تَحْتَهَا . وَحَسْبُكَ مَا تَرَى مِنْ تَأْثِيرِ الشَّمْسِ
 بِحَسَبِ الْحَرَكَةِ الْيَوْمِيَّةِ فِي النَّبْلُوقِ وَالْأَذْرِيُونِ وَوَرَقِ الْخَرْجِ فَإِنَّهَا
 تَنْفُو وَتَرْدَادُ عِنْدَ اخْتِدَامِ الشَّمْسِ فِي الْإِرْتِفَاعِ وَالْأَصْغُودِ . فَإِذَا زَالَتْ
 الشَّمْسُ أَخَذَتْ فِي الذُّبُولِ حَتَّى إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ ضَعُفَتْ وَذَبَابَتْ
 ثُمَّ عَادَتْ الْيَوْمَ الثَّانِي إِلَى حَالِهَا . وَمِنْهَا تَأْثِيرُهَا فِي الْحَيَوَانَاتِ فَإِنَّا
 نَرَى الْحَيَوَانَاتِ إِذَا طَلَعَ نَوْرُ الصُّبْحِ حَاقَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَبْدَانِهِمْ قُوَّةٌ
 فَتَظَاهَرُ فِيهَا قَرَاهَةٌ وَاتِّعَاسُ قُوَّةٍ . وَكَأَمَّا كَانَ طُلُوعُ نَوْرِ الشَّمْسِ أَكْثَرَ
 كَانَ ظُهُورُ قُوَّةِ الْحَيَوَانِ فِي أَبْدَانِهِمْ أَكْثَرَ إِلَى أَنْ وَصَلَتْ إِلَى وَسْطِ
 سَمَانِهَا . فَإِذَا مَالَتْ عَنْ وَسْطِ سَمَانِهِمْ أَخَذَتْ حَرَكَاتِهِمْ وَقُوَّاهُمْ فِي
 الضَّعْفِ وَلَا تَرَالُ تَرْدَادُ ضَعْفًا إِلَى زَمَانِ غُيُوبِهَا . فَإِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ
 رَجَعَتِ الْحَيَوَانَاتُ إِلَى أَمَاكِنِهَا وَلَزِمَتْهَا كَأَلْوَقَى فَإِذَا طَلَعَتْ عَلَيْهَا
 الشَّمْسُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي عَادُوا إِلَى الْحَالَةِ الْأُولَى (للقزويني)

فصل في القمر وخسوفه وتأثيراته

٣٤٣ وَأَمَّا الْقَمَرُ فَهُوَ كَوْكَبٌ مَكَانُهُ الطَّبِيعِيُّ الْفَلَكَ الْأَسْفَلُ وَهُوَ
 جِرْمٌ كَثِيفٌ ظَلِيمٌ قَابِلٌ لِلضِّيَاءِ إِلَّا الْقَلِيلَ مِنْهُ عَلَى مَا يُرَى فِي ظَاهِرِهِ .

فَالنِّصْفُ الَّذِي يُوَاجِهُهُ الشَّمْسُ مُضِيٌّ أَبَدًا فَإِذَا فَارَتْ الشَّمْسُ كَانَ
النِّصْفُ الْمُظْلَمُ مُوَاجِهًا لِلْأَرْضِ . فَإِذَا بَعْدَ عَنْ الشَّمْسِ إِلَى الْمَشْرِقِ
وَمَا لَ النَّصْفُ الْمُظْلَمُ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي يَلِي الْمَغْرِبَ إِلَى الْأَرْضِ فَيُظْهِرُ
مِنَ النَّصْفِ الْمُضِيِّ قِطْعَةً هِيَ الْهَلَالُ . ثُمَّ يَتَرَايِدُ الْأَنْحَرَا فُ وَيَزْدَادُ
يَتَرَايِدُهُ الْقِطْعَةُ مِنَ النَّصْفِ الْمُضِيِّ حَتَّى إِذَا كَانَ فِي مُقَابَلَةِ الشَّمْسِ
كَانَ النَّصْفُ الْمُوَاجِهَ لِلشَّمْسِ هُوَ النَّصْفُ الْمُوَاجِهَ لَنَا . فَتَرَاهُ ثُمَّ يَقْرُبُ
مِنَ الشَّمْسِ فَيَنْقُصُ الْأَضْيَاءُ مِنَ الْجَانِبِ الَّذِي بَدَأَ بِهِ عَلَى التَّرْتِيبِ الْأَوَّلِ .
حَتَّى إِذَا صَارَ فِي مُقَابَرَةِ الشَّمْسِ يَنْتَحِقُ نُورُهُ وَيَعُودُ إِلَى الْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ
وَسَبَبُ خُسُوفِهِ تَوَسُّطُ الْأَرْضِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ فَإِذَا كَانَ الْقَمَرُ
فِي إِحْدَى نِقْطَتَيْ الرَّأْسِ وَالذَّنْبِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ عِنْدَ الْإِسْتِمْبَالِ
تَوَسَّطَ الْأَرْضُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ فَيَقَعُ فِي ظِلِّ الْأَرْضِ وَيَبْقَى عَلَى
سَوَادِهِ الْأَصْلِيِّ فَيَرَى مُخْسَفًا . وَتَأْثِيرَاتُهُ عَجِيبَةٌ . زَعَمُوا أَنَّ تَأْثِيرَاتِهِ
كُلُّهَا بِوَاسِطَةِ الرُّطُوبَةِ كَمَا أَنَّ تَأْثِيرَاتِ الشَّمْسِ بِوَاسِطَةِ الْحَرَارَةِ .
وَيَدُلُّ عَلَيْهَا اعْتِبَارُ أَعْلَى الثَّجَارِبِ . مِنْهَا أَسْرُ النِّجَارِ فَإِنَّ الْقَمَرَ إِذَا صَارَ
فِي أَفْقٍ مِنْ أَفَاقِ النِّجَارِ أَخَذَ مَاؤُهُ فِي الْمَدِّ مِثْلًا مَعَ الْقَمَرِ وَلَا يَزَالُ
كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَصِيرَ الْقَمَرُ فِي وَسْطِ سَمَاءِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ . فَإِذَا صَارَ
هُنَاكَ أَتَتْهُ الْمَدُّ مُتَمَّهَةً فَإِذَا انْحَطَّ الْقَمَرُ مِنْ وَسْطِ سَمَائِهِ جَزَرَ الْمَاءُ .
وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ رَاجِعًا إِلَى أَنْ يَبْلُغَ الْقَمَرُ مَظَرَّهُ فَعِنْدَ ذَلِكَ
يَنْتَهِي الْجَزْرُ مُتَمَّهًا . وَمَنْ كَانَ فِي لُجَّةِ النِّجَارِ وَقْتُ اتِّدَاءِ الْمَدِّ

أَحْسَ لَأَمَّا حَرَكَةٌ مِنْ أَسْفَلِهِ إِلَى أَعْلَاهُ وَرَى لَهُ انْتِفَاحًا وَتَهَيُّجُ فِيهَا
رِيَّاحٌ عَوَاصِفٌ وَأَمْوَاجٌ. وَإِذَا كَانَ وَقْتُ الْجُزْرِ يَنْقُصُ جَمِيعُ ذَلِكَ. وَمَنْ
كَانَ فِي الشُّطُوطِ وَالسَّوَاحِلِ فَإِنَّهُ يَرَى لِلْمَاءِ زِيَادَةً وَانْتِفَاحًا وَجَرِيًّا
وَعَلْوًا وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَجْزُرَ وَيَرْجِعَ الْمَاءُ إِلَى الْبَحْرِ. وَابْتِدَاءُ
قُوَّةِ الْمَدِّ فِي الْبَحَارِ إِنَّمَا يَكُونُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ عَمِيقٍ وَاسِعٍ كَثِيرِ الْمَاءِ

فِي الْحِجْرَةِ وَالْكَوَاكِبِ الثَّوَابِ

٣٤٤ وَهِيَ أَلْبَيَاضُ الَّذِي يَرَى فِي السَّمَاءِ يُقَالُ لَهُ سُرُجُ السَّمَاءِ إِلَى
زَمَانِنَاهُذَلِكَ يُسْمَعُ فِي حَقِيقَتِهَا قَوْلُ شَايٍ. زَعَمُوا أَنَّهَا كَوَاكِبُ صَغَارٌ
مُتَقَارِبَةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَالْعَرَبُ تُسَمِّيهَا أُمَّ النُّجُومِ لِاجْتِمَاعِ النُّجُومِ
فِيهَا. وَزَعَمُوا أَنَّ النُّجُومَ تَقَارَبَتْ مِنَ الْحِجْرَةِ فَطَسَّ بَعْضُهَا بَعْضًا
وَسَارَتْ كَأَنَّهَا سَحَابٌ. وَهِيَ تَرَى فِي الشِّتَاءِ أَوَّلَ اللَّيْلِ فِي نَاحِيَةٍ مِنْ
السَّمَاءِ. وَفِي الصَّيْفِ أَوَّلَ اللَّيْلِ فِي وَسْطِ السَّمَاءِ مُتَمَدَّةً مِنَ الشِّمَالِ إِلَى
الْجَنُوبِ. وَبِالْأَنسَبَةِ إِلَيْنَا تَدُورُ دَوْرًا رَحْوِيًّا فَتَرَاهَا نِصْفَ اللَّيْلِ مُتَمَدَّةً
مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَفِي آخِرِ اللَّيْلِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشِّمَالِ...
وَأَمَّا الْكَوَاكِبُ الثَّوَابِ فَإِنَّ عَدَدَهَا يَمَّا يَقْصُرُ ذَهْنُ الْإِنْسَانِ عَنْ
ضَبْطِهَا. لَكِنَّ الْأَوَّلِينَ قَدْ ضَبَطُوا مِنْهَا أَلْفًا وَأَتْنِينَ وَعِشْرِينَ كَوْكَبًا.
ثُمَّ وَجَدُوا مِنْ هَذَا الْجَمْعِ تِسْعِمِائَةً وَسَبْعَةَ عَشَرَ كَوْكَبًا يَنْتَظِمُ
مِنْهَا ثَمَانٌ وَأَرْبَعُونَ صُورَةً. كُلُّ صُورَةٍ مِنْهَا تَشْتَمِلُ عَلَى كَرْكَبِهَا. وَهِيَ
الصُّورَةُ الَّتِي أَثْبَتَهَا بَطْلِمُوسُ فِي كِتَابِ الْحِسْطِيِّ بَعْضُهَا فِي النِّصْفِ

الْشَّيْءَ مِنَ الْكُرَّةِ وَبَعْضُهَا عَلَى مِنْطَقَةِ فَلَكِ الْبُرُوجِ الَّتِي هِيَ طَرِيقَةُ
السَّيَّارَاتِ . وَبَعْضُهَا فِي النِّصْفِ الْجَنُوبِيِّ . فَسَمِيَ كُلُّ صُورَةٍ بِاسْمِ
الشَّيْءِ الْمُشَبَّهِ بِهَا فَوَجَدَ بَعْضُهَا عَلَى صُورَةِ الْإِنْسَانِ كَالْجُوزَاءِ .
وَبَعْضُهَا عَلَى صُورَةِ الْحَيَوَانَاتِ الْبَحْرِيَّةِ كَالسَّرَطَانِ . وَبَعْضُهَا عَلَى
صُورَةِ الْحَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ كَالْحَمَلِ . وَبَعْضُهَا عَلَى صُورَةِ الطَّيْرِ كَالْعُقَابِ .
وَبَعْضُهَا خَارِجًا عَنْ شَبهِ الْحَيَوَانَاتِ كَالْمِيزَانِ وَالسَّفِينَةِ . وَوَجَدَ مِنْ هَذِهِ
الصُّوَرِ مَا لَمْ يَكُنْ تَامَّ الْخِلْقَةِ مِثْلَ الْقَرَسِ وَمِنْهَا مَا بَعْضُهُ مِنْ صُورَةِ
حَيَوَانَاتٍ وَالْبَعْضُ الْآخَرُ مِنْ صُورَةِ حَيَوَانَاتٍ آخَرَ كَالرَّايِّ ... وَبِمَا
أَلْفَوْا هَذِهِ الصُّوَرِ وَسَمَّوْهَا بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ لِيَكُونَ لِكُلِّ كَوْكَبٍ اسْمٌ
يُعرفُ بِهِ مَتَى أَشَارُوا إِلَيْهِ وَذَكَرُوا مَوْقِعَهُ مِنَ الصُّورَةِ . وَمَوْقِعُهُ مِنْ
فَلَكَ الْبُرُوجِ وَبَعْدَهُ مِنَ الشَّمَالِ أَوْ الْجَنُوبِ عَنِ الدَّائِرَةِ الَّتِي تَمُرُّ
بِأَوْسَاطِ الْبُرُوجِ لِمَعْرِفَةِ أَوْقَاتِ اللَّيْلِ وَالطَّالِمِ فِي كُلِّ وَقْتٍ

فصل في ارباع السنة

٣٤٥ مِنْ جَمَلَةِ لُطْفِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ أَنْ أَعْطَى لِكُلِّ فَصْلٍ طَبْعًا مُعَيَّنًا لِمَا
قَبْلَهُ فِي كَيْفِيَّةٍ أُخْرَى لِيَكُونَ وَرُودُ الْفُصُولِ عَلَى الْأَبْدَانِ بِالتَّدْرِيجِ .
فَلَوْ أَنَّ ثِقَلَ مِنَ الصَّيفِ إِلَى الشِّتَاءِ دَفْعَةً لَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى تَنْشِيرِ عَظَائِمِ
فِي الْأَبْدَانِ . فَحَسْبُكَ مَا تَرَى مِنْ تَنْشِيرِ الْهَوَاءِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مِنَ الْحَرِّ
إِلَى الْبَرْدِ كَيْفَ يَظْهَرُ مُتَنَاضًا فِي الْأَبْدَانِ . فَكَيْفَ إِذَا كَانَ مِثْلُ هَذَا
التَّنَشِيرِ فِي الْفُصُولِ . فَسُبْحَانَهُ مَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ . وَكَثُرَ امْتِنَانُهُ

أَمَّا الرَّبِيعُ فَهُوَ وَقْتُ زُيُولِ الشَّمْسِ أَوَّلُ بُرْجِ الحَمَلِ . فَمِنْدَ ذَلِكَ
 اسْتَوَى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فِي الْأَقَالِيمِ . وَاعْتَدَلَ الزَّمَانُ . وَطَابَ الْهَوَاءُ
 وَهَبَّ السَّيْمُ . وَذَابَتِ الثَّلُوجُ وَسَالَتِ الْأَوْدِيَةُ . وَمَدَّتِ الْأَنْهَارُ
 وَنَبَتَ الْعُيُونُ . وَارْتَفَعَتِ الرُّطُوبَاتُ إِلَى أَعْلَى فُرُوعِ الْأَشْجَارِ وَنَبَتَ
 الْعُشْبُ . وَطَالَ الزَّرْعُ وَتَلَاَّ الزَّهْرُ . وَأَوْرَقَ الشَّجَرُ وَانْفَعَمَ النَّوْرُ .
 وَاخْضَرَّ وَجْهُ الْأَرْضِ وَطَلَبَ عَيْشُ أَهْلِ الزَّمَانِ . وَتَكَوَّنَتِ الْحَيَوَانَاتُ
 وَدَبَّ الدَّيْبُ . وَنَجَتْ الْبَهَائِمُ وَدَرَّتِ الضَّرُوعُ . وَانْتَشَرَ الْحَيَوَانُ فِي
 الْأِلَادِ عَنْ أَوْطَانِهِ وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا جَارِيَةٌ شَابَةٌ تَجَلَّتْ وَتَرَيَّتْ
 لِلنَّاطِرِينَ . وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ دَائِبًا وَدَابَّ أَهْلُهَا إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ
 آخِرَ الْجُوزَاءِ . فَمِنْهُنَّ أَنْتَهَى الرَّبِيعُ وَأَقْبَلَ الصَّيْفُ

وَأَمَّا الصَّيْفُ فَهُوَ وَقْتُ زُيُولِ الشَّمْسِ أَوَّلِ السَّرَطَانِ . فَمِنْدَ ذَلِكَ
 تَنَاهَى طُولُ النَّهَارِ ثُمَّ أَخَذَ اللَّيْلُ فِي الزِّيَادَةِ وَدَخَلَ الصَّيْفُ . وَاشْتَدَّ
 الْحَرُّ وَتَغَنَّى الْهَوَاءُ . وَتَقَوَّى أَكْثَرُ النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ . وَأَذْرَكَتِ الْعِمَارُ
 وَجَفَّتِ الْحُبُوبُ وَقَلَّتِ الْأَنْدَاءُ . وَأَضَاءَتِ الدُّنْيَا وَسِمَتْ الْبَهَائِمُ .
 وَاشْتَدَّتْ مُنْمَةُ الْأَبْدَانِ وَكَثُرَ الرِّيفُ . وَانْتَشَرَتِ الْحَيَوَانَاتُ عَلَى
 وَجْهِ الْأَرْضِ لِعُمُومِ الْخَيْرِ وَكَثُرَتِ الدَّيْبُ . وَطَابَ عَيْشُ أَهْلِ
 الزَّمَانِ . وَكَثُرَتِ السُّمُومُ . وَنَقَصَتِ الْأَنْهَارُ وَنَضَبَتِ الْمِيَاهُ . وَبَسَّتِ
 الْعُشْبُ وَأَذْرَكَ الْحَصَادُ . وَدَرَّتِ الْأَخْلَافُ وَاسْمَعَ لِلنَّاسِ الْفُوتُ
 وَلِلطَّيْرِ الْحَبُّ وَلِلْبَهَائِمِ الْعَلْفُ . وَتَكَمَّلَ زُخْرُفُ الْأَرْضِ وَصَارَتْ

الدُّنْيَا كَانَتْهَا عُرُوسٌ مُنْعَمَةٌ بِالْعَمَّةِ كَامِلَةٌ ذَاتُ جَمَالٍ وَرَوِّقٍ . فَلَا يَزَالُ
 الْأَمْرُ كَذَلِكَ أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ السَّنْبِلَةِ فَيَحْتَدِثُ أَقْبَلَ الْحَرِيفِ
 وَأَمَّا الْحَرِيفُ فَهُوَ وَقْتُ زُلُولِ الشَّمْسِ الْمِيزَانَ فَعِنْدَ ذَلِكَ أَسْتَوَى
 اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَرَّةً أُخْرَى . ثُمَّ ابْتَدَأَ الْآيِلُ بِالزِّيَادَةِ . وَكَذَا ذَكَرْنَا أَنَّ
 الرَّبِيعَ زَمَنٌ لُشْوُهُ الْأَشْجَارُ وَبَدَأَ الثَّيَابُ وَظَهَرُوا الْأَزْهَارُ فَالْحَرِيفُ
 زَمَانٌ ذُبُولِ الثَّيَابِ وَتَغْيِيرِ الْأَشْجَارِ وَسُقُوطِ أَوْرَاقِهَا . فَيَحْتَدِثُ بِرَدِّ الْمَاءِ
 وَهَبَّتِ الشَّمَالُ . وَتَغْيِيرِ الزَّمَانِ وَتَقْصُصِ الْمِيَاهِ . وَجَفَّتِ الْأَنْهَارُ وَغَارَتِ
 الْعُيُونُ . وَبَيَسَتْ أَنْوَاعُ الثَّيَابِ وَفَنِيَتْ الْقِدَارُ . وَأَحْرَزَ النَّاسُ الْحَبَّ
 وَالْأَمْرَ وَعَرِيَّ وَجْهَ الْأَرْضِ مِنْ دَبِيحِهَا . وَمَاتَتْ الْهُوَامُ وَانْبَحَثَتْ
 الْحُمُرَاتُ . وَانْصَرَفَ الطَّيْرُ وَيَطْلُبُ الْوَحْشُ الْبُلْدَانَ الدَّافِئَةَ
 وَأَحْرَزَ النَّاسُ قُوَّةَ الشِّتَاءِ وَدَخَلُوا الْبُيُوتَ وَلَبَسُوا الْجُلُودَ الْغَلِيظَةَ مِنْ
 الثَّيَابِ . وَتَغْيِيرِ الْهُوَامِ وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَمَا كَانَتْ كَهْلَةً قَدْ وَلَّتْ أَيَّامَ شَبَابِهَا
 إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ الْقَوْسِ وَقَدْ انْتَهَى الْحَرِيفُ وَأَقْبَلَ الشِّتَاءُ
 وَأَمَّا الشِّتَاءُ فَهُوَ وَقْتُ زُلُولِ الشَّمْسِ أَوَّلِ الْجُذْيِ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَنَاهَى
 طَوْلُ اللَّيْلِ وَقَصُرَ النَّهَارُ . ثُمَّ أَخَذَ النَّهَارُ فِي الزِّيَادَةِ وَاشْتَدَّ الْبَرْدُ .
 وَخَشِنَ الْهُوَامُ وَتَغْيِيرِ الْأَشْجَارِ عَنِ الْأَوْرَاقِ . وَفَنِيَتْ بَطُونُهَا وَقَاتِ
 الْأَكْمَرُ الثَّيَابِ . وَانْبَحَثَتْ الْحَيَوَانَاتُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ وَكُفُوفِ
 الْجِبَالِ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ وَكَثُرَ الْأَنْدَاءُ . وَنَشَأَتِ الْغُيُومُ وَأَظْلَمَ الْجَوُّ
 وَكَلِمَ وَجْهَ الزَّمَانِ . وَهَزِلَتِ الْبَهَائِمُ وَضَعِفَتْ قُوَى الْإِنْسَانِ . وَمَنْعَ

الْبَرْدُ النَّاسَ مِنَ التَّصَرُّفِ وَمَرَعَيْشُ أَكْثَرِ الْحَيَوَانِ . وَطَالَ اللَّبْلُ
 الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ سَكَنًا وَلِبَاسًا وَبَرَدَ الْمَاءُ الَّذِي هُوَ مَادَّةُ الْحَيَاةِ . وَانْقَطَعَ
 اللَّذْبَابُ وَالْبَعُوضُ وَعَدِمَ ذَوَاتُ السُّمُومِ مِنَ الْهَوَامِّ . وَيَطِيبُ فِيهِ
 الْأَكْلُ وَالشَّرْبُ . وَهُوَ زَمَانُ الرَّاحَةِ وَالْإِسْتِمَاعِ كَمَا أَنَّ الصَّيْفَ
 زَمَانُ الْكَدِّ وَالْعَبِّ . حَتَّى قِيلَ : مَنْ لَمْ يَغْلِ دِمَاعُهُ صَانِفًا لَمْ تَغْلُ
 قُدْرُهُ شَيْئًا . وَصَارَتِ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا عَجُوزٌ هَرِمَةٌ دَنَا مِنْهَا الْمَوْتُ . فَلَا
 يَزَالُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الشَّمْسُ آخِرَ الْحَوْتِ وَقَدْ انْتَهَى الشِّتَاءُ
 وَأَقْبَلَ الرَّبِيعُ مَرَّةً أُخْرَى

فصل في تولد الانهار

٣٤٦ إِذَا وَقَعَتِ الْأَمْطَارُ وَالثَّلُوجُ عَلَى الْجَبَلِ تَنْصَبُ الْأَمْطَارُ إِلَى
 الْمَغَارَاتِ وَتَذُوبُ الثَّلُوجُ وَتَفْبِضُ إِلَى الْأَهْوَاةِ الَّتِي فِي الْجِبَالِ . فَتَبْقَى
 مَخْزُونَةٌ فِيهَا وَتَمْتَلِئُ الْأَوْشَالُ مِنْهَا فِي الشِّتَاءِ . فَإِذَا كَانَ فِي أَسْفَلِ الْجِبَالِ
 مَنَاقِذُ ضَمِيمَةٍ تَخْرُجُ الْمِيَاهُ مِنَ الْأَوْشَالِ فِي ذَاتِ الْمَنَاقِذِ فَيَحْصُلُ مِنْهَا
 جَدَاوِلُ . وَيَجْتَمِعُ بَعْضُهَا إِلَى الْبَعْضِ فَيَحْصُلُ مِنْهَا أَوْدِيَةٌ وَأَنْهَارٌ . فَإِنْ
 كَانَتِ الْخِرَائِنَاتُ فِي أَعَالِي الْجِبَالِ يَسْتَمِرُّ جريانُهَا أَبَدًا لِأَنَّ بَيَاهَهَا
 تَنْصَبُ إِلَى سَفْحِ الْجِبَالِ وَلَا تَقْطَعُ مَادَّتِهَا لَوْصُولِ مَدِيدِهَا مِنْ
 الْأَمْطَارِ . وَإِنْ كَانَتِ الْخِرَائِنَاتُ فِي أَسْفَلِ الْجِبَالِ فَتَجْرِي مِنْهَا
 الْأَنْهَارُ عِنْدَ وُصُولِ مَدِيدِهَا وَتَقْطَعُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْمَدِيدِ . وَتَبْقَى الْمِيَاهُ
 فِيهَا وَاقِفَةً كَمَا تَرَى فِي الْأَوْدِيَةِ الَّتِي تَجْرِي فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ ثُمَّ

تَقَطُّعُ عِنْدَ انْقِطَاعِ مَادَّتِهَا . وَكُلُّ هَذِهِ الْأَنْهَارُ تَبْتَدِي مِنَ الْجِبَالِ
وَتَنْتَهِي إِلَى الْبَحَارِ أَوْ الْبَطَاحِ . وَفِي مَرِّهَا تَسْقِي الْمَدْنَ وَالْقَرْىَ وَمَا
فَضْلُ يَنْصَبُ إِلَى الْبَحَارِ . ثُمَّ يَرِقُّ وَيَلْطَفُ وَيَتَصَاعَدُ فِي الْهَوَاءِ بُخَارًا
وَيَتَرَاكُمِنْهُ السُّيُومُ وَنَسْفَةُ الرِّيحِ إِلَى الْجِبَالِ وَالْبَرَاري . وَيَعْطُرُ
هُنَاكَ وَيَجْرِي فِي الْأَوْدِيَةِ وَالْأَنْهَارِ وَيَسْقِي الْبِلَادَ وَدَجْعُ قَاضِيهِ إِلَى
الْبَحْرِ . وَلَا يَزَالُ هَذَا دَائِبَهُ وَيَدُورُ كَالرَّحَا فِي الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ

جسم الارض ودورانها وهيتها

٣٤٧ الْأَرْضُ جِسْمٌ بَسِيطٌ طَبَاعُهُ أَنْ يَكُونَ بَارِدًا يَابِسًا . وَإِنَّمَا خُلِقَتْ
بَارِدَةً يَابِسَةً لِأَجْلِ الْغَلْظِ وَالتَّمَسُّكِ إِذْ لَوَلَاهَا لَمَّا أَمْكَنَ قَرَارُ
الْحَيَوَانِ عَلَى ظَهْرِهَا . وَالْهَوَاءُ وَالْمَاءُ مُحِيطَانِ بِهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا إِلَّا
الْمِقْدَارَ الْبَارِزَ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَقَرًّا لِلْحَيَوَانِ . ثُمَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ
فِي أَيِّ مَوْضِعٍ وَهَبَ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ يَكُونُ رَأْسُهُ أَبَدًا مِمَّا يَلِي
السَّمَاءَ . وَرِجْلُهُ مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ وَهُوَ يَدَى مِنَ السَّمَاءِ بَصْفَهَا وَإِذَا
أُنْزِلَ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ ظَهَرَ لَهُ مِنَ السَّمَاءِ مِقْدَارُ مَا خَفِيَ لَهُ مِنَ
الْجَانِبِ الْآخَرِ . ثُمَّ إِنَّ الْبَحْرَ الْغَلِظَ الْأَعْظَمَ لِحَاطٍ بِأَكْثَرِ وَجْهِ
الْأَرْضِ وَالْمَكْشُوفُ مِنْهَا قَلِيلٌ نَاقِيٌّ عَلَى الْمَاءِ . عَلَى مِثَالِ بَيَضَةِ
غَائِصَةٍ فِي الْمَاءِ يَخْرُجُ مِنَ الْمَاءِ مُحْدَبَهَا . وَلَيْسَتْ هِيَ مُسْتَدِيرَةً مَلَسَاءَ
وَلَا مُصْنَعَةً بَلْ كَثِيرَةُ الِارْتِفَاعِ رَالِا تَخْفَاضِ مِنَ الْجِبَالِ وَالْتَّلَالِ
وَالْأَوْدِيَةِ وَالْأَهْوِيَةِ وَالْكُهُوفِ وَالْمَغَارَاتِ وَلَهَا مَنَافِذُ وَخُلُجَانُ . وَكُلُّهَا

مُمْتَلِئَةٌ بِمِيَاهَا وَبُحَارَاتٍ وَرُطُوبَاتٍ دُهْنِيَّةٍ . وَمَا فِي الْأَرْضِ مَوْضِعٌ
شَيْءٍ إِلَّا وَهُنَاكَ مَعْدِنٌ أَوْ نَبَاتٌ أَوْ حَيَوَانٌ بِاخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا وَأَنْوَاعِهَا
وَصُورِهَا وَمِزَاجِهَا وَالْوَانِيهَا لَا يَعْلَمُ تَفْصِيلَهَا غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ صَاحِبُهَا
وَمُدَبِّرُهَا . مَا يَسْفُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ
وَلَا يَأْسُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ

وَأَمَّا هَيْئَةُ الْأَرْضِ فَقَدْ اخْتَلَفَ آرَاءُ الْقَدَمَاءِ فِيهَا قَالَ بَعْضُهُمْ :
إِنَّهَا مَبْسُوطَةٌ فِي السَّطْحِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : هِيَ عَلَى شَكْلِ الْتَرَسِ وَلَوْ لَا
ذَلِكَ لَمَا نَبَتَ عَلَيْهَا بَنَاءٌ وَلَا مَشَى عَلَيْهَا حَيَوَانٌ . وَالَّذِي يَتَمَدُّ عَلَيْهِ
جَمَاهِيرُهُمْ أَنَّ الْأَرْضَ مُدَوَّرَةٌ كَالْكُرَةِ . وَمِنْ الْقَدَمَاءِ مِنْ أَصْحَابِ
فِتَاءِ مُورِسَ مَنْ قَالَ : إِنَّ الْأَرْضَ مُتَحَرِّكَةٌ دَائِمًا عَلَى الْأَسْتِدَارَةِ وَالَّذِي
يُرَى مِنْ دَوْرَانِ الْكُوكَبِ إِنَّمَا هُوَ دَوْرُ الْأَرْضِ لَا دَوْرُ الْكُوكَبِ

في السحاب والمطر وما يتعلق بهما

٣٤٨ زَعُمُوا أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا أَشْرَقَتْ عَلَى الْمَاءِ حَلَّلَتْ مِنْ الْمَاءِ أَجْزَاءَ
لَطِيفَةٍ مَائِيَّةٍ تُسَمَّى بُحَارًا وَمِنْ الْأَرْضِ أَجْزَاءَ لَطِيفَةٍ أَرْضِيَّةٍ تُسَمَّى دُخَانًا .
فَإِذَا ارْتَفَعَ الْبُحَارُ وَالْدُخَانُ فِي الْهَرَاءِ وَتَدَاعَوْهُمَا الْهَوَاءُ إِلَى الْجِهَاتِ
وَتَكُونُ مِنْ قَدَامِهِمَا جِبَالٌ شَائِخَةٌ مَائِيَّةٌ وَمِنْ قُوَّتِهَا يَرُدُّ الرُّمُوحُ وَمِنْ
أَسْفَلِهَا مَادَّةُ الْبُحَارِ مُتَصِلَةٌ وَلَا يَزَالُ الْبُحَارُ وَالْدُخَانُ يَكْتَرَانِ وَيَنْلَظَانِ
فِي الْهَوَاءِ وَتَدَاخَلُ أَجْزَاءُ بَعْضِهَا فِي بَعْضٍ حَتَّى يَخْتَلِفَ فَيَتَكَوَّنُ مِنْهَا
سَحَابٌ مُؤَلَّفٌ مُتَرَاكِمٌ . ثُمَّ إِنَّ السَّحَابَ كُلَّمَا ارْتَفَعَ انْقَسَمَتْ أَجْزَاءُ الْبُحَارِ

ثُمَّ تَأْتِيهِمْ تِلْكَ الْأَجْزَاءُ الْمَائِيَّةُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ قَتَصِيرُ قَطَرًا. فَتَنْتَفِثُ
وَأَخَذَتْ رَاجِعَةً إِلَى آسْفَلُ. فَإِنْ كَانَ صُعُودُ ذَلِكَ الْبَخَارِ بِاللَّيْلِ
وَالْهَوَاءِ شَدِيدَ الْبَرْدِ مَنَعَهُ مِنَ الصُّعُودِ وَاجْتَدَهُ أَوَّلًا قَصَارَ سَحَابًا رَقِيقًا.
وَإِنْ كَانَ الْبَرْدُ مُفْرِطًا أَجَدَ الْبَخَارِ فِي الْقَمِيمِ وَكَانَ ذَلِكَ تَلْجَأً لِأَنَّ الْبَرْدَ
يُجْمَدُ الْأَجْزَاءُ الْمَائِيَّةُ وَتَخَاطَبُ بِالْأَجْزَاءِ الْهَوَائِيَّةِ وَيَنْزِلُ بِالرِّقِّ فَلِذَلِكَ
لَا يَكُونُ لَهُ فِي الْأَرْضِ وَقَعٌ شَدِيدٌ كَمَا لَا نَطَرُ وَالْبَرْدُ. وَإِنْ كَانَ الْهَوَاءُ
دَائِمًا أَرْتَفَعَ الْبَخَارُ فِي النَّيُّومِ وَتَرَاكَمَ السُّحُبُ طَبَقَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ
بَعْضٍ كَمَا تَرَى فِي أَيَّامِ الرَّبِيعِ وَالْحَرِيفِ كَأَنَّهَا جِبَالٌ مِنْ قُطْنٍ
مَنْدُوفَةٍ. فَإِذَا عَرَضَ لَهَا بَرْدٌ أَرْتَفَعَ مِنْ فَوْقِ غَاظِ الْبَخَارِ وَصَارَ مَاءٌ
وَأَعْتَمَتْ أَجْزَاؤُهَا قَصَارَ قَطَرًا. وَعَرَضَ لَهَا الْبَقَلُ فَأَخَذَتْ تَرْوِي مِنْ
سَمَكِ السُّحَابِ وَمِنْ تَرَاكُمِهَا تَأْتِيهِمْ تِلْكَ الْأَطْرَافُ الصَّغَارُ بَعْضُهَا إِلَى
بَعْضٍ حَتَّى إِذَا خَرَجَتْ مِنْ آسْفَلِهَا صَارَتْ قَطَرًا كَثِيرًا. فَإِنْ عَرَضَ لَهَا
بَرْدٌ مُفْرِطٌ مِنْ طَرِيقِهَا جَدَّتْ وَصَارَتْ بَرْدًا قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَ الْأَرْضَ. وَإِنْ
لَمْ تَبْلُغِ الْأَجْزَاءُ إِلَى الْهَوَاءِ الْبَارِدِ فَإِنْ كَانَتْ كَثِيرَةً صَارَتْ ضَبَابًا وَإِنْ
كَانَتْ قَلِيلَةً وَتَكَاثَفَتْ فَإِنْ لَمْ يَتَجَمَّدْ نَزَلَ طَلًا وَإِنْ أَتَجَمَّدَ نَزَلَ صَفِيمًا
فِي الرِّعْدِ وَالْبَرْقِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ

٣٤٩ زَعَمُوا أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا شَرَقَتْ عَلَى الْأَرْضِ حَالَتْ مِنْهَا أَجْزَاءُ
نَارِيَّةٌ تُخَالِطُهَا أَجْزَاءُ أَرْضِيَّةٌ وَيُسَمَّى ذَلِكَ الْجَمُوعُ دُخَانًا. ثُمَّ الْأَدْخَانُ
يَمَازِجُهُ الْبَخَارُ وَيَرْتَفِعَانِ مَعًا إِلَى الطَّبَقَةِ الْبَارِدَةِ مِنَ الْهَوَاءِ. فَيَتَجَمَّدُ

الْبُحَارُ سَحَابًا وَيَحْتَسِبُ الدُّخَانُ فِيهِ . فَإِنْ بَقِيَ عَلَى حَرَارَتِهِ قَصِدَ الصُّعُودَ
وَأِنْ صَارَ بَارِدًا قَصِدَ النُّزُولَ . وَأَمَّا مَا كَانَ يَمْزِقُ السَّحَابَ تَمْزِيقًا عَنِيفًا
فَيَحْدُثُ مِنْهُ الرَّعْدُ وَرُبَّمَا يَشْتَعِلُ نَارًا لِشِدَّةِ الْحَاكِمَةِ فَيَحْدُثُ مِنْهُ الْبَرْقُ
إِنْ كَانَ لَطِيفًا وَالصَّاعِةُ إِنْ كَانَ غَلِيظًا كَثِيرًا (*) فَتَحْرَقُ كُلُّ شَيْءٍ أَصَابَتْهُ
قَرِيبًا تَذَوِّبُ الْحَدِيدَ عَلَى الْبَابِ وَلَا تَضُرُّ الْحَشَبَةَ وَرُبَّمَا تَذَوِّبُ الذَّهَبَ
فِي الْخِرْتَةِ وَلَا تَضُرُّ الْحِرْقَةَ وَقَدْ تَقَعُ عَلَى الْجَبَلِ فَتَشْتُمُهُ وَقَدْ تَقَعُ عَلَى
الْمَاءِ فَيَغْرَقُ فِيهِ حَيَوَانُهُ . وَأَعْلَمُ أَنَّ الرَّعْدَ وَالْبَرْقَ كِلَاهُمَا يَحْدُثَانِ مِمَّا
لِصَنِ تَرَى الْبَرْقَ قَبْلَ أَنْ تَسْمَعَ الرَّعْدَ وَذَلِكَ لِأَنَّ الرُّوْيَةَ تَحْصُلُ
لِحَادَاةِ النَّظَرِ وَأَمَّا السَّمْعُ فَيَتَوَقَّفُ عَلَى وَصُولِ الصَّوْتِ إِلَى الصَّمَاخِ
وَذَلِكَ يَتَوَقَّفُ عَلَى تَمَوُّجِ الْهَوَاءِ . وَذَهَابِ النَّظَرِ أَسْرَعَ مِنْ وَصُولِ
الصَّوْتِ . أَلَا تَرَى أَنَّ الْقَصَارَ إِذَا ضَرَبَ الثُّوبَ عَلَى الْحَجَرِ مِمَّا نَظَرَ
يَرَى ضَرْبَ الثُّوبِ عَلَى الْحَجَرِ . ثُمَّ السَّمْعُ يَسْمَعُ صَوْتَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بَرَمًا . وَرُبَّمَا
وَالرَّعْدُ وَالْبَرْقُ لَا يَكُونَانِ فِي الشِّتَاءِ لِقَلَّةِ الْبُحَارِ الدُّخَانِي . وَلِهَذَا لَا
يُوجَدَانِ فِي الْبِلَادِ الْبَارِدَةِ وَلَا عِنْدَ زُيُولِ الثَّلْجِ لِأَنَّ الْبَرْدَ يَطْفِئُ الْبُحَارَ
الدُّخَانِي . وَالْبَرْقُ الْكَثِيرُ يَقَعُ عِنْدَهُ مَطَرٌ كَثِيرٌ لِنَكَافِهِ أَجْزَاءَ الْعَمَامِ .
فَإِنَّمَا إِذَا تَكَاثَفَتِ الْمُحْصَرَةُ الْمَاءُ فَإِذَا زَلَّ زَلٌّ شَدِيدًا كَمَا إِذَا اخْتَبَسَ الْمَاءُ
ثُمَّ انْطَلَقَ فَإِنَّهُ يَمْجُو حَرًّا شَدِيدًا (كُلُّهُ مِنْ عَجَابِ الْخُلُوقَاتِ لِلْفَرْوَانِي)

(٥) قد اتفق الآن للطبيعيين الحديثين البروق والرعود مسنة هر الكهرومائية وقد

أنواع على شرح ذلك في كتبهم

الْبَابُ الثَّامِسُ عَشَرَ فِي الْمُرَاسَلَاتِ

فصل في المراسلات بين الملوك والامراء

كتب الحق الطوسي الى صاحب حلب بعد فتح بغداد سنة ٦٥٥هـ (١٢٥٢ م)
٣٥٠ أما بعد فقد نزلنا بغداد فساء صباح المنذرين فدعونا ما ليكها إلى
طاعتنا فأبى. فحق القول عليه فأخذناه أخذاً وبيلاً وقد دعوناك إلى طاعتنا
فإن أبيت فروح وريحان وجنة نعيم. وإن أبيت فلا سلطان منك عليك.
فلا تكن كالباغ من حنطه يطأه. والجاذع مارن أنفه بكفه. والسلام
ذكر مراسلة تيمور سلطان عراق الهيم ابا الزوارس شاه شجاع

٣٥١ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَلَطَنِي عَلَيْكُمْ وَعَلَى ظَلَمَةِ الْحُكَّامِ وَالْجَائِرِينَ
مِنْ مُلُوكِ الْأَنَامِ. وَرَفَعَنِي عَلَى مَنْ نَاوَأَنِي وَنَصَرَ نِي عَلَى مَنْ خَالَفَنِي. وَمَنْ
رَأَيْتَ وَتَمِيتَ فَإِنْ أَجَبْتَ وَأَطَعْتَ فِيهَا وَنِعْمَتْ. وَإِلَّا فَاعْلَمْ أَنَّ قُدَّامَ
قَدَمِي ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ الْحَرَابَ وَالْفَقْطَ وَالْوَبَاءَ. وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ عَائِدٌ
عَلَيْكَ وَمَنْسُوبٌ إِلَيْكَ (اخبار تيمور لابن عربشاه)

كتب الحسن بن زكويه الى بعض عماله

٣٥٢ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مِنْ عِنْدِ الْمُهْدِيِّ الْمُتَّصِرِ النَّاصِرِ
لِدِينِ اللَّهِ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ إِلَى جَفَرِ بْنِ حَمِيدٍ الْكُرْدِيِّ سَلَامٌ عَلَيْكَ.
فَإِنِّي أَحَدُ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. أَمَا بَعْدُ فَقَدْ أَهَمَّنِي إِلَيْنَا مَا
حَدَّثَ قَبْلَكَ مِنْ أَخْبَارِ أَعْدَاءِ اللَّهِ الْكُفَرَةِ وَمَا قَعَلُوهُ بِأَحْيَاكَ مِنْ

الظلمِ وَالْأَمْسَ وَالْأَسَادِ فِي الْأَرْضِ . فَأَعْظَمْنَا ذَلِكَ وَرَأَيْنَا أَنْ نُفْعِدَ
إِلَى مَا هُنَاكَ مِنْ جُيُوشِنَا مَنْ يَنْتَهِمُ لَنَا اللَّهُ بِهِ مِنْ أَعْدَانِنَا الظَّالِمِينَ الَّذِينَ
يَسْمُونَ فِي الْأَرْضِ قَسَادًا . فَأَنْفَعْنَا جَمَاعَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَدِينَةِ
حِصَصَ وَنَحْنُ فِي إِثْرِهِمْ وَقَدْ أَوْعَزْنَا إِلَيْهِمْ فِي أَهْلِ بَيْرٍ إِلَى تَاجِيكَ لِطَالِبِ
أَعْدَاءِ اللَّهِ حَيْثُ كَانُوا . وَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ يُجَرِّبَنَا اللَّهُ فِيهِمْ نَلِي أَحْسَنَ
عَوَائِدِهِ عِنْدَنَا فِي أَمْتَالِهِمْ . فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَلْبُكَ وَقَلْبُ مَنْ
أَتْبَعَكَ مِنْ أَوْلِيَانَا وَثِقًا بِاللَّهِ وَبِصْرِهِ الْإِلَهِيِّ لَمْ يَزَلْ يُودِنَا فِي كُلِّ
مَنْ مَرَقَ مِنَ الطَّاعَةِ وَاتَّخَرَفَ عَنِ الْإِيمَانِ . وَتَبَادَرِ إِلَيْنَا بِأَخْبَارِ النَّاجِيَةِ
وَمَا يَخْدُثُ فِيهَا وَلَا تَخْفِرْ عَنَّا شَيْئًا مِنْ أَمْرِهَا . سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (تاريخ حباب لكمال الدين)

كتاب سلطان مراکش الى سلطان فرنسة لويس الرابع عشر

٣٥٣ صدر هذا المكتوبُ الْعَلِيِّ الْأَمَامِيِّ عَنِ الْأَمْرِ الْأَلَوِيِّ الَّذِي
دَانَتْ إِطَاعَتُهُ الْكُرَيْمَةَ مَمْلَكَةُ الْإِسْلَامِيَّةِ . وَأَنذَرَتْ لِدَعْوَتِهِ الدَّشْرِيَّةِ
الْأَقْطَارَ الْمَغْرِبِيَّةِ . وَخَضَعَتْ لِأَوَامِرِهِ الدَّالِيَّةِ جَبَابِرَةُ الْمُلُوكِ السُّودَانِيَّةِ .
وَأَقْطَارُهَا الْفَاصِيَّةِ وَالْدَّالِيَّةِ . إِلَى الْمَلِكِ الَّذِي لَهُ بَيْنَ مُلُوكِ الْأَنْعَرَانِيَّةِ
وَالْمُلُوكِ الْمَسِيحِيَّةِ الرَّتْبَةُ الْعَالِيَّةِ وَالْمَنْزِلَةُ الرَّفِيعَةُ السَّامِيَّةُ . سُلْطَانِ
فَرَانَسَةِ لُوِيْزَابْنِ السَّلَاطِينِ الَّذِينَ لَهُمُ الْمَكَانَةُ السَّامِيَّةُ الْإِنْدَارِ
أَبَا بَنْدَحْمَدِ اللَّهِ مَوْلَى الْحَمْدِ وَمُسْتَحَقِّهِ فَكَيْتَابُنَا هَذَا إِلَيْكُمْ مِنْ حَاضِرَتِنَا
الْعَلِيَّةِ مَدِينَةِ مَرَاكِشَ وَلَا زَائِدَ إِلَّا مَا سَنَاهُ لَا يَأْتِيَا الدَّشْرِيَّةِ مِنْ عَوَائِدِ

أَنْصَرُ وَالْإِفْقَالَ. وَصَنَّا بِإِذْنِ اللَّهِ الْجَمِيلَةِ الْمُفَعَّمَةِ السَّجَالِ. الْمُتَنَالَةَ فِي الْبَكْرِ
 وَالْأَصَالِ. اللَّهُ أَلَنَّهُ وَالشُّكْرُ. هَذَا مُوجِبُهُ إِلَيْكُمْ التَّعْرِيفُ أَنَّهُ لَمَّا وَرَدَ
 خَدِيمُكُمْ الْمَرْعِيُّ الْخَوْضُ الرِّزِيلِيُّ عَلَى مَرَسَى ثَمَرِ اسْفِي الْخَرْسِ بِاللَّهِ
 وَأَسْلَمَ كِتَابَكُمْ الْمَضْحُوبَ. مَعَ لَحْدَانَا الَّذِينَ بِالنَّزْرِ بَادِرُوا بِوُصُولِهِ إِلَيْنَا
 فِي الْقُورِ. فَوْقْنَا مِنْهُ عَلَى جَمِيعِ مَا أَوْدَعْتُمْ فِيهِ مِنْ تَقْرِيرِ الْحَيَّةِ وَتَأْيِيسِ
 الْمُدْنَةِ بَيْنَ الْجَانِبَيْنِ. إِلَى مَا أَشْرَفْتُمْ إِلَيْهِ فِي شَأْنِ الْأَسَارَى الْقَرَانِيَيْنِ
 الَّذِينَ رَغِبْتَ مِنْ مَعَاوِنَا الْعَلِيِّ تَسْرِيحَهُمْ. فَأَخَذْنَا فِي ذَلِكَ أَتَمَّ الْأَخْذِ
 وَأَكْمَلَهُ. إِلَى أَنْ أَسْتَوْفِيَ ذَلِكَ عَلَى أَحْسَنَ وَجْهِ وَأَجَلِهِ. وَأَجَبْنَاكُمْ
 عَنْ فُضُولِ كِتَابِكُمْ كُلِّهَا فَوَجَّهْنَا بِهِ بِالنَّصَارَى الْمَذْكُورِينَ صُغْبَةَ خَدِيمِنَا
 الْوَجِيهِ الْأَثِيرِ النَّبِيلِ النَّبِيِّ الْقَائِدِ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَلَاتِيِّ. وَقَدْ دَانَ
 بِاتِّبَاعِهِ مَعَ خَدِيمِكُمْ الْمَذْكُورِ إِنْ تَأْتَى لَهُ الْإِجْتِمَاعُ مَعَهُ فِي الْبَرِّ. وَإِنْ
 تَمَذَّرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ يَبْعَثُ خَدِيمِنَا مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ يَمِّنُ هُوَ وَنَلَّهُ وَبِمَدَائِرِهِ
 فِي أَغْرَاضِكُمْ لِيَسَامَ لَهُ النَّصَارَى الْمَذْكُورِينَ وَيَتَكَلَّمَ مَعَهُ فِي أَغْرَاضِ
 الْجَانِبَيْنِ. ثُمَّ إِنْ خَدِمْنَا الْمَذْكُورَ لَمَّا بَلَغَ ثَمَرَ آفَ فَقَدْ خَدِمْتُمْ مِنْ
 الْمَرَسَى فَسَأَلَ عَنْهُ قَقِيلٌ لَهُ: قَدْ أَقْلَعْتُ مِنْذُ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ. فَأَقْصَصْ بِهِ
 الْحَدَّامَ أَثَرَهُ فِي الْبَحْرِ فَلَمْ يَجِدْ لَهُ أَثَرًا. هَذَا وَقَدْ كَانَ خَدِيمُكُمْ عَلَى عِلْمِهِ
 وَيَعِينُ أَنْ خَدِمْنَا الْمَذْكُورَ قَادِمٌ إِلَيْهِ وَفِي أَمْنَاءِ الطَّرِيقِ فَتَأَقَّقْ قَبْلَ
 وَصُولِهِ. وَالْحَدِيدُ الَّذِي يَكُونُ بِهِ دَدُ أَغْرَاضِ ضَيْفِهِ لَا يَسْتَفْرِهُ شَيْءٌ
 عَنْ قَضَائِهَا وَلَا يَنْبَغِي لَهُ إِلَّا تَرْعَاجُ قَبْلِ اسْتِيفَائِهَا. فَمَرَّفْنَاكُمْ بِالْوَاقِعِ

لُتَرْفَعُوا أَنْتَ لَمْ نَقْصِرْ فِي أَغْرَاضِكُمْ الْمُتَلَقَّاءَ لَدُنَّا بِالْقَبُولِ وَبِهِ وَجَبَ
أَلْكَتَبُ إِلَيْكُمْ فِي ٢٦ مِنْ رَيْبِعِ النَّبَوِيِّ سَنَةِ ١٠٤٠ (١٦٣٠ م)

كتاب سلطان مراکش الى لويس السادس عشر سلطان فرنسة

٣٥٤ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. عَنْ أَمْرِ
السُّلْطَانِ الْأَعْظَمِ سُلْطَانِ مُرَاكُشٍ وَنَاسٍ وَكَافَّةِ الْأَقَالِيمِ الْمَغْرِبِيَّةِ
حَلَّدَ اللَّهُ نَصْرَهُ. وَأَعَزَّ أَمْرَهُ. وَأَدَامَ سُلُوكَهُ وَفَخْرَهُ. وَأَشْرَقَ فِي فَلَكِ
السَّعَادَةِ شَمْسَهُ وَبَذَرَهُ. إِلَى عَظِيمِ جِسْرِ الْإِفْرَنْصِيصِ الْمُتَوَلَّى
أَمْرُهُمُ الرِّيُّ لُوِيْزُ السَّادِسَ عَشَرَ مِنْ أَسْمِهِ. سَلَامٌ عَلَى مَنْ أَتْبَعَ الْهُدَى
أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ وَرَدَ عَلَى حَضْرَتِنَا الْعَلِيَّةِ بِاللَّهِ كِتَابُكَ الَّذِي تَأْرِيخُهُ ثَانِي
عَشَرَ مِنْ مِائَةِ عَامِ أَرْبَعَةِ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ وَأَلْفِ الْمُتَمَتِّعِينَ الْإِخْبَارِ
بِمَوْتِ جَدِّكَ الرِّيِّ لُوِيْزِ الْخَامِسَ عَشَرَ عَلَى يَدِ نَائِبِ قُوْنُصُوكُمْ بَرْطُلَمِي
دِ بَطْنِيرٍ. وَبَقِيَ فِي خَاطِرِنَا جَدُّكَ لُوِيْزٌ كَثِيرًا حَيْثُ كَانَتْ لَهُ مَحَبَّةٌ فِي
جَانِبِنَا الْعَلِيِّ وَكَانَ مِنْ يُحْسِنُ السِّيَاسَةَ فِي قَوْمِهِ. وَلَهُ حَنَانَةٌ فِي رَعِيَّتِهِ
وَحِفْظُ عَهْدٍ مَعَ أَصْحَابِهِ. وَفَرِحْنَا حَيْثُ كَانَ بَاقِي مِنْ ذُرِّيَّتِهِ مِنْ يَحْتَفِلُهُ
فِي الْمُلْكَةِ وَالْجُلُوسِ عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ مِنْ بَعْدِهِ. وَمَا زَالَتْ تَسْعُدُ بِكَ
رَعِيَّتُكَ أَكْثَرًا مِمَّا كَانَتْ فِي حَيَاةِ جَدِّكَ وَنَحْنُ مَعَكَ عَلَى الْمُهَادَنَةِ وَالصِّلَحِ
كَمَا كَانَ مَعَ جَدِّكَ. ثُمَّ فَاعْلَمْ أَنَّ سَفُنًا مِنْ سَفُنِ الْفَرَنْصِيصِ حَرَّثُوا
بِأَقْصَى آيَاتِنَا الْمُبَارَكَةِ فِي الصَّحْرَاءِ وَتَفَرَّقَ جَمِيعٌ مِنْ سَلَمٍ مِنَ الْفَرَقِ
مِنَ النَّصَارَى فِي أَيْدِي الْعَرَبِ. وَحَيْثُ بَلَّغْنَا ذَلِكَ سِيرْنَا بَعْضَ

خُدَامِنَا لِلصَّغَرَاءِ لِنُوجِّهَهُمْ إِلَيْكُمْ بَعْدَ الْإِنْتِمَاءِ عَلَيْهِمْ رَعِيَا لِمُهَادَنَةِ
وَالصَّلَاحِ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ . وَيَصِلُكَ سِتَّةٌ مِنَ الْخَلِيلِ مِنْ عِتَاقِ خَيَاتِنَا
صِلَةٌ مِنَّا إِلَيْكُمْ . وَخَدِينَا الْمَذْكُورُ لَا يُبْطِئُ وَهُوَ عِنْدَكُمْ وَوَجْهُهُ إِلَيْنَا عَزَمًا
بَعْدَ قَسَاءِ الْقَرَضِ الَّذِي وَجَّهْنَاهُ إِلَيْهِ وَتَحْنُ مَعَكُمْ عَلَى الْمُهَادَنَةِ وَالصَّلَاحِ .
أَنْتَهَى . صَدَرَ الْأَمْرُ بِكُتْبِهِ مِنْ حَاضِرَةِ مَكْنَسَةِ الزَّيْتُونِ فِي عَاشِرِ
جُمَادَى الثَّانِيَةِ عَامِ ١١٨٨ لِلْهِجْرَةِ (١٧٧٥) لِلْمَسِيحِ

في الاثواق وحن التواصل

فصل لسعيد بن عبد الملك

٣٥٥ أَنَا صَبُّ إِلَيْكَ سَائِي الطَّرْفِ نَحْوَكَ وَذِكْرُكَ مُلْصَقٌ بِسَائِي .
وَأَتَمُّكَ حُلُوٌّ عَلَى لَهَوَاتِي وَمُخَصَّصٌ مَائِلٌ بَيْنَ عَيْنَيَّ . وَأَنْتَ أَقْرَبُ
النَّاسِ مِنْ قَلْبِي وَأَخْذُهُمْ بِجَمَاعٍ هَوَايَ . صَادَقْتُ مِنْكَ جَوْهَرَ نَفْسِي
فَأَنَا غَيْرُ مَحْمُودٍ عَلَى الْإِنْقِيَادِ لَكَ بِغَيْرِ زِمَامٍ لِأَنَّ النَّفْسَ يَقُودُ بَعْضُهَا
بَعْضًا وَقَالَ أَبُو الْمَتَاهِيَةِ :

وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ
وَلِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ مَقَائِدِسُ وَأَشْبَاهُ

• كتاب الحسين بن سهل الى صديق له يدعوه الى مادية

٣٥٦ نَحْنُ فِي مَادِيَةِ لَنَا نُشْرِفُ عَلَى رَوْضَةِ تَضَاحِكِ الشَّمْسِ حُسْنًا
قَدْ بَاتَتْ السَّمَاءُ تُبْلِغُهَا فِيهِ مُشْرِقَةُ بَاطِنِهَا . حَالِيَّةٌ بِنَوَارِهَا . فَرَأَيْكَ
فِينَا لِنَكُونَ عَلَى سَوَاءٍ مِنْ أَسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ

(فَكَتَبَ إِلَيْهِ): هَذِهِ صِفَةٌ لَوْ كَانَتْ فِي أَقَاصِي الْأَطْرَافِ لَوَجَبَ
 أَنْجَعُهَا وَحَثُّ الْمَطْلَبِ فِي أَبْنَةِهَا. فَكَيْفَ فِي مَوْضِعٍ أَنْتَ تَسْكُنُهُ
 وَتَجْمَعُ إِلَى أُنَيقٍ مَنْظَرِهِ حُسْنُ وَجْهِكَ وَطِيبَ ثَمَائِكَ. وَأَنَا الْجَوَابُ
 ٣٥٧ كَتَبَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ: الْمَوَدَّةُ تَجْمَعُنَا
 مَحَبَّتُهَا. وَالْمَوَدَّةُ تُولِّفُنَا أَسْبَابُهَا. وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنْ تَرَاحٍ فِي لِقَاءٍ أَوْ
 تَخَلُّفٍ فِي مَكَاتِبَةٍ مَوْضُوعٌ بَيْنَنَا يُوجِبُ الْعُذْرَ فِيهِ

كُتِبَ اسْمُكَ بِنِ ابْرَاهِيمِ الْمَوْصِلِي إِلَى أَحْمَدَ بْنِ يُونُسَ

٣٥٨ الشَّوْقُ إِلَيْكَ وَإِلَى عَهْدِ أَيَّامِنَا الَّتِي حَسُنَتْ كَانَهَا أَعْيَادُ.
 وَقَصُرَتْ كَانَهَا سَاعَاتُ لِقَوْتِ الصَّفَاءِ. وَمِمَّا يُجَدِّدُهُ وَيُكثِّرُ دَوَائِعِيهِ
 تَصَافُّ الدِّيَارِ وَقُرْبُ الْجَوَارِ. ثُمَّ اللَّهُ لَنَا التَّمَنَّةُ أَحْجَدَدَةً فِيكَ بِالْغُزْرِ
 إِلَى الْفَرَّةِ الْمُبَارَكَةِ لَنِي لَا وَخْشَةَ مَعَهَا وَلَا أَنْسَ بَعْدَهَا (لَابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ)
 ٣٥٩ (كَتَبَ بَعْضُ الْكُتَّابِ إِلَى أَخِي لَهُ): أَمَا بَعْدُ فَإِنَّهُ مَنْ عَانَى
 الظُّلْمَ بِمُرْفَقِكَ اسْتَوْجَبَ الرِّيَّ مِنْ رُؤْيَيْكَ. وَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُجَرِّدَ
 لِي مِيعَادًا بِزِيَارَتِكَ أَتَوْقُ بِهِ إِلَى وَقْتِ رُؤْيَيْكَ وَيُؤَسِّنِي إِلَى حِينِ
 إِتَائِكَ قَمَلْتِ. (فَأَجَابَهُ): أَخَافُ أَنْ أَعِدَّكَ وَعَدًا يَمْتَرِضُ دُونَ الْوَفَاءِ
 بِهِ مَا لَا أَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِ فَتَكُونُ الْحَسْرَةُ أَعْظَمَ مِنَ الْفَرَقَةِ

٢٦٠ (وَكُتِبَ فِي بَابِهِ): يَوْمَئِذٍ طَلَبَ أَوَّلُهُ وَحَسَنَ مُسْتَقْبَلُهُ وَأَتَتْ
 السَّمَاءُ بِقَطَارِهَا. فَحَمَّتِ الْأَرْضُ بِأَنْوَارِهَا. وَبَكَتِ طَيْبُ الْأَثْمَرِ وَلِيشْفَى
 الْغُلْيَامُ. فَإِنْ تَأَخَّرْتَ فَرَوَتْ سَمَانُنَا. وَإِنْ تَعَجَّلْتَ إِلَيْنَا نَظَمْتَ أَمْرَنَا

٣٦١ كَتَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَمِيرٍ: ضَعْنِي أَكْرَمَكَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِكَ حَيْثُ
وَضَعْتُ نَفْسِي مِنْ رَجَائِكَ . أَصَابَ اللَّهُ بِمَعْرُوفِكَ مَوَاضِعَهُ وَبَسَطَ
بِكُلِّ خَيْرٍ يَدَكَ
(لله إرواني)

كتاب زبدة الى المأمون بعد قتله بها الامين

٣٦٢ كُلُّ ذَنْبٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ عَظُمَ صَغِيرٌ فِي جَنْبِ عَفْوِكَ .
وَكُلُّ زَلَلٍ وَإِنْ جَلَّ حَقِيرٌ عِنْدَ صَفْحِكَ . وَذَلِكَ الَّذِي عَوَدَكَ اللَّهُ
فَأَطَالَ مُدَّتَكَ وَتَمَّ نِعْمَتَكَ . وَأَدَامَ بِكَ الْخَيْرَ وَدَقَعَ بِكَ الشَّرَّ .
هَذِهِ رُقْعَةُ الْوَالِيهِ الَّتِي تَرْجُوكَ فِي الْحَيَاةِ لِتَوَابِ الدَّهْرِ . وَفِي الْمَوَاتِ
لِجِيلِ الذِّكْرِ . فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَرْحَمَ ضُنْفِي وَأَسْتَكَاتِي وَقَلَّةَ حَبَاتِي
وَأَنْ تَصِلَ رَحْمِي وَتَحْتَسِبَ فِيمَا جَعَلَكَ اللَّهُ لَهُ طَالِبًا رَفِيهِ رَاغِبًا فَافْعَلْ .
وَتَذَكَّرْ مَنْ لَوْ كَانَ حَيًّا لَكَانَ شَفِيعِي إِلَيْكَ

(فلما وقف المأمون عليها بكى على أخيه الأمير ورقا لها وكتب اليها الجواب :)

٣٦٣ وَصَلَتْ رُقْعَتُكَ يَا أَمَاهُ (حَاطَكَ اللَّهُ وَتَوَلَّاكَ بِالرَّعَابَةِ)
وَوَقَفْتُ عَلَيْهَا . سَاءَ بِي شَهِدَ اللَّهُ جَمِيعُ مَا أَوْضَحْتَهُ فِيهَا . لَكِنْ الْأَقْدَارُ
نَافِذَةٌ وَالْأَحْكَامُ جَارِيَةٌ وَالْأُمُورُ مُتَصَرِّفَةٌ وَالْخُلُقُونَ فِي قَبْضَتِهَا
لَا يَقْدِرُونَ عَلَى دِفَاعِهَا . وَالْدُّنْيَا كُلُّهَا إِلَى شَتَاتٍ . وَكُلُّ حَيٍّ إِلَى مَمَاتٍ
وَالْعُدْرُ وَالْبَنِي حَتْفُ الْإِنْسَانِ وَالْمَكْرُ رَاجِعٌ إِلَى صَاحِبِهِ . وَقَدْ أَمَرْتُ
بِرَدِّ جَمِيعِ مَا أَخَذَ لَكَ . وَلَمْ تَفْقِدِي مِنْ مَنَى إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ إِلَّا وَجْهَهُ
وَأَنَا بَعْدَ ذَلِكَ لَكَ عَلَى أَكْثَرِ مَا تَخْتَارِينَ رَأْسًا وَسَلَامٌ •

ثم أمر برده ضياعها وجبج ما أخذ منها واقطعها ما كان في يدها وامادها الى حالتها الاولى
في الكرامة والحشة (حديقة الأفراس اليسني)

فصول في الهدايا

كتب رجل الى المتوكل وقد اهدى اليه قارورة من دهن الأترج :

٣٦٤ إِنَّ الْهَدِيَّةَ إِذَا كَانَتْ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ كُلَّمَا لَطُفَتْ
وَدَقَّتْ كَانَتْ أَهْوَى وَأَحْسَنَ . وَكُلَّمَا كَانَتْ مِنَ الْكَبِيرِ إِلَى الصَّغِيرِ
كُلَّمَا عَظُمَتْ وَجَلَّتْ كَانَتْ أَنْفَعَ وَأَوْفَعَ . وَأَرْجُو أَنْ لَا يَكُونَ قَصْرَتْ
بِي هِمَّةُ أَصَارَتْنِي إِلَيْكَ وَلَا أُحْرِي إِرْشَادُ دَلْنِي عَلَيْكَ وَأَقُولُ :
مَا قَصَّرَتْ هِمَّةُ بَلَّغَتْ بِهَا بِأَبْكَ يَا ذَا الْأَنْدَاءِ وَالْكَرَمِ
حَسَنِي بِوَدِّكَ أَنْ ظَفَرْتُ بِهِ ذُخْرًا وَغَرًّا يَا وَاحِدَ الْأُمَمِ

٣٦٥ كتب أحمد بن أبي طاهر مع هدية :

مِنْ سُنَّةِ الْأَمْلَاجِ فِيمَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الدَّهْرِ وَإِقْبَالِهِ
هَدِيَّةُ الْمُبْدِ إِلَى رَبِّهِ فِي جِدَةِ الدَّهْرِ وَإِجْلَالِهِ
فَقُلْتُ مَا أَهْدِي إِلَى سَيِّدِي حَالِي وَمَا خُوِلْتُ مِنْ حَالِهِ
إِنْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي فَهِيَ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ أَهْدَيْتُ مَالِي فَهُوَ مِنْ مَالِهِ
فَلَيْسَ إِلَّا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالْمَدْحُ الَّذِي يَبْقَى لِأَمْسَالِهِ
أهدت جارية من جوارى المأمون تفاعلة وكُتبت إليه :

٣٦٦ إِنِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا رَأَيْتُ تَنَافُسَ الرِّعْيَةِ فِي الْهَدَايَا إِلَيْكَ
وَتَوَاتُرَ الْطَائِفِ عَلَيْكَ فَكَّرْتُ فِي هَدِيَّةٍ تُخَفِّئُ مَوْتَهُمْ وَتَهْوُنُ كَلْفَتَهُمْ
وَيَعْظُمُ خَطَرُهَا وَيَجْلُ مَوْقِعُهَا . فَلَمْ أَجِدْ مَا يَجْتَمِعُ فِيهِ هَذَا أَلْتَمْتُ

وَيَكْمُلُ فِيهِ هَذَا الْوَصْفُ إِلَّا التَّفَاحَ فَأَهْدَيْتُ إِلَيْكَ مِنْهَا وَاحِدَةً فِي
 الْعَدَدِ كَثِيرَةً فِي الْقُرْبِ . وَأَخْبَيْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ أَعْرَبَ لَكَ عَنْ
 فَضْلِهَا وَأَكْشَفَ لَكَ عَنْ مَحَاسِنِهَا وَأَشْرَحَ لَكَ لَطِيفَ مَعَانِيهَا . وَمَا
 قَالَتِ الْأَطْبَاءُ فِيهَا وَتَقَنَّ الشُّرَاهُ فِي أَوْصَافِهَا حَتَّى تَرْمَقَهَا بَيْنَ
 الْجَلَالَةِ وَتَحْظَهَا بِمَثَلَةِ الصِّيَانَةِ . فَقَدْ قَالَ أَبُوكَ الرَّشِيدُ : أَحْسَنُ
 أَلْهِكِمَةَ التَّفَاحِ أَجْمَعُ فِيهِ بَيَاضُ الْقِضَّةِ وَلَوْنُ الزَّبَرِّ . يَلْذُّ بِهَا مِنَ
 الْحَوَاسِ الْمَعِينُ بِمُحِبَّتِهَا وَالْأَنْفُ بِرِيحِهَا وَالْقَلَمُ بِطَعْمِهَا

فصول في التهنة

كتب بعض الشعراء الى بعض أهل الساطن في المهرجَان :

٣٦٧ هَذِهِ أَيَّامٌ حَرَّتْ فِيهَا النَّادَةُ بِالطَّافِ الْعَبِيدِ لِلْسَّادَةِ . وَإِنْ
 كَانَتِ الصَّنَاعَةُ تَقْصُرُ عَمَّا نَبْلُغُهُ الْهَمَّةُ فَكْرِهْتُ أَنْ أَهْدِيَ فَلَا أُلْبِغُ
 مِقْدَارَ الْوَاجِبِ . فَجَعَلْتُ هَدِيَّتِي هَذِهِ الْأَنْيَاتِ وَهِيَ :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ ذَوِي التَّصَايِي تَبَارَوْا فِي هَدَايَا الْمَهْرُجَانِ
 جَعَلْتُ هَدِيَّتِي وَدًّا مُقِيمًا عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ وَلَزَمَانًا
 وَعَبْدًا حِينَ تَكْرِمُهُ ذَلِيلًا وَلَكِنَّ لَا يَبْزُتُ عَلَى الْهَوَانِ
 بِزَيْدِكَ حِينَ تُعْطِيهِ خُضُوعًا وَبَرَّضَنِي مِنْ نَوَالِكَ بِالْأَمَانِي

كتاب السلطان العزيز الى ابن مقشر الطبيب النصارى يهتة بدينه من مرضه

٣٦٨ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِلَى طَبِيبِ سَلَامِهِ اللَّهُ سَلَامُ اللَّهِ الطَّبِيبُ
 وَأَتَمُّ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ . وَصَلَتْ إِلَيْنَا الْبَشَارَةُ بِمَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنْ عَافِيَةِ الطَّبِيبِ

وَرَبِّهِ . وَاللَّهُ الْعَظِيمُ لَقَدْ عَدَلَ عِنْدَنَا مَا رَزَقْنَاهُ نَحْنُ مِنَ الصَّحَّةِ فِي
جِسْمِنَا أَقَالَكَ اللَّهُ الْعَثْرَةَ . وَأَعَادَكَ إِلَى أَفْضَلِ مَا عَوَدَكَ مِنْ صِحَّةِ
أَجْسَدِهِ وَطَيِّبَةِ النَّفْسِ وَخَفَضِ الْعَيْثِرِ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)

في التَّوْحِيدِ

كتاب أبي بكر إلى يزيد بن أبي سفيان

٣٦٩ إِذَا مِرَتْ فَلَا تُنْفِ عَلَى أَصْحَابِكَ فِي السَّيْرِ وَلَا تُغْضِبْ قَوْمَكَ
وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ . وَأَسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ وَبَاعِدْ عَنْكَ الظُّلْمَ وَالْجُبْنَ .
فَإِنَّهُ مَا أَفْلَحَ قَوْمٌ ظَلَمُوا وَلَا نُصِرُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ . وَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُلَاقُوهُمْ إِلَّا دُبَارًا . وَمَنْ يُؤْلِمْ يَوْمَئِذٍ دُورَهُ إِلَّا مُنْحَرِقًا
لِقَتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ . وَإِذَا نُصِرْتُمْ عَلَى
عَدُوِّكُمْ فَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَلَا شَيْخًا وَلَا أَمْرًا وَلَا طِفْلًا . وَلَا تَمْرُبُوا أَخْلًا
وَلَا تُنْحِرُوا زَرْعًا . وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرًا مُشْرًا . وَلَا تَعْمُرُوا بَيْتَ اللَّهِ إِلَّا
بِهَيْبَةٍ أَوْ مَأْكُولٍ . وَلَا تَعْدِرُوا إِذَا عَامَدْتُمْ وَلَا تَهْضُوا إِذَا صَلَحْتُمْ .
وَسَمِّرُوا عَلَى أَقْوَامٍ فِي الصَّوَامِعِ رَهَبَانٍ زَهَبُوا لِلَّهِ فَدَعُوهُمْ وَمَا
أَنْفَرُوا إِلَيْهِ وَأَرْتَضَوْهُ لِأَنْفُسِهِمْ فَلَا تَهْدِمُوا صَوَامِعَهُمْ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ
وَالسَّلَامُ

(تاريخ الشام للواقدي)

كتاب عمر بن الخطاب لابنه عبد الله

٣٧٠ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّهُ مَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَقَاهُ . وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ وَمَنْ
شَكَرَ لَهُ زَادَهُ . وَمَنْ أَقْرَضَهُ جَزَاهُ . فَاجْعَلِ التَّقْوَى عِمَادَ قَلْبِكَ وَجَلَاءَ

بَصْرِكَ . فَإِنَّهُ لَا عَمَلَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ . وَلَا أَجْرَ لِمَنْ لَا حَسَنَةَ لَهُ . وَلَا
جَدِيدَ لِمَنْ لَا خَلْقَ لَهُ

(للقيرواني)

كتاب عمر بن الخطاب الى عتبة بن غزوان عامله على البصرة

٣٧١ أَمَا بَعْدُ هَذَا أَصْبَحْتَ أَمِيرًا تَقُولُ فَيَسْمَعُ لَكَ وَتَأْمُرُ فَيَفْعَلُ أَمْرُكَ .
فَيَأْتِيهَا نِعْمَةٌ إِنْ لَمْ تَرَفْعْكَ فَوْقَ قَدْرِكَ وَتُطْفِئِكَ عَلَى مَنْ دُونَكَ فَاحْتَرَسْ
مِنَ النِّعْمَةِ أَشَدَّ مِنْ احْتِرَاسِكَ مِنَ الْمَصِيبَةِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَسْتَطِطَ
سَطَطَةً لَا شَوَى لَهَا وَتَمُتَّ عَثْرَةً لَا لِمَالِهَا (أَيْ لَا إِفَالَةٍ) . وَالسَّلَامُ

كتاب عمر الى سعد بن ابى وقاص ومن معه من الاجناد

٣٧٢ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي أَمْرُكَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الْأَجْنَادِ يَهْتَوِي اللَّهُ عَلَى
كُلِّ حَالٍ . فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ أَفْضَلُ الْعُدَّةِ عَلَى الْهَدْوِ وَأَقْوَى الْمَكِيدَةِ فِي
الْحَرْبِ . وَأَمْرُكَ وَمَنْ مَعَكَ أَنْ تَكُونُوا أَشَدَّ احْتِرَاسًا مِنْ الْمَعْصِي
مِنْكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ . فَإِنَّ ذُنُوبَ الْجَيْشِ أَخَوَفُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ .
وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ لَنَا بِهِمْ قُوَّةٌ لِأَنَّ عَدَدَنَا لَيْسَ كَعَدَدِهِمْ وَلَا عُدَّتُنَا
كَعُدَّتِهِمْ . فَإِنْ اسْتَوَيْنَا فِي الْمَعْصِيَةِ كَانَ لَهُمُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا فِي الْقُوَّةِ .
وَالْإِلَّا نَنْصُرْ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِنَا لَمْ تَغْلِبْهُمْ بِقُوَّتِنَا . فَأَعْلَمُوا أَنَّ عَلَيْكُمْ فِي بَرِكْتِكُمْ
حَفَظَةً مِنَ اللَّهِ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ فَاسْتَحْيُوا مِنْهُمْ . وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَوْنَ
عَلَى أَنْفُسِكُمْ كَمَا تَسْأَلُونَهُ النَّصْرَ عَلَى عَدُوِّكُمْ . أَسْأَلُ اللَّهَ ذَلِكَ لَنَا
وَلَكُمْ . وَزَرَّقَ بِالْمُسْلِمِينَ فِي مَسِيرِهِمْ وَلَا يُجَشِّمُهُمْ مَسِيرًا يُتَعَبُّهُمْ . وَلَا
يُقَصِّرُ بِهِمْ عَنْ مَنَزِلٍ يَرْفُقُ بِهِمْ حَتَّى يَبْلُغُوا عَدُوَّهُمْ . وَالسَّلَامُ يَبْهَضُ

قَوَّتَهُمْ فَإِنَّهُمْ سَارُّونَ إِلَى عَدُوِّ مُقِيمٍ حَاجِي الْأَنْفُسِ وَالْكَرَاعِ . وَأَقِمَّ
 مَعَكَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ يَوْمًا وَلَيْلَةً . حَتَّى تَكُونَ لَهُمْ رَاحَةً يَجْهَوْنَ فِيهَا
 أَنْفُسَهُمْ وَيَذْمُونَ أَسْلِحَتَهُمْ وَأَمْتَعَتَهُمْ . وَنَحْ مِنْكَ رَاحَتُهُمْ عَنْ قُرَى أَهْلِ
 الصَّلَاحِ وَالذِّمَّةِ فَلَا يَدْخُلُهَا مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا مَنْ تَبَقَّ بِدِينِهِ . وَلَكِنْ عِنْدَكَ
 مِنَ الْعَرَبِ أَوْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ مَنْ تَطْمَئِنُّ إِلَى نَفْسِهِ وَصِدْقِهِ . فَإِنَّ
 الْكُذُوبَ لَا يَنْفَعُكَ خَبَرُهُ وَإِنْ صَدَقَكَ فِي بَعْضِهِ . وَلَكِنْ مِنْكَ عِنْدَ
 دُؤُوكَ مِنْ أَرْضِ الْعَدُوِّ أَنْ تَكْثُرَ الطَّلَاغُ وَتَبْتَ السَّرَايَا بَيْنَكَ
 وَبَيْنَهُمْ . ثُمَّ أَذَلِكَ أَحْرَاسَكَ عَلَى عَسْكَرِكَ وَتَبْتَ مِنْ أَلْيَاتِ جُهْدِكَ .
 وَاللَّهُ وَلِيُّ أَمْرِكَ وَمَنْ مَعَكَ وَوَلِيُّ النَّصْرِ لَكُمْ عَلَى عَدُوِّكُمْ . وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ

فصول في الذم

فصل لآحمد بن يوسف

٣٧٣ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي لَا أَعْرِفُ الْمَعْرُوفَ طَرِيقًا أَوْ عَرَّ مِنْ طَرِيقِهِ
 إِلَيْكَ . فَالْمَعْرُوفُ لَدَيْكَ ضَائِعٌ وَالشُّكْرُ عِنْدَكَ مَهْجُورٌ . وَإِنَّمَا غَايَتُكَ فِي
 الْمَعْرُوفِ أَنْ تَحْفِرَهُ . وَفِي وَلِيهِ أَنْ تَكْفُرَهُ

كتاب أبي العتاهية الى الفضل بن . من بن زائدة

٣٧٤ أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي تَوَسَّلْتُ إِلَيْكَ فِي طَلَبِ نَائِكَ بِأَسْبَابِ الْأَمَلِ
 وَذَرَائِعِ الْحَمْدِ فَرَأَا مِنْ الْقَهْرِ وَرَجَاءِ الْغَنَى وَأَزْدَدْتُ بِهِمَا بُعْدًا مِمَّا
 فِيهِ تَقَرَّبْتُ وَقُرْبًا مِمَّا فِيهِ تَبَعَّدْتُ . وَقَدْ قَسَمْتُ اللَّائِنَةَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
 لِأَنِّي أَخْطَأْتُ فِي سُؤَالِكَ وَأَخْطَأْتُ فِي مَنَاجِي . أَيْرَتْ بِالْيَاسِ مِنْ

أَهْلُ الْبُخْلِ فَسَأَلْتَهُمْ . وَنَهَيْتُ عَنْ مَنْعِ أَهْلِ الرِّغْبَةِ فَمَنْعَهُمْ

فصل لابراهيم بن المهدي

٣٧٥ إِنْ مَوَدَّةَ الْأَشْرَارِ مُتَّصِلَةٌ بِالذَّلَّةِ وَالصَّفَارِ تَمِيلُ مَعَهُمَا وَتُضَرَفُ فِي آثَارِهِمَا . وَقَدْ كُنْتُ أَجِلُّ مَوَدَّتَكَ بِالْحُلِّ النَّفِيرِ وَأُزْلُهُا بِالْمَنْزِلِ الرَّفِيعِ حَتَّى رَأَيْتُ ذَلِكَ عِنْدَ الْمُدَّةِ وَضَرَعْتَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَتَغَيَّرَكَ عِنْدَ الْأَسْتِغْنَاءِ وَأَطْرَاحَكَ لِإِخْوَانِ الصَّفَاءِ . فَكَانَ ذَلِكَ أَقْوَى أَسْبَابِ عُذْرِي فِي قَطِيعَتِكَ عِنْدَ مَنْ يَتَصَحَّحُ أَمْرِي وَأَمْرَكَ بِعَيْنِ عَدْلٍ لَا تَمِيلُ إِلَى هَوَى وَلَا تَرَى أَتَمِّجَ حَسَنًا

فصل في العتاب لعبد الله بن معاوية ذي الجناحين

٣٧٦ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَافَيْتَنِي الشُّكُّ فِي أَمْرِكَ عَنْ غَرِيمَةِ الرَّأْيِ فِيكَ . أَتَبْدَأُتَنِي بِلُطْفٍ عَنْ غَيْرِ خَبْرَةٍ وَأَعَقِبْتُهُ جَفَاءً مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ . فَأُطْعِمَنِي أَوْلَكَ فِي إِخَانِكَ وَأَيْسِنِي آخِرُكَ مِنْ وَقَائِكَ . فَسُجَّانَ مَنْ لَوْ شَاءَ لَكَشَفَ مِنْ أَمْرِكَ عَنْ غَرِيمَةِ الرَّأْيِ فِيكَ . فَأَقْمِ نَاعْلِي أَيْتِلَافٍ . وَأَفَرِّقْ نَاعْلِي أَخْتِلَافٍ

وله ايضاً في هذا الباب

٣٧٧ لَوْ كَانَتْ الشُّكُوكُ تُخَيِّجُنِي فِي صِحَّةِ مَوَدَّتِكَ وَكَرِيمِ إِخَانِكَ وَدَوَامِ عَهْدِكَ لَطَالَ عَتْبِي عَلَيْكَ فِي تَوَاتُرِ كُتُبِي وَأَخْتِبَاسِ جَوَابَاتِيَا عَنِّي . وَلَكِنَّ أَلَمَهُ يَمَّا تَقَدَّمَ عِنْدِي تَعَذُّرُكَ وَتَحْسِنُ مَا يُقْبَحُهُ جَهَاؤُكَ . وَاللَّهُ يُدِيمُ نِعْمَتَهُ لَكَ وَلَنَا بِكَ

فصل لابن المدبر

٣٧٨ وَصَلَ كِتَابُكَ أَمْتَمْتُعُ بِالْعِتَابِ الْجَمِيلِ وَالْتَمَرِيعِ الْلطِيفِ
فَلَوْلَا مَا غَابَ عَلَيَّ مِنَ السُّرُورِ بِسَلَامَتِكَ لَتَقَطَعْتُ عَمَّا بَعَثَكَ الَّذِي
لَطَفَ حَتَّى كَادَ يَخْفَى عَنْ أَهْلِ الرِّقَّةِ وَالْفِطْنَةِ . وَغَلُظَ حَتَّى كَادَ يَفْهَمُهُ
أَهْلُ الْجَمَلِ وَالْبَلَاءِ . فَلَا أَعْدِمُنِي اللَّهُ رِضَاكَ مُجَازِيًا بِهِ عَلَى مَا اسْتَحَقَّهُ
عَتَبُكَ . فَأَنْتَ ظَالِمٌ فِيهِ وَعِتَابُكَ لِي الْخُرْجُ مِنْهُ (لابن عبد ربّه)

كتب صاحب البريد بخراسان الى الرشيد ويحيى جالس بين يديه :

٣٧٩ إِنَّ الْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى مُتَشَاغِلٌ بِالصَّيْدِ وَإِذْ أَمَانَ اللَّذَّاتِ عَنْ
النَّظَرِ فِي أُمُورِ الرِّعْيَةِ

فلما قرأه الرشيد روى به الى يحيى وقال له : بأني إقرأ هذا الكتاب وكتب اليه بما يردنه
عن هذا . فكتب يحيى على ظهر كتاب صاحب البريد :

حَفَظَكَ اللَّهُ يَا بُنَيَّ وَأَمْتَمْتُعَ بِكَ . قَدْ أَتَيْتَنِي إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا
أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ التَّشَاغُلِ بِالصَّيْدِ وَمُدَاوَةِ اللَّذَّاتِ عَنْ النَّظَرِ فِي أُمُورِ
الرِّعْيَةِ مَا أَنْكَرَهُ قَعَاوُذُ ، هُوَ أَزَيْنُ بِكَ . فَإِنَّهُ مَنْ عَادَ إِلَى مَا يَزِينُهُ أَوْ
يَشِينُهُ لَمْ يَتَرَفَهُ أَهْلُ دَهْرِهِ إِلَّا بِهِ وَالسَّلَامُ (لابن خلكان)

كتب طاهر بن الحسين حين أخذ بغداد الى ابراهيم بن المهدي

٣٨٠ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَنَاتِ الْخِلَافَةِ
بِغَيْرِ كَلَامِ الْأَمْرِ وَسَلَامِهَا . غَيْرَ أَنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ مَائِلُ الْهَوَى
وَالرَّأْيِ لِلنَّاكِتِ الْخُلُوعِ . فَإِنْ كَانَ كَذَا بَلَّغَنِي فَقَلِيلٌ مَا كُتِبْتُ بِهِ
لَكَ . وَإِنْ يَكُنْ غَيْرَ ذَلِكَ فَالسَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ

وَرَكَّاهُ. وَقَدْ كَتَبْتُ فِي أَسْفَلِ كِتَابِي آيَاتًا قَدَّرَهَا :
 رَكُوبُكَ الْهَوَلُ مَا لَمْ تَلَقْ فُرْصَتَهُ جَهْلُ رَحَى بَيْتِكَ بِالْإِقْحَامِ تَغْرِيدُ
 أَمْوَالٍ يَدُنِيَا يُصِيبُ الْخَطِئُونَ بِهَا حَظُّ الْمَصِيبِينَ وَالْمُرُورُ مَغْرُورُ
 قَازِرَعُ صَوَابًا وَخُذْ بِالْحَزْمِ حَيْطَتَهُ فَلَنْ يُدَمَّ لِأَهْلِ الْحَزْمِ تَذْيِيرُ
 فَإِنْ ظَفِرْتَ مُصِيبًا أَوْ هَلَكَتَ بِهِ فَأَنْتَ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مَعْدُورُ
 وَإِنْ ظَفِرْتَ عَلَى جَهْلٍ فَفَزْتَ بِهِ قَالُوا جَهْلُ أَعَاتِهِ الْمُقَادِيرُ

فصول في المدح والشكر

فصل لمحمد بن الجهم

٣٨١ إِنَّكَ لَزِمْتَ مِنَ الْوَفَاءِ طَرِيقَةَ مَحْمُودَةٍ وَعَرَفْتَ مَنَاقِبَهَا
 وَشَهَرْتَ بِمَحَاسِنِهَا . فَنَاقَسَ الْإِخْوَانُ فِيكَ يَتَسَدَّرُونَ وَدَكَ
 وَيَتَمَسَّكُونَ بِحَبْلِكَ . فَمَنْ أَثَبَّتَ لَهُ عِنْدَكَ وَدًّا وَضَعَ حُلَّتَهُ مَوْضِعَ حَرِّهَا

كتب ابن مكرم الى احمد بن المديني :

٣٨٢ إِنْ جَمِيعَ أَكْفَانِكَ وَنُظَرَ إِلَيْكَ يَتَنَازَعُونَ الْفَضْلَ فَإِذَا أَنْتَهُوا
 إِلَيْكَ أَقْرُوا لَكَ . وَيَتَنَافَسُونَ الْمَنَازِلَ فَإِذَا بَلَغُوا وَقَفُوا دُونَكَ .
 فَرَادَكَ اللَّهُ وَزَادَنَا بِكَ وَفِيكَ . وَجَعَلَنَا مِنْ يَمِينِهِ رَأْيَكَ . وَيَقْدِمُهُ
 اخْتِيَارَكَ . وَيَقَعُ مِنَ الْأُمُورِ بِمَوْقِعِ بُمُؤَافَاتِكَ . وَيَجْرِي فِيهَا عَلَى سَبِيلِ
 طَاعَتِكَ . (وَلَهُ) . إِنْ يَمَّا يُطْمَعُنِي فِي بَقَاءِ النِّعْمَةِ عِنْدَكَ وَيَزِيدُنِي
 بَصِيرَةً فِي الْعِلْمِ بِدَوَائِمِهَا لَدَيْكَ أَنْتَ أَخَذْتَهَا بِحَبْلِهَا وَأَسْتَوْجِبُهَا بِمَا
 فِيكَ مِنْ أَسْبَابِهَا . وَمِنْ شَأْنِ الْأَجْنَاسِ أَنْ تَتَأَلَّفَ . وَشَأْنِ الْأَشْكَالِ

أَنْ تَتَّامَ . وَكُلُّ شَيْءٍ يَتَلَمُّ إِلَى مَعْدِنِهِ وَيَجُنُّ إِلَى غُنْمِهِ . فَإِذَا
صَادَفَ مِنْتَهُ وَرَزَلَ فِي مَغْرِبِهِ ضَرْبَ بَعْرِقِهِ وَسَبَقَ بَفْرِعِهِ . وَتَمَكَّنَ
تَمَكَّنَ الْأَقَامَةِ وَتَفَتَّكَ تَفَتَّكَ الطَّيْعَةِ

فصل له ايضا

٣٨٣ السِّيفُ الْعَتِيقُ إِذَا أَصَابَهُ الصَّدَا اسْتَعْنَى بِالْقَلِيلِ مِنَ الْجَلَاءِ
حَتَّى تَعُودَ جِدَّتُهُ وَيُظْهَرَ فِرْنَدُهُ لِلَّيْنِ طَبِيعَتِهِ وَكِرَمُ جَوْهَرِهِ . وَلَمْ
أَصِفْ نَفْسِي لَكَ عُجْبًا بَلْ شُكْرًا . (وَلَهُ) زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظَمًا أَنَّهُ
عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَقِيرٌ . وَعِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ . (أَخَذَهُ الشَّاعِرُ) فَقَالَ :
زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظَمًا أَنَّهُ عِنْدَكَ مَسْتُورٌ حَقِيرٌ
تَدَنَّاسَاهُ كَأَن لَمْ تَأْتِهِ وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ

فصل للعتابي

٣٨٤ أَنْتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَاثِرُ سَلَفِكَ وَبَقِيَّةُ أَعْلَامِ أَهْلِ بَيْتِكَ
الْمُسْدُودِ بِهِ نَأْمُهُمُ الْحُجْدُ بِهِ قَدِيمُ شَرَفِهِمْ وَأَنْحِيَاءُ بِهِ أَيَّامُ سَفِينِهِمْ .
وَإِنَّهُ لَمْ يَخْمَلْ مِنْ كُنْتِ وَارِدَتُهُ . وَلَا دَرَسَتْ آثَارُ مَنْ كُنْتَ سَالِكَ
سَبِيلِهِ . وَلَا أَنْحَتِ أَعْلَامُ مَنْ خَلَفْتَهُ فِي رُبَّتِهِ

فصول في التمازي

فصل لعمرو بن بحر الجاحظ

٣٨٥ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْمَاضِيَ قَبْلَكَ الْبَاقِي لَكَ وَالْبَاقِي بَعْدَكَ الْمَأْجُورُ
فَكَ . وَإِنَّمَا يُؤْتَى الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (وَلَهُ) : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ

فِي اللَّهِ أَعَزَّاءَ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ وَالْخَلَفَ مِنْ كُلِّ مُصَابٍ . وَإِنَّهُ مَنْ
لَمْ يَتَزَيَّرْ بِعِزِّهِ اللَّهُ تَقَطَّعَ نَفْسُهُ عَنِ الدُّنْيَا حَسْرَةً . (وَلَهُ) أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ
الصَّبْرَ يُقْبِلُ الْأَجْرَ وَالْجَزَعَ يُقْبِلُ الْهَلْعَ . فَمَسَّكَ بِحَبْطِكَ مِنَ الصَّبْرِ تَلُّ
بِهِ الَّذِي تَطْلُبُ وَتُذِرُكَ بِهِ الَّذِي تَأْمَلُ (ابن عبد ربه)

كتب ابن الدَّمَالِكِ الى هارون الرشيد يعزِّيه بولده :

٣٨٦ أَمَّا بَعْدُ فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ شُكْرُكَ حَيْثُ وَهَبَهُ لَكَ
فَأَفْعَلْ . فَإِنَّهُ حَيْثُ قُبِضَ مِنْكَ أَرْزَأَكَ هِبَتُهُ . وَلَوْ بَقِيَ لَمْ تَسْلَمْ مِنْ
فِتْنَتِهِ . أَرَأَيْتَ جَزَعَكَ عَلَى ذَهَابِهِ وَتَلَهُفَكَ عَلَى فِرَاقِهِ . أَرْضَيْتَ الدَّارَ
لِنَفْسِكَ فَتَرْضَاهَا لِأَبْنِكَ . أَمَّا هُوَ فَقَدْ خَلَصَ مِنَ الْكَدْرِ وَبَقِيَ أَنْتَ
مُتَعَلِّقًا بِالْخَطَرِ وَالسَّلَامُ (الكنز المدفون للسيوطي)

عزى شبيب بن شبة المنصور على اخيه ابي العباس فقال :

٣٨٧ جَعَلَ اللَّهُ ثَوَابَ مَا رُزِيتَ بِهِ لَكَ أَجْرًا . وَأَعْقَبَكَ عَلَيْهِ صَبْرًا .
وَحَتَمَ ذَلِكَ لَكَ بِعَافِيَةٍ تَامَّةٍ وَنِعْمَةٍ عَامَّةٍ . فَثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ وَمَا
عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْكَ . وَأَحَقُّ مَا صُبرَ عَلَيْهِ مَا لَيْسَ إِلَى تَغْيِيرِهِ سَبِيلٌ

رسائل الى عليل

٣٨٨ لَيْسَتْ حَالِي أَكْرَمَكَ اللَّهُ فِي الْأَعْتِمَامِ بِعِلَّتِكَ حَالُ الْمُشَارِكِ
فِيهَا بَأْسٌ يَا لِي نَهَيْتُ مِنْهَا وَأَسْلَمَ مِنْ أَكْثَرِهَا . بَلْ أَجْتَمِعُ عَلَيْهَا مِنْهَا أَنِّي
مَخْصُوصٌ بِهَا دُونَكَ مُؤَلَّمٌ مِنْهَا بِمَا يُرْأَى لَكَ . فَأَنَا عَليْلٌ مُصْرُوفُ الْعِزَّةِ
إِلَى عَليْلٍ كَأَنِّي سَلِيمٌ . فَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي جَعَلَ عَافِيَتِي فِي عَافِيَتِكَ

أَنْ يَخْصِنِي بِمَا فِيكَ فَإِنَّهَا شَامِلَةٌ لِي وَلَكَ . (وَفِي هَذَا الْبَابِ) : إِنْ
الَّذِي يَتْلُمُ حَاجَتِي إِلَى بَقَائِكَ قَادِرٌ عَلَى الْمُدَافَعَةِ عَنْ حَوَائِكَ .
فَلَوْ قُلْتُ إِنْ الْحَقُّ قَدْ سَطَعَ عَنِّي فِي عِيَادَتِكَ لَا فِي عَائِلٍ بِعَدْلِكَ لَقَامَ
بِذَلِكَ شَاهِدٌ عَدْلٌ فِي ضَمِيرِكَ وَأَثَرٌ بَادٍ فِي حَالِي لَعَيْتِكَ . وَأَصْدَقُ
الْخَبَرِ مَا حَقَّقَهُ الْأَثَرُ وَأَفْضَلُ الْقَوْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ

فصول في وصاة

كتب الحسن بن وهب الى مالك بن طوق يوصي ابن ابي الشيص :

٣٨٩ كِتَابِي إِلَيْكَ خَطَطْتُهُ بِيَمِينِي وَفَرَّغْتُ لَهُ ذَهَبِي . فَمَا ظَنُّكَ
بِحَاجَةِ هَذَا مَوْقِعِي . أَتُرَانِي أَقْبَلُ الْمَذْرُوبَ فِيهَا أَوْ أَقْصِرُ فِي الشُّكْرِ
عَالِيهَا . وَأَبْنُ أَبِي الشَّيْصِ قَدْ عَرَفْتَهُ وَتَسَبَّهَ وَصِفَاتِهِ . وَلَوْ كَانَتْ أَيْدِينَا
تَبْسِطُ بَيْرِهِ مَا عَدَانَا إِلَى غَيْرِنَا فَأَكْتَفِ بِهَذَا مِنَّا (وَلَهُ) : كِتَابِي إِلَيْكَ
كِتَابٌ مَعْنِي بِمَنْ كُتِبَ لَهُ وَاتَّقِ بِمَنْ كُتِبَ إِلَيْهِ . وَلَنْ يَضِيعَ بَيْنَ
الْثِقَةِ وَالْعِنَايَةِ حَامِلُهُ

فصل للحسن بن سهل

٣٩٠ فَلَا تَقْدِرُ أَنْ تَنْتَقِي بِأَصْطِنَاعِكَ إِيَّاهُ عَنْ تَحْرِيكِ إِيَّاكَ فِي أَمْرِهِ .
فَإِنَّ الصَّنِيعَةَ حُرْمَةٌ لِلْمَصْنُوعِ إِلَيْهِ وَوَسِيلَةٌ إِلَى مُخْلَعَتِهِ . فَاسْطِ اللَّهُ
يَدَكَ بِالْخَيْرَاتِ وَجَمَلِكَ مِنْ أَهْلَاهَا وَوَصَلْ بِكَ أَسْبَابَهَا . (وَلَهُ) : وَوَصِلْ
كِتَابِي إِلَيْكَ أَنَا فَكُنْ لَهُ أَنَا . وَتَأَمَّلْهُ بِمَنْ مُشَاهِدَتِي وَخَلَّتِي .
فَلِسَانُهُ أَشْكُرُ مَا أَتَيْتُ إِلَيْهِ وَأَذَمُّ مَا قَصُرَتْ فِيهِ (لِابْنِ عَبْدِ رِبِّهِ)

الباب العشرون في تاريخ العرب

نظر في أمة العرب وطباعهم وسكانهم

٣٩١ إعلم أن العرب منهم الأُمَّة الرَّاحِلَةُ النَّاجِعَةُ . أَحْيَامُ
لِسُكْنَاهُمْ وَالْحَيْلُ لِرُكُوبِهِمْ وَالْأَنْعَامُ لِكَسْبِهِمْ . يَفُومُونَ عَلَيْهَا وَيَقْتَاتُونَ
مِنْ أَلْبَانِهَا . وَيَتَّخِذُونَ الدِّفَّ وَالْأَثَاثَ مِنْ أَوْبَارِهَا وَأَشْمَارِهَا . وَيَحْمِلُونَ
أَنْثَاهُمْ عَلَى ظُهُورِهَا . يَتَنَازَلُونَ حِلَالًا مُفْتَرَقَةً وَيَتَتَمُونَ الرِّزْقَ فِي
غَالِبِ أَحْوَالِهِمْ مِنَ الْقَنْصِ وَتَحْطَفُ النَّاسَ مِنَ السُّبُلِ . وَيَتَقَلَّبُونَ
دَائِمًا فِي الْجِبَالِ فِرَارًا مِنْ حُمَاةِ الْقَيْظِ تَارَةً وَصَبَارَةً الْبَرْدِ أُخْرَى .
وَأَتَجَاعَلُوا لِرَاعِي غَنَمِهِمْ . وَازْتَبَادَا لِمَصَالِحِ إِبِلِهِمْ الْكَفِيلَةِ بِمَعَاشِهِمْ وَحَمَلِ
أَنْثَاهُمْ وَدِفْقِهِمْ وَمَنَافِعِهِمْ فَأَخْتَصُّوا لِذَلِكَ يَسْكُنِي الْإِقْلِيمُ الثَّلَاثُ .
فَعَمَرُوا أَيْمَنَ وَالْحِجَازَ وَنَجْدًا وَتِهَامَةً وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ لِإِخْتِصَاصِ هَذِهِ
الْأَلَدِ بِالرِّمَالِ وَالْقِفَارِ الْمُحِيطَةِ بِالْأَرْيَافِ الْإِهْلَةِ بَيْنَ سِوَاهُمْ مِنْ
الْأُمَمِ فِي فَصْلِ الرَّيْعِ وَزَخْرَفِ الْأَرْضِ لِرَغْيِ الْكَلَالِ وَالْمُسْبِ
فِي مَنَابِتِهَا وَالتَّنْقُلِ فِي نَوَاجِيهَا إِلَى فَصْلِ الصَّيْفِ لِمَدَّةِ الْأَقْوَاتِ فِي
سَنَتِهِمْ مِنْ حُبُوبِهَا . وَرَبَّمَا يَلْحَقُ أَهْلَ الْعُمَرَانِ أَثْنَاءَ ذَلِكَ مَعَرَاتٌ مِنْ
أَضْرَارِهِمْ بِإِفْسَادِ السَّائِلَةِ وَرَغْيِ الزَّرْعِ مُخْضَرًّا وَأَوْتَاهِهَا قَانِمًا وَحَصِيدًا .
إِلَّا مَا حَاصَلَتْهُ الدَّوْلَةُ وَذَادَتْ عَنْهُ الْحُلَامِيَّةُ فِي الْمَمَالِكِ الَّتِي لِلْإِسْلَامِ عَلَيْهِمْ

فِيهَا . ثُمَّ يَتَعَدُّونَ فِي فَصْلِ الْحَرِيفِ إِلَى الْقَفَّارِ لِرَغْمِ شَجَرِهَا وَتَنَاجٍ
إِلَيْهِمْ فِي رِمَالِهَا وَهَاطَ بِهَ عَمَلُهُمْ مِنْ مَصَالِحِهَا . وَفَرَّادًا بِأَنْفُسِهِمْ
وَعَظَمَانِهِمْ مِنْ أَدَى الْبَرْدِ إِلَى دِفءِ مَشَاتِيهَا . فَلَا يَزَالُونَ فِي كُلِّ عَامٍ
مُتَرَدِّدِينَ بَيْنَ الرِّيفِ وَالصَّخْرَاءِ مَا بَيْنَ الْإِفْلِيمِ الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ
صَاعِدِينَ وَمُنْهَدِرِينَ عَلَى تَمَرِ الْأَيَّامِ . شِعَارُهُمْ لُبْسُ الْخِطِ فِي الْغَالِبِ
وَلُبْسُ الْعِمَامَةِ تَبَاطُاعًا عَلَى رُؤُسِهِمْ . لَقِنُوا مِنْ أُمَمِ الْبَرِّ فِي حَمْلِ السِّلَاحِ
أَعْتَالَ الرِّمَاحِ الْخَطِيَّةَ وَهَجَرُوا تَنَكُّبَ الْفِئَةِ (تاريخ ابن خلدون)
ذكر نسب العرب وتقاسيمهم

٣٩٢ قَالَ الْمَطْرِزِيُّ : اخْتَلَفَ فِي نِسْبَتِهِمْ وَقِيلَ إِنَّ أَسْتَمَهُمْ أَشْثَقُ مِنْ
الْإِبَانَةِ لِقَوْلِهِمْ أَعْرَبَ الرَّجُلُ عَمَّا فِي صَبْرِهِ إِذَا أَبَانَ عَنْهُ . وَالْأَصَحُّ
أَنَّهُمْ نُسِبُوا إِلَى عَرَبَةٍ فِيهِ مِنْ تِهَامَةٍ وَدَعِيَ جِيلُهُمْ جِيلَ الْجَاهِلِيَّةِ لِمَا
كَانَ عَلَيْهِمُ الْعَرَبُ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ وَالْكِبَرِ وَالْحَجَرِ . وَقَدْ
قَسَمَ الْمُؤَرِّخُونَ الْعَرَبَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ عَرَبِيَّةٍ وَمُتَعَرَّبَةٍ وَمُسْتَعَرَّبَةٍ .
أَمَّا الْعَرَبِيَّةُ فَهُمْ الْعَرَبُ الْأَوَّلُ الَّذِينَ ذَهَبَتْ عَنْهُ تَفَاصِيلُ أَخْبَارِهِمْ
لِقَدَامِ عَهْدِهِمْ . وَأَمَّا الْعَرَبُ الْمُتَعَرَّبَةُ فَهُمْ عَرَبُ الْيَمَنِ مِنْ وَلَدِ قُحْطَانَ .
وَأَمَّا الْعَرَبُ الْمُسْتَعَرَّبَةُ فَهُمْ وَلَدُ إِسْمَاعِيلَ (نهاية الارب للنوري)

اخبار العرب العارة او البائدة وهم القسم الاول

٣٩٣ هُمْ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ مِنْهُمْ عَادُ وَثَمُودُ وَطَسَمٌ وَجَدِيسٌ وَجَرَمٌ
الْأَوَّلَى . وَقَدْ نَسِيَ هَذَا الْجِيلُ الْعَرَبَ الْبَائِدَةَ بِمَعْنَى الْهَالِكَةِ لِأَنَّهُ لَمْ

يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ مِنْ نَسْلِهِمْ . وَقَدْ نَبِيَّ أَهْلُ هَذَا الْجَبَلِ
الْعَرَبِيَّةِ إِمَامًا يَمْنَى الرِّسَاخَةُ بِالْعُرُوبِيَّةِ كَمَا يُقَالُ لَيْلُ أَلَيْلٍ وَصَوْمُ
صَائِمٍ أَوْ يَمْنَى الْقَاعَاةُ بِالْعُرُوبِيَّةِ وَالْمُبْتَدِعَةُ لَهَا بِمَا كَانَتْ أَوَّلَ أَجْيَالِهَا
وَأَمَّا بَنُو عَادٍ فَكَانَتْ مَوَاطِنُهُمُ الْأُولَى بِأَحْقَافِ الرَّمْلِ بَيْنَ
الْيَمَنِ وَعُمَانَ إِلَى حَضْرَمُوتَ وَالشَّحْرِ وَكَانَ أَبُوهُمْ عَادُ أَوَّلَ مَلِكٍ مِنْ
الْعَرَبِ . وَذَكَرَ السُّعُودِيُّ : أَنَّ الَّذِي مَلَكَ مِنْهُمْ مِنْ بَنِي عَادٍ
شَدَّادٌ . وَهُوَ الَّذِي سَارَ فِي أَمَّةِ الْإِلَهِ وَاسْتَوَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِ
الشَّامِ وَالْهِنْدِ وَالْعِرَاقِ . وَلَمَّا اتَّصَلَ مَلِكُ عَادٍ وَعِظَامُ طُغْيَانِهِمْ وَعَتَوْهُمْ
اُتُّعِلُوا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ أَبَادَهُمُ اللَّهُ وَهَلَكُوا عَنْ أَقْصَاهُمْ
وَأَمَّا ثَمُودُ فَكَانَتْ دِيَارُهُمْ بِالْحِجْرِ وَوَادِي الْأُرَى فَبَيْنَ الْحِجَازِ
وَالشَّامِ وَكَانُوا يَتَخَوَّنَ يَوْمَهُمْ فِي الْجِبَالِ وَكَانُوا أَهْلَ كُفْرٍ وَبَنِي .
فَأَنْذَرَهُمْ بَعْضُ الْأَنْبِيَاءِ فَلَمْ يُصِغُوا إِلَى دُعَائِهِ . فَهَلَكَ جَمِيعُهُمْ حَيْثُ
كَانُوا مِنْ الْأَرْضِ وَدَرَجُوا فِي الْفَايِرِينَ
وَأَمَّا جَدِيسُ وَطَسَمُ فَكَانَتْ دِيَارُهُمُ الْيَمَامَةُ وَهِيَ إِذْ ذَاكَ مِنْ
أَخْصَبِ الْبِلَادِ وَأَعْمَرَهَا وَأَكْثَرَهَا ثَمَارًا وَحَدَاقٍ وَقُصُورًا . وَكَانَ مَلِكُ
طَسَمٍ غَشُومًا مُصَادًّا لِلْجَدِيسِ مُسْتَدِلًّا لَهُمْ حَتَّى قَامَ الْأَسْوَدُ وَقَتْلُهُ غِيلَةً
وَأَمَّا جُرْهُمُ الْأُولَى فَكَانَتْ دِيَارُهُمْ بِالْيَمَنِ وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ
بِاللُّغَةِ الْبَرَانِيَّةِ فَكَانُوا عَلَى عَهْدِ عَادٍ وَلَمَّا دُمِ أَقْرَاضُهُمْ ذَهَبَتْ عَنْهُمْ حَقَائِقُ
أَخْبَارِهِمْ وَأَنْتَ طَلَعَتْ عَنْهُمُ اسْبَابُ الْعِلْمِ بِأَثَارِهِمْ . وَأَمَّا جُرْهُمُ الثَّانِيَّةُ

فَاتَّسَوْا مِنْ الْبَائِدَةِ بَلْ هُمْ مِنْ وَلَدِ قُحْطَانَ وَبِهِمْ أَتَّصَلَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِدْرِهِيمَ

العرب المتعربة بنو قحطان وهم القسم الثاني

٣٩٤ وَسُمِّيَ هَذَا الْجِيلُ الْعَرَبُ الْمُتَعَرَّبَةُ لِتَرْوُلِهِمْ بِالْبَائِدَةِ مَعَ الْعَرَبِ
الْعَارِبَةِ وَتَحَلُّقِهِمْ بِأَخْلَاقِهِمْ . وَهُمْ بَنُو قُحْطَانَ بْنِ عَابَرَ بْنِ شَالَحَ بْنِ
أَرْفَحْشَدَ بْنِ سَامَ . وَقُحْطَانُ هَذَا مُعَرَّبُ يَثُطَانَ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ مَلَكَ
أَرْضَ الْيَمَنِ وَلَيْسَ التَّابُجُ (٢٠٣٠ قبل المسيح) وَكَانَ بَنُو قُحْطَانَ
مُعَاصِرِينَ لِإِخْوَانِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ الْعَارِبَةِ وَمُظَاهِرِينَ لَهُمْ عَلَى أُمُورِهِمْ .
وَلَمْ يَزَالُوا مُجْتَمِعِينَ فِي مَجَالَاتِ الْبَائِدَةِ مُبْعِدِينَ عَنْ رِثْيَةِ الْمَلِكِ وَتَرْفِهِ
الَّذِي كَانَ لِأُولَئِكَ فَأَصْبَحُوا بِمُتَحَاةٍ مِنَ الْهَرَمِ الَّذِي يَسُوقُ إِلَيْهِ التَّرَفُ
وَالنَّصَارَةُ . فَتَشَعَّبَتْ فِي أَرْضِ الْقَضَاءِ فَصَالَ لَهُمْ وَتَعَدَّدَ فِي جَوْاءِ الْقَمَرِ
أَحْزَانُهُمْ وَعَشَائِرُهُمْ . وَفِي عَدَدِهِمْ وَكَثُرَتْ إِخْوَانُهُمْ مِنَ الْعَالِيَةِ فِي
آخِرِ جِيلِهِمْ . وَزَاهَوهُمْ بِمَنَاقِبِهِمْ وَأَسْتَجَدُّوا حُلُقَ الدَّوْلَةِ بِمَا اسْتَأْنَفُوهُ
مِنْ عِزِّهِمْ . وَكَانَتِ الدَّوْلَةُ لِبَنِي قُحْطَانَ مُتَّصِلَةً فِيهِمْ (لابن خلدون)

ملك يعرب ويشجب وسبا بني قحطان

٣٩٥ وَكَانَ يَعْرَبُ بْنُ قُحْطَانَ مِنْ أَعَاطِمِ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَاسْمُهُ يَمْنَا وَبِهِ
نُمِّيَتْ الْيَمَنِ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ حَيَّاهُ وَلَدَهُ بِالْحَيَّةِ : أَيْبَتِ اللَّعْنُ وَأَنْعَمَ صَبَاحًا
وَقِيلَ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ نَطَقَ بِالْعَرَبِيَّةِ . قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ :
تَعَلَّمْتُ مِنْ مَنْطِقِ الشَّيْخِ يَعْزَبِ أَيْبَنَافِصَرْتُمْ مُعَرِّبِينَ ذَوِي نَفَرٍ
وَكُنْتُمْ قَدِيمًا مَا لَكُمْ غَيْرَ عَجْمَةٍ كَلَامُ وَكُنْتُمْ كَالْبَهَائِمِ فِي الْقَمَرِ

وَمَلَكَ بَدَّ يَرْبَ أَبْنَهُ يَشْجُبُ . وَكَانَ وَاهِي الْأَمْرِ عَمَّةً وَأَسْتَبَدَّ أَعْمَاهُ بِمَا
فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَلَائِكِ . وَمَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ أَبْنَهُ عَبْدُ الشَّمْسِ وَكَثُرَ
الْفَزْوُ فِي أَقْطَارِ الْبِلَادِ فَسَمِيَ سَبَأً . وَكَانَتْ قَاعِدَةُ مُلْكِهِ مَدِينَةَ صَنْعَاءَ
وَمِنْ مَدِينِهِ مَأْرِبُ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاحِلَ مِنْهَا (لِلنُّوْدِيِّ وَابْنِ الْأَثِيرِ)

سَدَّ مَأْرِبَ وَتَفَرَّجَ بَنِي سَبَأَ

٣٩٦ فَبَنَى سَبَأٌ فِي مَأْرِبَ سُدًّا مَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ بِالْعَمْرِ وَالْقَارِ فَحَقَّنَ
بِهِ مَاءَ الْيُونِ وَالْأَمْطَارِ وَسَاقَ إِلَيْهِ سَبْعِينَ وَادِيًا وَتَرَكَ فِيهِ خُرُوقًا
عَلَى قَدَرِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي سَقْيِهِمْ . وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى الدَّرَمَ وَمَاتَ
قَبْلَ إِيَّامِهِ فَأَتَتْهُ مُلُوكُ حِمِيرَ مِنْ بَعْدِهِ فَأَقَامُوا فِي جَنَاتِهِ عَنِ الْيَمِينِ
وَالشِّمَالِ . وَدَوَّلَتْهُمْ يَوْمَئِذٍ أَوْفَرُ مِمَّا كَانَتْ وَأَتْرَفُ وَأَبْذَخُ وَأَعْلَى يَدَا
وَأَظْهَرُ . فَلَمَّا طَفَعُوا وَأَعْرَضُوا أَجْفَفَهُمُ السَّيْلُ وَأَغْرَقَ جَنَاتِهِمْ وَخَرِبَتْ
أَرْضُهُمْ وَتَفَرَّقَ مُلْكُهُمْ وَصَارُوا أَحَادِيثَ . وَكَانَ هَؤُلَاءِ الثَّابِتَةُ مُلُوكًا عِدَّةً
فِي عُصُورٍ مُتَّاقِيَةٍ وَأَخْقَابِ مُتَطَارِلَةٍ لَمْ يَضْطَظَّهُمُ الْخَصَرُ وَلَا تَقَيَّدَتْ
مِنْهُمْ الشُّوَارِدُ . وَرُبَّمَا كَانُوا يَتَجَاوَزُونَ مُلْكَ الْيَمَنِ إِلَى مَا بَعْدَ عَنْهُمْ مِنَ
الْعِرَاقِ وَالْحِنْدِ وَالْمَغْرِبِ . فَاخْتَلَفَتْ أَحْوَالُهُمْ وَوَقَعَ الْبَلْسَرُ فِي ثَلَاثِ أَيَّامِهِمْ .
فَلْتَأْتِ بِمَا صَحَّ مِنْهَا مُتَعَرِّيًا جُهْدَ الْإِسْطَاعَةِ عَنْ طُوسٍ مِنَ الْفَكْرِ وَأَقْنَاءِ
التَّقَايِيدِ الْمَرْجُوعِ إِلَيْهَا وَالْأُولَى الْمُتَعَدِّ عَلَى نَفْسِهَا وَعَدَمِ الْوُقُوفِ عَلَى
أَخْبَارِهِمْ مُدَوَّنَةٍ فِي كِتَابٍ وَاحِدٍ . وَكَانَ لِسَبَأَ مِنَ الْوُلْدِ كَثِيرٌ أَشْهَرُهُمْ
حِمِيرُ وَعَمْرُو وَكُهْلَانُ فَيَنْزِي الثَّابِتَةَ إِلَى حِمِيرَ وَالْمَازِدَةَ إِلَى عَمْرِو وَيَنْزِي

الْفَسَايِنَةُ إِلَى كَهْلَانَ . وَسُورِدُ بِالْخَيْصِ أَخْبَارَهُمْ (لابن خلدون)

ملك التابعة بني حمير في اليمن
(ذكر حمير وشذاد وقح الاول)

٢٩٧ قَالَ الْمَسْعُودِيُّ : قِيلَ لِلْمُلُوكِ الْيَمَنِيِّينَ تَبَاعُةٌ لِأَنَّهُ يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا كُلَّمَا هَلَكَ وَاحِدٌ قَامَ آخَرُ . وَلَمْ يَكُونُوا يَسْمُونَ الْمَلِكَ مِنْهُمْ يَتَّبِعُ حَتَّى يَمْلِكَ الْيَمَنِيُّ وَالشَّخَرُ وَحَضَرُ مَوْتٍ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا قَبِلْتُمَا مِلْكًا وَلَا يُبَالُ لَهُ يُتَّبَعُ . وَأَمَّا خَيْرُهُمْ هَذَا يُعْرَفُ أَيْضًا بِالْعَرَبِجِ (١٤٣٠ ق م) . وَقِيلَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ تَتَوَجَّعَ بِالذَّهَبِ وَأَخْرَجَ ثَمُودَ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى الْحِجَازِ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ وَائِلٌ . وَلَمْ يَزَلْ مُلْكُهُمْ عَلَى الْيَمَنِ حَتَّى مَضَتْ قُرُونٌ وَصَارَ الْأَمْرُ إِلَى شَذَادٍ قَفَزَا الْبِلَادَ إِلَى أَنْ بَلَغَ أَقْصَى الْمَغْرِبِ وَبَنَى الْمَدَائِنَ وَالْمَصَانِعَ وَأَبْقَى الْأَثَارَ الْعَظِيمَةَ . ثُمَّ اضْطَرَبَتْ أَحْوَالُ حَمِيرٍ وَصَارَ مُلْكُهُمْ طَوَافٍ إِلَى أَنْ اسْتَمَرَّ فِي الْحَارِثِ وَهُوَ تَبِعُ الْأَوَّلِ وَفِي بَيْتِهِ التَّبَاعَةُ . وَقَدْ لُقِبَ الْحَارِثُ بِالرَّائِسِ لِأَنَّهُ رَأَسَ النَّاسَ بِالْعَطَاءِ بِمَا كَانَ أَصَابَهُ فِي نَزَوَاتِهِ مِنَ السَّلْبِ وَالْفَنَائِمِ (لحزرة الاصفهاني)

ملك افريقس وذوي الازعار وشرجيل

٣٩٨ ثُمَّ مَلَكَ أَيْرَهُةُ ذُو الْمَنَارِ ثُمَّ أَفْرِيقُسُ (١٠٩٨ ق م) وَذَهَبَ بِمِثَالِ الْعَرَبِ إِلَى أَفْرِيقِيَّةَ وَبِهِ تُمَيْتٌ وَسَاقَ الْبَرَبَ إِلَىهَا مِنْ أَرْضِ كَنْعَانَ فَأَرْتَهُمْ بِهَا . وَيُقَالُ إِنَّهُ الَّذِي سَمِيَ الْبَرَابِرَةَ بِهَذَا الْإِسْمِ لِأَنَّهُ لَمَّا أَفْتَحَ الْمَغْرِبَ وَتَبِعَ رِطَائِهِمْ قَالَ : مَا أَكْثَرَ بَرَبَرَتِهِمْ . فَسَمُوا الْبَرَابِرَةَ .

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ أَفْرِيقُسَ أَخُوهُ عَمَرُو ذُو الْأَذْعَارِ وَلَمْ يُحْسِنِ السَّيْرَةَ فِي
الرَّعِيَّةِ . وَلَمَّا يَبْعَثُ بِوَصَاةِ أَبِيهِ أَرْهَةً وَكَانَ أُنْشَدُهُ عِنْدَ وَفَاتِهِ :

يَا عَمْرُو إِنَّكَ مَا جِئْتَ وَصِيَّتِي إِيَّاكَ فَأَحْفَظْهَا فَإِنَّكَ تُرْشِدُ
يَا عَمْرُو لَا وَاللَّهِ مَا سَادَ الْوَرَى فِيمَا مَضَى إِلَّا الْمَعِينُ الْمُرْفِدُ
يَا عَمْرُو مَنْ يَشْرِي الْعَلَى بَنُوَالِهِ كَرَمًا يُقَالُ لَهُ الْجَوَادُ السَّيِّدُ
كُلُّ أَمْرِي يَا عَمْرُو حَاصِدُ رَزْعِهِ وَالزَّرْعُ شَيْءٌ لَا مَحَالَةَ يُخْصَدُ
وَلَمَّا ذُعِرَتْ خَيْرٌ مِنْ جَوْرِهِ خَلَّتْ طَاعَتُهُ وَقَلَّتِ الْمُلُوكُ شَرَحِيلَ .
فَجَرَى بَيْنَ شَرَحِيلَ وَذِي الْأَذْعَارِ قِتَالٌ شَدِيدٌ قُتِلَ فِيهِ خَاقٌ كَثِيرٌ .
وَأَسْتَقَلَ شَرَحِيلُ بِالْمُلُوكِ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أَبْنَاهُ الْهَذَا . (١٠٦٥ ق م)

ملك بلقيس وناشر النعم وشمر وعش ومزقيا

٣٩٩ ثُمَّ مَلَكَتْ بَلْقِيسُ ابْنَةُ الْهَذَا وَكَانَتْ عَلَى عَهْدِ سُلَيْمَانَ وَوَقَدَتْ
عَلَيْهِ بَنَفِيسَ الْهَدَايَا وَبَقِيَتْ فِي مُلْكِ الْإِمْنِ عِشْرِينَ سَنَةً . ثُمَّ قَامَ بَعْدَهَا
بِالْمُلُوكِ مَا لَيْسَ نَاشِرُ النِّعَمِ . لِأَنَّهُ قَدْ أَعْتَقَ رَعِيَّتَهُ أَطْوَأَ الْإِنْعَامِ وَالْإِنْتِنِ
وَسَارَ غَارِيًّا إِلَى الْمَغْرِبِ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ وَادِيَ الرَّمْلِ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ مَجَازًا لِكثْرَةِ
الرَّمْلِ وَغَبَرَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَلَمْ يَجْعُوا . فَأَمَرَ بِصَنَمٍ مِنْ نَحَاسٍ يُصَبَّ
عَلَى شَفِيرِ الْوَادِي وَكُتِبَ فِي صَدْرِهِ بِالْخَطِّ الْمُسْنَدِ : هَذَا الصَّنَمُ لِلنَّاشِرِ
النِّعَمِ الْحَمِيرِيِّ لَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْهَبٌ . فَلَا يَتَكَلَّفُ أَحَدٌ ذَلِكَ فَيُعْطَبَ .
ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَ نَاشِرِ هَذَا أَبْنَاهُ شَمْرُ مَرْعِشُ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ تَمَاشَى كَانَ بِهِ
وَهَذَا هُوَ تَبَعُ الْآخَرِ . وَهُوَ الْمَشْهُورُ مِنْ مُلُوكِ التَّبَابِيعَةِ ذُو الْمَعَاذِي

وَالْأَنْهَارُ أَلْبَيْدَةُ . فَكَانَ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِ الْعَرَبِ نِكَايَةً فِي الْأَعْدَاءِ
وَأَبْعَدِهِمْ مَنَارًا (٨٥٠ قبل المسيح) وَيُقَالُ إِنَّهُ وَطِئَ أَرْضَ الْعِرَاقِ
وَفَارِسَ وَخُرَّاسَانَ أَفْتَحَ مَدَائِنَهُمْ وَخَرَّبَ مَدِينَةَ الصُّفْدِ وَرَاءَ
جَيْحُونَ . فَقَالَتِ الْعَجَمُ شِمْرُ كَنْدَ أَيُّ شِمْرٍ خَرَّبَ . وَبَنَى مَدِينَةً هُنَاكَ
فَسَمَّيْتُ بِاسْمِهِ هَذَا وَعَرَّبْتُهُ الْعَرَبُ فَصَارَ سَمْرَقَنْدُ . وَشَخَّصَ مِنَ الْإِيْمَنِ
غَازِيًا وَمَرَّ بِالْحِيرَةِ فَخَيَّرَ عَسَاكِرَهُ . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْإِيْمَنِ وَهَابَتْهُ الْمُلُوكُ
وَهَادَتْهُ . وَأَخَذَ بَدِينِ الْيَهُودِيَّةِ بِأَغْرَاءَ بَعْضَ أَحْبَارِ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي
قُرَيْظَةَ . ثُمَّ عَادَ إِلَى غَزْوِ بِلَادِ فَارِسَ فَوَطَأَ الْمَلِكَ وَذَلَّلَهَا وَوَعَدَ إِلَى
الصَّيْنِ . قَالَ التُّوَيْيُّ : وَكَانَ لِمَلِكِ الصَّيْنِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ وَزِيرٌ شَدِيدُ
الْبَأْسِ سَامِي أُمَيَّة . فَلَمَّا بَلَغَهُ مَسِيرُ مَلِكِ الْإِيْمَنِ جَدَعَ أَنْفَهُ وَلَحَقَ بِأَبِي
كَرْبٍ وَسَمَى إِلَيْهِ بِأَمْرِهِ وَتَشَكَّى مِنْ مَلِكِ الصَّيْنِ . وَتَطَاهَرَ أَنَّهُ يَدُلُّ
أَبَا كَرْبٍ عَلَى خَلِّ يَمْكُنُهُ الْفُرْصَةُ لِإِنَاءِ بِلَادِهِمْ بِأَمْنٍ وَفَتْحِهَا . فَسَرَّ
بِهِ نَبِيٌّ وَبَالَغَ فِي إِسْخَرَامِهِ وَأَصَاحَ لِقَوْلِهِ . فَهَضَرَ الْوَزِيرُ بِجَيْشِهِ وَهُوَ
يَقْدُمُ حَتَّى أَتَتْهُ بِهِمْ إِلَى أَرْضِ سَجَنْجَةٍ . فَنَوَّعُوا فِي فُلُوتِ سَجَنْجَةٍ
لَا مَاءَ فِيهَا فَأَجْعَدَهُمُ الْعَطَشُ فَهَلَكُوا . ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَبُو مَالِكٍ
وَهَلَكَ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ . ثُمَّ أَتَقَلَّ الْمَلِكُ مُدَّةً إِلَى بَنِي كَهْلَانَ
حَتَّى مَلَكَ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ الْأَزْدِيُّ وَقِيلَ لَهُ مُزَيْقِيَا . لِأَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ
كُلَّ يَوْمٍ بَدَلَةً فَإِذَا أَرَادَ الدُّخُولَ إِلَى مَجْلِسِهِ رَمَى بِهَا فَمَزَقَتْ . لِئَلَّا يَجِدَ
أَحَدٌ فِيهَا مَا يَلْبَسُهُ . وَقِيلَ إِنَّهُ عَلَى عَهْدِهِ صَارَ سَيْلُ الْعَرَمِ (١٠٢ ب م) .

فَانْفَجَرَتْ مِيَاهُ سُدِّ مَارِبَ فَأَحْتَمَلَ السَّيْلُ أَنْعَامَهُمْ وَخَرَّبَ دِيَارَهُمْ
فَقَتَرَقَتْ الْقَبَائِلُ النُّجَّارَةُ لَهُ أَيْدِي سَبَا (لابن الاثير والمسعودي)

ذكر ذي نواس وشهداء النصرانية في نجران

٤٠٠ وَلَمْ تَزَلْ تَتَوَالَى الْمُلُوكُ عَلَى خَيْرٍ حَتَّى صَارَ الْمَلِكُ إِلَى ذِي نَوَاسٍ .
(٤٩٠ ب م) وَاتَّفَقَ أَهْلُ الْأَخْبَارِ كُلُّهُمْ أَنَّ ذَا نَوَاسٍ هُوَ ابْنُ تُبَّانٍ
أَسْعَدُ وَأَتَمُّهُ زُرْعَةٌ . وَأَنَّهُ لَمَّا تَغَلَّبَ عَلَى مُلْكِ آبَائِهِ اتَّبَاعَهُ لَمْ يَمُتْ
يُوسُفَ وَتَعَصَّبَ لِلدِّينِ الْيَهُودِيِّ وَحَمَلَ عَلَيْهِ قَبَائِلُ الْيَمَنِ . فَاسْتَجَمَعَتْ مَعَهُ
خَيْرٌ عَلَى ذَلِكَ . وَارَادَ أَهْلُ نَجْرَانَ عَلَيْهَا وَكَانُوا مِنْ بَيْنِ الْعَرَبِ يَدِينُونَ
بِالنَّصْرَانِيَّةِ . وَلَهُمْ فَضْلٌ فِي الدِّينِ وَاسْتِقَامَةٌ عَلَى حُكْمِ أَهْلِ الْإِنْجِيلِ .
وَلَهُمْ رَأْسٌ يَقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَاسِرٍ . وَكَانَ هَذَا الدِّينُ وَقَعَ إِلَيْهِمْ قَدِيمًا
مِنْ بَقِيَّةِ أَصْحَابِ الْحَوَارِيِّينَ مِنْ رَجُلٍ سَمَّاهُمْ مِنْ مُلْكِ التَّبَعِيَّةِ
يُقَالُ لَهُ فَيْمُونُ . وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ مُجَابِدًا الدَّعْوَةَ
وظَهَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ الْكَرَامَاتُ فِي شِفَاءِ الْمَرْضَى . وَكَانَ يَطْلُبُ الْخَفَاءَ عَنِ
النَّاسِ جُهْدَهُ . وَكَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ كَسْبِ يَدَيْهِ وَيُعْظَمُ يَوْمَ الْأَحَدِ
فَلَا يَعْمَلُ فِيهِ شَيْئًا . فَقَطَّنَ إِشَانِيَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ اسْمُهُ صَالِحٌ
فَلَزِمَهُ وَخَرَجَا قَارَيْنَ يَأْتِيهِمَا حَتَّى وَطِأَ ابْنُ الْأَرَبِ . فَأَخْطَفَتْهُمَا
سَيَّارَةٌ فَبَاعُوهُمَا بِنَجْرَانَ . وَأَهْلُ نَجْرَانَ يَوْمِئِذٍ عَلَى دِينِ الْعَرَبِ يَبْذُونَ
نَحْلَةً لَهُمْ طَوِيلَةٌ وَيُعْلِفُونَ عَلَيْهَا فِي الْأَعْيَادِ مِنْ حُلِيِّهِمْ وَثِيَابِهِمْ
وَيَعْكِفُونَ عَلَيْهَا أَيَّامًا . وَكَانَ قَدِ اتَّبَعَ فَيْمُونُ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَأَتْبَاعَ

صَالِحًا آخَرُ . فَكَانَ فَيَمُوتُ إِذَا قَامَ فِي اللَّيْلِ فِي بَيْتٍ لَهُ أَسْكَنَهُ إِيَّاهُ
سَيِّدُهُ أَسْتَسْرِجَ لَهُ أَلَيْتُ نُورًا وَهُوَ فِي غَيْرِ مَصْبَاحٍ حَتَّى يُصْبِحَ
الصَّبَاحُ . فَأَعْجَبَ سَيِّدُهُ مَا رَأَى مِنْهُ فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِ . فَأَخْبَرَهُ بِهِ
وَقَالَ لَهُ : إِنَّمَا أَنْتُمْ عَلَى بَاطِلٍ وَهَذِهِ الشَّجَرَةُ لَا تَصُرُّ وَلَا تَنْفَعُ . وَلَوْ
دَعَوْتُ عَلَيْهَا إِلَهِي الَّذِي أَعْبُدُهُ لَأَهْلَكْتُهَا وَهُوَ وَحْدَهُ لَا يَنْدُلُهُ . فَقَالَ لَهُ
سَيِّدُهُ : أَفَعَلْ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ هَذَا دَخَلْنَا فِي دِينِكَ وَتَرَكْنَا مَا نَحْنُ
عَلَيْهِ . فَدَعَا فَيَمُوتُ فَأَرْسَلَ اللَّهُ رِيحًا فَجَنَّتِ النَّخْلَةَ مِنْ أَصْلَاهَا . وَأَطْبَقَ
أَهْلُ نَجْرَانَ عَلَى اتِّبَاعِ دِينِ عِيسَى فَمِنْ هُنَاكَ كَانَتِ النَّصْرَانِيَّةُ بِنَجْرَانَ .
وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ تَائِمِرٍ فَكَانَ يَجْلِسُ إِلَى فَيَمُوتُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَسْتَعْمِلُ مِنْهُ شَرَايِعَ
النَّصْرَانِيَّةِ حَتَّى قُبِيَ فِيهَا وَظَهَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ الْخَوَارِقُ وَالنَّهْجَاتُ وَدَانَ
الْكُلُّ بِدِينِهِ . فَسَارَ إِلَيْهِمْ ذُو نُوَاسٍ بِجُنُودِهِ وَأَسْتَدْعَى رَأْسَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ
ابْنَ تَائِمِرٍ فَأَحْذَرَهُ وَقَالَ لَهُ : أَفَسَدْتَ عَلَى أَهْلِ بَلَدِي وَخَالَتَ دِينِي
وَدِينَ آبَائِي . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فُقِلَ وَعَرَّضَ عَلَى أَهْلِ نَجْرَانَ أَلْتَقِلْ فَلَمْ
يَذْهَبْ إِلَّا جَاهًا . فَخَدَّدَ لَهُمُ الْأَخَادِيدَ وَأَوْقَدَ لَهُمْ نَارًا ثُمَّ أَمْتَحَنَهُمْ .
فَجَعَلَ يَقُولُ لِلرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ : إِمَّا أَنْ تَتْرَكَ دِينَكَ وَإِمَّا أَنْ نَهْذِفَكَ فِي
النَّارِ فَيَقُولُ : مَا أَنَا تَارِكُ دِينِي لِشَيْءٍ فَيُذَفُّ فِيهَا فَيُحْرَقُ . فَمِيتَ
أَمْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ رَضِيَ عَمْرُؤُهُ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ فَجَزَعَتْ وَتَهَيَّتْ . فَقَالَ لَهَا
النِّلَامُ : يَا أُمَامَةُ لَا تَتَأَفَّقِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ وَلَمْ يَكُنْ يَتَكَلَّمُ مِنْ ذِي قَبْلِ .
فَأَحْتَرَقَتْ . وَقَتْلَ وَحَرَقَ ذُو نُوَاسٍ حَتَّى أَهْلَكَ مِنْهُمْ فِيمَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ

عَشْرِينَ أَلْفًا أَوْ يَزِيدُونَ . وَأَقْلَتْ مِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ سَبَائِقَالَ لَهُ دُوسُ دُو
 مُلْبَانٍ فَسَلَكَ الرَّمْلَ عَلَى قَرِيهِ فَأَعْجَزَهُمْ . فَقَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ صَاحِبِ
 الرُّومِ يَسْتَصِيرُهُ عَلَى ذِي نُوَاسٍ (معجم البلدان لياقوت)

استيلاء الحبشة على ملك اليمن

٤٠١ قَبِعَتْ قَيْصَرُ إِلَى مَلِكِ الْحَبَشَةِ يَأْمُرُهُ بِنَعْرِهِ . فَجَاءَهُ السُّفْنُ
 وَأَجَازَ فِيهَا الْعَسَاكِرَ مِنَ الْحَبَشَةِ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أَرْيَاطُ رَجُلًا مِنْهُمْ . وَعَبَدَ
 إِلَهَهُ بِتَلْمِيهِمْ وَسَبِيهِمْ وَخَرَابِ بِلَادِهِمْ . فَرَكِبُوا الْبَحْرَ وَتَرَلُّوا سَاحِلَ
 الْيَمَنِ فَلَقِيَهُمْ دُو نُوَاسٍ فَيَمِينَ مَعَهُ فَأَنْهَزَمَ . فَلَمَّا رَأَى دُو نُوَاسٍ مَا تَزَلُ بِهِ
 وَبِقَوْمِهِ وَجَهَ بِقَرِيهِ إِلَى الْبَحْرِ وَخَاضَ صَحْحَاحَهُ . ثُمَّ أَفْضَى بِهِ إِلَى
 غَمْرَةٍ فَأَتَمَّهُ فِيهَا فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ وَأَنْدَرَضَ أَمْرُ التَّبَابَةِ .
 (٥٢٩ ب م) وَوُطِئَ مِنْ ثُمَّ أَرْيَاطُ الْيَمَنِ بِالْحَبَشَةِ وَأَذَلَّ رِجَالُ
 خَمِيرٍ وَهَدَمَ حُصُونَ الْمَلِكِ . ثُمَّ انْتَهَضَ عَلَى أَرْيَاطُ أَرْهَهُ أَحَدُ رُؤَسَاءِ
 جَيْشِهِ وَجَذَبَ مَعَهُ رَعَاةَ الْحَبَشَةِ وَعَصَى أَرْيَاطُ وَدَعَاهُ لِلْعُوبِ فَأَتَمَّحَازَ
 إِلَى أَرْيَاطُ عُظَمَاءِ الْحَبَشَةِ وَعَطَّارِيَهُمْ فَأَقْتَلُوا . فَحَمَلَ أَرْيَاطُ عَلَى
 أَرْهَهُ وَعَلَا وَجْهَهُ بِالْحَرْبَةِ فَشَرَمَ أَنْفَهُ وَيَذَلَّ لُؤْبَ بِالْأَشْرَمِ . وَحَمَلَ
 أَرْهَهُ عَلَى أَرْيَاطُ بِالسَّيْفِ وَعَلَا بِهِ رَأْسَهُ فَأَمْرَعَ السَّيْفُ فِي دِمَاقِهِ
 وَسَطَّ عَنْ جَوَادِهِ . فَأُلُوَ أَحْيَيْذُ جَمِيعًا وَصَارُوا مَعَ أَرْهَهُ وَأَقَامُوهُ مَلِكًا .
 وَكَانَ أَرْهَهُ رَجُلًا قَصِيرًا حَادِرًا لَحِيمًا دَحْدَاحًا ذَا دِينَ فِي التَّنْصَرَانِيَةِ .
 فَبَنَى بِصَنْعَاءَ إِلَى جَانِبِ عُثْمَانَ كَنِيسَةً تُحْكِمَةُ الْأَمَلِ وَسَمَّاهَا

الْفُلَيْسِ (*) فَأَنْتَشَرَ خَيْرٌ بِنَاءَ هَذَا أَلَيْتَ فِي الْعَرَبِ . وَأَنَا هَلَكْتُ أُرْهَةً
(٥٧١ ب م) مَلِكٌ مَكَانَهُ أَبْنُهُ يَكْسُومُ وَبِهِ كَانَ يَكْنَى وَأَسْتَحْلَ مَلِكُهُ
وَأَذَلَ خَيْرٌ وَقَبَائِلُ الْيَمَنِ . فَقَتَلَ رِجَالَهُمْ وَأَسْتَحْدَمَ أَبْنَاءَهُمْ . ثُمَّ هَلَكَ
يَكْسُومٌ فَلَمَّا كَانَ أَخُوهُ مَسْرُوقٌ وَسَاءَتْ سِيرَتُهُ وَكَثُرَ عَسْفُهُ (الازرقى)

اخبار سيف بن ذي يزن

٤٠٢ وَأَمَّا طَالُ بَلَاءِ الْحَبْشَةِ عَلَى أَهْلِ الْيَمَنِ خَرَجَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ
الْحِمَيْرِيِّ مِنَ الْأَذْوَادِ بَقِيَّةُ ذَلِكَ السَّلَفِ وَعَقِبُ أُولَئِكَ الْمُلُوكِ . وَدِيَالُ
الدَّوْلَةِ الْمُؤَفَّضُ لِلْحُمُودِ . وَقَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ (مُورِيقِي) لِيَسْتَجِدَّهُ عَلَى
الْحَبْشَةِ . فَأَبَى وَقَالَ : الْحَبْشَةُ عَلَى دِينِ النَّصَارَى . فَرَجَعَ إِلَى كِسْرَى
وَقَدِمَ الْحَبْرَةَ عَلَى الثُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ عَامِلِ فَارَسَ عَلَى الْحَبْرَةِ وَمَا يَلِيهَا
مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ فَشَكَكَ إِلَيْهِ . وَأَسْتَمَلَهُ الثُّعْمَانُ إِلَى حِينٍ وَفَادَتْهُ عَلَى
كِسْرَى وَأَوْقَدَ مَعَهُ وَسَأَلَهُ النَّصْرَ عَلَى الْحَبْشَةِ وَشَاوَرَ أَهْلَ دَوْلَتِهِ .
فَقَالُوا : فِي سُجُونِكَ رِجَالٌ حَبَسَتْهُمْ لَأَقْتُلَ . أُبْعَثْهُمْ مَعَهُ فَإِنْ هَلَكُوا كَانَ

(*) وكان الفليس مرتباً مستوي الترتيب وجعل طولهُ في السهات ستين ذراعاً وحولهُ
سورٌ بينهُ وبين الفليس ماثناً ذراعٍ مطيفٌ به من كل حاب وجعل بين ذلك كله حجارة
تسميها اهل اليمن الجروب منقوشة مطابقة لا يدخل بين اطباقها الابرة مطبقة . وكان
له باب من نحاس يفضي الى بيت في جوفهِ طولهُ ثمانون ذراعاً في اربعين ذراعاً معلقُ العمل
بالساج المقوش ومسامير الذهب والفضة وعقوده معروية بالنفيساء مشجرة بين اضلاعها
كوكب الذهب ظاهرة . ثم يدخل من البيت الى قبة حُدُّها بالنفيساء وفيها صلبٌ منقوش
بالذهب والفضة وفيها رخامة ما يلي مطلع الشمس من البلق مرعة تعشي عين من نظر اليها من
بطن القبة . تزدى ضوء الشمس والقمر الى داخل القبة . وكان تحت الرخامة منبر من خشب
النج وهو الانوس مفصل بالمحاج ودرج المنبر من خشب الساج ملبسة ذهباً وفضة (لابن اسحاق)

الَّذِي أَرَدْتُ بِهِمْ وَإِنْ مَلَكَوْا كَانَ مَلِكًا أَرَدَدْتُهُ إِلَى مُلْكِكَ . فَأَخْصُوا
 بِإِيمَانِهِ وَقَدِّمُوا عَلَيْهِمْ أَفْضَلَهُمْ وَأَعْظَمَهُمْ بَيْتًا وَكَبِيرَهُمْ نَسَبًا وَكَانَ
 وَهَزَرَ الدَّيْلَمِيِّ . فَمُتَوَفَّوْا لِلْعَرَبِ وَأَمَرَ وَهَزَرَ أَنْ يُبَايِسَهُمُ الْقِتَالُ
 فَمَتَلَوْهُ وَأَحْظَلَهُ ذَلِكَ . وَقَالَ : أُرْوِي مَلِكَهُمْ فَأَرَوْهُ إِيَّاهُ عَلَى فِيلٍ عَلَيْهِ
 نَاجُهُ وَبَيْنَ عَيْنَيْهِ يَاقُوتَةٌ حُمْرَاءُ . فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَصَكَ إِلَى يَاقُوتَةٍ بَيْنَ
 عَيْنَيْهِ وَتَهَلَّلَ فِي دِمَاعِهِ وَتَنَكَّسَ عَنْ دَابَّتِهِ وَدَارُوا بِهِ . فَحَمَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِمْ
 وَأَنْهَزَمَ الْحَبْشَةُ فِي كُلِّ وَجْهِ . وَفِي مُلْكِهِمْ فِي الْيَمِينِ بَعْدَ أَنْ تَوَارَثَهُ مِنْهُمْ
 أَرْبَعَةٌ فِي ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً . (٦٠١) وَأَنْعَرَفَ وَهَزَرُ إِلَى كِسْرَى
 بَعْدَ أَنْ خَلَفَ سَيْفًا عَلَى الْيَمِينِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْفَرَسِ سَمَّوْهُ إِلِيَهُ عَلَى
 فَرِيضَةٍ يُودِيهَا كُلُّ عَامٍ . وَجَعَلَهُمْ لِنَظَرِ ابْنِ ذِي يَزَنَ وَأَرْزَلَهُ بِصَنَمَاءُ .
 وَأَنْفَرَدَ ابْنُ ذِي يَزَنَ بِسُلْطَانِهِ وَزَلَ قَهْرَ الْمَلِكِ وَهُوَ رَأْسُ عُثْمَانَ .
 يُقَالُ إِنَّ الصَّخَالَ بَنَاهُ عَلَى أَسْمِ الزُّهْرَةِ وَهُوَ أَحَدُ الْبُيُوتِ السَّبْعَةِ الْمَوْضُوعَةِ
 عَلَى أَسْمَاءِ الْكُوَاكِبِ وَرُوحَانِيَّتُهَا . خَرِبَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ . وَلَمَّا اسْتَوْثَقَ
 لِدِي يَزَنَ الْمَلِكُ جَعَلَ يَتَسَفَّ الْحَبْشَةَ وَيَمْتَلُهُمْ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا
 الْقَلِيلُ جَعَلَهُمْ خَوْلًا وَاتَّخَذَ مِنْهُمْ طَوَائِيرَ يَسْعُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالْجِرَابِ .
 فَخَرَجَ يَوْمًا وَهُمْ يَسْعُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَلَمَّا أَنْفَرَدُوا بِهِ عَنِ النَّاسِ رَمَوْهُ
 بِالْجِرَابِ فَتَلَّوهُ . فَأَرْسَلَ كِسْرَى عَامِلًا عَلَى الْيَمِينِ وَأَتَمَّرَتْ عَمَلُهُ إِلَى أَنْ
 كَانَ آخِرُهُمْ بَاذَانَ فَأَسْلَمَ وَصَارَتْ الْيَمِينُ لِلْإِسْلَامِ . (لابن خلدون)

٢ خبر الملوك المناذرة بني كهلان في العراق

تَمَلَّكَ مَلِكُ بَنِ ضَهْمٍ وَجَنِيَّةِ الْإِيرَاقِ

٤٠٣ أَمَّا أَخْبَارُ الْعَرَبِ بِالْعِرَاقِ فِي الْجِيلِ الْأَوَّلِ فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا تَفَاصِيلُهَا وَشَرَحُ حَالِهَا . إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا حَدَّثَ سَيْلُ الْعَرَمِ تَمَزَّقَتْ عَرَبُ الْيَمَنِ مِنْ مَدِينَةِ مَأْرَبَ إِلَى الْعِرَاقِ وَالشَّامِ . فَكَانَتْ تَتَوَخَّعُ وَفُضَاعَةٌ وَمَا حَيَّانٍ مِنْ أَحْيَاءِ الْأَزْدِ مِنْ بَنِي كَهْلَانَ يَمْنُ تَمَزَّقَ إِلَى الْعِرَاقِ . فَقَالَ مَلِكُ بَنِ ضَهْمٍ الْأَزْدِيُّ لِمَالِكِ بْنِ الْقُضَاعِيِّ : نَقِمْ بِالْبَحْرَيْنِ وَتَتَخَافُ عَلَيَّ مَنْ تَوَانَا فَتَخَافُوا . فَسَمُوا تَتَوَخَّعَ وَذَلِكَ فِي أَيَّامِ مُلُوكِ الْأَطَوَّافِ فَنَظَرُوا إِلَى الْعِرَاقِ وَعَلَيْهَا طَائِفَةٌ مِنْ مُلُوكِهَا وَهِيَ شَاغِرَةٌ فَخَرَجُوا عَنْ الْبَحْرَيْنِ وَسَارَتْ الْأَزْدُ إِلَى الْعِرَاقِ مَعَ مَلِكِ بَنِ ضَهْمٍ الْأَزْدِيِّ . وَسَارَتْ قُضَاعَةٌ إِلَى الشَّامِ مَعَ مَالِكِ الْقُضَاعِيِّ

٤٠٤ وَأَوَّلُ مَنْ تَمَلَّكَ عَلَى تَتَوَخَّعَ فِي الْعِرَاقِ مَلِكُ بَنِ ضَهْمٍ (١٩٥ هـ) (للسَّجِجِ) وَكَانَ مَنَزَلُهُ بِالْأَنْبَارِ فَبَقِيَ بِهَا إِلَى أَنْ رَمَاهُ سُلَيْمَةُ بْنُ مَالِكٍ رَمِيَةً بِاللَّيْلِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ . فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّ سُلَيْمَةَ رَامِيهِ قَالَ :

حَزَانِي لَا حَزَاءَ اللَّهُ خَيْرًا سُلَيْمَةُ إِنَّهُ شَرٌّ أَجْرَانِي

أَعْلَمُهُ الرِّمَاءُ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

فَلَمَّا قَالَ هَذَيْنِ الْيَتِيمَيْنِ فَاطَظَ وَهَرَبَ سُلَيْمَةُ ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِ مَلِكِ جَذِيمَةَ الْأَنْبَرِشِ . (٢١٥ ب م) وَكَانَ ثَاقِبَ الرَّأْيِ بَعِيدَ الْمَنَازِلِ شَدِيدَ الْكَفَايَةِ ظَاهِرَ الْحَزَمِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ غَزَا بِالْحَيُوشِ وَشَنَّ الْغَارَاتِ عَلَى

قَبَائِلُ الْعَرَبِ وَكَانَ بِهِ رِصٌّ فَكَبَّرَتْهُ الْعَرَبُ عَلَى أَنْ تَنْتَعَهُ بِهِ إِعْظَامًا
فَسَمَّيَتْهُ جَذِيمَةَ الْأَثَرِشِ وَجَذِيمَةَ الْوَضَّاحِ . وَاسْتَوْلَى عَلَى السَّوَادِ مَا بَيْنَ
الْحِيرَةِ وَالْأَنْبَارِ وَسَائِرِ الْأَرْضِ الْمُجَاوِرَةِ لِبَادِيَةِ الْعَرَبِ وَكَانَ يُجْبِي
أَمْوَالَهَا . وَغَزَا طَسَمًا وَجَدِيسًا فِي مَنَازِلِهَا مِنْ أَلِيَمَةِ . وَفِيهِ قَالَ الشَّاعِرُ :
أَضْحَى جَذِيمَةُ فِي الْأَنْبَارِ مَنْزِلُهُ قَدْ حَارَ مَا جَمَعَتْ فِي عَصْرِهَا عَادُ
فَطَالَ مُلْكُهُ إِلَى أَنْ أَدْرَكَ مُلْكُ سَابُورَ بْنِ أَشَكَ . وَكَانَ جَذِيمَةُ
مَلِكًا مَعْدِيًّا وَبَعْضُ الْيَمَنِ وَغَزَا فِي آخِرِ عُمْرِهِ الشَّامَ فَقَتَلَ عَمْرُو بْنُ حَسَّانَ
ابْنَ أُذَيْنَةَ وَالِدَ الزَّبَاءِ مَلِكَةَ الطَّوَافِ . فَأَنْطَوَتْ لَهُ الزَّبَاءُ عَلَى طَلَبِ النَّارِ
حَتَّى قَتَلَتْهُ . وَكَانَ مُلْكُ جَذِيمَةَ ثَمُوحَ سِتِينَ سَنَةً بِالتَّحْرِيكِ (لحزرة الاصفهاني)

ملك عمرو بن عدي

٤٠٥ قَوْرَثُ الْمَلِكِ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُ أُخْتِهِ عَمْرُو بْنُ عَدِيِّ (٢٦٨) وَأُمُّهُ
رَقَاشُ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ الْحِيرَةَ مَنْزِلًا مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ . وَأَوَّلُ مَلِكٍ
يَعُدُّهُ الْحِيرِيُّونَ فِي كُتُبِهِمْ مِنْ مُلُوكِ عَرَبِ الْعِرَاقِ وَمُلُوكِ الْعِرَاقِ إِلَيْهِ
يَنْسَبُونَ وَهُمْ عَمْرُو يَطْلُبُ النَّارَ مِنَ الزَّبَاءِ بِجَاهِ جَذِيمَةَ . فَلَمَّا أَحْسَسَتْ
الزَّبَاءُ بِنَيْتِهِ تَحَصَّنَتْ فِي مَقِيلٍ فَصَارَتْ أَمْنٌ مِنْ عِقَابِ . فَمَعَدَّ عَمْرُو إِلَى
قَصِيرٍ وَزَيْدٍ فَمَجَّدَعَ أَنْفَهُ بِمَوَاطِئَةٍ مِنْهُ عَلَى ذَلِكَ . فَلَمَّا فَتَحَ بِالزَّبَاءِ يَشْكُو مَا
أَصَابَهُ مِنْ عَمْرُو وَأَنَّهُ أَتَمَّهُ بِمُدَاخَلَةِ الزَّبَاءِ فِي أَمْرِ خَالِهِ جَذِيمَةَ فَقَالَ :
وَمَا رَأَيْتُ بَعْدَ مَا فَعَلَ بِي أَنْكِي لَهُ مِنْ أَنْ أَكُونَ مَعَكَ . فَاتَّكَرَتْهُ وَقَرَّبَتْهُ
حَتَّى إِذَا رَضِيَ مِنْهَا مِنْ الْوُثُوقِ بِهِ غَرَّهَا وَأَسْلَمَ حِصْنَهَا إِلَى عَمْرُو . فَلَحَقَهَا

بِالسَّيْفِ وَأَصَابَ مَا أَصَابَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَنْكَرَ رَاجِعًا . فَبَقِيَ عَمْرُو مَلِكًا
مُدَّةَ عَمْرِهِ مُنْقَرِدًا بِمُلْكِهِ مُسْتَبِدًّا بِأَمْرِهِ يَنْزُو الْمَغَازِي وَيُصِيبُ الْغَنَائِمَ
وَتُجْبَى إِلَيْهِ الْأَمْوَالُ وَتَفِدُ عَلَيْهِ الْوُفُودُ دَهْرَهُ الْأَطْوَلُ . لَا يَدِينُ
لِلْمُلُوكِ الطُّوَاقِبِ بِالْعِرَاقِ حَتَّى قَدِمَ أَزْدَشِيرُ بْنُ بَابَكٍ فِي أَهْلِ قَارِسَ
أَرْضِ الْعِرَاقِ . فَضَبَطَهَا وَهَرَمَ مِنْ كَانَ لَهُ بِهَا مُنَاوِنًا حَتَّى حَمَلَهُمْ عَلَى مَا
أَرَادَ مِمَّا يُوَافِقُهُمْ وَمِمَّا لَا يُوَافِقُهُمْ . فَكَرِهَ كَثِيرٌ مِنْ تَنُوحِ مُجَاوَرَةِ الْعِرَاقِ
عَلَى الصَّغَارِ . فَخَرَجَ مِنْ كَانَ مِنْهُمْ مِنْ قِبَالِ قُضَاعَةَ الَّذِينَ كَانُوا أَقْبَلُوا
مَعَ مَلِكٍ فَلَحِقُوا بِالشَّامِ وَأَنْصَحُوا إِلَى مَنْ هُنَاكَ مِنْ قُضَاعَةَ . فَكَانَ أَنْاسٌ
مِنْ الْعَرَبِ يُخَدِّثُونَ أَحَدَانَا فِي قَوْمِهِمْ أَوْ تَضِيقُ مَيْثُتَهُمْ فَيَخْرُجُونَ
إِلَى رَيْبِ الْعِرَاقِ وَيَنْزِلُونَ الْحِيرَةَ فَكَانَ ذَلِكَ عَلَى أَكْثَرِهِمْ لُحْنَةً .
فَصَارَ أَهْلُ الْحِيرَةِ ثَلَاثَةَ أَثْلَافٍ . الْأَثْلُ الْأَوَّلُ تَنُوحٌ وَهُمْ مَنْ كَانَ
يَسْكُنُ الْمِظَالَّ وَيُوتِ الشَّعْرَ وَالْوَرِي فِي غَرْبِي الْفَرَاتِ مَا بَيْنَ الْحِيرَةِ
إِلَى الْأَنْبَارِ فَمَا قَوْعَهَا . وَالْأَثْلُ الثَّانِي الْمَبَادُ وَهُمْ الَّذِينَ سَكَنُوا رُقَصَةَ
الْحِيرَةِ فَأَبْتَوْا بِهَا . وَالْأَثْلُ الثَّالِثُ الْأَخْلَافُ . وَعَمَرَتِ الْحِيرَةُ أَيَّامَ
مُلْكِ عَمْرِو بْنِ عَدِي بِاتِّخَاذِهِ مَنْزِلًا لِأَيَّاهَا . وَعَظُمَ شَأْنُهَا إِلَى أَنْ وَضِعَتْ
الْكُوفَةُ وَتَرَاهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ (للتويزي وحمة الاصفهاني)

ملك لمري القيس البدو والخرق والتعمان الاعور السامخ

٤٠٦ ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِ عَمْرِو بْنِ عَدِي أَمْرُؤُ الْقَيْسِ الْبَدُو وَهُوَ الْأَوَّلُ
فِي كَلَامِهِمْ (٢٨٨ - ٣٣٨ ب م) وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَنَصَّرَ مِنْ مُلُوكِ آلِ

نَصْرَ وَعَمَالِ الْفَرَسِ . ثُمَّ وَلِيَ مَكَانَهُ ابْنُهُ عَمْرُو (٣٣٨-٣٦٣) ثُمَّ
عَقِبَهُ أَوْسُ بْنُ قَلَامٍ الْعَمَلِيُّ خَمْسَ سِنِينَ . ثُمَّ تَارَ بِهِ حُجْبًا أَحَدُ بَنِي
فَارَازَانَ قَتَلَهُ . (٣٦٨ ب م) وَوَلِيَ مَكَانَهُ مُدَّةً ثُمَّ وَلِيَ مِنْ بَعْدِهِ أَمْرُو
الْقَيْسِ (الثاني) . (٣٦٨-٣٩٠ ب م) وَيُصْرَفُ أَمْرُو الْقَيْسِ هَذَا
بِالنَّذِيرِ وَالْحَرَقِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ عَاقَبَ بِالنَّارِ وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْأَسُودُ
أَنَّهُ يَصْرَفُ فِي قَوْلِهِ : مَاذَا أَوَمِلُ بَعْدَ آلِ حَرَقٍ . ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ
الْثُّعْمَانُ الْأَعْوَرُ السَّائِجُ وَهُوَ بَابِي الْخَوَرْتَقِ وَالسَّيْدِ (*) وَكَانَ
الْثُّعْمَانُ هَذَا فِي أَيَّامِ يَزْدَجَرٍ دَفَعَ إِلَيْهِ ابْنُهُ بَهْرَامُ لِيُريَهُ وَأَمَرَ
بِبِنَاءِ الْخَوَرْتَقِ مَسْكِنًا لِأَنَّهُ فَاسَكَنَهُ إِيَّاهُ . وَأَحْسَنَ تَرْبِيَتَهُ وَتَأْدِيبَهُ .
وَجَاءَهُ بَيْنَ يَلَمِنَهُ الْجَلَالُ مِنَ الْعُلُومِ وَالْآدَابِ وَالْفَرُوسِيَةِ حَتَّى اكْتَمَلَ
عَلَى ذَلِكَ بِمَارِضِيهِ . وَكَانَ الثُّعْمَانُ مِنْ أَشَدِّ مُلُوكِ الْعَرَبِ نِكَايَةً فِي
الْأَعْدَاءِ وَابْعَدَهُمْ مَغَارًا قَدْ أَتَى الشَّامَ بِرَارًا كَثِيرَةً وَكَثُرَ الْمَصَائِبُ
فِي أَهْلِهَا وَسَبَى وَغَنِمَ . وَكَانَ مَلِكُ فَارِسَ يُنْهَضُ مَعَهُ كَتِيبَتَيْنِ الشَّهْبَاءِ
وَأَهْلَاهُ الْفَرَسُ وَدَوَسَرُ وَأَهْلَاهُ تَوَخُّ . فَكَانَ يَفْرُو بِهِمَا مَنْ لَا يَدِينُ لَهُ مِنْ
الْعَرَبِ . وَكَانَ عَارِمًا حَازِمًا ضَاطِعًا إِلَيْكَ قَدْ اجْتَمَعَ لَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ
وَالْخَوَلِ وَالرَّقِيقِ مَا لَمْ يَمْلِكْهُ أَحَدٌ مِنَ مُلُوكِ الْحَيَرَةِ . وَالْحَيَرَةُ يَوْمَئِذٍ
سَاحِلُ الْأَقْرَابِ . وَلَمَّا أَتَى عَلَى الثُّعْمَانِ ثَلَاثُونَ سَنَةً تَضَرَّعَ عَلَى يَدِ بَعْضِ
وُزَرَائِهِ ثُمَّ زَهَدَ وَتَرَكَ الْمُلْكَ وَلَيْسَ لِمُسُوحٍ وَذَهَبَ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ أَثَرٌ (*)

ملك المنذر الاول والنعمان الثاني والاسود وامرو القيس الثالث

٤٠٧ وَلَمَّا تَرَهَّدَ النُّعْمَانُ قَوْلَى الْأَمْرِ ابْنَهُ الْمُنْذِرُ الْأَوَّلُ (٤٢٠ ب م)
وَكَانَ أَهْلُ فَارِسَ وَلَوْا عَلَيْهِمْ مَخْصَصًا مِنْ وَلَدِ أَرْدَشِيرَ وَعَدَلُوا عَنْ بَهْرَامَ
لِنَشْهِ بَيْنَ الْعَرَبِ وَخُلُوءٍ مِنْ آدَابِ النُّجُومِ . وَأَسْتَجَدَّ بَهْرَامُ بِالْعَرَبِ
فَقَبِضَ الْمُنْذِرُ الْعَسَاكِرَ لِبَهْرَامَ لِيَطْلُبَ مُلْكِهِ . وَحَاصَرَ مَدِينَةَ الْمَلِكِ فَأَذْعَنَ
لَهُ فَارِسٌ وَأَطَاعُوهُ . وَأَسْتَوْهَبَ الْمُنْذِرُ ذُرُوبَهُمْ مِنْ بَهْرَامَ فَقَعَا عَنْهُمْ . وَاجْتَمَعَ
أَمْرُهُ . وَرَجَعَ الْمُنْذِرُ إِلَى بِلَادِهِ وَشَغِلَ بِالْأَهْلِ إِلَى مَوْتِهِ . (٤٦٢ ب م)
وَمَلَّكَ مَكَانَهُ النُّعْمَانُ الثَّانِي وَكَانَ وَزِيرُهُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ النَّعْرَانِيَّ
فَقَرَّهَذَا (٤٦٩) . (*) وَمَلَّكَ مَكَانَهُ أَخُوهُ الْأَسْرَدُ وَهُوَ الَّذِي انْتَقَرَ
عَلَى عَسَاكِرِ عَرَبِ الشَّامِ وَأَسْرَعَ عِدَّةً مِنْ مُلُوكِهِمْ ثُمَّ هَلَكَ (٤٩١) . وَمَلَّكَ
أَخُوهُ مُنْذِرُ الثَّانِي سَبْعَ سِنِينَ ثُمَّ ابْنُ أَخِيهِ (٤٩٨) ثُمَّ انْتَقَرَ
أَسْخَافَ أَبُو يَمْرُوتَ عُلُقَةَ الذُّمَيْلِيَّ (٥٠٣) وَذَمِيلُ بَطْنٍ مِنْ لَحْمٍ . ثُمَّ
مَلَّكَ أَمْرُ الْقَيْسِ الثَّانِي (٥٠٦) هَذَا هُوَ الَّذِي غَزَا بَكْرًا يَوْمَ أَوَارَةَ
فِي دَارِهَا فَكَانَتْ بَكْرٌ قَبْلَهُ تُتَيْمُ أَوْ دَمْلُوكِ الْخَيْرَةِ وَتَضُدُهُمْ . وَهُوَ
أَيْضًا بَانِي الْعُذَيْبِ وَالصَّنْبَرِ وَفِيهِمَا يَقُولُ جُبَيْرُ بْنُ بُلُوغٍ :

لَيْتَ شِعْرِي مَتَى تَخْبُ بِنَا النَّأْمَةُ نَحْوَ الْعُذَيْبِ وَالصَّنْبَرِ

ملك المنذر الثالث والنعمان قابوس

٤٠٨ وَلَمَّا هَلَكَ أَمْرُ الْقَيْسِ الثَّانِي مَلَّكَ الْمُنْذِرُ الثَّانِي ابْنَهُ وَهُوَ ذُو

الْقَرْنَيْنِ اِضْفِيرَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ مِنْ شَعْرِهِ وَامَةُ مَا السَّمَاءُ . قَالَ الْجَنَابِيُّ :
وَكَانَ هَذَا الْقَبَا لِي عَامِرِ الْأَزْدِيِّ لِأَنَّهُ كَانَ يُعِيْمُ مَالَهُ مَقَامَ الْقَطْرِ أَيِ
عَطَاءٍ وَجُودًا فَغَلَبَ عَلَى نَدْيِهِ لِأَنَّهُمْ خَلَفُ مِنْهُ . وَذَكَرَ أَنَّ مَرْثَةَ بَنِ كَثُومٍ
قَتَلَهُ لِحَمْسِينَ سَنَةً مِنْ مُلْكِهِ . (٥٦٢ ب م) ثُمَّ مَلَكَ بَدَهُ ابْنُهُ عَمْرُو بْنُ
هِنْدٍ الْمُلُكُ بِأَحْمَرٍ رَهْنَدُ أُمِّهِ . وَكَانَ شَدِيدَ السُّلْطَانِ غَزَا نَجِيمًا
فِي دَارِهَا قَتَلَ مِنْ بَنِي دَارِمٍ مَائَةَ يَوْمٍ أَوَادَةَ الثَّانِي بِأَخِيهِ أَسْعَدَ بْنِ
الْمُنْذِرِ وَكَانَ مُلْكُهُ سِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً . (٥٧٨) ثُمَّ وَلِيَ شَقِيقُهُ قَابُوسُ أَرْبَعَ
سِنِينَ فِي زَمَنِ أَنْوَشَرَوَانَ . وَكَانَ فِيهِ لِينٌ وَكَانَ ضَعِيفًا مَهِنًا قَتَلَهُ رَجُلٌ
مِنْ يَشْكُرَ وَسَلَبَهُ . (٥٨٢) ثُمَّ مَلَكَ الْمُنْذِرُ الرَّابِعُ أَخُوهُ سَنَةً وَاحِدَةً
ثُمَّ التُّعْمَانُ الرَّابِعُ أَبُو قَابُوسَ (٥٨٢ - ٦٠٤) وَهُوَ صَاحِبُ النَّابِغَةِ
الَّذِي بَاتِي الَّذِي بَنَى الْقَرْنَيْنِ وَتَصَرَّ (التُّوْرِي وَالْمَسْعُودِي)

خبر تضرع التعمان

٤٠٩ كَانَ التُّعْمَانُ بْنُ مَادِ السَّمَاءِ الْمُلُكُ بِأَبِي قَابُوسَ قَدْ نَادَمَهُ
رَجُلَانِ مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَحَدُهُمَا خَالِدُ بْنُ الْمُضَلَّلِ وَالْآخَرُ عَمْرُو بْنُ
مَسْعُودٍ فَأَغْضَبَاهُ فِي بَعْضِ الْمُنْطِقِ . فَأَمَرَ بِأَنْ يُخْفَرَ لِكُلِّ وَاحِدٍ حَفِيرَةٌ
يُظْهَرُ أَلْيَرَةٌ ثُمَّ يُجْعَلُ فِي تَابُوتَيْنِ وَيُدْفَنَا فِي الْحَفْرَتَيْنِ . فَفَعِلَ ذَلِكَ
بِهِمَا حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ سَأَلَ عَنْهُمَا أَخْبَرَهُمَا لَا كَيْفَهُمَا . فَتَدِيمَ عَلَى ذَلِكَ وَغَمَّهُ
وَفِي عَمْرُو بْنِ مَسْعُودٍ وَخَالِدِ بْنِ الْمُضَلَّلِ يَقُولُ شَاعِرُ بَنِي أَسَدٍ :
يَا قَبْرَ بَيْنَ يَوْتِ آلِ مُحَرِّقٍ جَادَتْ عَلَيْكَ رَوَاعِدُ وَرَوَقُ

أَمَّا الْبُكَاءُ فَقَدْ غَنَى عَنْكَ كَثِيرُهُ وَلَنْ بَكَيْتَ فَلِلْبُكَاءِ خَلِيقُ
ثُمَّ رَكِبَ النُّعْمَانُ حَتَّى نَظَرَ إِلَيْهِمَا فَأَمَرَ بِنْتَهُ الْفَرِيدَيْنِ عَلَيْهِمَا . فَبَيْنَمَا
وَجَعَلَ لِنَفْسِهِ يَوْمَيْنِ فِي السَّنَةِ يَجْلِسُ فِيهِمَا عِنْدَ الْفَرِيدَيْنِ يُسَمِّي أَحَدَهُمَا
يَوْمَ نَعِيمٍ وَالْآخَرَ يَوْمَ بُؤْسٍ . فَأَوَّلَ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْهِ يَوْمَ نَعِيمِهِ يُعْطِيهِ
مِائَةً مِنَ الْأَبْلِ شُومًا أَيْ سَوْدًا . وَأَوَّلَ مَنْ يَطْلُعُ عَلَيْهِ يَوْمَ بُؤْسِهِ
يُعْطِيهِ رَأْسَ ظَرْبَانٍ أَسْوَدَ ثُمَّ يَأْمُرُ بِهِ فَيَذْبَحُ وَيُقْرِى بِهِ الْفَرِيدَانِ .
فَلَبِثَ بِذَلِكَ بُرْهَةً مِنْ ذَهْرِهِ حَتَّى مَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ طَيِّئٍ يُقَالُ لَهُ
حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَفْرَاءَ . كَانَ أَوَى النُّعْمَانِ فِي خَبَاءِهِ يَوْمَ خَرَجَ إِلَى
الصَّيْدِ وَانْفَرَدَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ بِسَبَبِ الْمَطَرِ . فَرَجَبَ بِهِ حَنْظَلَةُ وَهُوَ لَا
يَعْرِفُهُ وَذَبَحَ لَهُ شَاةً فَأَطْعَمَهُ مِنْ لَحْمِهَا وَسَقَاهُ لَبَنًا . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ
النُّعْمَانُ وَافِدًا إِلَيْهِ سَاءَ ذَلِكَ وَقَالَ لَهُ : يَا حَنْظَلَةُ هَلَا أَتَيْتَ فِي ذَهْرِ
هَذَا الْيَوْمِ . فَقَالَ : أَبَيْتُ الْأَمْنَ لَمْ يَكُنْ لِي عِلْمٌ بِمَا أَتَيْتَ فِيهِ . فَقَالَ لَهُ :
أَبَشِّرْ بِقَتْلِكَ . فَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ قَدْ أَتَيْتُكَ زَائِرًا لِأَهْلِي مِنْ خَيْرِكَ
مَأْرَافًا فَلَا تَكُنْ مِثْرَتَهُمْ قَتْلِي . فَقَالَ : لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ فَاسْأَلْ حَاجَةً
أَقْضِيهَا لَكَ فَقَالَ نَوَّجْنِي سَنَةً أَرْجِعُ فِيهَا إِلَى أَهْلِي وَأَحْكُمُ مِنْ أَمْرِهُمْ
مَا أَرِيدُ ثُمَّ أَصِيرُ إِلَيْكَ فَأَنْفِذَ فِي حُكْمِكَ . فَقَالَ : وَمَنْ يَكْفُلُ بَكَ
حَتَّى تَعُودَ فَنَظَرَ فِي وَجْهِهِ جُلُوسًا لَهُ فَعَرَفَ مِنْهُمْ شَرِيكَ بْنَ عَمْرِو بْنِ قُلْثُومٍ
يَا شَرِيكَ يَا ابْنَ عَمْرِو . يَا أَخَا مَنْ لَا لَحَالَه
يَا أَخَا شَيْبَانَ فُكَّ الْيَوْمَ رَهْنًا قَدْ أَنَا لَهُ

يَا أَخَا كُلِّ مُصَابٍ وَحِيَا مَنْ لَا حِيَالَةَ
 إِنَّ شَيْدَانَ قَيْسِلُ أَكْرَمَ اللَّهِ رِجَالَهُ
 وَأَبُوكَ الْحَزِيرُ عَمَرُوا وَشَرَّاجِيلُ الْحِمَالَةِ
 رَقَّكَ الْيَوْمَ فِي التَّجْدِ وَفِي حُسْنِ الْمَقَالَةِ

قَوَّبَ شَرِيكَ وَقَالَ: أَبَيْتَ اللَّعْنُ يَدِي بِيَدِهِ وَدَمِي بِدَمِهِ
 وَأَمَرَ الطَّاءِي بِخَمْسِ مِائَةِ نَاقَةٍ. وَقَدْ جَعَلَ الْأَجَلَ عَامًا كَامِلًا مِنْ
 ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى مِثْلِهِ مِنَ الْقَابِلِ. فَلَمَّا حَالَ الْحَوْلُ وَقَدْ بَقِيَ مِنَ الْأَجَلِ
 يَوْمٌ وَاحِدٌ قَالَ النُّعْمَانُ لِشَرِيكَ: مَا أَرَاكَ إِلَّا هَالِكًا غَدًا أَخْدَاءَ لِحَنَظَلَةٍ.
 فَقَالَ شَرِيكَ: فَإِنْ يَكُ صَدْرُ هَذَا الْيَوْمِ وَلِي فَإِنَّ غَدًا إِنَّا ظَرِهُ قَرِيبٌ.
 فَذَهَبَ قَوْلُهُ مَهْلًا. وَلَمَّا أَصْبَحَ وَفَّ النُّعْمَانُ بَيْنَ قَبْرِي نَدِيمِيهِ وَأَمَرَ
 بِقَتْلِ شَرِيكَ. فَقَالَ لَهُ وَزَرَاؤُهُ: لَيْسَ لَكَ أَنْ تَمُتَهُ حَتَّى يَسْتَوِي
 يَوْمُهُ. فَتَرَكَهُ النُّعْمَانُ وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَمُتَ لَهُ لِيَتَحَيَّ الطَّاءِي. فَلَمَّا
 كَادَتِ الشَّمْسُ تَبِيبُ قَامَ شَرِيكَ مُجَرَّدًا فِي إِزَارٍ عَلَى النَّطْعِ وَالسَّيَافِ
 إِلَى جَانِبِهِ. وَكَانَ النُّعْمَانُ أَمَرَ بِقَتْلِهِ فَلَمْ يَشْعُرْ إِلَّا بِرَأْسِهِ قَدْ ظَهَرَ
 فَإِذَا هُوَ حَنَظَلَةُ الطَّاءِي قَدْ تَكَمَّنَ وَتَحَنَّنَ وَجَاءَ بِنَادِيَتِهِ. فَلَمَّا رَأَاهُ
 النُّعْمَانُ قَالَ: مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ وَقَدْ أَقْلَتَ مِنَ الْقَتْلِ. قَالَ: الْوَفَاءُ.
 قَالَ وَمَا دَعَاكَ إِلَى الْوَفَاءِ. قَالَ: إِنَّ لِي دِينًا يَتَعْنِي مِنَ الْعَذْرِ. قَالَ:
 وَمَا دِينُكَ. قَالَ: النُّصْرَانِيَّةُ. قَالَ: فَأَعْرِضْهَا عَلَيَّ. فَعَرَضَهَا فَتَصَرَّرَ
 النُّعْمَانُ. وَتَرَكَ تِلْكَ السَّنَةَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَعَفَا عَنْ شَرِيكَ وَالطَّاءِي.

وَقَالَ : مَا أَذْرِي أَيْكُمَا أَكْرَمُ وَأَوْفَى أَهَذَا الَّذِي نَجَا مِنَ السَّيْفِ فَمَدَّ
إِلَيْهِ أَمَ هَذَا الَّذِي ضَمِنَهُ . وَأَنَالَ أَكُونُ أَلَامُ الثَّلَاثَةِ . قَالَ الْمِيدَانِيُّ : وَتَعَرَّ
مَعَ الثُّعْمَانِ أَهْلُ الْحِيرَةِ أَجْمَعُونَ وَبَنَى الثُّعْمَانُ فِي حَاضِرَةِ مُلْكِهِ الْكَتَائِسَ
الْعَظِيمَةَ . وَقَتْلَهُ كِسْرَى بْنُ هُرْمُزٍ أَرْوَيْ (٦٠٤ ب م) وَأَنَّهُ طَعَمَ الْمَلِكُ
عَنْ لَحْمِهِ . وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ ظَهَرَ الْإِسْلَامُ بَعْدَ زَمَانٍ (الافغاني)

٣ الساسة ملوك الشام بنوكهلان

٤١٠ كَانَ آلُ جَفْنَةَ عُمَالُ الْقِيَاصَةِ عَلَى عَرَبِ الشَّامِ كَمَا كَانَ
الْمُنَادِرَةُ آلُ نَصْرِ فِي آخِرِ أَمْرِهِمْ عُمَالًا لِلْأَكْبَادَةِ عَلَى عَرَبِ الْعِرَاقِ .
وَأَصْلُهُمْ مِنَ الْإِيمَنِ مِنَ الْأَزْدِ بَنِي كَهْلَانَ لِأَنَّ الْأَزْدَ لَمَّا أَحْسَتْ
بِمَارِبِ انْتِخَاصِ الْعَرَمِ وَخَشِيتِ السَّيْلَ تَفَرَّقَتْ . فَتَشْتَمُ قَوْمُ فَزَلُوا
عَلَى مَا يُقَالُ لَهُ غَسَّانُ فَصَيَّرُوهُ شَرِيهْمَ فَسَمَّوْا غَسَّانَ . ثُمَّ أَتَوْهُمْ ثَمَلَةُ
ابْنُ عَمْرِو النَّسَائِيَّ بِبَادِيَةِ الشَّامِ وَالْمُلُوكُ بِهَا مِنْ قَبْلِ الْقِيَاصَةِ . وَكَانُوا
يَدِينُونَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ . وَلَمَّا تَلَتْ غَسَّانُ فِي أَرْضِ الشَّامِ كَانَ بِهَا قَوْمٌ
مِنْ سَلِجٍ فَضَرَبُوا عَلَى النَّسَائِيَّةِ الْإِنَاوَةَ وَكَانَ الَّذِي يَلِي جَبَاتِهَا سَيْطَانًا
مِنْهُمْ فَاسْتَبَطَاهُمْ فَصَدَّ سَيْطُ ثَمَلَةَ رَأْسَهُمْ وَقَالَ : لَتَجَنَّ لِي الْإِنَاوَةُ
أَوْ لَا أَخْذَنُ أَهْلَكَ . وَكَانَ ثَمَلَةُ حَلِيمًا قَالَ : هَلْ لَكَ فِي مَنْ يُرِيحُ عِلَّتَكَ
بِالْإِنَاوَةِ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : عَلَيْكَ بِأَخِي جَذَعِ بْنِ عَمْرِو . وَكَانَ جَذَعٌ قَانِكًا .
فَأَتَاهُ سَيْطُ وَخَاطَبَهُ بِمَا كَانَ خَاطَبَ بِهِ ثَمَلَةَ فَخَرَجَ عَلَيْهِ وَمَعَهُ سَيْفٌ
مُنْهَبٌ وَقَالَ فِيهِ عِوَضٌ مِنْ حَيِّكَ إِلَى أَنْ أَجْعَلَ لَكَ الْإِنَاوَةَ . قَالَ :

نعم . قال : فخذهُ . فَنَاقَلَ سَيْطُ جَنَ السَّيْفِ وَاسْتَلَّ جَذْعَ نَهْ لَهُ
وَضْرَبَهُ بِهِ . فَقِيلَ : خُذْ مِنْ جَذْعِ مَا أَعْطَاكَ فَذَهَبَتْ مَثَلًا . فَوَقَعَتْ
الْحَرْبُ بَيْنَ سَلِيمٍ وَعَسَّانَ فَأَخْرَجَتْ عَسَّانُ سَلِيمًا مِنَ الشَّامِ وَصَارُوا
مُلُوكًا . وَاسْتَقَرَّ لِمَكِّ الْقَسَاسِيَّةِ ٤٠٠ سَنَةً بِدَيْفٍ (*) (الحزبة الاصفهاني)

ملوك كندة

* (لما كان من قصدنا استيفاء أخبار العرب أضفنا إليها أخبار كندة) م بنو زيد بن
كهلان . وكانت كندة قبل أن يملك حجرٌ عليهم بعير ملكٍ تأكل القوي الضعيف حتى ملك
حجرٌ وكان تبع حين أبلى سائرًا إلى العراق استعمله عليهم . فشدُّ أمورهم وسامهم أحسن
سياسةً وانتزع من الغنمين أرضهم وبقي صدره في مملكتهم مطاعًا لحسن سيرته (٥٠٣ ب م) .
ثم ملك بعده ابنه المقصور لأنه اقتصر على ملك أبيه . ثم استغفقه الحارث وعظم شأنه حتى
ولاه قباز ملك العجم على العراق مدة ثم طرده أنوشروان وادرج المُنذر الثالث فهرب
الحارث من وجهه ودخل ديار بني كلب فلم يلبث أن مات عندهم . وكان للحارث أربعة
بنين ولهم على قبائل كندة . وكان حجر أكبرهم متوليًا على بني اسد فقتلوا امرؤ وقتلوه . فقام
امروء القيس واستنجد بيكر وتطلب على بني اسد فأنجدهوه وهرب بنو اسد منهم وتبعهم فلم يظفر
بهم . ثم تحدت عنه بكرٌ وتطلب وتطلبه المُنذر بن ماء السماء . فتفرقت جموع امرؤ القيس
خوفًا من المُنذر وخاف امرؤ القيس من المُنذر . وصار يدخل على قبائل العرب وينتقل من
أناسٍ إلى أناسٍ حتى قصد السموءل بن عدياء اليهودي فأكرمه وأنزله . وأقام امرؤ القيس
عند السموءل ما شاء الله . ثم سار امرؤ القيس إلى قصر ملك الروم مستنجدًا به وأودع أدراؤه
عند السموءل بن عدياء المذكور . ومرَّ على حماة وشيزر ونال في سيره قصيدته المشهورة

بكي صاحبي لما رى الدرب دونهُ وألحق إننا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إننا نحاول مُلكًا أو نموت فَمَعْدَمَا

فأت امرؤ القيس بعد هروء من عند قيصر عند جبلٍ يقال له عيب . ولما علم بموته هلك قال :

أجارتنا إن الخطوب تنوبُ وإني مُقيمٌ ما أقام عيبُ

ولما مات امرؤ القيس سار الحارث بن أبي شمر القسائي إلى السموءل وطالبه بأدراج
امرؤ القيس وما له عنده وكانت الأدراج مائة وكان الحارث قد أسر ابن السموءل . فلما
استنجد السموءل من تسليم ذلك إلى الحارث قال الحارث : إما أن تُسلم الأدراج وإما تقتل
ابنك . فقال السموءل : لست أخفِرُ نعتي فاصنع ما شئت . فذبح ابنه والسموءل ينظر إليه

ذكر العرب المستعربة بني إسماعيل وهم القسم الثالث

٤١١ وَهُمْ بَنُو عَدْنَانَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ وَزَلُّوا الْحِجَازَ وَقَتَّلُوا سِدَانَةَ
الْكُمَيْةَ . وَإِنَّمَا الْحِجَازُ وَبِهَامَةُ كَانَا دِيَارَ الْعِمَالِقَةِ . وَكَانَ لَهُمْ مَلِكٌ
هَذَاكَ وَكَانَتْ جُرُهمُ مِنْ تِلْكَ الطَّبَقَةِ . وَكَانَتْ دِيَارُهُمْ أَيْمَنُ بَعْ
إِخْوَانِهِمْ مِنْ حَضْرَمُوتَ . وَأَصَابَ الْيَمَنُ قَحْطٌ فَهَرُّوا نَحْوَ بِهَامَةَ يَطْلُبُونَ
أَلْمَاءَ وَالْمَرْعَى وَعَثَرُوا فِي طَرِيقِهِمْ بِإِسْمَاعِيلَ مَعَ أُمِّهِ هَاجِرَ . فَأَخَذُوا
أَسْفَلَ مَكَّةَ وَأَقْتَلُوا مَعَ الْعِمَالِقَةِ فَأَبَادُوهُمْ . وَنَشَأَ إِسْمَاعِيلُ بَيْنَ
جُرُهمُ وَتَكَلَّمَ بِلُغَتِهِمْ وَتَرَوَّجَ مِنْهُمْ وَدَعَاهُمْ إِلَى الْوَحِيدِ وَتَوَفَّى بِلَامَةَ
وَتَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ عَمْرِهِ . وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ جُرُهمُ يَنْظُمُ بِمَكَّةَ وَيَسْتَفْجِلُ حَتَّى
وَلُّوا أَلَيْتَ الْحَرَامِ . وَكَانُوا وَلَايَةً وَحُجَابَهُ وَوَلَاةَ الْأَحْكَامِ بِمَكَّةَ . وَلَمَّا
طَلَّتْ وَلَايَةُ جُرُهمُ اسْتَحْلَوْا مِنَ الْحَرَمِ أُمُورًا عَظِيمًا وَاسْتَخَفُّوا بِحَرَمَةِ
أَلَيْتِ الْعَتِيقِ قَطَعَ اللَّهُ دَارَهُمْ لِأَنَّهُ لَمَّا خَرِبَ سَدُّ مَارِبٍ سَارَ عَمْرُو
أَبْنُ عَامِرٍ وَقَوْمُهُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ لَا يَطْأُونَ بَلَدًا إِلَّا غَلَبُوا عَلَيْهِ . فَلَمَّا
قَارَبُوا مَكَّةَ أَبَتْ جُرُهمُ أَنْ تَفْسَحَ لَهُمْ وَاسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَقَالُوا :
مَا حُجِبَ أَنْ تَنْزِلُوا فَتَضَيُّوا عَلَيْنَا مَرَاتِنَا وَمَوَارِدَنَا فَأَرْحَلُوا عَنْهَا حَيْثُ

وانصرف الملك على يأس . فضرِبَ العربُ بِوَالِثٍ فِي الْوَفَاءِ . وَقَالَ (السموئِلُ) :

وَفَيْتُ بِأُدْرِعِ الْكَدْمِيِّ إِلَى إِذَا مَا خَانَ أَقْوَامٌ وَفَيْتُ

بَنِي لِي طَادِيَا حَصَنًا حَصِينًا وَمَا كَلَّمَا شَنْتُ اسْتَفْتِ

وَفِيمَا تَرَلَقَ الْعَقِيَابُ عَنْهُ إِذَا مَا ثَانِي ضِمُّ أَيْتِ

وَأَرْمَى طَادِيَا قِدْمًا بِالْأُتَحْدِمُ يَاسْمُوئِيلَ مَا بَنَيْتُ

(لَا يِي الْعِدَاءِ)

أَحْيَيْتُمْ فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِجَوَارِكُمْ . فَأَقَامَتُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَانْتَهَزَمَ جُرُهُمُ فَلَمْ
يُفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ يُهْدِرُ دَمَهُ (٢٠٧ م) . ثُمَّ تَفَرَّقَتْ قَبَائِلُ الْيَمِينِ
وَأَخْرَجَتْ خُزَاعَةَ بِمَكَّةَ قَوْلُوا أَمْرَ مَكَّةَ وَحِجَابَةَ الْكَعْبَةِ . وَسَلَّ بَنُو
إِسْمَاعِيلَ السُّكْنَى مَعَهُمْ فَأَذْنُوا لَهُمْ . وَتَمَلَّكَ عَلَيْهِمْ لُحْيٌ وَهُوَ رَيْبَعَةٌ
أَبْنُ حَارِثَةٍ وَكَانَ فِيهِمْ شَرِيفًا سَيِّدًا مُطَاعًا وَبَلَغَ بِمَكَّةَ مِنَ الشَّرَفِ
مَا لَمْ يَبْلُغْ عَرَبِيٌّ قَبْلَهُ . وَكَانَ قَدْ ذَهَبَ اسْمُهُ فِي الْعَرَبِ كُلِّ مَذْهَبٍ
وَقَوْلُهُ فِيهِمْ دِينًا مُتَّبَعًا . وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَعْلَمَ الْحَاجَّ بِمَكَّةَ سَدَاقَ
الْأَيْلِ وَلِحْمَانَهَا عَلَى التَّرِيدِ . وَعَمَّ فِي تِلْكَ السَّنَةِ حَمِيعَ حَاجِّ الْعَرَبِ
بِثَلَاثَةِ أَتَوَابٍ مِنْ بُرُودِ الْيَمِينِ وَهُوَ الَّذِي بَحَرَ الْبَحِيرَةَ وَوَصَلَ الْوَصِيلَةَ
وَحَمَى الْحُسَامَ وَبَيَّبَ السَّائِبَةَ وَنَصَبَ الْأَصْنَامَ حَوْلَ الْكَعْبَةِ . فَكَانَتْ
فَرَيْسُ وَالْعَرَبُ تَسْتَسِيمُ عَنْدهُ بِالْأَزْلَامِ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ الْحَبِيبِيَّةَ
دِينَ إِبْرَاهِيمَ . وَأَقَامَتْ خُزَاعَةُ ثَلَاثَ مِائَةِ سَنَةٍ فِي سِدَائَةِ الْبَيْتِ حَتَّى
وَأَمَّ قُصَيُّ الْقُرَيْشِيِّ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ . وَعَظُمَ شَرْفُهُ فَرَأَى أَنَّهُ أَحَقُّ
بِالْكَعْبَةِ وَبِأَمْرِ مَكَّةَ . وَكَانَتْ وَلَايَةُ الْكَعْبَةِ لِأَيِّ غَبْشَانَ الْخَزَاعِيِّ
قَبَاعَهَا مِنْ قُصَيِّ بَرْقِ خَمْرِ قَبِيلٍ فِيهِ أَخْسَرُ مِنْ صَفَةِ أَيِّ غَبْشَانَ .
ثُمَّ دَعَا قُصَيُّ إِلَيْهِ رِجَالَاتِ فَرَيْسَ وَأَجْمَعَ لِحَرْبِ خُزَاعَةَ فَتَاجَرُوا
وَكَبَّرَ الْقَتْلَ . ثُمَّ صَالَحُوهُ عَلَى أَنْ يَحْكُمُوهُ الْكَعْبَةَ (٥٠٧ هـ م) . فَصَارَ
لِقُصَيِّ لَوَاهُ الْحَرْبِ وَحِجَابَةُ الْبَيْتِ وَتَمَنَّتْ فَرَيْسُ بِرَأْيِهِ وَصَرَفُوا
مَشُورَتَهُمْ إِلَيْهِ فِي قَلِيلٍ أُمُورِهِمْ وَكَثِيرِهَا . فَأَتَّخَذُوا دَارَ النَّدْوَةِ إِزَاءَ

الْكُتَيْبَةُ فَكَانَتْ مُجْتَمَعُ الْمَلَأِ مِنْ قُرَيْشٍ فِي مُشَاوَرَتِهِمْ وَمَعَاقِدِهِمْ .
ثُمَّ تَصَدَّى لِإِظْطَامِ الْحَاجِّ وَقَرَضَ عَلَى قُرَيْشٍ خَرَّاجًا يُوَدُّونَهُ . ثُمَّ
هَلَكَ قُصِيٌّ وَقَامَ بِأَمْرِ بَنُوهُ مِنْ بَعْدِهِ بِالْقِيَادَةِ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ حَتَّى
جَاءَ الْإِسْلَامُ (ملخص عن كتاب اخبار مكة للاذرقى)

(ملخص بتاريخ العرب)

اديان العرب

٢١٢ كانت العرب في أوّل أمرها على دين ابراهيم واسماعيل حتى قديم عمرو بن لحي يمسّم
يقال له هُبَل . وكان من أعظم اصنام قُرَيْشٍ عندهما فكان الرجل اذا قديم من سفرى بدأ به
على أهله بعد طوافه بالبيت وعلق رأسه عنده . وكان هُبَل من خرز العقيق على صورة انسان
وكانت يده اليمنى مكسورة فأدركته قُرَيْش فجعلت له يداً من ذهب . وكانت له خزنة
للقربان . وكانت له سبعة قِداح يضربون بها اذا مسّتهم الحاجة ويقولون : إِنَّا اخْتَلَفْنَا فَبِـ
الْتِرَاحِ . ان لم تغله فسر القِداح

وكان بالكعبة على يمينها حجر اسود . وما زال هذا الحجر معظماً في الجاهلية والاسلام .
تتبرك الناس به وتقرّ دونه وتقبله . وكان بأفلى مكة قد نُصِب صنم يُعرف بالْحَمَاة فكانوا
يلبسوها القلائد ويعدون اليها الشعير والحنطة . ويحبسون عليها اللبن ويذبحون لها ويهتفون
عليها بضع الثعالب . وكان لهم اصنام نصبوها على اسم السيارات من الكواكب . وهي المشري
وقيل ان اصل اسمه ذوشرأه اي ساطع النور . والرهرة وذحل والمريخ وغيرها من الثوابت .
ومن محبوباتهم أيضاً المناة واللات وعزى . وكانت المناة على ساحل البحر مما يلي أُنْدُيد .
وكانت هفيرة تراق عليها دماء الذبائح ويتمسون منها المطر في الحذب . وكانت اللات أيضاً
صخرة صنم للشمس اذا مرّ عليها الحاج يتشوقها بالسويق . وقيل أصلها من لاه اي ملا وعظم
ومنه اسم الجلالة . وأما العزى فكانت نخرة يعظمها قُرَيْش وبنو كنانة . ويطوفون بها بصد
طوافهم بالكعبة ويهتفون عندها يوماً . قال الكلبي : وكانت اللات والعزى ومناة في كل
واحدة منهن شيطان يكلمهم . وتراعى للسدنة وهم الحبيبة وذلك من صنيع إبليس وأمره . وكان
بنو حنيفة في الجاهلية اتخذوا لها عبوداً دهرًا طويلاً ثم أصابهم مجاعة فاكلوه . فقبل في ذلك :

أكلت حنيفة رجلاً زمن التهمم والجاه
لم يحذروا من رجم سوء العقوبة والنجاه

ومن أديانهم الجوسية أو الصابئة ونصبوا بحسب تلك الآراء الصابئة أصنام الذهب لشمس
وأصنام الفضة للقمر . وقسموا الممادين والأقاليم للكواكب . وزعموا أن قوى الكوكب
تفيض على تلك الأصنام . فتكلم تلك الأصنام وتوحي للناس أغنى الأصنام . وتعلم
الناس منافهم وكذلك قالوا في الأنهار التي هي من قسمة تلك الكواكب . إذا أوردت تلك
الشجرة لذلك الكوكب وغرست له وقيل لها كذا فاضت روحانية ذلك الكوكب على تلك
الشجرة . وتوحي للناس وتكلمهم في النوم . ومن أديانهم اليهودية في حبر وكنانة وبني الحارث
ابن كعب وكندة . وأما النصرانية فكانت انتشرت فيهم . قال القير وزابادي : إن قبائل شق من
بطون العرب اجتمعوا على النصرانية بالحيرة وهم المياد . وإن كثيراً من ملوك اليمن والحيرة
تتشرعوا . وأما ملوك غسان فكانوا كلهم نصارى وكانت النصرانية في ربيعة وأضاعة وجرا
وتيوخ وتغلب وبعض بني . وكانت قريش نصبت في جملة أصنامها في الكعبة مثال مريم مزوفاً
وابنها عيسى في حجرها قاعدًا مزوفاً . وذلك في العمود الذي يلي باب الكعبة ولم تطمس
صورهما بل بقيتا إلى عهد ابن زبير فهلكا في الحريق (الثوري والازرق)

٢ علوم العرب وآاجم

٢١٣ فأما علم العرب الذي كانوا يتفخرون به فعلم لسانهم وإحكام لغتهم ونظم الأشعار
وتأليف الخطب . وكانوا موسمين بين الامم بالبيان في الكلام والفصاحة في النطق والدلالة
في اللسان . وكان لهم مع هذا معرفة بأوقات طالع الحجوم ومفاسحها وطلم بانواء الكواكب
وامطارها . على حسب ما أدركوه بفرط العناية وطول الخبرة لاحتياجهم الى معرفة ذلك في
اسباب الحياة على طريق تعلم الحقائق . وأما علم الفلسفة فلم يهتمهم الله شيئاً منه ولا هياً
طبائهم العناية به . وكان الشعر ديوان خاصة العرب ونسبى حكمتها والمنظوم من كلامها
ولمقيد لآياتها والشاهد على حكاياها . به يأخذون واليه يصيرون . وكانوا لا ينجشون الا بغلام
يولد او شاعر يبيع فيهم او فرس تتج . قال الصفدي : بل ما كان للعرب ما يتفخرون به الا سيف
ولضيف والبلاغة . وكانوا كل حول يتقاطرون الى سوق كاظ وبقايون ويتشادون
ويتفخرون ويتماكلون . ولقد بلغ من كلف العرب بالشعر ونفسيها له أن حدث الى سبع
قصائد من الشعر القديم فكتبتها بلاء الذهب في القبايطي المدرجة . فقيل لها مذهبات وقد يقال
لها معلمات لاختلقت في أسرار الكعبة . أأ الكتابة تحكموا أن ثلاثة نفر من بني كانوا على دين
عيسى فوضوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية . فتعلمه قوم من الأبار وجاء
الإسلام وليس أحد يكتب العربية غير ضعة عشر إنساناً . ولقلة القراطين غدم عمدوا الى
كثيف الحيوان فكتبوا عليها . وكان الناس فرقتين أهل الكتاب والامتيون . والاني من كان
لا يعرف الكتابة . فكانت اليهود والنصارى بالمدينة والامتيون بمكة (لاني الفرج والحوهر)

فهرس الجزء الثالث من كتاب مجاني الادب

وجه	وجه
٦٣ ما ضرب به المثل من الحيوان وفيه	٣ الباب الأول في التدئين
٦٤ اتمار جارية مجرى المثل	٣ في كالاته تعالى
٦٥ الباب السادس في امثال من السنة	٤ الدماء لله
٦٨ الحيوانات	٧ منتقب من قصيدة علي بن ابي طالب
٦٨ البازي والديك برغوث وبعوضة	٩ محبة الله والثقة به
٦٩ اللبوة والغزال والقرد	١٢ الاستغفار الى الله
٧٢ ساءة	١٥ العالم العقلي
٧٦ قرد وغيلم	١٦ الباب الثاني في الزهد
٧٩ الفضة والرحل اسد وذئب وغراب	١٦ في الخوف زهد الثمان و امرئ القيس
٨٣ الحدي السالم والذئب البادم	١٧ عدي بن زيد والعمان
٨٥ فارة وحر	١٨ ذلة الدنيا وزوالها
٩١ الصدهد المير القروي	١٩ الراهب الجرجاني و الشيخ عمر الصيني
٩٢ مالك الحزين والسككة	٢٩ حفظ الحواس
٩٤ الديك والتعلب	٣٠ الدهر وحوادثه
٩٧ الجمل والحم	٣٢ ذكر الموت
٩٩ البستاني والاربعة العابثون مجتبه	٣٥ التوبة الى الله
١٠٣ الباب السابع في الفضائل والذائل	٣٨ الباب الثالث في المراثي
١٠٣ الصبر	٤٦ الباب الرابع في الحكم
١٠٥ القناعة	٥٠ نواذر بزرجمهر حكيم الفرس
١٠٧ العدل	٥٢ حكم شاتاق الهندى
١٠٩ الكرم	٥٤ اشعار حكمية
١٢٠ الوفاء الرعي والمثورة	٦٢ الباب الخامس في الامثال
١١٣ الحسد	٦٢ فصل من نواذر كلام العرب
١١٤ حفظ اللسان وكتمان السر	٦٣ نبذ من كلام الرضشري والبسي
١١٧ النجبة	
١١٩ الصدق والكذب	

وجه	وجه
٢٨٧ فصل في المدح والشكر	٢٣٥ معجزة ظهرت في حصار مدينة وبذ
٢٨٨ فصول في التمازي	٢٣٦ شهد الحسين
٢٩٠ فصول في وصاة	٢٣٧ مروءة اسماعيل العزرجي
الباب العشرون في تاريخ العرب ٢٩١	٢٣٩ جود حاتم الطائي
٢٩١ نظر في امة العرب وطبايعهم وسكنام	٢٤٠ إتيار ابن مامة الايادي
٢٩٢ ذكر نسب العرب وتقاسيمهم	٢٤١ صنم سومتاة
٢٩٢ اخار عرب العاربة او البائدة	٢٤٢ الباب السابع عشر في الاسفار
٢٩٤ العرب المتحرمة بنو قحطان	٢٤٢ مدح السفر
٢٩٤ ملك يعرب ويثجب وسبا بني قحطان	٢٤٤ ذم السفر
٢٩٥ سد مأرب وتفرع بني سبا	٢٤٤ سفرة ابن حيدر الى جزيرة صقلية
٢٩٦ ملك التباة بني حيدر في اليمن	الباب الثامن عشر في عجائب المخلوقات
٢٩٦ ملك شدد وتبع وافريقس وذوي الازعار	٢٥٥ في تريح عجب الموجودات
٢٩٧ ملك بلقيس وناشر العم وشعر مرعش	٢٥٩ في جرم الشمس ووضعها
٢٩٩ ذو نواس وشهداء الصرائية في نجران	٢٦١ في كسوف الشمس وبعض خواصها
٣٠١ استيلاء الحبشة على ملك اليمن	٢٦٢ فصل في القمر وخسوفه وتأثيراته
٣٠٢ اخبار سيف بن ذي يزن	٢٦٤ في الهجرة والكرآكب التوابت
٣٠٤ ملك الماذرة بني كهلان في العراق	٢٦٥ فصل في ارباع السنة
٣٠٤ ملك بن فهم وحذيفة الابرش وابن عدي	٢٦٨ فصل في توارد الاخبار
٣٠٦ امرؤ القيس البدو والحرق والعمان	٢٦٩ جسم الارض ودوراها وهيئتها
٣٠٨ المنذر والعمان والاسود وامرؤ القيس	٢٧٠ في السحاب والمطر وما يتعلق بها
٣٠٨ ملك المنذر الثالث والعمان قابوس	٢٧١ في الرعد والبرق وما يتعلق بذلك
٣٠٨ خبر نضر العمان	الباب التاسع عشر في المراسلات
٣١٢ المساسة ملوك الشام بنو كهلان	٢٧٣ في المراسلات بين الملوك والامراء
٣١٣ ملوك كندة	٢٧٧ في الاشواق وحسن التواصل
٣١٤ ذكر العرب المستعربة بنو اسماعيل	٢٨١ فصل في التهنة
٣١٦ ملحق بتاريخ العرب	٢٨٢ في التوصية
٣١٦ اتيان العرب	٢٨٤ فصول في الذم
٣١٧ علوم العرب وآدابهم	

